الدكتور خليل البديري يتذكر:

تاريخ ما أغفله التاريخ

ستة وستون عامًا مع الحركة الوطنية الفلسطينية وفيها



الدكتور خليل البديري يتذكر

تاريخ ما أغفله التاريخ

ستة وستون عاما

مع

الحركة الوطنية الفلسطينية

وفيها

منشورات صلاح الدين ـــ القدس

منشورات صلاح الدين
القدس

كانون ثاني ١٩٨٢

طبع في المطبعة الوطنية

الاهـــــــداء :

* **الـــى ارواح شهدائنا الابرار**

* **الى الذين يعودون حاملين أرواحهم على اكفهم**

* **الى طلابنا وطالباتنا ،وتلاميذنا وتلميذاتنا البواسل الذين ينيرون لنا طريق الخلاص وسبل العمل ، ويجيبونا على سؤال : مـــا العمـــل ؟ .**

الدكتور خليل البديري

مقدمة المؤلف

هذه الصفحات ليست تاريخا أو دراسة للحركة الوطنية ، وانما هي ما رسخ في الذاكرة وعلق في الذهن من أحداث ووقائع عشتها وعاصرتها وشاركت فيها . وقد كنت أنوي في الاصل قصرها على مجموعة المقالات التي حاولت فيها معالجة القضية الفلسطينية عبر ما يزيد على الستين عاما . غير أن الحاح الكثيرين من الاصدقاء حملني على اضافة ما رافقها من ذكريات تتعلق بصميم حركتنا الوطنية ، أنشرها نزولا عند رغبتهم ، لعل الجيل الناشىء يجد فيها شيئا من العبرة والطرافة ، وحافزا لليقظة والاستفادة من تجارب من سبقهم ، فيتجنبون مواقع الخطأ والزلل ويتحرون أفضل السبل وأقصرها لتحقيق ما يصبون اليه من أهداف التحرر والتقدم والتطور غير المقيد ، وأن يكونوا منصفين في حكمهم على من سبقهم ، ويعيروا الاوضاع التي نشأوا وعملوا فيها الاعتبار الكافي . فالخطأ بحد ذاته ليس عيبا ولا نقيصة ، وانما العيب في الاستمرار في الخطأ بعد أن يتكشف وتتبين أضراره . ومن يعمل يخطىء ، والذي لا يخطىء هو الذي لا يعمل . والعاقل هو الذي يستفيد من تجاربه وتجارب الغير . يقول المثل « من يجرب المجرب عقله مخرب » .

واذا ورد في هذه الذكريات شيء قد يسوء البعض فليس هذا هو قصدي ، ولا أنشرها للتشهير بهم أو الاساءة اليهم ، بل هي للتنبيه والتحذير من تكرار مثل هذه الاخطاء . فكلنا معرضون للوقوع في أمثالها ، ولا أنزه نفسي أو أبرئها . وافضل وسيلة للحيلولة دون تكرارها ، هي سعة الصدر والتسامح ، وافساح المجال دائما وأبدا للحوار الديمقراطي الهادف البناء ، وتبادل الاراء والنقاش الهادىء الرصين . فالحقيقة بنت البحث وتقليب وجهات النظر المتباينة ، وتمحيص مختلف الاراء ، مع الحذر من الجدل البيزنطي العقيم المضيع للوقت والهادر للجهود .

الدكتور خليل البديري

القدس

بتاريخ ٣١-١٢-١٩٨١

سنــوات التفتــح والوعــي

الحــرب العالميــة الاولــى ١٩١٤ ــ ١٩١٨

وينشــأ نــاشيء الفتيـــان منــا عـلــى مـــا كــان عــوده ابــوه

وتعود بي الذاكرة الى سنوات الحرب العالمية الاولى ، اي الى ما قبل خمســة وستين عاما ، حين بدأت أصحو على ما حولي وأعيه وأكون فكرة عن الحياة والدنيا . فقد نشأت في بيت علم ودين وتقوى . وقد كانت ولادتي في اواخر عام ١٩٠٦ ميلادي وفي ٢٤ من رمضان سنة ١٣٢٤ هجرية ، وكان ابي الشيخ موسى البديري عالمــا تقيا ورعا مستقيما نزيها عف اللسان والبنان شديد الايمان والتمسك بالاســلام ، بروحه وجوهره دون قشوره ، يرفض البدع ويتوخى الدقــة والصــدق والامانــة والاخلاص في حياته وعمله . وقد كان على شدة تدينه والتزامه بتعاليــم الاســلام واوامره ونواهيه متسامحا مع من يخالفه الرأ يالا في حقيقة الدين : القرآن والاحاديث الصحاح المتفقة مع القرآن . وقد كان يستند في هذا الى أن الشريعة الاسلامية هي الشريعة السمحاء . ويهتدي بما جاء في قوله جل وعلا : « وادع الى بسبيــل ربــك بالحكمة والموعظة الحسنة » « وجادلهم بالتي هي احسن » ، « ولو كنت فظا غليــظ القلب لانفضوا من حولك » وقد كان يفهم الدين ، الدين الاسلامي ، على انه ثــورة على الوثنية والظلم والتسلط والاستبداد والاستغلال والانانية والاحتكار ، ودعوة الى الحب والاخاء والحرية والمساواة . اذ لا عبودية الا لله . وان لا فضل لاحد على آخر الا بالتقوى ، وان الخلق كلهم عيا لالله أحبهم اليه انفعهم لعياله ، ودعوة الى التكافل والتضامن والتعاون والايثار « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » . ورفض الاقتتال والتنابذ والانانية والتنافس الا في خدمة خلق الله واحقاق الحــق واعــلاء كلمــة اللــه .

وقد تشربت المفاهيم والمبادىء والمثل من أبي منذ نعومــة اظفــاري ورسخت في ضميري ووجداني منذ ان بدأ وعيي وفهمي يتكون وينمو حتى لقد صارت سجية لي لا أستطيع التخلص منها او التخلي عنها . ولذا فمــا ان فتحــت عيني على الحــرب وتابعت احداثها مما كنت اسمعه واقراه عنها واشهده بنفسي من مآسيها والمجاعات وسفك الدماء التي تسببها ، حتى احسست بمقت وكره للحرب لما تعنيه من تقتيــل للابرياء وتخريب وفساد ومخالفة لاوامر الله عز وجل وهدم وتقويض لما عمره . وعلى الرغم من نقمتي على ممارسات الحكومة التركية واضطهادها لشعوبهــا والشعب

العربي خاصة فلقد كانت فرحتي كبيرة عندما سمعت بعبور الجيوش العثمانية القناة في اواخر سنة ١٩١٥ ، اذ كنت اشعر بقرابة وترابط عضوي مع الدولـــة العثمانيـــة واعتبر أن الشعوب العربية جزء من الشعوب الاسلامية عامة وان الديـــن والشرق يجمعنا ويوحدنا . وان ما بيننا من خلافات يختلف جدا عما بيننا وبين الغرب واحفاد الصليبيين والمستعمريـــن والطامعين فينـــا :

وان الـــذي بيني وبيـــن بني ابي وبيـــن بنـــي عمي لمختلـــف جـــدا
فان اكلـــوا لحمي وفرت لحومهـــم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجـــدا

خصوصا بعد ما قرأت عن فظائعهم وجرائمهم في البلدان التي احتلوها وسيطروا عليها كالهند ومصر والجزائر والمغرب الاقصى وتونس وطرابلس الغرب وسواحل الجزيرة العربية وحتى في ايرلندا واستراليا ونيوزيلندا والقارة الافريقية والامريكيتين الشمالية والجنوبية ، وما اقترفوه من جرائم ابادة وتصفية السكان الاصليين ونهب ثروات البلاد . فقد وقع بين يدي في وقت مبكر من الحرب العـــالمية الاولى كتـــاب بعنوان « جنايات الانكليز على البشر » . بقلم مفتي الموصل محمد حبيب العبيـــدى الموصلي يتضمن تفاصيل ما ارتكبوه من جرائم في المستعمرات تقشعر لها الابدان ويندى لها الجبين مما جعل جرائم السفاح جمال باشا تبدو هينة وتافهة بالنسبة لها . وقد جعلني كل هذا اوجس خيفة من انتصار الانكليز والفرنسيين والايطاليين او مـــا كان يدعى بالحلفاء آنذاك ، مع أنني كنت في الوقت نفسه اتطلع الى تسوية خلافات العرب مع الاتراك على اسس المساواة والعدالة والمنفعة والاحترام المتبادلين .

ولما نشبت ثورة الشريف حسين على الاتراك احسست بابتهاج وتحمس لها على أمل أن تؤدي فعلا الى تحرير الشعوب والبلاد العربية وتوحيدها واقامـــة دولـــة عربية على أسس من العدل والحق والحرية ، وارساء علاقات جديدة مـــع بقيـــة شعوب الدولة العثمانية على اسس من الاحترام المتبادل والصداقة والتعاون على البر والتقوى ، وصد عدوان الدول الغربية الطامعة فينا وفي شرقنا . ولكن بقيـــت على خوفي من أن يغدر بنا الانكليز والافرنسيون والطليان ويحلوا محـــل الاتـــراك الطورانيين ، فنكون كمن خرج من تحت الدلف الى تحت المزراب ، او كالمستجير من الرمضـــاء بالنـــــار .

ولم يمضي وقت طويل حتى تكشفت نوايا الحلفاء الخبيثة واتفاقهم على تقاســـم بلادنا فيما بينهم وبسط سيطرتهم علينا حين تسربت انباء اتفاقيـــة سايكس بيكو السرية التي كانت قد عقدت سنة ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية ، والتي فضحتها الحكومة السوفيتية اثر ثورة اكتوبر العظمى الاشتراكية سنة ١٩١٧ واعلنت استنكارها لها وتخليها عما خصص لها بموجب تلك الاتفاقية ، فزاد خوفي من استيلاء الحلفاء وكرهي لهم . وزاد الطين بلة صدور وعـــد بلفور في اواخر ١٩١٧

القاضي باغتصاب جزء من البلاد العربية بل قلبها ، اذ هو مركز الاتصال بين الجزيرة العربية والعراق ومصر والمغرب العربي ، فلسطين (الجزء الجنوبي من سوريا) وتحويل هذا الجزء الحيوي والحساس الى وطن قومي لليهود ولاقامة الدولة الصهيونية لتكون مانعا وحائلا دون توحيد البلاد العربية ، ولحرف النضال والكفاح ضد الاحتلال الانكليزي الفرنسي الى احتراب داخل البلاد العربية مع عنصر غريب «حصان طروادة» ، فرضوه عليه وغرسوه بين ظهرانيه بقوة الحراب ضد رغبته ودون موافقته فابتلينا في هذا الجزء الحيوي باحتلالين : احتلال انكليزي واحتلال استيطاني صهيوني .

وفي غضون سنوات الحرب هذه كنت اتلقى تعليمي ليس فقط في المدارس الرسمية بل في البيت ايضا وفي حلقات الدرس في علوم الدين والفقه واللغة العربية التي كان يعقدها والدي في الجامع والمدرسة الملاصقة لدار البديري الكبرة في باب الحبس مقابل المجلس الاسلامي الاعلى ، والتي تضم قبر احد أجدادي الشيخ محمد بن بدير منشيء الجامع والمدرسة وموقفها .

كما وكنت احضر بعض الدروس في بعض الغرف الواقعة في صحن قبة الصخرة . وقد كنت بالنسبة لسني ورفاقي على قدر كبير من الاضطلاع باللغة والفقه واحفظ كثيرا من الرسائل الدينية والاشعار حتى اني القب بالباجوري ذي التقصير واحفظ رسالته الشهيرة في التوحيد عن ظهر قلب . وحدث مرة ان حاول احد كبار العلماء الشيخ حسام الدين جارالله امتحاني في اللغة العربية ، وقد كان يدرسنا اياها في الكلية الصلاحية التي انشأها جمال باشا في اواخر العهد العثماني ، ولما تعثرت في ذلك تخلصت من الموقف الحرج باجابته بالبيت المعروف :

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي اقول فاعرب

أما المدارس التي ارتدتها وتلقيت تعليمي فيها ابان الحكم العثماني فهي : مدرسة باب الواد الابتدائية بالقرب من بيتنا ، وأذكر من اساتذتها الشيخ كمال الخطيب والشيخ حسن عز الدين الجماعي الكنباني وكانا يوليانني اهتماما خاصا . والمدرسة الاخرى هي المدرسة الاعدادية ، المكتب السلطاني ، وهي الفرير الان ، وكانت السلطات العثمانية قد استولت عليها ابان الحرب ، والمدرسة الاخيرة في أواخر العهد العثماني كانت الكلية الصلاحية التي انشأها جمال باشا ، وقد عادت الان للرهبان الفرنسيين ومن أساتذتها المرموقين كان رستم حيدر الذي صار فيما بعد سكرتيرا للملك فيصل الاول في العراق والشيخ حسام الدين جار الله ووالدي والشيخ علي سلام من بيروت . وكان كل طلابها معممين باستثنائي لصغر سني ، وبعد احتلال الانكليز في أواخر ١٩١٧ التحقت بالمدرسة الرشيدية القائمة حتى الان خارج باب الساهرة ، ومن اساتذتي فيها اسعاف النشاشيبي ورشدي شعث والزنانيري

وعادل جبر . واذكر من رفاقي في الصف مصطفى كامل الحسيني وعزمي النشاشيبي ولطفي المغربي . وعند اكمالها انتقلت الى مدرسة المطران الانكليزية . ومن اساتذتها الذين اذكرهم خليل بيدس ، وكان يصدر مجلة « النفائس العصرية » ، وابراهيم قمر وبعض الانكليز . ومن رفاقي عادل الترجمان ، وسالم الشاكر الحسيني ، وداود الحسيني واميل الغوري ، وسمعان داؤود ، والياس الخوري ، وثابت الخالدي..

في حزيران سنة ١٩١٦ اعلن الشريف حسين بعد سنتين من نشوب الحرب العالمية الاولى الثورة على الاتراك لا انتصارا للحلفاء بل تحقيقا لحق العرب في تقرير مصيرهم بأنفسهم وبهدف تحرير الجزيرة العربية وسوريا بما فيها فلسطين ولبنان ، والعراق واقامة دولة عربية (امبراطورية كما كانوا يقولون في ذلك الحين) مستقلة استقلالا تاما ، وبعث نهضة عربية شاملة . وقد اثارت هذه الثورة الابتهاج والحماس في نفسي وبت انتبع اخبارها بتلهف وشوق واهتمام على الرغم من خوفي كما أسلفت من غدر الحلفاء وخنثهم بعهودهم . وساعدني على هذا ملازمتي لابن عمي كامل البديري ، الذي كان مديرا لناحية الرملة والذي كنت امضي العطل المدرسية الصيفية معه وقد كان يقطن في عيون قارة (ريشون لسيون) المستعمرة اليهودية الواقعة قرب وادي حنين وديران (زوحوبوت) اذ لم يكن اذ ذاك قبل صدور وعد بلفور وانفضاح الحركة الصهيونية واطماعها في اغتصاب فلسطين وطننا واقامة دولة يهودية ، اي عداء او نفور بين العرب واليهود وكنا نتقبلهم كضعفاء لاجئين عندنا من اضطهاد وارهاب الاوروبيين « احرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » .

وكان كامل على اتصال وثيق بالحركات العربية السرية وتصله اخبارها بانتظام . كذلك ساعد على ذلك ما كان ينشره الديوان العرفي في عاليه حيث جرت محاكمة نشيطي الحركة الوطنية العربية والحكم بالاعدام لاكثرهم . وقد كان لهذه المحاضر التي كان ينشرها الديوان العرفي « والتي كنت اقرأها باهتمام ولهفة ، بهدف اثارة النقمة على الثورة العربية والقائمين عليها اثرا عكسيا علي . فقد زادتني مقتا وسخطا على ممارسات وتصرفات زمرة الاتحاد والترقي التي كانت في الحكم اذ ذاك ، وتحمسا وتعلقا بالثورة العربية وتأييدا لها مع تحفظي من نوايا الحلفاء . وكان ابن عمي هذا رغم انضمامه الى الحركات الوطنية يشاطرني الشكوك في نوايا الحلفاء والتخوف منهم وكرهي للغرب الاستعماري عموما لما انزلوه بشعوبنا العربية في مصر والجزائر وتونس وطرابلس الغرب والمغرب من ويلات وكوارث واحتلالهم اياها وسيطرتهم عليها وحرمانهم من الاستقلال التام الناجز واستغلالها . ولهذا ففي الوقت الذي كنا نتمنى فيه النصر للثورة العربية ، لا نثق بالانكليز والفرنسيين والايطاليين ولا نطمئن لهم وندعوا الى الحذر منهم وعدم تمكينهم منا . وقد بقي على ولائه للدولة العثمانية حتى انسحابها . كنا نتمنى ان لا تدخل جيوش الحلفاء بلادنا وان لا يفسح المجال الا لدخول الجيش العربي بقيادة فيصل لاقامة الحكم العربي المستقل فيها .

غير انه مما يؤسف له ان الزعماء العرب اذ ذاك وعلى راسهم الشريف حسين وأولاده لم يعيروا هذا الامر الاهتمام اللازم او ان الظروف السائدة اذ ذاك للانصاف لم تمكنهم مـــن ذلـــك .

في أوائل ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩١٧ دخلت الجيوش الانجليزية القـــدس وعلى راسها الجنرال اللنبي الذي لم يستطع كتم ما في نفسه من غل وحقد وتعصب دميم فاطلق كلمته المشهورة « اليوم انتهت الحروب الصليبية » . وقد كان لهذه الكلمة وقع سيء عند جميع العرب ، مسلمين ومسيحيين ، وفتحت اعين الكثيرين منهم على حقيقة السياسة البريطانية ونواياها تجاههم . ووفد فيمن وفد على القـــدس مـــع الادارة العسكرية الجنرال ستورس ، الذي أصبح اول حاكم عسكري لها يعاونـــه الجنرال جبرائيل حداد وبعض نشيطي الحركة القومية من العرب ، ومنهـــم الحاج امين الحسيني ، الذين كانوا مخدوعين بالوعود الانجليزية ، ولكن اكثرهم سرعان ما تكشفت لهم نوايا الانجليز الخبيثة وغدرهم وخيانتهم بعد أن تسربت الانباء عن معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور، فأسروها في نفوسهم وراحوا يعملون على مقاومة السياسة البريطانية واحباطها ، وفي مقدمتهم الحاج امين الحسيني ، يشجعه على ذلك بعض أعضاء الادارة العسكرية الذين كانوا ، لغرض في نفوسهم يعارضـــون السياســـة الرسمية امثال ريتشموند السكرتير العام المساعد للشؤون السياسية والكولونيـــل واترز تيلور . وعلى ذكر خيانة الانجليز وغدرهم تحضرني بهذه المناسبة ما هو شائع عنهم في اوروبا والعالم الغربي اذ انهم يكنونهم بـــ « البيون » (انكلترا) الخائن الغدار، كما ويكنون فرنسا بـــ « ماريان العاهرة » .

ومنذ احتلالها تعرض ابي الشيخ موسى ، لمضايقات السلطات العسكريـــة فكان كثيرا ما يستدعى للتحقيق معه في الدروس التي كان يلقيها في الحرم . والتي كـــان يحذر فيها المسلمين من موالاة الانكليز والاطمئنان اليهم والتعاون معهم . مستشهدا بالاية الكريمة « لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » . ويحض على مقاومتهم ويؤكد على ان الاسلام يقضي بعدم الرضوخ لسلطان غير سلطان المسلمين ومن يتولهم منكم فانـــه منهم » ويدعو للخليفة العثماني بالنصر . وقد وقعـــت مـــن جـــراء ذلـــك مشادات ومصادمات بينه وبين الحاكم العسكري آنذاك الجنرال « ستورس » الى حد انـــه فكر جديا في الهجرة الى الحجاز هربا من اذاهم .

وظل ابن عمي هذا كامل البديري . الذي كان قـــد رقي الى قائمقـــام في الادارة العثمانية ، وفيا مخلصا للدولة العثمانية حتى انتهاء الحرب سنة ١٩١٨ ، وقد كانت له اليد الطولى في القاء القبض على الجواسيس اليهود المعروفين بالاخوة « نيلي » وعلى رأسهم أهرون اهرونسون واعدامهم ، ولما احتل الانكليز فلسطين ، وقد كانوا يكنون له الحقد والضغينة ، حاولوا استمالته اليهم واستخدامه والاستعانة بـــه لتوطيـــد نفوذهم في البلاد ، فعرضوا عليه التعاون معهم في سلك الادارة ولما رفض اعتقلـــوه

ونفوه الى الزقازيق في مصر وبقي معتقلا هناك لمدة تزيد على تسعة أشهر . وما ان اطلقوا سراحه وعاد الى البلاد حتى انخرط في الحركة الوطنية وبدأ بالاتصال مع الحركات والشخصيات العربية التي شرعت تستعد لمقاومة الاحتلالين البريطاني والفرنسي هنا في فلسطين وسوريا ، وكنا لا نميز بين سوريا وفلسطين بل نعتبرهما بلدا واحدا . وما فلسطين الا الجزء الجنوبي من سوريا . وتطلق عليها اسم سوريا الجنوبية ولا نستعمل التسمية الفلسطينية . ومن الشخصيات التي اذكرها والتي كان يتعاون معها والتقيت بها احمد مريود والحاج أمين الحسيني وصبحي الخضرا وشيوخ قبائل البدو في شرقي الاردن امثال مثقال الفائز وعودة ابو تايه وسلطان العدوان وغيرهم ممن كان له معرفة وصداقات قديمة معهم . وللانصاف اقول انه كان من انشط المناضلين واكثرهم حماسا ونشاطا ، وكان يفضل العمل الصامت وينفر من طلب الشهرة . وقد شرع حال رجوعه من مصر في جمع السلاح وتهريبه من شرقي الاردن وتكديسه هنا وهناك اعدادا للثورة المسلحة ضد المحتلين الانكليز والانتداب ووعد بلفور والهجرة اليهودية ونشاطات الصهيونيين في البلاد . كما انه كان يهرب المنشورات والبيانات والنداءات التي تدعوا الى الثورة ومقاومة الاحتلال والهجرة اليهودية والتمسك بوحدة سوريا الطبيعية الممتدة شمالا من جبال طوروس الى رفح جنوبا ومن البحر الابيض غربا الى الصحراء العربية شرقا . وكان يدرك ان الخطر الاستعماري والصهيوني لا يقتصر على سوريا بشطريها الشمالي والجنوبي والعراق بل يستهدف البلاد العربية بأجمعها من الخليج شرقا الى المحيط غربا . ولذا كان يسعى ويناضل لايقاظ الامراء والزعماء العرب الذين لم يكونوا يدركون ذلك اذ ذاك ويعمل على توعيتهم وتحذيرهم من الخطر الداهم الذي يهدد حرية ومستقبل العرب اجمعين . واستنهاض هممهم واثارة النخوة فيهم لنجدة فلسطين ، الخط الامامي ، وتخليصها من براثن الاحتلال الانجليزي والصهيوني . والجدير بالذكر في هذا الصدد ان رواد الحركة القومية العربية ما قبل الحرب العالمية الاولى واثناءها كانوا دائما يعلقون الامال على عرب البادية وامراءهم كالشريف حسين وابن السعود وابن الرشيد اذ كانوا لا يزالون على شيء من الاباء والعزة والكرامة ولم يتدجنوا بعد ولم يعتادوا الرضوخ لحكم اجنبي ولم يألفوا حياة الدعة والذل .

« من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام »

وفوق هذا فقد كانوا يملكون السلاح الذي لا بد منه لاية ثورة او انتفاضة بينما كان السلاح نادرا بين اهل المدن . بل اكثر من هذا فقد كان يحاول استثارة العالم الاسلامي كله بل الشرق بأكمله ضد الخطر الذي يحيق بمقدساته ويستهدف استعباده وحرمانه من حقه في الحياة الحرة الكريمة والتطور والنمو والتقدم والازدهار فكلنا في الهم شرق . فما البلاد العربية الا الجسر الاستراتيجي الى الشرق بأجمعه ، واحكام الاستعمار الغربي الانكليزي والافرنسي قبضته على الشرق العربي يضمن احكام

قبضتهم على الشرق كله « ايران ، الهند والصين والهند الصينية واندونيسيا وشرقي اسيا كله » . فالبلاد العربية تقع على الطريق الى الهند بل هي الطريق الى الشرق كله .

وقد كان يصطحبني في معظم تنقلاته . فقد قمت معه بزيارة دمشق اكثر من مرة وحضرت معه المؤتمر السوري العام الذي انعقد في دمشق في منتصف سنة ١٩١٩ الذي طالب بالاعتراف باستقلال سوريا الطبيعية بجزئيها الشمالي والجنوبي (فلسطين) . وكنت اقوم بالقاء القصائد الوطنية الحماسية في الندوات والاجتماعات والمهرجانات ، وكذلك تعرفت على النادي العربي بدمشق ورجالاته والتقيت هناك في ردهات النادي بالكثير من الشخصيات الوطنية كشكري القوتلي وسعد الله الجابري ، وعوني عبد الهادي والشيخ عبد القادر المظفر ورفيق التميمي ومحمد علي التميمي وفخري البارودي والخوري خبيب اسطفان الذي كان من ابرز دعاة القومية العربية والاستقلال وابلغ الخطباء . كما التقيت بنسيب البكري ومظهر البكري والدكتور الشهبندر . واذكر انني زرت دمشق مرة وكان ذلك اثناء اختطاف الانكليز ياسين باشا الهاشمي واعتقاله ، وقد كانت الجدران مجللة بالملصقات التي تقول « اين قائد جيشك ايها الامير » وقد كان الانكليز قد اختطفوه غدرا واعتقلوه اثناء غياب الامير فيصل في اوروبا بعد أن دعوه الى حفلة في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ وابقوه معتقلا حوالي ستة اشهر تقريبا ، ولم يطلقوا سراحه الا بعد اعلان الحكومة العربية في سوريا وتنصيب الامير فيصل ملكا عليها ، كما واذكر اني سمعت مرة ، وقد بدا أمل الوطنيين والمكافحين من أجل الاستقلال يخيب ويضعف في الامير فيصل بعد أن ترامت الاخبار انه اتفق مع كليمانصو على قبول الانتداب الافرنسي والاعتراف بمصالح مميزة لفرنسا في سوريا ، الامر الذي كان يرفضه الوطنيون الاستقلاليون العرب في دمشق ، ان الشهبندر قال في احدى خطبه « انني قد وضعت سماعتي على قلب او صدر هذه الامة فسمعته يقول خذ عباءتك وارحل ايها الامير » .

وكنا اثناء سفرنا الى دمشق نمر بحيفا ومنها نستقل القطار الى درعا فدمشق . والتقيت بصحبته في حيفا بمعين الماضي ومحمود الماضي ونجيب نصار صاحب جريدة الكرمل . وكانت هناك مدرسة وطنية انشأتها الجمعية الاسلامية في حيفا وقد كان يديرها الشيخ اديب السراج المقدسي الذي كان يشغل اثناء الحكم العثماني منصبا اداريا كبيرا ، وقد كانت هذه المدرسة وقد زرتها اكثر من مرة اثناء مرورنا بحيفا ، مدرسة نموذجية فعلا فقد كانت تربي طلبتها على الاخلاق الاسلامية الكريمة وتبث فيهم الروح الوطنية والاعتزاز القومي وتزودهم بالعلوم الدينية والدنيوية . وقد خلف الشيخ اديب السراج فيما بعد في ادارتها الشيخ كامل القصاب بعد أن التجأ الى حيفا اثر احتلال الفرنسيين لدمشق .

وتجدر الاشارة هنا ، وفاء للتاريخ ، ان الشيخ اديب السراج انتقل الى يافا واسس حركة دينية وحزبا دعاه « حزب الله » وبعث نهضة دينية وفكرية واجتماعية وحقق اصلاحات عميقة وجذرية في المجتمع الاسلامي وخاصة في اوساط البحارة ، اخافت حكومة الانتداب والزعماء التقليديين في يافا الذين دب في قلوبهم الفزع من ضياع نفوذهم وذهاب هيبتهم فتآمروا مع الحكومة على نفيه من يافا وفرض الاقامة الجبرية عليه في القدس حيث شلوا نشاطه وحاولوا منعه من التدريس في الحرم الشريف . وقد علقت جريدة فلسطين في عددها رقم ٤٦ بتاريخ ١٨–٨–١٩٢٢ على نبأ ابعاده تحت عنوان « كفانا هداة » جاء فيه « عظات اديب السراج في جامع يافا اثرت في نفوس العامة تأثيرا كبيرا حتى دعوه « المهدي » ، ولكن خطته هذه أدت به الى الابعاد لانه لم يجرب ان يجعل لنفسه عظاته ذات التأثير في نفوس الخاصة ايضا » . وقد كان يبث دعوته الدينية الاصلاحية عن طريق التدريس في المساجد واصدار النشرات وعقد الندوات الدينية . وقد كان والحق يقال عالما دينيا ودنيويا يتمتع بثقافة عالية واطلاع واسع في شتى العلوم الدينية والدنيوية ، ويتصدى للمبشرين ، واذكر من تلامذته ومريديه في القدس السيد فياض الخضرا (شقيق صبحي الخضرا) والشيخ جمعة النجار وكثيرين لا اذكر اسماءهم . وكان هو اول من دعا المسلمين الى اعتبار يوم الجمعة يوم عطلة . وينصرفون فيه الى توثيق الروابط العائلية خاصة والاجتماعية عامة وقد كانت دعوته تتركز على التمسك بجوهر الدين ونبذ البدع والقشور التى علقت به على مر العصور ، وعلى الحض على النظافة الخلقية والجسمية ، والجد والعمل ، والاقبال على العلم والتعلم ، والتكافل والتضامن بين المسلمين . فالمؤمنون رحماء بينهم . ونبذ الكسل والتواكل ، وادراك ان الدين هو المعاملة ، وانه الاخوة والمحبة والاثرة . وان لا عبودية الا لله ، وان ليس للانسان الا ما سعى وان لا فضل لاحد على آخر الا بالتقوى والعمل الصالح . « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وفي هذه السنوات ١٩١٧ الى ١٩٢٢ كانت تصل الى القدس بعثات من الامير فيصل لتجنيد متطوعين من عرب فلسطين في الجيش العربي لتحرير البلاد العربية من الاتراك، مبشرة الشعب باقامة الدولة العربية الكبرى عند انتهاء الحرب ، ومستندة الى وعود الحلفاء وخاصة بريطانيا . ولذا فقد كانت البعثات تستقبل بحماس كبير وتلقى الكثير من الاقبال . وكان الشباب العرب يقبلون بالالاف على التطوع ، ايمانا منهم بانهم يقاتلون من أجل اقامة الدولة العربية الكبرى . ولكن عندما انتهت الحرب وقلب الحلفاء ظهر المجن للعرب وتسربت اليهم انباء معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور وعلم اهل البلاد بما يبيت ضدهم من تجزئة بلادهم وتقطيع اوصالها واقتطاع قلبها « فلسطين » واقامة دولة يهودية فيها وفرض الحماية او الانتداب عليها وتقاسمها بين من كانوا يمنونهم بالوعود بالاستقلال والحرية واقامة الدولة العربية الكبرى ، اجتاحت البلاد من اقصاها الى اقصاها ، العراق وسوريا بشطريها الشمالي والجنوبي وساحلها الغربي

(فلسطين ولبنان) ، موجة من الغضب والمظاهرات والثورات تأكيدا لتمسكهم بوحدة سوريا بحدودها الطبيعية ورفضهم لتجزئتها ووعد بلفور واقامة وطن قومي لليهود فيها والاحتلال وكل اشكال الوصاية والحماية ، ولاصرارهم على حقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم والاستقلال التام الناجز لجميع البلاد العربية الواقعة ضمن الهلال الخصيب : اي العراق وسوريا الطبيعية ، واقامة الدولة العربية الكبرى التي تشمل الجزيرة العربية كلها . وعبثا حاولت سلطات الاحتلال الانكليزية والافرنسية تهدئة الحال باعلانها ان الاحتلال تدبير مؤقت وان المصير النهائي لهذه البلاد لن يقرر الا في مؤتمر الصلح .

وكانت قد شبت سنة ١٩١٩ ثورة كبيرة ضد المحتلين الفرنسيين في شمال سوريا في منطقة اللاذقية ، استمرت عدة سنوات ، بعد ان انسحبت القوات الانكليزية منها ومن لبنان مخلية اياها للفرنسيين . وفي دمشق انشيء النادي العربي بعد دخول الامير فيصل اليها واصبحت مركز حركة التحرر الوطني في جميع انحاء سوريا بما فيها القدس . وفي هذه السنة نفسها ١٩١٩ انعقد المؤتمر السوري العام وطالب مؤتمر الصلح بالاعتراف باستقلال سوريا الطبيعية بما فيها لبنان والجزء الجنوبي : فلسطين. وحين جاءت الى البلاد لجنة كنغ كرين في السنة نفسها للوقوف على رغبات اهل البلاد اصر المؤتمر في المذكرة التي قدمها اليها على هذه المطالب نفسها .

كذلك اصر جميع من قابلتهم اللجنة على المطالبة بالاستقلال التام لسوريا الطبيعية بجزئيها الجنوبي فلسطين والغربي لبنان في اطار الوحدة العربية الشاملة وعلى رفض وعد بلفور والوطن القومي اليهودي والتجزئة . تجزئة سوريا ولبنان وفلسطين ، وقد اعربوا عن رغبتهم في حالة عدم تحقيق الاستقلال التام ، ان يعهد بالانتداب الى الولايات المتحدة على أن تحترم رغبات الاهالي في الوحدة ورفض اقامة الوطن القومي اليهودي ووعد بلفور . واذا لم تقبل الولايات المتحدة الانتداب فستكون الافضلية الثانية او الخيار الثاني احالته على انكلترا بنفس الشروط .

والجدير بالذكر ان نتائج هذا الاستفتاء لم تنشر الا بعد خمس سنوات من اجرائه اي في سنة ١٩٢٤ . فقد سبق ان عهد مجلس الحلفاء الاعلى ، الذي انعقد في سان ريمو سنة ١٩٢٠ بالانتداب على فلسطين والعراق ، الى بريطانيا ، وعلى سوريا ولبنان الى فرنسا رغم معارضة اهل البلاد الشديدة والحاحهم على انسحاب القوات الانكليزية والفرنسية وثورتهم ضد هذه القرارات ومطالبتهم بتنفيذ الوعود التي قطعت لهم اثناء الحرب وان دل هذا على شيء فانما يدل على تواطيء امريكا وفرنسا وبريطانيا على اخفاء حقيقة رغبات الاهالي .

وقد شهدت سنوات ١٩١٨ الى ١٩٢٢ اتساع الحركة الوطنية ونموها . ففي جميع مدن فلسطين القدس ويافا وحيفا وعكا ونابلس تشكلت الجمعيات الاسلامية

والاسلامية المسيحية كما تشكلت النوادي : النادي العربي والمنتدى الادبي في القدس، وقد كان يشرف على الاول كامل البديري والحاج امين الحسيني واخوه فخري الحسيني واسحق درويش وابراهيم درويش وجميل الحسيني وعارف العارف والشيخ حسن ابو السعود وغيرهم . وكنت انا من الملازمين لهذا النادي . واما الثاني المنتدى الادبي : فقد كان يشرف عليه فخري النشاشيبي وحسن صدقي الدجاني وغيرهم . وقد كان الناديان مركزا للنشاط المحموم ، فقد كانوا يعقدون الندوات والمحاضرات ، وينمون الوعي القومي ويحذرون من الاخطار التي تهدد العرب في جميع اقطارهم ، وتحثهم على مقاومة الاحتلال والانتداب والهجرة اليهودية وبيع الاراضي . وقد ساعد على اذكاء هذه الحركة ونموها اشتعال ثورة ١٩١٩ في مصر والثورات في مختلف انحاء سوريا المقطعة الاوصال والمجزئة وثورة العراق الكبرى سنة ١٩٢٠ والثورة الكمالية في تركيا . ولا شك ان الرياح التي هبت من الثورة الاشتراكية الكبرى في روسيا كان لها اثرها ايضا . غير انه لا بد لي من الاشارة بهذا الصدد . الى ان هذا التأثير كان محدودا جدا في فلسطين بسبب ارتباط هذه الثورة في اذهان العامة بهجرة اليهود الى فلسطين ،وبالدعايات الكاذبة والمضللة التي كانت تنشرها اجهزة الاعلام العالمية والراسمالية والاستعمارية ووصمها بالالحاد والاباحية والفوضى والتنكر للقيم المثالية ، والمادية الشرهة ، وقد دأب زعماء الحركة الوطنية التقليديون في فلسطين على تنبيه وتحذير سلطات الاحتلال من انكليز وافرنسيين الى ان المهاجرين يجلبون معهم البلشفية الى هذه البلاد ظانين انهم بهذا يوغرون صدورهم على اليهود ويكسبون ود المحتلين ناسين ان المحتلين انفسهم كانوا واعين اكثر منهم لهذه المخاطر . فقد كانوا يتحرون بدقة عن البلاشفة بين المهاجرين ، تساعدهم في ذلك الوكالة الصهيونية ، ويمنعونهم من دخول البلاد او يبعدونهم اذا ما نجحوا في الدخول . كما وان كثيرين منهم كانوا يغادرون البلاد من انفسهم بعد ان يكتشفوا زيف الدعاية الصهيونية ، وان البلاد ليست خالية ، وانهم يسخرون لخدمة المآرب الصهيونية الراسمالية والاستعمار الانكليزي ولقمع الحركة التحررية في فلسطين .

وقد كان التنافس على فلسطين بين انكلترا وفرنسا في تلك السنوات على أشده . ولذا فقد كانت فرنسا تدعم المنتدى الادبي بينما كان النادي العربي يعتمد على الدعم من الحركة الوطنية في دمشق بزعامة الامير فيصل والذي كان بدوره يلقى دعما من الانكليز . غير أن هذا لا يغير من أن الناديين كانا يدعوان الى مقاومة الاحتلال الانكليزي والانتداب ووعد بلفور والهجرة اليهودية وتجزئة سوريا الطبيعية ولو ان الفرنسيين كانوا يمنون انفسهم ويودون لو تقع كل سوريا بشطريها الشمالي والجنوبي تحت سيطرتهم ونفوذهم بينما كان يود الانكليز ان يبسطوا نفوذهم وهيمنتهم على الجزء الشمالي منه بصورة غير مباشرة بواسطة الامير فيصل. ولكن ما ان اقرت عصبة الامم الانتداب لفرنسا على سوريا ولبنان ولانكلترا على

فلسطين والعراق بعد عقد صفقة بين الحليفين الاستعماريتين ، حتى غدرت انكلترا بحليفها فيصل مرة ثانية وسلمته للفرنسيين ، كما تخلت الحكومة الفرنسية عن دعم الحركة المناوئة لوعد بلفور ولاقامة الوطن القومي لليهود واقرت الانتداب الانكليزي على فلسطين وايدت اقامة وطن قومي لليهود فيها .

ولكن هذا لم يمنع من استمرار الثورات والانتفاضات ضد الاحتلال والانتداب والتجزئة . فعقب الاطاحة بالحكومة العربية في دمشق وابعاد فيصل منها نشبت انتفاضة كبيرة في جبل حوران وقتل الثوار رئيس الحكومة الكراكوزية في دمشق عبد الرحمن باشا اليوسف وبعض اعضاء حكومته في درعا . وفي سنة ١٩٢٠ شملت الانتفاضة سوريا الشمالية كلها . وتبعتها في سنة ١٩٢٢ مظاهرات دامية ضد الفرنسيين في دمشق وغيرها من المدن السورية . ونشبت في نفس السنة انتفاضة في جبل الدروز امتدت الى منطقة البقاع .

وقد طرأ على الحركة الوطنية العربية العامة بعد الاطاحة بالحكومة العربية في دمشق ، انقسام وتمايز واصبحت تواجه في سوريا ولبنان الاحتلال الافرنسي وفي فلسطين والعراق الاحتلال الانكليزي . وكان من الطبيعي ان تنصرف كل واحدة منها الى مجابهة ومكافحة العدو الجاثم فوق صدرها دون ان تستعدي العدو الاخر الرابض فوق صدر شقيقتها ، آملة في الاستفادة من التنافس بين العدوين انكلترا وفرنسا دون ان تتخلى اي منها عن فكرة التضامن والوحدة بين شقي الحركة . ولكن سرعان ما تبين لهما أن الاستعمار واحد ، وان الحرية لا تتجزأ ، وانه وان كان الاستعماران يتنافسان احيانا ويحاولان استغلال الحركات الوطنية لصالح تغليب نفوذ الواحد على الاخر ، فانهما عندما يصبح انتصار الحركة الوطنية وشيكا يتجاوزان خلافاتهما ويوحدان جهودهما لضرب الحركة الوطنية التحررية خوفا من أن تسري عدواها الى الجزء الذي يغتصبونه .

ومن مظاهر هذه الحركة الوطنية العارمة كان تتابع صدور الجرائد الوطنية . وكانت « سوريا الجنوبية » أول جريدة وطنية تصدر بعد الاحتلال تدعو الى مقاومة الاحتلال والانتداب ووعد بلفور والهجرة الصهيونية واقامة الوطن القومي اليهودي وفصل فلسطين عن سوريا ، وقد اصدرها محمد حسن البديري في ٨ ايلول سنة ١٩١٩ . وتولى رئاسة التحرير فيها عارف العارف الى أن توقفت عن الصدور في منتصف سنة ١٩٢٠ بعد أن كانت الحكومة تعطلها بين الحين والاخر وقد اختار صاحبها هذا الاسم ليؤكد على وحدة سوريا الطبيعية وان فلسطين ما هي الا الجزء الجنوبي منها . واستأنفت الظهور في اوائل سنة ١٩٢٠ في حيفا جريدة الكرمل التي كانت تصدر قبل الحرب وتوقفت اثناءها . وتلتها جريدة «الاقصى» التي اصدرها صالح عبد اللطيف النقيب الحسيني في النصف الثاني من سنة ١٩٢٠ . « وجريدة

القدس الشريف » أصدرها حسن صدقي الدجاني في نيسان سنة ١٩٢٠ . وجريدة « مرآة الشرق » أصدرها بولص شحادة في أواخر سنة ١٩١٩ . وبينما كانت الصحف الاولى « سوريا الجنوبية والاقصى والقدس الشريف » تدعوا الى مقاومة الهجـرة والانتداب كانت جريدة « مرآة الشرق تشتهر بالميل الى التعاون مع الانكليز ومهادنتهم او ما يسمى بالاعتدال . وظهرت ايضا جريدة « بيت المقدس » لصاحبها الياس بندلي مشحور وكانت فرنسية النزعة لا تخفي خصومتها للحركة الوطنية في دمشق وللامير فيصل والحكومة العربية في سوريا . وصدرت ايضا جريدة « لسان العرب » لصاحبها ابراهيم سليم النجار في منتصف سنة ١٩٢١ . واشتهرت بالاعتدال وبأنها حكومية . وقد اصدر ابن عمي كامل البديري بالاتفاق مع اللجنة التنفيذيـة العربية جريـدة « الصباح » في أواخر اكتوبر سنة ١٩٢١ وتوالى علـى رئاسة تحريرها يوسـف ياسين ومن بعده هاني ابو مصلح . وقد كانت لسان حال المؤتمر العربي الفلسطيني والوفد الفلسطيني . وقد تابعت اكمال الرسالة التي بدأتها « سوريا الجنوبية » . ومن الجرائد التي استأنف صدورها في هذه السنة ايضا جريدة فلسطـين في يافـا التى بدأت في الصدور قبل الحرب العالمية الاولى وانقطعت عن الصدور طيلة سنـوات الحرب . وقد كانت لا تخفي نزعتها الفرنسية وقد تجلى ذلك في حملاتها على الثورة السورية ورجالاتها ووصفهم بقطاع الطرق والمجرمين كما فعلت جريدة الاهرام فيمصر التي كانت على اتصال بالمخابرات الفرنسية . ولكن الاثنتين فلسطين والاهـرام انضمتا الى السيل الوطني الجارف فيما بعد واقتصرتا على أن تكـون اخباريتين لا لـون لهمـا ولا مبـدأ .

ومن الجرائد التي كانت تصلنا من الخارج وكنت اكـب على مطالعتهـا لتتبـع اخبار الثورة العربية جريدة (القبلة) التي كانت تأتي الى ابي من مكة ويقال ان الملك حسين الجد هو الذي كان يحررها بنفسه ، وجريدة الكوكب لسان حال الثورة العربية ورجال البيت الهاشمي التي كانت تصدر في القاهرة . كذلك كنت اطـالع جريـدة المقطم التي كانت تصدر في القاهرة . والتي كانت معروفة باتصالهـا بالمخابـرات البريطانية ، والاهرام المرتبطة بالمخابرات الفرنسية . والجريدة الوطنية الكبـرى « الاخبار » التي كان يصدرها الوطني الكبير أمين الرافعي والتي كانت تنطق باسـم الثورة المصرية سنة ١٩١٩ والوفد المصري وسعد زغلول . « واللواء المصري » التى كان يصدرها الحزب الوطني الذي اسسه مصطفى كامل وخلفه في زعامة الحزب محمد فريد وحافظ رمضان وعبد الرحمن الرافعي وكانت هذه الجريدة احب الجرائد الي ، اذ كانت تتجاوب مع ما يجيش في صدري وتعبر عما يدور في ذهني وترفع شعارات « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » . « ومن يتساهل في حقوق بلاده ولو لمرة واحدة يبقى ابد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان » « واننا نعرف كيف نصبر على المكاره ولكن لا نعرف التسليم لاعدائنا » . كما وكنت على صلة وثيقة بجرائد سورية الجنوبية ، والاقصى ، والصبـاح .

مظاهــرات ١٩٢٠ :

في مستهل سنة ١٩٢٠ ابلغ الجنرال بولز الحاكم العسكري البريطاني في فلسطين وجهاء البلاد واعيانها ممثلين في الجمعيات الاسلامية المسيحية في اجتماع دعاهم اليه قرار مجلس الحلفاء بدمج وعد بلفور بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين في معاهدة الصلح مع تركيا وان بريطانيا قد قبلت الانتداب على البلاد على هذا الاساس وان الحكم سيكون للحكومة البريطانية . وعلى الاثر هبت أول مظاهرة جماهيرية ضخمة ضمت جميع سكان القدس وضواحيها اشترك فيها اكثر من ٤٠ الف مواطن تعبيرا عن رفضهم للانتداب ووعد بلفور والوطن القومي اليهودي وتجزئة البلاد العربيــة وفصل فلسطين عن شطرها الشمالي سوريا ، ومصادرة حقهم في الاستقلال النــام الناجز ضمن الدولة العربية الكبرى وسوريا الطبيعية . واحتجاجا باختصار علــى التجزئة الامبريالية والاحتلال والانتداب ووعد بلفور . وكان مؤتمــر الجمعيــات الاسلامية المسيحية قد أرسل مذكرة قبل هذه المظاهرة الى الحاكم العسكري العام اعلن فيها رفض البلاد لفصل فلسطين عن سوريا وللانتداب ولوعد بلفور والهجــرة اليهودية وتمسكها بالاستقلال التام والوحدة مع سوريا في ظل حكومة عربية برعاية الامير فيصل ، وانطلقت المظاهرة من السرايا القديمة داخل البلدة القديمة الى باب العامود خارج السور الى دار الحكومة التي كانت في كلية شميدت للبنات الان ، والتى كانت من أملاك العدو المحتلة آنذاك (اذ انها تخص جمعية تبشيرية المانية) واتخذتها ادارة بلاد العدو المحتلة مقرا لها ، لتسلم الحاكم العام احتجاجا على قرارات مجلس الحلفاء ثم الى باب الخليل سالكة طلعة النوتردام الفرنسيــة قــرب المستشفى الفرنسي ، معرجة على المفوضية الافرنسية التي كانت تقع شرقي النوتردام لتسلمها ايضا الاحتجاج والمطالب ، ومن هناك الى القنصلية الامريكيــة في شارع دأمــن الله ثم الى ساحة البلدية والساعة التي كانت قائمة هناك ، قبل أن تزيلها حكومــة الانتداب فيما بعد ، ثم عبر سويقة علون الى السرايا القديمة ، حيــث تفرقــت . باختصار طافت المظاهرة على جميع قناصل الدول الاجنبية ومعتمديهــم لتسلمهــا الاحتجاجات . وكان المتظاهرون اثناء سيرهم يحملون يافطات وشعارات تنــادى بسقوط الانتداب والاحتلال ووعد بلفور « بلادنا لنا » « يسقط الاحتلال » « يسقــط الانتداب » « يسقط وعد بلفور » « الاستقلال التام او الموت الزؤام » وينشدون الاناشيد الوطنية الحماسية . ولا بد هنا من الاشارة بدور كلية روضة المعارف وطلبتها التــى كانت تتقدم المظاهرة بموسيقاها وكشافتها . واذكر من هذه الاناشيد :

نحــــن لا نرضـــــى الحمايـــــة — لا ولا نرضـــــى الوصايــــــة
فيصـــل اولـــــــى بالرعايــــــة — لبنـــي العــــرب الكـــرام
نحــــن احــــرار كـــرام — ولنـــــا المجــــد غــــرام
فـــــاذا عـــــز المــــــرام — فعلــــى الدنيـــــا الســــلام

نحن شبان البلاد نرفض الذل ونأبى الاضطهاد

بلاد العرب :

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن الى مصر فتطوان
فلا حد يباعدنا ولا دين يفرقنا
لسان الضاد يجمعنا بغسان وعدنان
لنا مدنية سلفت سنحييها وان دثرت
ولو في وجهنا وقفت دهاة الانس والجان
فهبوا يا بني قومي الى العلياء بالعلم
وغنوا يا بني امي بلاد العرب أوطاني

وأخرى :

ضموا الصفوف يا عرب وامشوا الى نيل الارب
ان النداء قد وجب لبعث حق مغتصب
ضموا الصفوف يا عرب
من السلاح استكثروا بيض الصوارم اشهروا
سيروا ولا تؤخروا وطهروا وحرروا
أوطانكم ممن سلب

وغيرها . وقد كانت جدران المدينة مغطاة بالشعارات التالية « القوة بالاتحاد والمجد بالعلم » « بلادنا لنا » ، « ليسقط وعد بلفور »، « ليسقط الانتداب » ، « لا مجد ولا شرف ولا حياة الا بالاستقلال » ، « لا ارادة فوق ارادة الشعب» ، « ولا مشيئة فوق مشيئة الاتحاد » ، « باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت » . وكان المتظاهرون يهتفون بها أيضا . وقد كنت في عداد المتظاهرين وأحد خطائبها . وقد القيت خطابى أمام دار الحكومة في باب العامود من على سطح بناية هندية ، التي لا تزال قائمة هناك حتى الان وقد اضيف اليها طابقان ، منددا بالاحتلال والانتداب ووعد بلفور وتجزئة البلاد العربية واقتسامها بين الانكليز والفرنسيين وغدر الحلفاء وخاصة الانكليز وخيانتهم ، ومذكرا بالوعود التي قطعوها للشريف حسين ومؤكدا ان الاستقلال والحياة الحرة والوحدة والاتحاد حق طبيعي لنا وانه ليس منة من أحد، ولا نستجديه من أي كان واننا استخلصناه بدمائنا وعرقنا ودماء اجدادنا ، وان هذه البلاد ، هذا الوطن وديعة لدينا يجب ان نسلمه كاملا غير منقوص الى احفادنا وذرارينا ، وداعيا الشعب الى التمسك بهذا البلد والى مقاومة كل اعتداء عليه او انتقاص منه وان لا حياة مع الذل ، ولا كرامة مع الاستعباد ، والى بذل النفس والنفيس في سبيل انتزاع هذه الحقوق والاحتفاظ بها مذكرا بامجاد اجدادنا الخ

لسنـــا وان احسابنـــــا كرمـــــت	يومـــا علـــــى الابـــــاء نتكـــل
نبنـــي كمـــــا كانـــت اوائلنـــــا	تبنـــي ونفعــل مثلمـــــا فعلـــوا

مـــرددا : ـــ

الا لا يعلــــم الاقـــــوام انـــــا	تضعضعنـــا وانـــا قـــد ونينـــا
الا لا يجهلـــن احـــــــد علينـــــا	فنجهــل فــوق جهـــل الجاهلينا

واذكر من الخطباء أيضا الشيخ حسن ابو السعود ، ابراهيم درويش ، الشيخ عبد الفتاح درويش (من شيوخ المالحة) واستاذي خليل بيدس ، يوسف ياسين ، عارف العارف ، صليبا الخوري ، عيسى البندك وغيرهم . وبعد المظاهرة اعتقل بعض الخطباء وغير الخطباء اذكر منهم : كامل البديري ، خليل بيدس ، الشيخ عبد الفتاح درويش ، فخري النشاشيبي ، ابراهيم درويش ، ولم اعتقل لصغر سني .

لم تقتصر المظاهرة على القدس فقد عمت المظاهرات المماثلة جميع المدن يافـــا ، حيفا ، عكا ، ونابلس وغزة . وكلها كانت تنادي بسقوط وعد بلفـــور والانتــداب ، وبالتمسك بالوحدة مع سوريا واقامة الدولة العربية الكبرى التي تشمل الجزيـــرة العربية والهلال الخصيب الذي يضم العراق وسوريا بحدودها الطبيعية والوحـــدة العربيـــة العامـــة .

في ٦ اذار من هذه السنة ، سنة ١٩٢٠ ، اجتمع المؤتمر السوري العـــام للمـــرة الثالثة باشتراك ممثلين عن سوريا الجنوبية (فلسطين) وقرر بالاجتمـــاع اعـــلان استقلال سوريا بحدودها الطبيعية واقامة دولة ملكية نيابية فيها ونادى بالامير فيصل بن الحسين ملكا عليها ، واعلن هذا القرار وابلغه لجميع الدول والعالم اجمـــع فى ٨ اذار من نفس السنـــة .

وفي نفس هذا التاريخ جرت المظاهرات في جميع مدن فلسطين ابتهاجها بهـــذا القرار وتأييدا له ، وكنت ايضا من عداد المتظاهرين في القدس واحد خطبائها . وســـارت المظاهرات كسابقتها وطافت على جميع الهيئات الدبلوماسية الاجنبية ومقر الحكومة العسكرية معلنة فرحتها ومؤيدة القرار ومطالبة بانسحاب القـــوات المحتلـــة مـــن الجزئين الجنوبي (فلسطين) والساحل الغربي (لبنان) والاعتراف بالدولة العربيـــة والملك فيصل ونقل السلطة اليها . وقد القيت خطابا بهذا المعنى مبشرا الجماهـــير بقيام الدولة العربية المستقلة من على سطح بوابة القنصلية الاميركية الواقعة فـــي شارع مأمن الله واختتمته بنشر العلم العربي والهتاف له وللملكة العربية وسقـــوط الاحتلال ووعد بلفور ، وسط هتافات الجماهير وتصفيقها . وقد كان الحماس على اشده . وكالعادة اعتقلت سلطات الاحتلال الانكليزي بعض الخطبـــاء والمتظاهرين ونجوت أنا بسبب صغر سني .

وفي أوائل شهر نيسان من السنة نفسها ١٩٢٠ وعلى وجه التحديد في ٤ منه يوم الاحد يوم وصول علم الخليل الى القدس للمشاركة في احتفالات موسم النبي موسى والتوجه بعد المبيت الى مقام النبي موسى قرب أريحا ، خرج أهل القدس قاطبة كالعادة الى خارج السور بباب الخليل لاستقبالهم وذهب البعض للقائهم قرب محطة سكة الحديد في البقعة ولمرافقتهم الى داخل البلدة والحرم القدسي الشريف . وقد تحول الوكب الى مظاهرة وطنية كبرى تهتف بحياة الدولة العربية العتيدة وحياة الملك فيصل وتنادي بسقوط الانتداب ووعد بلفور وتندد بالهجرة اليهودية وتنشد :

نحـــن لا نرضـــى الحمايـــة   لا ولا نرضـــى بالوصايـــة
فيصـــل اولـــى بالرعايـــة   لبنـــي العـــرب الكـــرام

وتنادي بخروج الانكليز والفرنسيين من بلادنا من جبال طوروس شمالا الى رفح جنوبا، وكانت المظاهرة سلمية هادئة ، ولكن ما أن وصلت الميدان خارج باب الخليل حتى تحرش بها بعض اليهود فنشبت اصطدامات ومعارك دامية بين الاهالي العزل من السلاح وأفراد الشرطة اليهود والانكليز ورجال الجيش الانكليزي ، سقط على اثرها عدد من القتلى والجرحى ، وقد امتد القتال الى داخل المدينة . وقبل ان يقع الاصطدام وقد كنت من المشاركين في الموكب خطبت للمرة الثالثة حاثا الجماهير على التمسك ببلادنا والذود عن استقلالها ووحدتها ومحذرا من أخطار الهجرة اليهودية ومن غدر الانكليز والفرنسيين بنا . وخطب ايضا عارف العارف وخليل بيدس والشيخ حسن ابو السعود وعبد الفتاح درويش (المالحة) وابراهيم درويش وغيرهم ممن لا أذكر اسمائهم . وكالعادة القت سلطات الاحتلال القبض على بعض الخطباء والمتظاهرين : أذكر منهم عارف العارف ، خليل بيدس ، كامل البديري ، الشيخ حسن ابو السعود ، عبد الفتاح درويش ، عبد اللطيف الحسيني ، بتهمة تحريض الاهالى بالخطب وطلبت الحاج أمين الحسيني فلم تظفر به . فداهموا بيت أخيه المفتي كامل الحسيني للبحث عنه ولم يأبهوا لاحتجاج المفتي . وعلى أثر ذلك قام وفد من الجمعية الاسلامية المسيحية برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني رئيس البلدية ، بزيارة الجنرال بولز الحاكم العسكري العام محتجا على تصرفات الجنود الصهيونيين وحاكم القدس رونالد استورس الذي اظهر تحيز ضد العرب وحملهم تبعة ما وقع، وبرأ اليهود من ذلك ، وطالب بعزله وبتجريد اليهود من السلاح ، والكف عن محاباة اليهود واطلاق سراح المعتقلين . كذلك قام المفتي كامل الحسيني برد الوسام ، الذى كانت قد منحته له الحكومة البريطانية تقديرا لخدماته احتجاجا على انتهاكها لحرمة بيتـــه .

واذكر انه على أثر هذه الاصطدامات بدأ العرب يتداولـــون في تسليح أنفسهـــم وتشكيل حاميات لحماية أنفسهم واحياءهم ، ومن الاماكن التي كانت تجري فيها هذه الاجتماعات الزاوية الادهمية خارج باب العمود مقر عمي الشيخ عبـــد الرحمـــن

البديري . وقد امتد الهياج والقلق الى بقية المدن الفلسطينية وخاصة يافا حيث وقعت بعض الحوادث والى جميع أنحاء فلسطين فوقعت اشتباكات واصطدامات بين العرب من جهة والجنود الانكليز والمستعمرات الصهيونية الواقعة على ضفة نهر الاردن او القريبة منه وفي بيسان ، وسمخ ، والغور ، وأريحا ، وقد اتهمت سلطات الاحتلال الانكليزية الحكومة العربية ورجالاتها في دمشق بتدبير هذه المقاومة . ولكن الحقيقة انها كانت ردا على استمرار الاحتلال وتدفق الهجرة الصهيونية وانشاء المستعمرات الصهيونية واغتصاب الاراضي العربية ، وانها كانت من تدبير بعض الرجالات الوطنيين الثوريين امثال احمد مريود وفؤاد سليم وكامل البديري وصبحي الخضرا الذين كانوا يعدون لثورة مسلحة لتحرير البلاد من الاحتلال الانكليزي والصهيونية .

وتهدئة للحالة قامت السلطات باطلاق سراح بعض الموقوفين ثم عادت واعتقلتهم فيما بعد واما الحاج أمين الحسيني وعارف العارف فقد نجحا في الاختفاء عن اعين السلطة والالتجاء الى شرق الاردن وسوريا . وقد حكمت عليهم المحاكم الانكليزية غيابيا بالسجن لاكثر من عشر سنوات متهمة اياهم بالتحريض . وهكذا هدأت هذه المظاهرات في القدس وساد شيء من السكون والهدوء . الى أن انفجرت الاضطرابات من جديد في يافا في أيار سنة ١٩٢١ ووقع ضحيتها عدد غير قليل من القتلى والجرحى من جراء الاستمرار في تنفيذ وعد بلفور والتنكر لحق الشعب الفلسطيني بالوحدة مع أمه سوريا وحرمانه من حقوقه الطبيعية في الحرية والاستقلال واغراق البلاد بمهاجرين يطمحون الى اغتصاب أراضيه ووطنه وتحويله الى وطن قومي يهودي وطرد اهله الشرعيين منه . ما كان ليمكن لهذا الشعب العربي الابى وقد بدأ يدرك أبعاد المؤامرات التي تحاك ضده والمصير المفجع الذي يبيت له ، ويشهد بأم عينه تقطيع أوصال بلاده وتجزئتها أن يسكت على العدوان ويستكين الى الذل . فاستمرت النقمة على الاحتلال ووعد بلفور والهجرة اليهودية الهادفة الى تهويد البلاد وسلبها من أهلها في الازدياد والشدة . وبالاضافة الى المقاومة المحلية والمظاهرات والاحتجاجات بدأ النشيطون في الحركة الوطنية في التفكير بنشاط سياسي ودبلوماسي خارج البلاد لشرح ظلامتهم وبسط قضيتهم العادلة الحقة وفي ارسال وفد الى بريطانيا للدفاع عن حقوقهم والمطالبة بحقوقهم المشروعة في الاستقلال والوحدة التي وعدوا بتحقيقها والاعتراف بها حال انتهاء الحرب ، مقابل اسهامهم في نصر الحلفاء ، والجهود والتضحيات والشهداء الذين بذلوهم اثناء الحرب . واستقر رأيهم اخيرا في الاجتماعات التي كانوا يعقدونها في أواخر سنة ١٩٢٠ ، وقد كان الكثير منها يعقد في دارنا ، دار البديري الكبيرة تجاه المجلس الاسلامي بباب الحبس وحيث كان يسكن ابن عمي كامل البديري وابي وكنت احضرها ، على ارسال وفد الى بريطانيا لشرح قضيتنا والمطالبة بتحقيق مطالبنا ، يتألف من موسى كاظم الحسيني وتوفيق حماد وامين التميمي وابراهيم الشماس ومعين الماضي وشبلي الجمل ، وبدأوا يجمعون التبرعات لتغطية نفقات الوفد .

ومن الاحداث الهامة التي وقعت في هذه السنة اقالة رئيس بلدية القدس موسى كاظم الحسيني لاشتراكه علنا في الحركة الوطنية ، ولمعارضته في اقرار اللغة العبرية كلغة رسمية في البلدية ، وتعيين راغب النشاشيبي بدلا منه الامر الذي اثار استياء الراي العربي العام .

وفي النصف الثاني من هذه السنة نفسها وصل الى البلاد هربرت صموئيل كأول مندوب سام . وبدأ ادارته باتباع سياسة التهدئة فاصدر في الاشهر الاولى من حكمه عفوا عن الحاج أمين الحسيني وعارف العارف . وقبل منتصف سنة ١٩٢١ عين الحاج امين الحسيني مفتيا خلفا لاخيه كامل الحسيني الذي توفي في هذه السنة ، وعارف العارف قائمقاما في جنين هادفا من وراء ذلك الى تهدئة الوضع وترضية الشعب العربي الهائج ، واستبدل قيود السجن بقيود الوظيفة وهي احكم واضمن .. وتجدر الاشارة هنا بأنه سبق تعيين المفتي حملة شعبية واسعة تطالب بتعيين الحاج أمين الحسيني مفتيا خلفا لاخيه المفتي المتوفي رغم انه لم يفز في الانتخابات التي اجريت بين العلماء ، وكان ذلك تعبيرا عن التضامن معه كطريد للسلطة وتأييدا له في كفاحه ضد الانتداب ووعد بلفور والهجرة اليهودية الصهيونية . ومن الطريف في هذا الشأن ان ابي الشيخ موسى البديري كان من بين المرشحين ونال أصواتا اكثر من الاصوات التي نالها الحاج أمين الحسيني غير أن عائلتنا عامة وعمي الشيخ عبد الرحمن وابن عمي كامل خاصة كانا من أشد أنصار تعيين الحاج أمين وأنشط الدعاة له ولا اخفي قناعتي أنا ايضا بأن الحاج أمين كان من الوجهة السياسية أنسب من أبي الذي كان ورعا تقيا ، والسياسة تتطلب الخداع والمكر والدهاء . وابي كان براء من هذا كله ويستنكره كل الاستنكار اي رجلا كعمرو بن العاص لا رجلا كابي موسى الاشعري .

والامر الاخر الذي يجدر التنويه به هو أن عارف العارف والحاج أمين الحسيني بعد أن ارتبطا بقيد الوظيفة خلدا الى الهدوء والسكينة ، بل ان الاول عارف العارف تعدى ذلك الى التعاون مع الحكومة في تنفيذ السياسة ، سياسة تنفيذ وعد بلفور وتجزئة البلاد العربية ، التي كان من أشد الناس تحمسا لمقاومتها واحباطها ، فسبحان مغير الاحوال . واما الثاني فالحق يقال انه وان توقف عن اي نشاط علني ، الا انه استمر في الخفاء في الاعداد لمقاومة وعد بلفور والهجرة وتحقيق حقنا في الاستقلال ولو تحت ستار التعاون المخفي مع الانتداب . ولا مفر هنا من الملاحظة ان الظروف الموضوعية ساعدت المفتي على انتهاج هذا السبيل لانه في منصب الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، لم يكن عليه أن يتعامل مع اليهود ، وكان تعامله مع سلطات الاحتلال البريطاني فقط . واما راغب النشاشيبي فانه كرئيس لمجلس بلدية مختلط من العرب واليهود كان عليه ان يتعامل بل حتى ان يتعاون مع اليهود . هذا بالاضافة الى تعامله مع سلطات الاحتلال ولذا فقد شاع بين الناس وراجت

الاشاعات بانه يهادن ليس فقط الانكليز بل واليهود وساءت سمعته . كذلك بعد اقالة موسى كاظم الحسيني من رئاسة البلدية تراجع عارف باشا الدجاني الى الدرجة الثانية او الثالثة في زعامة الحركة الوطنية ، وبدأ يسعى بتحريض ومساعدة من المفتى على منافسة راغب بك والوصول الى رئاسة البلدية وشاع انه هو ايضا بدأ يقيم سرا اتصالات مع اليهود لتأمين تأييدهم له . وشيئا فشيئا اعتزل الحركة الوطنية وانزوى في بيته وراح يحاول توطيد مركزه بواسطة عائلته الكثيرة العدد وعلى اساس عائلي .

ومن الشخصيات النشيطة في تلك الايام عمر الصالح البرغوثي وكانت تحوم حوله شبهات عن اتصاله بالمخابرات البريطانية وسلطات الاحتلال واليهود . وقد كان يحتل مركزا وسطا بين المجلسين (الوطنيين والمعارضين المهادنين) راغب النشاشيبي وحلفائه الى أن التحق في سنة ١٩٥٥ بوزارة هزاع المجالي التي كانت تزمع الانضمام الى حلف بغداد . ولكنه في آخر ايامها وبعد اشتداد النقمة عليها استقال منها ، فكان كمن يتوب على فراش الموت . ومن المؤسف ايضا ان شخصية اخرى لعبت دورا نشيطا في الحركة الوطنية سنة ١٩٣٦ ، حنا خلف ، هو ايضا سلك نفس السبيل وانضم الى وزارة هزاع المجالي . ولا يفوتني ان اذكر ان من بين الشخصيات التي كانت تتردد على القدس في تلك السنوات والتقيت بها كان رياض الصلح .

وهكذا وخاصة بعد انشاء المجلس الاسلامي الاعلى وتعيين المفتي الحاج امين رئيسا له ، انصرف الاخير الى توطيد منصبه وتقوية مركزه ، وحصر همه في مقاومة وعد بلفور والهجرة الصهيونية وركز على الذيل بدل الاصل ، وهدات الحال وساد البلاد سكون الى أن انفجرت ثورة سنة ١٩٢٩ التي حاولت الصهيونية والحكومة الانكليزية صبغها بصبغة المذبحة الطائفية او الدينية ، متجاهلة حقيقة انها في أصلها وأسباب نشوئها ثورة على الهجرة الصهيونية وعلى الانتداب وعلى اغتصاب الاراضي واجلاء أهلها العرب عنها ، وشعور اهل البلاد المتزايد بالخطر الذي يتهددهم ويتهدد مقدساتهم ومصيرهم .

وكما ذكرت سابقا كنت منذ قبل الاحتلال على صلة وثيقة مع الحركة القومية العربية ليس في فلسطين فقط بل وفي جميع الاقطار العربية سوريا والعراق ولبنان ومصر وكنت أتتبع أخبارها ومسيرتها بتلهف واهتمام . وفي سنة ١٩٢١ كما قلت تقرر ارسال اول وفد الى بريطانيا ، واصدار صحيفة تنطق باسم اللجنة العليا التي كان يرأسها موسى كاظم الحسيني بعد اقالته من رئاسة البلدية ، وعهد الى ابن عمي كامل البديري باصدارها والاشراف عليها وقد اطلق عليها اسم « الصباح » ورأس تحريرها يوسف ياسين الذي خلفه بعد مدة هاني ابو مصلح ، وقد كنت

اساهم في تحريرها ونشر مقالات فيها بين الحين والاخر ، الى أن غادرت القدس في أوائل سنة ١٩٣٢ .

في هذه السنوات من سنة ١٩١٧ الى ١٩٢٢ تنقلت من الكلية الصلاحية الى المدرسة الرشيدية ومنها الى مدرسة المطران الانكليزية التي مر ذكرها . وتحضرني على ذكر مدرسة المطران حادثة تركت انطباعا عميقا في نفسي ، فقد كانت هذه المدرسة تبشيرية استعمارية تسعى الى اضعاف ايمان المسلمين بدينهم ان لم يكن الى التخلي عنه ، وحملهم على اعتناق المذهب البروتستانتي بهدف اضعاف شخصيتهم وزعزعة ثقتهم بأنفسهم وبتبديد هويتهم كعرب ومسلمين واشاعة العدمية القومية بينهم ، شأن كل المؤسسات الاجنبية في البلاد من مدارس ومستشفيات ، واكتساب ولائهم للدولة الاجنبية التي تنتمي اليها . وقد اثار هذا في نفسي وفي نفوس بعض رفاقي في المدرسة ، أخص منهم بالذكر سالم الشاكر الحسيني نقمة على التبشير ورد فعل ضده ، لا عن تعصب جاهلي ، بل لاننا اعتبرناه عدوانا واستفزازا . وكان المدرسون الانكليز في المدرسة يرغموننا على دراسة التوراة والانجيل ، ويحاولون الحط من كرامة الدين الاسلامي والمسلمين خلال هذه الدروس واقناعنا ان تأخرنا وتخلفنا هو نتيجة لديننا . فكنا نتصدى لهم ونرفض ادعاءاتهم . وقد نجحنا في حمل احد الاساتذة ويدعى جون هارلو ، واظن انه كان نيوزيلانديا على اعتناق الدين الاسلامي بعد أن اقنعناه به ، واستبدل اسم جون بعبد الله هارلو مما اثار نقمة ادارة المدرسة علينا ودفعها الى الاستغناء عن خدماته وارجاعه الى بلاده . وكما قلت لم نفعل هذا تعصبا جاهليا ، اذ اننا كنا لا نفرق ابدا بين اخواننا المسيحيين العرب وبيننا ، ولا يتطرق الى اذهاننا او يدور في خلدنا انهم ليسوا منا بل كنا نعتبرهم كانهم مسلمون مسيحيون لمجرد انهم عرب ولا ننظر اليهم كمختلفين عنا البتة . ومن الحق أن اذكر الاستاذ خليل بيدس الذي كان يتفق معنا في الراي والسخط على محاولة المدرسة الحط من كرامة الاسلام والمسلمين .

حوادث سنة ١٩٢١ وزيارة الامير عبد الله وتشرشل للقدس في آذار سنة ١٩٢١.

على أثر الموجة العارمة من المظاهرات والاحتجاجات المعادية للانتداب ووعد بلفور والهجرة الصهيونية وفصل فلسطين عن أمها سوريا ، عمدت سلطات الاحتلال الى سياسة الخداع والتضليل والتهدئة فراحت تصدر البيانات للتخفيف من مقاومة الشعب واضعافها وتخدير يقظته . فما أن وصل هربورت صموئيل كأول مندوب سام الى القدس في تموز سنة ١٩٢٠ حتى أصدر بيانا أوضح فيه بأن الهجرة لن تكون الا بقدر طاقة البلاد على الاستيعاب ، وان مخاوف العرب من الهجرة الصهيونية لا مبرر لها ، وان المهاجرين سيقتصرون على الاغنياء الذين يجلبون معهم الاموال ويقيمون المشاريع التي ستعود بالنفع على العرب ، ونفى عن الصهيونية نية التوسع والسيطرة على العرب وتهويد البلاد وتشريد اهلها منها . واستهل حكمه باصدار عفو عن الحاج أمين الحسيني وعارف العارف المحكومين غيابيا . وعين الاول مفتيا مكان أخيه المتوفي الشيخ كامل الحسيني ، ومن ثم رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى . والثاني عارف العارف ، في منصب حكومي في جنين وشغل اكثر نشيطي الحركة الوطنية باغرائهم بالوظائف والنفوذ في الادارة والمجلس الاسلامي الاعلى والبلديات وبذر بذور الشقاق والانقسام بينهم ، والاحتراب على الوظائف والهائهم وصرفهم عن مواصلة النضال ضد الاحتلال وسياساته .

وفي أعقاب احتلال الافرنسيين لدمشق والاطاحة بالحكومة العربية وبالملك فيصل فيها ، لجأ الكثير من الشخصيات الوطنية التي عرفت بعدائها ومقاومتها للافرنسيين الى شرق الاردن . اذكر منهم نبيه العظمة ، شقيق يوسف العظمة الذي استشهد في ميسلون وهو يحاول وقف الزحف الافرنسي على دمشق ، العاصمة ، والامير عادل ارسلان وفؤاد سليم واحمد مريود وخير الدين الزركلي ورشيد طليع والشيخ كامل القصاب وغيرهم كثيرون ممن لا اذكرهم ، وبدأوا يشكلون العصابات لمحاربة الافرنسيين واجلائهم عن سوريا .

وتحرك من مكة الامير عبد الله بن الحسين الى معان معلنا انه قادم للاخذ بثأر أخيه وتحرير سوريا من براثن الاحتلال الفرنسي واعادة اقامة الدولة العربية فيها . وقد ابتهجنا جميعا لهذا النبأ الذي اثار فينا الحماس الشديد ، وعلقنا الامال الكبار على وصوله وتأهب الكل هنا للانضمام اليه وتأييده . ومن جملة المتأهبين والمتحفزين للانضمام اليه كان ابن عمي كامل وقد كان مطاردا من الانكليز ومختفيا في شرق الاردن عند القبائل البدوية : الصخور احيانا والعدوان والشركس

والشيشان في صويلح احيانا أخرى . وقد كان قبل وصول الامير عبد الله يشـــارك ويحرض القبائل على شن هجمات على الحاميات الانكليزية في شرق الاردن التي كان يقودها الكولونيل بيك باشا . وحدث مرة أن قام بالتعاون مع مثقال الفايز شيخ عرب الصخور بأسر الكولونيل بيك نفسه اثر اصطدام بين الصخور والحامية الانكليزيـــة وحبسه في قرية ام العمد مقر الصخور والتي تقع على مقربة من عمان . كما وانه كان يقوم على ضفاف الاردن في الشمال ، وعلى سكة الحديد الممتدة من حيفا الى درعـــا ، والقوات الفرنسية بالاشتراك مع أحمد مريود وصبحي الخضرا والقبائل البدويـــة بتنظيم غارات على المستعمرات الصهيونية الواقعة على ضفاف نهر الاردن وعلـــى مراكز القوات البريطانية في الشمال ، وعلى سكة الحديد الممتدة من حيفا الى درعـــا والقوات الافرنسية في حوران وجبل الدروز ، وقد زاد كل هذا من حقد الانكليز عليه ، وراحوا يبيتون للغدر به واغتياله .

وفي هذه السنة اي اوائل سنة ١٩٢١ (٢٤ـــ٢٥ آذار سنة ١٩٢١) قـــدم الى القدس وزير المستعمرات البريطانية تشرشل ، ووافاه اليها الامير عبد الله . وعندما علمنا هنا في القدس بعزم الامير عبد الله على القدوم اليها أخذ الحماس منـــا كـــل مأخذ ، واملنا أن يكون مجيئه فاتحة خير وبشيرا بتحرير فلسطين وسوريا وطـــرد الافرنسيين منها واعادة اقامة الحكومة العربية واسترجاع عرش اخيه . واستعدت البلدة كلها ، القدس وضواحيها لاستقباله ، وقد اتخذت جميع الترتيبات من أجـــل ذلك ، فاقيم سرادق كبير في راس العامود . الموقع الذي يودع منه علم سيدنا موسى ويستقبل فيه خارج القدس على طريق اريحا . وفعلا خـــرج كـــل أهـــالي القدس وقضاها والقرى المجاورة لها وعلى راسهم الوجهاء والشباب لاستقباله . وكنت انا من ضمن من خرج ، وكان مقررا أن القي قصيدة ترحيبية بين يديه في رأس العامود عند وصوله الى مشارف القدس ، من نظم محمود الماضي ، اضمنها مطالبنا بالحرية والاستقلال وتمسكنا بالوحدة مع سوريا والدولة العربية الكبرى ، ورفضنا للانتداب ووعد بلفور والهجرة ، والامال الكبيرة التي نعلقها على مجيئه لتخليصنا ونجدتنا ، ونعاهده على الالتفاف حوله وتأييده لانتزاع هذه المطالب ولا أزال اذكـــر مطلعها :

سلام أمير العـــرب مـــن قلب مغرم ســـلام مشـــوق للامـــير المعظـــم
ســـلام فلسطين وســـان ارضهـــا لحامـــي حماها قـــد حملنـــاه بالفمم

ولشد ما صدمنا وخاب أملنا ، الشعب كله ، عندما لم يتوقف عند الصيوان المعـــد لاستقباله في رأس العامود ، واندفع في السيارة التي كانت تقله والتي كان يقودهـــا شاويش انكليزي الى دار الحكومة على جبل الطور حيث كان بانتظـــاره المنـــدوب هوربرت صموئيل . وقد حاولت الجموع اللحاق به . وقد كان لهذه الحادثة اثر سيء لدى الجماهير ولدينا ، وكانت كمن صب عليها دوشا باردا بعد أن كانت تتقد حماسة وشوقا . وبدأ الناس يتساءلون ان كان من الممكن تعليق اي امل عليه ، اذا كان لا

يملك امر نفسه ولا يستطيع حتى التوقف حيث يريد ، ولا يظهر اي اهتمام بالشعب الذي خرج لاستقباله والترحيب به . وقد وصل الى القدس في معيتــه او موكبــه الكثيرون من رجالات سوريا اللاجئين في عمان ومن بين الذين وفدوا في معيته ابــن عمي كامل البديري الذي كان قد ذهب لاستقباله في معان وصحبه الى عمــان . وقد حدثني ابن عمي هذا ان الامير عبد الله حاول ان يقنعه بالتخلف في عمان الى أن يرسل اليه ليأتي الى القدس بعد أن يستصدر له اذنا بذلك من الانكليز غير انه، كامل، رفض وأصر على المجيء قائلا ان هذا البلد بلده وانه لا يحتاج الى اذن من المحتلين للرجوع اليه . وكان ممن حضر مع الامير والتقيت بهم الشيخ مثقال الفايز شيخ عرب الصخور ، واحمد مريود ، وحامد الوادي ، ضابط عراقي من مرافقي الامير ، وآخرون من رجالات الحكم العربي في دمشق ، ومشايخ من الحويطات والعــدوان واذكــر اسماءهم . وفي اللقاء الذي تم بين الامير عبد الله وتشرشل ابلغه الاخير بعزم بريطانيا على تنصيب الامير فيصل ملكا على العراق ، وعرض عليه كتعويض عن عرش العراق الذي كان هو المرشح لاعتلائه توليته امارة شرق الاردن ، شريطة ان يتعهد بعــدم التعرض للافرنسيين في سوريا . وللانتداب البريطاني ووعد بلفــور والهجــرة الى فلسطين ، ويخضع للمندوب السامي ويعترف بالانتداب على شرق الاردن ، ويقمع كل حركة ضد الافرنسيين او سلطات الاحتلال في فلسطين ، ويؤمن سيطرة بريطانيا عليها .. او يعود من حيث اتى ، فلم يجد مناصا من القبول ولو على مضض . فكلا الخيارين احلاهمــا مــر .

وعلى الاثر تم اقامة حكومة محلية في شرق الاردن تحت رئاسة الامير عبد الله . وادمجت شرق الاردن في صك الانتداب على فلسطين ، ولكنها استثنيت من سريــان البنود الخاصة بالوطن القومي اليهودي ووعد بلفور عليها . وهكذا ايضا شغــل الامير عبد الله عن النضال التحريري ومقاومة الفرنسيين وتحرير سوريا بتقليــده وظيفته في ظل الاحتلالين البريطاني والفرنسي .

وقد اضطرت الثورات التي عمت العالم العربي : العــراق ومــصر وسوريــا وفلسطين ، الحكومة الانكليزية الى البحث عن حلول لمشاكلها ، وضرب الحركــة القومية العربية وتوطيد نفوذها في هذه المنطقة من العالم . ولما وجدت نفسها عاجزة عن تحقيق اهدافها عن طريق القمع والقوة لجأت الى الخداع والتنازلات الشكليــة غير الجوهرية . ولما كانت لفظة حماية او وصاية غير مقبولة وثقيلة على الاسماع ، استبدلت بعد الحرب العالمية الاولى باسم الانتداب ، ولما تبين ان هذا ايضا غــير مقبول عند الشعوب التي تناضل وتكافح من اجل الحرية والاستقلال ، عمدوا الــى استبدال تسمية الانتداب بتحالفات ومعاهدات غير متكافئة ، تبقى على مضمــون الاحتلال وتغير التسمية فقط ، وتستبدل الحكم المباشر بالحكم غير المباشر . فقررت استبدال الانتداب والحكم المباشر بمعاهدات تضمن المصالح البريطانية الجوهريــة

وتكفل استمرار سيطرتها على العراق ولكن في ظل استقلال شكلي وحكم غير مباشر بواسطة الملك فيصل وبعض ابناء البلاد وزعمائهم . وكذلك قررت اقامة حكومة عربية وطنية تابعة وخاضعة لها في شرق الاردن .

وفي ايار من هذه السنة وقعت اصطدامات كبيرة بين العرب واليهود في يافا ادت الى وقوع عدد كبير من القتلى والجرحى واتسعت لتشمل جميع قضاء يافا والمستعمرات اليهودية الواقعة بين يافا وطولكرم واستمرت الاضطرابات حوالى اسبوعين . وقد كان السبب الجوهري لهذه الاضطرابات هو شعور النقمة على وعد بلفور والتخوف الصادق من الهجرة الصهيونية وتفوق اليهود على العرب ، اهل البلاد الاصليين ، وتحويل البلاد الى وطن قومي يهودي ودولة يهودية ، وتشريد الشعب الفلسطيني وحرمانه من حقه في حكم نفسه بنفسه ، وفصله عن بقية البلاد العربية خصوصا سوريا الذي هو جزء لا يتجزأ منها ، والحيلولة دون تحقيق الوحدة العربية والاتحاد الشامل الكامل وقيام الدولة العربية الكبرى ، مطمح امالهم وهدفهم من ثورتهم على الدولة العثمانية . ومما يجدر ملاحظته بهذه المناسبة ان هذا الاصطدام كان في الاصل بين جماعة من العمال اليهود المعادين للصهيونية ولاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين « موبس » وبين العمال الصهيونيين التابعين للهستدروت وللحركة الصهيونية ، وليس من المستبعد ، بل يكاد يكون من المؤكد ، ان الذى حوله الى صراع دموي بين العرب واليهود هم عملاء المخابرات الانكليزية لحرف النضال الوطني ضد الاحتلال وسياسته وتحويله الى احتراب عنصري ديني تمشيا ، مع سياسة فرق تسد .

. وفي أواخر حزيران من هذه السنة ١٩٢١ انعقد في القدس المؤتمر العربى الفلسطيني الرابع وتقرر ارسال وفد الى اوروبا لبسط وشرح القضية الفلسطينية قبل ان يبت نهائيا في أمر الانتداب . وتم انتخاب موسى كاظم الحسينى رئيسا والحاج توفيق حماد وامين التميمي ومعين الماضي وابراهيم الشماس وشبلي الجمل اعضاء . وفي اواخرها سافر الوفد فعلا ، والتقى اثناء وجوده في أوروبا . بالوفد السوري الذي كان موجودا في جنيف ، وعقدوا مؤتمرا مشتركا قرروا فيه مطالبة عصبة الامم بالاعتراف بالاستقلال التام والسيادة لسوريا ولبنان وفلسطين (باختصار سوريا الطبيعية) ، والاعتراف بوحدة سوريا ، والغاء الانتداب ووعد بلفور ، وجلاء الجيوش البريطانية والفرنسية عن سوريا وفلسطين ولبنان . وفي اواخرها ايضا تم اصدار جريدة الصباح لسان حال اللجنة التنفيذية والوفد ، وواصلت هذه الجريدة حمل الرسالة التي بدأتها جريدة سوريا الجنوبية في أواخر سنة ١٩١٩ .

في المانيا من نيسان ١٩٢٢ الى اكتوبر ١٩٢٣ .

السفر الى المانيا : في شهر نيسان سنة ١٩٢٢ غادرت البلاد الى المانيا لاتمام

تحصيلي هناك برفقة ابن خالي خليل الدباغ ومارنين حداد ، ابن الياس حداد الذي كان معلما في مدرسة شنلر في القدس ، وبعض افراد الجالية الالمانية هنا في القدس ، عن طريق البحر مارين بترسيتا بايطاليا فزوريخ بسويسرا الى قرية صغيرة في مقاطعة ورتمبرغ قرب مدينة اشتوتكارت ومنها توزعنا : مارتين حداد بقي هناك عند احدى عائلات الالمان المسافرين معنا ، وقصدت انا اشتوتكارت والتحقت بالمدرسة الثانوية فيها . وقد كان هناك نوعان من المدارس الثانوية : « اوبرريال شولة » وهي للعلوم « وريال جيناسيوم » وهي للاداب والتاريخ . ومن هناك من اشتوتكارت انتقلت فيما بعد الى مدينة « هالله » في مقاطعة سكسن والتحقت بمدرسة خاصة فيها تحضيرا للالتحاق باحدى الجامعات لدراسة الطب . وكانت المانيا تعاني في تلك الاثناء من اثار الحرب التي انتهت سنة ١٩١٨ . وكانت اجزاء منها : حوض الراين والرور يحتلها الفرنسيون والانكليز والبلجيكيون (الحلفاء في الحرب العالمية الاولى) ويسودها تضخم مالي وضائقة مالية وبؤس شعبي شديد . وكانت المعيشة بالنسبة للغرباء والاجانب الذين يملكون جنيهات استرلينية او دولارات رخيصة جدا لا تكاد تصدق ، بينما كان الالمان انفسهم يعانون فقرا مدقعا وضيقا شديدا . فلا غرابة اذا تولد في هذه الاوضاع كره شديد للاجانب .

وقد ساعدني هذا الرخص على التجول والتنقل في جميع انحاء المانيا ، ما عدا المدن الواقعة في اقصى الشمال على بحر البلطيق وبحر الشمال ، كمدن هامبورغ وبريمن وكيل ودانتزيج . وكانت المانيا اذ ذاك تموج بالحركات العمالية والمظاهرات والاضطرابات ومحاولات الانقلابات . وقد كان يتولى الحكم فيها بعد فشل الثورة الشيوعية سنة ١٩١٩ ، بقيادة كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ ، الحزب الاشتراكي الديمقراطي بقيادة ايبرت والجنرال نوسكه قامع الثورة الشيوعية .

واثناء وجودي في المانيا وقعت عدة محاولات انقلاب منها الانقلاب الفاشل بقيادة الجنرال لودندروف رئيس اركان حرب الجيش الالماني اثناء الحرب بالتعاون مع هتلر في ميونيخ عاصمة بافاريا . وكانت الحركة السياسية منقسمة بين الحزب الاشتراكي الديمقراطي الميال الى المصالحة والتهادن مع الحلفاء ، انكلترا وفرنسا وايطاليا ، ودعاة الانتقام الوطنيين الالمان المتطرفين بقيادة جماعة الخوذ الفولاذية ولسان حالهم جريدة (رويتشيه الجمانية تسايتونغ) التي كان يمولها احد اكبر الصناعيين الالمان وصاحب عدة مناجم ومصانع يدعى هوغنبرغ ، والشيوعيين المنتمين الى الاممية الثالثة الذين كانوا يحاولون القيام بثورات شعبية جماهيرية واقامة حكم اشتراكي في المانيا وفي جميع اقطار اوروبا . فقد حدثت هناك ثورات مماثلة في رومانيا (قضى عليها الرجعيون الرومانيون بمساعدة فرنسا) وبلغاريا وهنغاريا والنمسا ، وقلاقل واضطرابات عمالية في فرنسا . ولكنها كلها انتهت الى الفشل بعد أن نجح بعضها في الاستيلاء على السلطة كما في هنغاريا وبافاريا وبلغاريا

ورومانيا لعدة اسابيع ، وتلتها مذابح جماعية فظيعة خاصة في بلغاريا والمانيا وارهاب اسود ،

ولا انكر انني اخذت بجد الالمان واجتهادهم وتوخيهم الدقة والاتقان في عملهم ونظافة مدنهم وانضباطهم ، وقد عكفت اثناء اقامتي هناك على دراسة آدابهم وتاريخهم . واثار اعجابي الشديد الشاعر شيللر وخصوصا مسرحيته « وليم تل » التي تمثل وتشيد بمقاومة المحتلين والمغتصبين ، وكتاباته واشعاره ورواياته الثورية الاخرى التي تجسد روح المقاومة والثورة ، وفي المرتبة الثانية عندي كان غوتيه بتفكيره وعمق فلسفته وتحاليله ، كذلك كنت انمتع باشعار هايني الثورية وروايات تيودور ليسنج ، وخصوصا رواية ناتان الحكيم التي تشيد بحكمة الشرق وروحانيته .

وكنت طيلة اقامتي ، انتبع باهتمام زائد اخبار الوطنيين الالمان المتطرفين الذين يدعون الى الانتقام من الحلفاء والانقضاض عليهم ، واقرأ صحفهم بانتظام ، واحضر كل مظاهرة يقومون بها في البلد الذي كنت اقيم فيه ، لا حبا في الالمان لكن نكاية بالانكليز والفرنسيين والطليان الذين غدروا بنا واحتلوا بلادنا واستباحوا حرماتنا واغتصبوا اراضينا ووطننا ، خاصة فلسطين ، جريا وراء المثل القائل عدو عدوك صديقك . ولكني كنت في الوقت نفسه انتبع اخبار الشيوعيين والاشتراكيين الثوريين واحضر مظاهراتهم دون أن افهم او أعرف شيئا عن الحركة الشيوعية او الاشتراكية وكنت اوجس بعض الخوف من مظاهراتهم الصاخبة — ولكن في الوقت نفسه كنت ابتهج لها على اعتقاد او امل أن هذه الحركات تضعف الدول الاستعمارية وتنشر التفسخ والانحلال فيها ، وبذلك تسهل وتساعد كفاحنا من أجل التحرر والاستقلال

والامر الذي شد انتباهي اثناء اقامتي هذا التعصب الشديد ضد المسلمين والاسلام والشرق كله الذي كانت تبديه وتدعوا اليه كل الصحف تقريبا ، ما عدا الصحف الشيوعية التي لم اكن اقراها بانتظام ، محذرة ومنذرة من الخطر الاسلامي القادم من الشرق اثر الثورة الكمالية في تركيا ، مدعية ان هذه حملة اسلامية صليبية ، ومذكرة جماهير قرائها انه لما يمض زمن طويل على احتلال الاتراك المسلمين النمسا والمجر وجميع دول البلقان ويوغسلافيا ، حين وصلت سنابك خيلهم الى بودابست وفيينا وحدود بولندا ، داعية الغرب كله الى انهاء الخلافات بين دوله وتجاوز نزاعاتهم وتشكيل جبهة متحدة ضد الخطر الاسلامي القادم من الشرق . ومرة اخرى عمق هذا الاستفزاز والتعصب الجاهلي الاعمى كرهي للغرب عموما ، وزاد من مقتي له والتخوف واساءة الظن به ، وزادني تمسكا باسلاميتي وقوميتي وشرقيتي . ولهذا فقد اكببت وانا هناك على قراءة اي كتاب عن الاسلام ضده او معه ، اعثر عليه ، في المكاتب .

كذلك استرعى انتباهي وتركت انطباعا قويا في ذهني حركة المقاومة السلبية وعدم التعاون ، او العصيان المدني وما سمي « كفاح او نضال حوض الرور » ، الذي

نشب عقب احتلال الفرنسيين والبلجيكيين حوض نهر الرور الصناعي الهام بحجة تخلف الالمان عن دفع التعويضات التي فرضتها معاهدة فرساي على الالمان . وقد استمر هذا الكفاح قرابة السنة . ومنذ ذلك التاريخ وفكرة العصيان المدني تساورني كأحد وسائل مقاومة الاستعمار والعدوان والاحتلال ومكافحته .

وطيلة هذه المدة في المانيا كنت اتتبع بانتظام اخبار البلاد والحركة القومية العربية ، اذ كان ابن عمي كامل يزودني بها باستمرار . ولما اقرت عصبة الامم صك الانتداب ، بما فيه وعد بلفور ، في منتصف سنة ١٩٢٢ ، ارسلت مقالة الى جريدة الصباح في القدس ، انكر هذا الحق على عصبة الامم وادعوا الى رفضه رفضا باتا ومقاومته بشتى الوسائل . وفي أواخر سنة ١٩٢٣ في ٥ اكتوبر على وجه التحديد عدت الى القدس بعد اقامة استغرقت السنة والنصف اثر رشح شديد والتهاب في الجيوب الانفية اوصاني الاطباء بسببها بالاقامة في مناخ جاف . وكما هو معلوم فمناخ المانيا رطب .

العودة الى القدس :

رجعت الى القدس في ٥ اكتوبر سنة ١٩٢٣ ، بعد اقامة في المانيا استغرقت اكثر من سنة ونصف السنة ، فوجدت « الصباح » قد توقفت عن الصدور ، وان ابن عمي كامل قد انقطعت اخباره بعد ان سافر الى شرقي الاردن قاصدا امراء نجد لتوعيتهم ضد الخطر الصهيوني ووعد بلفور والاحتلال الانكليزي ودعوتهم الى التمرد على الانكليز والثورة عليهم ، والمبادرة لنجدة فلسطين وتخليصها من براثن الاحتلال والصهيونية . وقد كان يحمل معه في حملته الدعائية هذه صورا عن الحرم القدسي الشريف ومسجد قبة الصخرة المشرفة وقد رفعت عليها نجمة داوود .

ومن غرائب الصدف انني عثرت اثناء جولة قمت بها في مكتب الوثائق العامة في وزارة المستعمرات في لندن على تقرير سياسي سري مرسل من المندوب السامي هربرت صموئيل الى وزارة المستعمرات في اواخر سنة ١٩٢٢ ، وفي الملفات ٢٦—٧٣٣ و ٢٧—٧٣٣ ، يتضمن ترجمة لرسالة من كامل البديري الى النادي العربي في القدس ضبطتها الرقابة والاستخبارات الانكليزية ، اورد فيما يلي ترجمتها ثانية الى العربية :

« لقد سعدت جدا لتمكني من الاجتماع بالامراء السعوديين وبغيرهم من الزعماء الوهابيين . وبسطت لهم حالة فلسطين المؤلمة التي تستحق الرثاء وتبعث على الاسى وقد اطلعتهم على صورة المسجد الاقصى اليهودية التي تعلوها نجمة داود ، واعطيت كل واحد منهم نسخة عنها : وعندما اطلعوا عليها انتابهم هياج وغضب شديد ، وعقدوا عدة اجتماعات لبحث القضية الفلسطينية ومناقشتها . وقد قرروا اثر ذلك تنظيم والقيام بغارات على تخوم شرق الاردن وفلسطين والمستعمرات

الصهيونية وقوات الاحتلال البريطانية فيها كابلغ تعبير عن احتجاجهم على الوضع فيها . وهم يحاولون ويسعون لضم ابناء الملك حسين الى جانبهم في هذه الغارات . وقد عقدوا العزم على ان يحولوا دون اي تدخل اجنبي في شؤون البلاد العربية ، وان يعملوا ما في وسعهم لتوحيد الجهود العربية لمقاومة الاستعمار واقامة الوطن القومى اليهودي واستعادة امجاد العرب . وقد اقسموا على سيوفهم في احد اجتماعاتهم على بذل النفس لتخليص فلسطين وانقاذها من براثن الاحتلال الانكليزي والصهيونية، وان لا يدعوا اليهود ينعمون بالراحة والهدوء والامن فيها . وقد باشروا بجمع السلاح وحشد الرجال والقوى على تخوم شرق الاردن ، واعتقد انه من الضروري ان تتصلوا بعرب بني صخر وغيرهم للتنسيق معهم ومن المستحسن ان ترسلوا رسلا من عندكم ليدلوهم على الطرق . ومع انني متوعك المزاج هنا وينقصني الكثير الا انني سعيد بوجودي بين هؤلاء الابطال الذين يبذلون الجهود فعلا للحفاظ على الشرق العربي » .

وقد راجت اشاعات بأنه واحد ادلائه من عرب الحويطات قد قتلوا في وادى سرحان في طريق عودتهم من الرياض حيث ذهب ليستثير الامراء السعوديين ويستنجدهم لنصرة فلسطين والزحف عليها لتحريرها وتخليصها ودرء الاخطار الداهمة عليها وعلى العرب اجمعين ، وانها ان تكن الضحية والهدف اليوم ، فسيكونون هم الضحية الثانية والهدف غدا ان لم ينقذوها ويخلصوها . وكانت اغلب الشائعات تقول ان اغتياله تم اثر مؤامرة انكليزية مع الامير عبد الله .

وقد كان الاخير ينقم عليه لاعتقاده بأنه كان يحرض القبائل في شرق الاردن ، الصخور والعدوان على التمرد عليه وعدم التقيد بأوامره ، ويسيء الى علاقاته بالانكليز الذين اخذ على عاتقه تهدئة الاوضاع وتوطيد نفوذهم فيه ، ومنع القبائل والوطنيين من نجدة اخوتهم في فلسطين وسوريا ، والانكليز يحقدون عليه ويطلبونه لانه كان يدأب على تقويض نفوذهم في شرقي الاردن قبل وبعد مجيء الامير عبد الله الى عمان . والتقرير السياسي الذي سلف ذكره اعلاه اسطع دليل على هذا .

وقد اكد هذه الشائعات في حينه مثقال الفايز شيخ عرب الصخور وكان يقول لنا كلما سألناه عنه « اسألوا الامير عبد الله » . وكان الامير يقول بدوره انه قتل على يد سرايا الاخوان الوهابيين الذين كانوا يغيرون على تخوم الاردن والعراق فى تلك السنوات ، حتى انهم وصلوا مرة الى مشارف عمان . ولكننا عندما ارسلنا نستفسر من ابن السعود عن مصير كامل ، اجاب بأنه تحرى من قادة جميع السرايا التي كانت تعمل بجوار شرق الاردن فنفوا نفيا قاطعا ان يكون لهم ضلع فى قتله ورجح ان يكون الامير عبد الله هو المسؤول . وفي الفقرات التالية من النص الذي ظهر في جريدة لسان العرب العدد ٤٥٦ بتاريخ ٦ــ١٢ــ١٩٢٣ التي كانت تروج

للانتداب وتدعو الى دعم الامير عبد الله ما يثير اكثر من شكوك ويقوى الظنـــون والاشـاعـــــات : ـــ

« نعت الانباء الرسمية لال بديري الكرام فتى من فتيانهم الغر الميامين كان مثال الجرأة والاقدام المأسوف عليه المرحوم كامل البديري صاحب جريدة الصباح

عرفنا الفقيد الكريم فعرفنا فيه صفات قل ان اجتمعت لشبان هذا الزمن وطنية خالصة ، واقداما لاحد له ، وجرأة على اقتحام الصعاب تبلغ حد المغامرة طوحت به حتى ذهبت بحياته رحمه الله » .

كانت الحرب انقلابا في هذا الكون وكان في عداد الاشجار التي انتزعت جذورها من تربتها هذا الفقيد الجريء فقد لقيته الحالة الجديدة قلقا فلم نحسن الانتفاع بمواهبه ووجدها غريبة فلم يستطع الامتزاج معها فدفعته نفس تواقـــة الى الصعـــود الى المجازفة فقصد عمان وحاول منها الالتحاق بابن السعود لغاية في نفسه وغرض تام في ذهنه وهم تحقيقه فالتقت به احدى عصابات هذا الامير العربي واوقعت بـــه . والرجال الذين يوقعون بالف وتسعمئة يماني عزل قاصدين الحج لا يمتنعون عـــن الايقاع بفرد اعزل ارواء لغليل نفوسهم الظامئة الى الدماء . فذهب شهيد وطنيته وجراته واقدامه في نهاية عاصفة هذه الحرب الكبرى التي ظنها الناس قـــد خمدت ولكنها لم تسكن بعد » .

واثناء غيابي في المانيا كان الوفد العربي الفلسطيني (اول وفد) قد عاد ولـــم يلق اية استجابة من الحكومة البريطانية بل على العكس اصدرت الاخيرة بيانا (الكتاب الابيض) عقب انتهاء المحادثات التي جرت بينها وبين الوفـــد العـــربي الفلسطيني ، اكدت فيه تثبيت وتأكيد وعد بلفور واصرارها على تأسيس الوطن القومي اليهودي بحكم الحق (حق اليهود) لا كمنة او بفضل التسامح ، وتنفيذ صك الانتداب بحذافيره وخاصة فيما يتعلق بوعد بلفور . واعلنت عن عزمها على اقامة مجلس استشـــاري ومن بعد مجلس تشريعي . وعلى الاثر انعقد المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس في نابلس لسماع تقرير الوفد العائد من لندن وقرر بالاجماع :

١ : مقاطعة الانتخابات للمجلس التشريعـــي .
٢ : مقاطعة اليهود مقاطعـــة تامـــة .
٣ : ارسال بعثة الى جزيـــرة العـــرب .
٤ : تأسيس مكتب للدعاية في لندن ووضع ميثاق وطني ينص على :

« نحن ممثلي فلسطين ، اعضاء المؤتمر العربي الخامس ، نقسم أمام الله والامة والتاريخ بأن نواصل المساعي المشروعة لتحقيق الاستقلال والاتحاد العربي ورفض الوطن القومي اليهودي والهجرة الصهيونية » .

وعندما قاطعت الامة الانتخابات وافشلت المشروع اقترحت الحكومة البريطانية تشكيل وكالة عربية كالوكالة اليهودية فرفضها الشعب العربي رفضا قاطعا .

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان الوفد العربي الفلسطيني التقى اثناء تجوله في اوروبا بالوفد السوري في جنيف وعقد معه مؤتمرا مشتركا في أواخر ١٩٢٢ دعوه المؤتمر السوري الفلسطيني واصدروا بيانا ، قدموه الى رئيس عصبة الامم واعضائها وطالبوا فيه :

١ : الاعتراف بالاستقلال التام الكامل والشامل لسوريا الطبيعية (اي سوريا ولبنان وفلسطين)
٢ : الاعتراف بحق هذه البلاد في الاتحاد مع بقية البلاد العربية (وحدة او اتحاد)
٣ : الغاء الانتداب حالا .
٤ : الغاء وعد بلفور .
٥ : جلاء جميع الجيوش الانكليزية والفرنسية عن سوريا ولبنان وفلسطين .

كذلك قرر هذا المؤتمر الفلسطيني الخامس ، ارسال وفد ثان الى لندن ولوزان ، حين اجتماع مؤتمر الصلح بين الحلفاء والاتراك مؤلف من موسى كاظم الحسيني وامين التميمي والحاج توفيق حماد وشبلي الجمل .

وقد كان مجلس عصبة الامم قد صادق على نظام الانتداب في اواخر تموز سنة ١٩٢٢ وفي أواخر ايلول سنة ١٩٢٣ سرى مفعوله رسميا على البلاد .

في منتصف سنة ١٩٢٣ عقد المؤتمر الفلسطيني السادس في يافا وقرر ارسال وفد ثالث لحضور المفاوضات التي كانت تدور بين الملك حسين (بواسطة مندوبه ناجي الاصيل) والحكومة البريطانية من اجل عقد المعاهدة العربية الانكليزية التي انتهت الى لا شيء بعد استيلاء ابن سعود على الحجاز وتصفية ملك الملك حسين الجد في الحجاز في أواخر سنة ١٩٢٤ .

في أريحا والقدس :

بعد رجوعي من المانيا في شهر اكتوبر سنة ١٩٢٣ امضيت الشتاء حسب نصيحة الاطباء في اريحا وهناك في شتاء سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٢٤ التقيت بالشيخ عبد القادر المظفر ثانية وخير الدين الزركلي والامير عادل ارسلان ولا أزال اذكر بعض ابيات من مداعبة جرت بينهما بحضوري :

قال الزركلي :

بيني وبينك يا مظفر نسبة في بعض حالك
انا تاجر اجني وانت ولست تنكرني كذلك

لكـــن مـــالي راسمالـــي والعمارـــــة راسمالـــك

ويرد عليــه المظفر قائــلا :

لـــو كنـــت مثلـــك تاجـرا لرايـــت حـــالي مثـــل حالـك
أرضـــى بميســـور الكفـــاف ولا ابـــالي بمـــا هنالـــك
لكـــن خلقـــت مجاهـــدا اغشـــى المعـــارك والمهالـك
اشقـــى لتسعـــد امتـــي وامـــوت كـــي تحيـــى كذلـــك

ويتدخل الامير عادل ارسلان بينهما فيقول :

ان المظفـــر يـــا زركلـــي تاجـــر وعـــر المسالـــك
هـــو مـــالك وشريكـــه مـــن دون خلـــق اللـــه هالـــك
لـــم يعـــرف الموسكـــي لـــه نـــدا ولـــم تحـــو الزمالـك
هـــذي كمـــالات المظفـــر قـــد شهـــدت بمـــا هنالـــك
مـــن كـــان دلال الملـــوك فمـــن بضاعتـــه الممالـــك

وفي هذا اكثر من دلالة . فقد كان الزركلي ينقم على الامير عبد اللـــه ، بعـــد ان خاب ظنه فيه ، لعدوله عن الكفاح لتحرير سوريا من الفرنسيين ولاستكانته ورضوخه للانكليز . وكتب كتابا عنوانه « عامان في عمان » يعرض فيه بالامير وحكومته في عمان . كما عرض بالملك فيصل في قصيدة اذكر منها البيتين التاليين :

لا التـــاج ينفعـــه ولا استقلالـــه ان لـــم يحـــل وثاقـــه وعقالـــه
ملـــك نـــزى نـــزو الغـــراب وانما في الـــراس لا في رجلـــه وعقالـــه

بينما كان المظفر يشيد بالهاشميين : الحسين وفيصل وعبد الله ويدعوا بحماس منقطع النظير لمبايعة الملك حسين بالخلافة ، بعد الغائها في تركيا بل كان الداعيـــة الرئيسية للحسين :

وحدث ان قدم الى القدس في هذه السنة ايضا الاستاذ بندلي الجوزي والقى محاضرة في جمعية الشبان المسيحية عن « الحركات الفكرية في الاسلام » وكنـــت ممن حضرها ولم يرق لي ما قاله عن الامام علي كرم الله وجهه فكتبت مقالا ادحض به ما قاله عنه في جريدة « لسان العرب » التي كان يصدرها في تلك الايام ابراهيم سليم النجـــار وفيمـــا يلي نصها : ــ

حضرة الفاضل صاحب جريدة لسان العرب الغراء ،

ارجوكم تنويرا للافهام وتبديدا للاوهام نشر الكلمة الاتية في اول عدد يصدر مـــن جريدتكم ولكم الشكر سلفـــا

كانت الليلة البارحة موعد خطاب حضرة الاستاذ الكبير بندلي افندي الجوزه وقد كنت غيمن حضر واعجب بما للاستاذ من بعد النظر ، ولكنني استغربت جدا ذكره بعض اشياء مخالفة للحقيقة والواقع ومشابهته بين أشياء لا شبهة بينهما قط . واظهارا للحقيقة جئت بكلمتي هذه مفندا بعض اقواله ، فان وجدني على حق فارجوه سحب كلامه والا فما عليه الا أن يثبت مدعاه

قد اتى حضرة المحاضر الكبير على ذكر سيدنا علي كرم الله وجهه فقال انه ذهب ضحية سوء فهمه وجهله حقيقة الامة وانه أراد ان يرجع الامة العربية عشرين سنة الى الوراء ، مما لا ينطبق على حقيقة ، لانه كرم الله وجهه لم يرد ارجاع الامة العربية عشرين سنة الى الوراء ، بل أراد تنفيذ أوامر صاحب الدعوة والمدنية الاسلامية والعربية ، أراد ان يقدمها ويرقيها الف وثلاثمئة سنة الى الامام ، ان يجعلها ديمقراطية اشتراكية لا وراثية ارستقراطية ، كما جاء بها صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم

ولما اتى على ذكر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين وصمهم وشبه دورهم ، الذي لا يوازيه دور في تواريخ الغرب اجمع ، بالدور البطرياركي ، بدور الاستبداد والاستعباد ، بدور الاستئثار بالسلطة ، بدور قصر العلم والرقي على انفسهم الى اخر ما هنالك مما لا يقره عليه عاقل ، لانه شتان ما بين ذلك الدور وهذا الدور ، دور الحرية والمدنية ، دور الاشتراكية والجمهورية ، دور النور ، دور الحلم والعلم ، الدور الذي ليس في التاريخ دور مثله ابدا

وفي الختام قال حضرة الاستاذ بأنه قد اتضح مما سبق ان الشرق قد عبر جميع الادوار التي عبرها الغرب وعليه فالشرق لا بد أن يعبر هذا الدور الذي تقطعه اوروبا . اما انا فاقول أن الاسلام والعرب قد قطعوا هذا الدور من قبل ، في زمن الخلفاء الراشدين ، قبل أن يعلم به الغرب ، والتاريخ يعيد نفسه فما علينا معاشر العرب والاسلام ، الا أن نتبع اثر سلفنا الصالح والتمسك بمبادئنا القويمة واخلاقنا السامية التي تكفل لنا النجاح والفلاح وتبلغنا الغاية القصوى والسلام على من راى الحق فاتبعه

القدس ٣١ آب ١٩٢٤ خليل البديري

(عن جريدة لسان العرب)

في مصر من ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٤ الى ٨ حزيران سنة ١٩٢٥

رحلت الى مصر في أواخر شهر سبتمبر ١٩٢٤ لاتمام تحصيلي ، والتحقت بالجامعة الاميركية في القاهرة حيث امضيت سنة دراسية والتقيت هناك برفاق لي من القدس اذكر منهم اسحق موسى الحسيني وداوود الحسيني ونافذ الحسيني وتعرفت بكثير

من الطلبة المصريين وخاصة من المشتغلين بالحركة الوطنية من وفديين ووطنيين واحرار دستوريين وكانت تربطنا رغم خلافاتنا في الاراء والولاء روابط صداقة وتسامح .

وقد كان الصراع بين اطراف الحركة الوطنية المصرية اذ ذاك على اشده ، فكان هناك الوفد بزعامة سعد زغلول والحزب الوطني المصري ، حزب مصطفى كامل برئاسة حافظ رمضان ، والدستوريين الاحرار بزعامة عدلي يكن . وكان الدستوريون الاحرار مشهورين بتعاونهم غير المشروط مع القصر والانكليز ، والسعديون ، حزب الوفد ، يترددون بين التعاون مع القصر والانكليز لحد ما وقيادة الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال التام والسيادة الناجزة ، وكانوا اكثر الاحزاب شعبية واتباعا . وأما الحزب الوطني فقد كان يعتبر اكثر الاحزاب تطرفا (في عرف الناس) ويصر على أن لا مفاوضة الا بعد الجلاء ويرفض ويدعو الى رفض التعاون والتهادن مع الحكومة القائمة والقصر والانكليز ما دام الاحتلال قائما . وكنت بطبيعة فطرتي وقناعاتي من مؤيدي الحزب الوطني والمتحمسين له . اتابع نشاطاته باهتمام زائد وأواظب على قراءة صحافته بانتظام . وكان اذ ذاك يصدر صحيفة « اللواء المصري » التي اسسها مصطفى كامل . ومن زعمائه المعروفين حافظ رمضان ، عبد الرحمن الرافعي ، وعبد الحميد سعيد وعبد اللطيف الصوفاني ورئيس تحرير اللواء احمد وفيق ، وكان كاتبا لاذعا . ومن الادباء الذين كانوا يشايعون الحزب الوطني ابراهيم عبد القادر المازني ومصطفى صادق الرافعي واحد كبار العظماء الشيخ شاكر محمد شاكر واما جريدة « الاخبار » التي كان يصدرها امين الرافعي والتي كانت من اشد أنصار سعد زغلول فقد تحولت الى انتقاده بعد أن قبل تولي رئاسة الحكومة في ظل الاحتلال والدستور المبتور . وكذلك كان للوفد عدة جرائد « الوفد المصري » و « البلاغ » و « الجهاد » التي كان يصدرها محمد توفيق دياب ، وقد كان هذا احد اساتذتي في الجامعة الامريكية وكنت على صلة وثيقة به .

ورغم اني كنت من مؤيدي الحزب الوطني فانني لم انقطع عن قراءة الصحف الوفدية وتأييد الوفد ضد الاحرار الدستوريين ، اما الاحرار الدستوريين فكانوا يصدرون جريدة « السياسة » التي كان يرأس تحريرها حسين هيكل ، ومحمود عزمي ومن ابرز زعمائهم وادبائهم لطفي السيد ومنصور فهمي وطه حسين . واما العقاد فكان في أول حياته الادبية والسياسية يناصر الوفد وقبلا الحزب الوطني . ومع انى كنت استنكر سياسة الاحرار الدستوريين الا انه لم تنتف العلاقات بيني وبينهم ، وكنت احيانا اتردد على جريدة « السياسة » بصحبة رفيق العمر اسحق موسى الحسيني الذي كان على صلة وثيقة بهم ومن مؤيديهم . وقد كان الوفد في مصر ، بصورة عامة ، يعتبر زعيم الحركة الوطنية وقائدها ، ويتمتع بتأييد الجماهير والشعب قاطبة تقريبا ، مثل الحاج أمين الحسيني عندنا وحزبه . وأما الحزب الوطني فكان يتمتع بثقة

وتأييد نخبة من المثقفين والادباء والمتمسكين بالدين كالشيخ عبـد العزيز شاويش واتباعه ، والذين يعلقون الامال على الجامعة الاسلامية . لا تعصبا بل اعتقادا بأنها اضمن وسيلة للتخلص من الاستعمار والاحتلال الغربي ، والحفـاظ على وحـدة واستقلال البلدان العربية ، والاسلامية بل وحتى الشرقية قاطبة ، والمحافظة على هويتنا وشخصيتنا القومية كعرب ومسلمين وشرقيين وصد الغزوة الغربية الصليبية. واما الاحرار الدستوريون فكانوا يرون أن لا مناص من التشبه بالغربيين والاندماج في الغرب عموما واقتباس عاداتهم وافكارهم وتقاليدهم ، وان هذا هو السبيل للابقاء على شخصيتنا واستخلاص بعض الحقوق عن طريق المشاركة لا الاستقلال التام . بعبارة مختصرة كان ينعكس في الصراع بين الاحزاب ، الصراع بين السلفية ، ممثلة بالشيخ رشيد رضا ومصطفى صادق الرافعي والمازني وعبد العزيز شاويش وانصار الجامعة الاسلامية . واتباع جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، ودعاة التجـدد والتحول الى الغرب ممثلين بلطفي السيد ومنصور فهمي وعدلي يكن وحسين هيكل ومحمود عزمي وسلامـة موسى .

وغني عن القول انني كنت من اشد انصار السلفيين وكنت انظـر الى دعـاة التجدد كدعاة استسلام وانهزاميين امام غزوة الغرب الصليبية . ويجدر التنبيه هنا الى انني وان كنت أؤيد السلفيين ، فليس يعني هذا انني كنت أؤيد التمسك بكل قديم على علته ، الصالح والنافع والضار منه ، ونبذ كل جديد ، بل على العكس ادعـو الى التمسك بما هو صالح ونافع في القديم ، واقتباس كل جديد نافع ومفيد . ولكني ارفض النظرية الغربية التي تقول ان تأخرنا وتخلفنا ناشىء من ديننا الاسلامي . وذهنيتنا وتقاليدنا الشرقية . وأؤمن ايمانا صادقا ان ديننا ، اذا مـا رجعنـا الى اصوله وجوهره وجردناه من القشور والصدأ الذي علق به على مر العصور ، كفيل بابلاغنا الى اعلى مدارج الرقي والتطور ، وانه قد اثبت ذلك فيما مضى من العصور، حين حملنا الوية التحرر ومشاعل الحضارة الى العالم اجمع ، وحين كان الغـرب غارقا في بحر الجهالة والضلال والتأخر . واذكر بهذا الصدد الجدل الذي كان يثـور بيني وبين استاذ « علم الاخلاق » في الجامعة الامريكية الذي كان يحاول دائما تجريح الدين الاسلامي والمسلمين والشرق عموما . ففي احدى المرات اذ كان يحاول التدليل على افضلية الغرب وديانته وكنت ادحض ادعاءاته حاول اغرائي وقال : اتعرف ؟ قلت ماذا ؟ قال انت احسن من دينك . اجبت كلا . فكل ما هو حسن في فهو من ديني واثره علي ، وما في من سيء فهو مني شخصيا . ولكن انت اتعرف ؟ قال ماذا ؟ قلت انت اسوأ من دينك . دينك يأمر بالمحبة والتواضع والتسامح واحترام حقوق الاخرين وعدم الاعتداء عليهم وعدم التطلع الى ما في يد غيركم ، وانتم لا تتبعون هذه التعاليم ولا تتقيدون بها . فبهت الذي كفر .

وعدا الرفاق الذين التقيت بهم في الجامعة من فلسطينيين ومصريين فقد التقيت في مصر بعدد من رجالات العرب اذكر منهم الشيخ رشيد رضا الذي كـان يصـدر

مجلة المنار وكنت احضر بعض مجالسه ، ومحب الدين الخطيب احد رجالات الثورة العربية والحكم العربي في دمشق ، وكان يصدر مجلة « الزهراء » . كما كنت اطالع بشغف مجلة « لواء الاسلام » التي كانت تتصدى للرد على هجمات المبشرين ودعاة التفرنج وتوضح حقائق الاسلام ودعوته الى الرقي والكمال والاخذ باسباب التقدم والتطور والمنعة والقوة .

ومن الحوادث الهامة التي وقعت اثناء وجودي في القاهرة مقتل السردار لي ستاك باشا مفتش الجيش المصري . وقد اتهم باغتياله الشابان الوطنيان الاخوان عنايت ومن ورائهما احد نواب الحزب الوطني وزعمائه ، عبد اللطيف الصوفاني . وعلى اثره وجهت الحكومة الانكليزية انذارا للحكومة المصرية التي كان يرأسها سعد زغلول اذ ذاك ، واحتلت الجمارك المصرية . ولقد كان قبول سعد بعض بنود الانذار الانكليزي ، وتصريحه عندما سئل عن حادث الاغتيال ومرتكبيه ، بانه يعتقد انه من عمل بعض المصريين المتطرفين غير المسؤولين ، من الاسباب التي اضعفت ثقتي به وبحزبه ، ولا اقول بوطنيته وجعلتني اكثر ميلا للحزب الوطني وقادته . بينما كان جواب احد زعماء الحزب الوطني : انه حادث افتعلته السلطات الانكليزية ومخابراتها لتبرير اعتداء جديد على مصر وسيادتها . وكان الانذار الانكليزي يطالب الحكومة المصرية عدا عن تقديم الاسف الشديد على مقتل السردار لي ستاك وانزال عقوبة صارمة بالجناة والاعتراف بمسؤولية المصريين عنها ، حظر المظاهرات الشعبية ودفع غرامة مقدارها ٥٠٠ الف جنيها استرلينيا ، وسحب القوات المصرية من السودان ، واعطاء الاحتكارات الانكليزية حق التوسع اللامحدود في المساحات المزروعة في السودان واخذ ما يريدون من مياه النيل لري هذه المساحات غير المحدودة ، بينما كان الاتفاق السابق بين الحكومتين المصرية والانكليزية ينص على ان لا تزيد المساحة التي يحق للانكليز ارواؤها عن حد معين ٣٠٠ الف فدان ، الامر الذي يهدد بانقاص مياه النيل التي تصل مصر ، والتي للحكومة المصرية الحق في استخدامها لارواء اراضيها ، اي ما يهدد بقطع مياه النيل عن مصر اذا ما توسعت المساحة المزروعة في السودان بدون قيد ، والاعتراف للحكومة البريطانية بالحق المطلق في حماية المصالح الاجنبية في مصر ، او بتعبير آخر اشراف الانكليز التام على مديرية الامن فيها ، وابقائها بيد البوليس البريطاني ، واعادة الحماية ، التي الغيت شكليا في تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، من جديد . وكما ذكرت سابقا قبلت حكومة سعد زغلول بعض بنود الانذار ، ورفضت البند الذي يطالب بالانسحاب من السودان وانتهاء الحكم المشترك في السودان ، والاعتراف باشراف الانكليز على الأمن العام ، واخذ ما طاب لهم من مياه النيل لري مساحات غير محدودة في السودان ، واكتفت بالاحتجاج والاستقالة ولم تدع الشعب الى المقاومة والتصدي للمستعمرين الانكليز ، وهكذا مهدت لتولي حكومة رجعية ممالئة للاستعمار الحكم برئاسة احمد زيور باشا ، احد صنائع القصر والانكليز ، الذي لم يتوان ، ان يتردد في تلبية مطالب الانذار الانكليزي وسحب

القوات المصرية من السودان وحل البرلمان وشن حملة ارهاب واعتقالات ضد الوطنيين . ولكن الانتخابات البرلمانية التي اجريت عقب ذلك اعطت الوفد اكثرية من جديد ، ولم يرق هذا للانكليز والقصر فاصدر الملك فؤاد ، استجابة لامر الانكليز، مرسوما ملكيا بحل البرلمان وتأجيل الانتخابات الى أجل غير مسمى .

واذكر بهذه المناسبة ، مناسبة حل البرلمان وتعليق الدستور ، بيتا من قصيدة لاحمد شوقي يخاطب فيها الملك فؤاد ويحذره ، يقول فيه :

وجواهر التيجان منا لم تتخذ	من معدن الدستور غير صحاح

كذلك صادف اثناء مكوثي في مصر الشروع في اصلاح الازهر الذي ، رغم سلبياته ونقائصه وقصوره ، ساهم في الحفاظ على هوية الاسلام والعرب والشرق واللغة العربية والفكر الاسلامي ، ولعب دورا بين الحين والاخر في مقاومة الاستعمار والغزوة الغربية . ولذلك فرغم المآخذ الكبيرة التي قد تنسب اليه ، فانه احدى المؤسسات الاسلامية التي ، وان كان يجب اصلاحها وانتقادها انتقادا بناءا ، لا أرى مبررا لتجريحها ومحاولة القضاء عليها، ولا أزال أذكر بابتهاج ابياتا من قصيدة لشوقي في الازهر مطلعها :

قم في فم الدنيا وحي الازهرا	وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واخشع مليا واقض حق ائمة	طلعوا به زهرا وماجوا ابحرا
العلم غيه مناهلا ومجاريا	يأتونه النزاع يبغون القرا
لا تحذ حذو عصابة مفتونة	يجدون كل قديم شيء منكرا
ولو استطاعوا في المجالس	انكروا من مات من ابائهم او عمرا
من كل ماض في القديم وهدمه	واذا تقدم للبناية قصرا

كما وأذكر قصيدته المشهورة : —

الام الخلف بينكم الاما	وهذي الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيد بعضكم لبعض	وتبدون العداوة والخصاما
واين الفوز ؟ لا مصر استقرت	على حال ولا السودان داما
واين ذهبتم بالحق لما	ركبتم في قضيته الظلاما
فلا امناؤنا نقصوه رمحا	ولا اخواننا زادوا حساما
ولينا الامر حزبا بعد حزب	فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا	ولم نعد الجزاء والانتقاما
وسسنا الامر حين خلا الينا	باهواء النفوس فما استقاما

واذكر بهذا الصدد انه كان بين اساتذتنا في الجامعة الاميركية استاذ اميركي يدرسنا اللغة الانكليزية يدعى كولونيل ادي الذي اصبح فيما بعد اول سفير للولايات .

المتحدة الاميركية في السعودية .

وقد اقترح علينا في تلك الايام ، الايام التي اعقبت مقتل السردار لي ستاك والانذار الانكليزي ، كتابة انشاء موضوعة : « ايهما افضل قطع اعناق الانكليز » ام « قطع مياه النيل عن مصر » ، وطبعا انشأت مقالا دافعت عنه وشرحت فيه الرأي الذى يقول بافضلية قطع اعناق الانكليز للحيلولة دون قطع شريان الحياة الى مصر عن الشعب المصري .

ولا يخفى على الملاحظ ما ينم عنه موضوع الانشاء هذا المقترح من استاذ اميركى من التنافس على النفوذ في المشرق العربي . والانصاف يقتضيني ان اقول أن الكولونيل ادي أيد الرأي القائل بافضلية قطع اعناق الانكليز وانه كان يظهر تعاطفا صريحا مع مشاعرنا الوطنية ضد الانكليز ونقمتنا عليهم ، بل ويشجع هذه الروح . ولهذا فقد نشأت بيني وبينه ، صداقة قائمة على اساس معاداة الامبريالية البريطانية والفرنسية .

كذلك اذكر حادثة طريفة وقعت اثناء احدى السمرات التي كنت اقضيها مع اسحق موسى الحسيني ومحب الدين الخطيب وعبد الرؤوف الصبان ، الذي كان يدير مكتب استعلامات الملك حسين الجد في القاهرة ، وابراهيم بن معمر النجدي . مدير المكتب السعودي فيها ايضا في ليلة من ليالي سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ . فقد ذكر الاخ الصبان بأن طائرة تابعة للملك حسين اغارت على معسكر لابن سعود ، وكانت الحرب الحجازية السعودية مستمرة آنذاك ، والقت قنبلة عليه ، وان ابن سعود اصيب في هذه الغارة . فسأله ابن معمر النجدي على الفور وأين اصابته ؟ فأجاب : فيما يقال في رجله او قدمه . فعلق ابراهيم بن معمر لا بأس ، جاءت سليمة ، فابن سعود لا يفكر او يقاتل برجله بل بعقله ورأسه . ولا تزال هذه الطرفة عالقة في ذهني الى يومنا هذا .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا بانه رغم ما كان من خلافات بين الملك حسين وابن سعود وممثليهما في القاهرة ، وخلافاتنا نحن ، بين مؤيد لابن سعود ومنتصر للملك حسين ، ولا اخفي اني كنت انتصر لابن سعود بعد ما خاب املي في الحسين واولاده، واعلق عليه الامال التي كنا نعلقها على الهاشميين في تحرير البلاد العربية ، وتخليص فلسطين وتثبيت اركان الدولة العربية العتيدة اقول بالرغم من اختلافات وجهات نظرنا فقد كنا جميعا على علاقات طيبة ومودة وصداقة ، اذ كانت تحدونا جميعا المصلحة القومية العليا . وهذا يذكرني بالبيت القائل :

حبذا العيش حين قومي جمع لم تفرق امورها الاهواء
قبل ان يطمع الاجانب في ملك عريب وتشمت الاعداء

ومن الاحداث التي شغلتني واستحوذت على اهتمام كثير مني اثناء وجودي في مصر ، الثورة السورية الكبرى التي بدات في جبل الدروز بقيادة سلطان باشا الاطرش واستمرت قرابة الثلاث سنوات ، وانضم اليها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ونسيب البكري وكثيرون من الرجالات الوطنية في سوريا ، وامتدت الى الغوطة وقد تعرضت فيها دمشق في أواخر سنة ١٩٢٥ ، الى قصف وحشي من المدفعية والطائرات وتحولت على اثره الى انقاض ، واستشهد فيه الاف السكان ، مما أدى الى تصعيد الثورة وسيطرة الثوار على أكثر انحاء سوريا باستثناء بعض المدن الكبرى ، وحرب التحرير الريفية بقيادة الامير عبد الكريم الخطابي التي كانت تستعر في المغرب العربي ، مراكش والجزائر . والتي كنت اتتبع اخبارها بشوق واهتمام ، وقد كتبت مقالا في جريدة « اللواء المصري » ادعو فيه الى نصرة الثورة الريفية ونجدتها . وفي الواقع فقد كنت اهتم بكل حركة ثورية ، ليس في العالم العربي فحسب بل في العالم باسره، اهتمامي بحركتنا الوطنية في فلسطين وسوريا . ذلك ان الحرية في اعتقادي لا تتجزأ . وكنت دائما اتغنى بقصيدة لفؤاد الخطيب :

لبيك يا ارض العروبة واسمعي ... ما شئت من شدوي ومن انشادي
لك في دمي حق الوفاء وانه ... باق على الحدثان والاباد
وقد برئت اليك من وطنية ... عرجاء تؤثر موطن الميلاد
ذلكل ربع من ربوعك حرمة ... وهوى تغلغل في صميم فؤادي
ومن اشترى استقلاله ... بدمائه لم يستنم لاذى ولا استعباد

بل انني لاشعر واتحسس بوحدة الانسانية في كل ارجاء العالم ، واعني بها عنايتى بنفسي وقومي ولذا فقد أثارت اهتمامي ايضا الثورة ضد الفرنسيين في الهند الصينية ، وفي الصين ضد الغرب عموما . وفي اندونيسيا ضد المستعمرين الهولنديين، وفي افغانستان ضد الانكليز .

في سويسرا من سبتمبر سنة ١٩٢٥ الى أواخر سنة ١٩٢٩ .

في اواخر سنة ١٩٢٥ بعد تخرجي من الجامعة الاميركية في القاهرة قصدت الى سويسرا لدراسة الطب . وبعد أن اقمت مدة قصيرة في زوريخ والتحقت بجامعتها، استهوتني جنيف لوجود عصبة الامم وتمركز النشاط السياسي العالمي فيها . فانتقلت الى جنيف والتحقت بجامعتها وبقيت فيها الى أن أتممت تحصيلي وحصلت على درجة الدكتوراة في الطب وعملت في مستشفى العيون فيها مدة غير طويلة اثر تخرجي ، ومن ثم في اواخر سنة ١٩٢٩ توجهت الى لندن للتخصص في طب وجراحة العيون .

في جنيف التقيت بالوفد السوري الذي كان يتألف من الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري . وقد كان الاول يقيم في لوزان والثاني في جنيف نفسها ، ولا

تبعد البلدتان كثيرا عن بعضهما البعض ، وكلاهما تتعان على شواطىء بحيرة الليمان او بحيرة جنيف .

وعلى الفور نشأت بيني وبينهما علاقات صداقة وتعاون ، اساسها الاهتمام بالحركة القومية العربية والدفاع عن قضاياها في فلسطين وسوريا وبقية البلاد العربية . وهنا أيضا تعرفت على الشيخ علي الغاياتي ، احد اعضاء الحزب الوطني وانصار مصطفى كامل ، الذي كان مبعدا عن مصر ، ويصدر جريدة اسماها « منبر الشرق » للدفاع عن القضية المصرية خاصة والقضايا العربية والشرقية عامة . وكان اعضاء الوفد السوري والشيخ علي الغاياتي يتلقون بعض المساعدات المالية من الخديوي عباس حلمي الثاني . وكان يتردد على جنيف بين الحين والاخر رياض الصلح وقد كنت قد التقيته وتعرفت عليه في القدس حين كان يأتي لزيارة ابن عمي كامل في سنوات ما بين ١٩٢٠ و ١٩٢٢ .

ومن الطلبة العرب الذين التقيتهم هناك : حسني الطاهر من أصل فلسطيني ومن سكان مصر الان ، وطه طه من حيفا وكانا يدرسان الطب . ومن سوريا عدنان الاتاسي وناظم القدسي وسامي كباره وعبد الكريم العسلي ، يوسف الدين المأمون وحسني عطيه من لبنان ، وكانوا يحضرون للدكتوراه في الحقوق وتوفيق عجم أوغلو طريدا من الحكومة الافرنسية في سوريا . وقد نشأت وتوطدت بيني وبينهم علاقات صداقة ومودة ظل أكثرهم ، عدنان الاتاسي وناظم القدسي وحسني الطاهر وطه طه وحسني عطيه وتوفيق عجم اوغلي ، اوفياء لها .

وتميزت سنوات ١٩٢٥ — ١٩٢٩ باستمرار الثورات في سوريا والمغرب العربي. في الريف ومراكش والجزائر والهند الصينية . وكعادتي لم انفك عن متابعة اخبارها والاهتمام بتطوراتها . وبينما كنت اتابع اخبار الثورة السورية استوقفت نظري وشدت انتباهي جريدة ، من الجرائد التي كنت اطالعها لتتبع اخبار البلدان العربية، لمناصرتها وتعاطفها مع الثورة العربية في سوريا خاصة ، والثورات التحريرية في المستعمرات الفرنسية والاسبانية والبريطانية عامة . فبينما كانت اكثر الجرائد تتخذ موقفا معاديا لهذه الحركات ، انفردت هذه الجريدة بتأييدها وفضح ممارسات وجرائم الاستعمار فيها . وهذه الجريدة كانت جريدة الاومانتيه لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي وترجمة اسمها « الانسانية » وقد اسسها جان جوريس الزعيم الفرنسي الاشتراكي المشهور والذي اغتيل في مستهل حرب ١٩١٤ لمعارضته للحرب، وخلفه في رئاسة تحريرها مارسيل كاشان ، والتي كنا احيانا ، قبل ان اتعرف عليها، ترسل اليها من القدس الاحتجاجات ايضا . ومن الجرائد : على مؤامرات مؤتمرات الصلح التي كانت تعقد في باريس اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى والذي كان رئيس تحريرها يرأس عصبة حقوق الانسان التي كنا نرسل اليها الاحتجاجات ايضا . ومن الجرائد التي كانت تصدر في تلك السنوات وكنت اطالعها بانتظام جريدة جورنال

دي جنيـف وهي جريدة محافظة لكن جدية ورزينه بمقام جريدة التايمـز في لنـدن والطان في باريس في تلك السنوات . وكانت جريدتي المفضلة . وتأتي بعدها جريدتا « لاسويس » وايبيون دي جنيف ، وهاتان الاخيرتان اشتهرتـا بالاشارة والتهويش كبقية الجرائد الاخبارية والتجارية . وجريدة العمل لسان حال الحزب الاشتراكـي السويسري .

في بادىء الامر ، حين وقع نظري على جريدة الاومانتيه في احدى اكشاك بيـع الجرائد وشدت انتباهي عناوين عن الثورة السورية فيها ، كنت لا اشتريها الا اذا كانت تتضمن انباء عن الثورة السورية او الثورة في المغرب العربي . ولا اقرأ فيهـا الا ما اتصل بهذه الحركات . اذ كانت جريدتي المفضلة التي كنت اطالعها بانتظام ، جريدة جرنال دي جنيف . ولكن شيئا فشيئا بدأت بدافع من حب الاطلاع ، اقرأ بعض المواضيع الاخرى التي كانت تعالجها جريدة الاومانتيه . فوجدت فيها تجاوبا وتعبيرا عما يجول في خاطري من افكار ، ومع المثل العليا والمبادىء التي تعتمر في ذهنـي وضميري ، وما يراودني من أحلام في عالم يسوده الاخاء والحب والسعادة ، والحرية والسلام والرخاء والعدالة والتعاون والتكافل والتضامن ، باختصار العالم الـذي يدعو ويسعى لتحقيقه الاسلام وجميع الاديان . واكتشفت ان هذه الجريدة تدعـو الى الاشتراكية ، ولم اكن بعد قد تعرفت على الاشتراكية . فوجدت في هذه الدعوة وفي الاشتراكية ، كما كانت تعرضها هذه الجريدة ، تطبيقا للمبادىء الاسلامية فـي اقامة المجتمع الافضل القائم على الحق والعدل والاخاء والمساواة والحرية وعلـى السلام بين جميع الامم والشعوب ، وعلى اعطاء كل ذي حق حقه : ـــ

ما دمت محترما حقي فأنـت أخـي	امنـت باللـه ام امنـت بالحجـر

وان كانت تنطلق من منطلق غير منطلق الاسلام والايمان بالله . وراودتني نفسي ان اكتب الى رئيس تحريرها . مارسيل كاشان ادعوه الى اعتناق الاسلام ، لانـه يتماثل مع المبادىء التي تدعو اليها الاشتراكية بل سبقتها في الدعوة اليها . وظلت هذه الفكرة تراودني زمنا غير قصير . الى أن اقتنعت بانه ما دامت اهداف الاسلام والاشتراكية واحدة ، وما دامت طرقنا تلتقي في النهاية (كل الطرق تؤدي الى روما) فلا ضير ان يبقى هو ينطلق من حتمية التاريخ وتطوره وما يوحى به العقل والفكـر الحر السليم ، واظل انا انطلق من الايمان بالله ووحيه واوامره ونواهيه . أولم يقل المعـري : ـــ

يرتجـي النـاس ان يقـوم امام	ناطـق في الكتيبـة الخرسـاء
كـذب الظـن لا امـام سـوى العـ	قل مشـيرا في صبحـه والمسـاء
فـاذا مـا اطعتـه جلـب الرحـ	ـمة عنـد المسـير والارسـاء

اوليس الله جل وعلا هو الذي خلق العقل . أولم يقل جل وعلا في كتابه الكريم « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ولو كان آباؤهم لا يعقلون » .

افلا يدعو الاسلام الى اعتبار جميع البشر سواسية ، وخلق الله : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وبالمقابل الا تدعو الاشتراكية الى الاممية ، واعتبار جميع البشر سواسية ، وتدعو الى الاخاء والمودة بينهم ، ولا نفضل عرقا على عرق او جنسا على جنس او شعبا على شعب والا يجمع المسلمون على ان « الخلق كلهم عيال الله، احبهم اليه انفعهم لعباده . الا يقول الاسلام ان « ليس للانسان الا ما سعى » « وان لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » . والا تقول الاشتراكية بأن ليس للانسان الا ما ينتجه بعمله وجده ، وان من لا يعمل لا يأكل . والا يقول الاسلام (الاجماع) بأن « المال عقيم لا يلد » ، « وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده » ، وان كل ما في الوجود سخر لمنفعة الانسان وسعادته وان الانسان خليفة الله على الارض . « انى جاعل في الارض خليفة » ، الا يحض الاسلام على محاربة الظلم والفساد والاضطهاد والاستغلال والاحتكار والتسلط والاستبداد . أو لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم والمسلمون الاوائل ثوارا على النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والخلقي والذهني الذي كان سائدا في زمنه وفي زمن الجاهلية ؟ ألم يكن يدعو الى الاخوة والعدالة والمساواة والحرية ويقول أن لا عبودية الا لله . اوجه شبه كثيرة بين الاسلام والاشتراكية بل تماثل واضح وصريح ، وتطابق يكاد أن يكون كاملا . ولا يغير من هذا أن كلا من الاسلام والاشتراكية ينطلقان من منطلقات مختلفة .

وهكذا بعد أن تعرفت على المبادىء العامة والاساسية للاشتراكية والشيوعية اقبلت على قراءة الادبيات والكتب التي تعالج الاشتراكية وكان اول ما قرأت كتاب اسس او مبادىء الماركسية لبليخانوف ، وقد كان لهذا الكتاب تأثير كبير علي ، واعجبت به ايما اعجاب . ومن محاسن الصدف انني التقيت ببعض الطلبة السويسريين والبلغار ممن كانوا يهتمون بدراسة الماركسية فكنا نعقد حلقات في بيت احد كبار الاطباء السويسريين في جنيف ، وقد كان يقطن في أغنى احياء جنيف أفلوريسانت ولكنه كان ذا ميول فوضوية ، وكان ابناؤه يتأرجحون بين الفوضوية والشيوعية ، ندرس فيها الماركسية . وطبعا كان اول ما قرانا « البيان الشيوعي » لماركس وانجلز ، وأصل العائلة لانجاز وكتب اخرى لمؤلفين فرنسيين تتعلق بالاشتراكية والماركسية ، وكتاب « الف باء الشيوعية » لبوخارين وكتب للينين وستالين ، ونناقشها ونتفق احيانا ، ونقف موقف المتحفظ منها او نختلف احيانا أخرى اذ كان بيننا كما قلت ، من كانوا يؤيدون وجهة نظر الفوضويين أمثال باكونين وكروبوتكين ولكن لم يكن بيننا من يؤيد كاوتسكي والاشتراكيين التحريفيين أمثال

ادلر وهيلفردينج كما كنا نقرأ مؤلفات تولستوي ورمان رولاند وهنري باربوس الذي كان يصدر مجلة اسبوعية باسم « موند » في باريس تدعو الى السلام القائم على العدل والحق والمساواة وحق كل شعب في تقرير مصيره بنفسه ، وتقاوم الحروب والاستعمار والامبريالية ، وتناصر الثورات التحريرية في جميع اركان المعمورة .

وكنت اواظب على حضور كل اجتماع يعقده الشيوعيون او الاشتراكيون او المفكرون الاحرار . وكانت جنيف اذ ذاك تعج بالمؤتمرات والاجتماعات واحرص على حضور او مشاهدة المسرحيات الثورية التي كانت تعرض في بعض المسارح هناك . وكانت جنيف مقر عصبة نسائية تدعى عصبة السلام والحرية ، وكانت هذه ايضا تعقد المؤتمرات والاجتماعات ، وكنت ايضا احرص على حضور اجتماعاتها . وصدف مرة ان التقيت في احد اجتماعاتها سيدة فرنسية اسمها دوشين من أعضاء العصبة البارزين ، وكانت تشغل منصب مفتشة في وزارة المعارف الافرنسية وسيدة انكليزية من اعضاء العصبة ايضا ، وبصحبتها بعض الفيتناميين من انصار هوشي منه . وكانت الثورة في الهند الصينية والثورة الريفية بقيادة الامير عبد الكريم الخطابي مشتعلتين آنذاك . وكانت السيدتان تبديان اهتماما صادقا بالثوريين ، وتدعوان الى انسحاب الجيوش الفرنسية منهما والاعتراف بحقهما في الحرية والاستقلال ، كما كانت العصبة ككل تعمل على فضح ممارسات الامبرياليات الانكليزية والفرنسية في مستعمراتهم . وتدعو الى تحرير المستعمرات من اجل تفادي الحروب واقرار السلام العادل القائم على الحق والتعاون والتضامن بدل التنافس والسيطرة . وقد حدث ان تعرفت بواسطة السيدة دوشين على رئيس تحرير جريدة « العمل » التي كانت تناصر اهداف العصبة واعمالها واسمه اليون نيكرت . ونشأت بينه وبيني صداقة وتفاهم تام واتفاق شامل حول الموقف من الامبريالية والاستعمار ، فشرعت اكتب بعض المقالات في جريدته افضح فيها ممارسات الاستعمار الفرنسي في سوريا وممارسات الاستعمار الانكليزي والصهيونية في فلسطين واشرح اهداف الثورات والحركات الوطنية في سوريا وفلسطين والمغرب العربي .

واذكر ان ابو انكاره رئيس وزراء فرنسا صرح مرة أمام البرلمان الفرنسي ردا على مطالبة الشيوعيين في البرلمان بالجلاء عن سوريا والريف ، وعقد صلح مع الامير عبد الكريم الخطابي ان قال « اخشى اذا جلونا عن سوريا ان يتقدم الاتراك او الطليان لاحتلالها » فكتبت ارد عليه : « اذا كان هذا ما يقلقك ويقلق الحكومة الفرنسية فما عليك وعلى الحكومة الفرنسية الا ان تعلنوا في الوقت الذي تنسحبون فيه من سوريا بانكم تعتبرون كل اعتداء على سوريا من اي طرف اعتداء على فرنسا نفسها . وهذا في رأيي كاف لردع اي معتد ان كنتم جادين أو صادقين . ولم يقتصر نشاطي على الكتابة في صحيفة « العمل » وتزويدها بالاخبار الصحيحة عن

الثورة التحررية ودوافعها واهدافها ، بل كنت اشارك ايضا في نادي دولي للطلبة وقد القيت فيه عدة محاضرات عن حقيقة الاسلام وعن موقفه تجاه المرأة .

ولما انعقد المؤتمر التبشيري في القدس عام ١٩٢٨ ووقعت بسببه اضطرابات ومظاهرات دامية في أنحاء فلسطين . القدس وغزة ونابلس وعكا كتبت مقالا في جريدة « العمل » ابين فيه ان هذا المؤتمر لم يكن استفزازا وتحديا لمشاعر المسلمين وهم الاكثرية الساحقة في البلاد . فحسب بل تحديا للطوائف المسيحية غير البروتستانتية ايضا . وانه تمهيد ذهني للغزو الامبريالي والاستعمار الانكليزي ، ولاضعاف ثقة العرب والمسلمين بانفسهم وهويتهم ودينهم ، وبذلك اضعاف مقاومتهم للسيطرة الاجنبية الاستعمارية . ونشر البلبلة والشك ، وبث العدمية القومية ، واشعال نار حرب طائفية وصليبية جديدة . فالشرق العربي ، منشأ الديانات ، في غنى عن دعوات دينية من الخارج . وان كانوا صادقين فليوجهوا جهودهم ونشاطاتهم الى اقناع حكوماتهم وحملها على التقيد بتعاليم الديانة المسيحية ، والتخلي عن التطلع والطمع فيما في ايدي الاخرين ومحاولة الاستيلاء عليه ، وعن جرائم الابادة التي يقترفونها ضد الشعوب والاديان الاخرى في آسيا واستراليا وافريقيا وامريكا (راجع كتاب « الوجه الثاني للمدالية » للمؤرخ الانكليزي اي.ب.ثومبسون) .

وفي حزيران من هذه السنة نفسها سنة ١٩٢٨ عقد المؤتمر العربي الفلسطيني السابع وقد لوحظ في قرارات هذا المؤتمر تراجع في الحركة الوطنية وانعطاف نحو ممالاة الاستعمار الانكليزي والانتداب ومهادنته ، وحتى انكسار في حدة مقاومة الهجرة ووعد بلفور . فقد اقتصرت قراراته على المطالبة :

١ : بحكومة برلمانية
٢ : الاحتجاج على كثرة الموظفين الانكليز في حكومة فلسطين .
٣ : الاحتجاج على اعطاء امتياز توليد الطاقة الكهربائية لروتنبرغ ، واستثمار البحر الميت لشركة يهودية
٤ : الاحتجاج على تفضيل العمال اليهود على العمال العرب في الاشغال الحكومية
٥ : المطالبة بوقف سن القوانين ريثما تؤلف الحكومة البرلمانية .

بعد ان كانت تطالب في جميع المؤتمرات السابقة بالغاء الانتداب ووعد بلفور ومنع الهجرة اليهودية ، وجلاء قوات الاحتلال ، والكف عن اقامة الوطن القومي اليهودي . وبحق الشعب الفلسطيني في الاتحاد مع بقية البلاد العربية وخاصة مع جزئه الشمالي في اطار سوريا الطبيعية .

وفي احد لقاءاتي مع السيدة دوشين انبأتني ان هناك عصبة تقاوم الاستعمار وتؤيد تحرير المستعمرات اسمها « عصبة مقاومة الاستعمار ومن اجل الاستقلال

الوطني » ، وانها ستعقد مؤتمرا عالميا في فرانكفورت في المانيا في اواخر شهر تموز سنة ١٩٢٩ . فقررت الاشتراك في هذا المؤتمر لافضح فيه ممارسات الاستعمار الانكليزي والصهيونية في فلسطين خاصة وفي البلاد العربية عامة ولاشرح التضحية الفلسطينية واوضح حقيقة الحركة الوطنية فيها . وانها ليست دينية او عنصرية ، بل حركة مناهضة للاستعمار والامبريالية وليست حركة لا سامية . واننا نعارض الهجرة اليهودية لا لاننا نكن كرها لليهود او حقدا عليهم ، بل لانها حركة عنصرية وغزوة تهدف الى اجلائنا عن وطننا واغتصابه وتشريدنا وحرماننا من حقنا في الحياة الحرة الكريمة المستقلة ، وتقرير مصيرنا بأنفسنا . وفضلا عن ذلك فهي مخالب قط للاستعمار الانكليزي ، وحصان طروادة ، يقيمه الاستعمار الانكليزي في قلب بلادنا ليحول دون توحيدنا ، ويشغلنا به وليصرفنا عن مقاومته ، وليساعده على تحقيق سياسة « فرق تسد » بعد ان فشل في اثارة الخلافات بين اهل البلاد والعرب وعاشوا بسلام وطمانينة بينهم ، بينما كانوا يتعرضون للاضطهاد والابادة في الغرب.

وفي بداية الاسبوع الثالث من شهر تموز سافرت فعلا الى فرانكفورت بعد أن كنت قد اخطرت سكرتارية المؤتمر بعزمي على الاشتراك فيه كممثل غير رسمي عن الحركة الوطنية في فلسطين واحد ابنائها . وما أن وصلت الى هناك حتى وجدت ان الوفد السوري الفلسطيني في جنيف ، وقد كنت اطلعتهم على نيتي السفر للاشتراك في المؤتمر ، قد ابرق الى السكرتارية يعلمهم بانتدابي لتمثيلهم واعتمادي كممثل رسمي لهم ، والتقيت هناك ببعض الاخوان الذين كانوا في جنيف كناظم القدسي وفريد زين الدين ، الذي حضر خصيصا من سوريا ، وبعض الاخوان من حلب الذين كانوا يقيمون او يدرسون في المانيا ، كالحاج نافع حلبي وغيره ، ولا اذكر اسماءهم الان ، وقد انتدبوا ايضا ليكونوا ممثلين للوفد السوري في جنيف المؤلف من الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري . كما والتقيت وتعرفت باخوة من الجزائر والمغرب وتونس اذكر منهم مصطفى لشدلي من الجزائر والحاج محمد مصالي الحاج من حزب نجمة شمالي افريقيا وغيرهم ، وبالصحفي العربي الكبير يوسف يزبك مندوبا من جريدة الاحرار البيرونية لتغطية اعمال المؤتمر ومداولاته . وكان من المتوقع ان يحضر من مصر حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني وحمدي الحسيني من فلسطين وبعض الشخصيات الوطنية من سوريا . ولكن سلطات الاحتلال الانكليزية والفرنسية منعتهم من مغادرة البلاد وحالت دون اشتراكهم في المؤتمر .

وكان المؤتمر تحت رئاسة شرف كل من البرت اينشتاين من المانيا ومدام صن يات صن من الصين ، وهنري باربوس من فرنسا ومكسيم غوركي من الاتحاد السوفياتي واوبتن سنكلر من الولايات المتحدة . وكانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر تتكون من جيمس ماكستون رئيس حزب العمال المستقل وعضو مجلس العموم البريطاني وعضو الرايخستاغ الالماني ويللي منزنبرغ وشاتوبوذايا وجواهر لال نهرو من الهند

ومحمد حطه من اندونيسيا ومصطفى شدلي من شمالي افريقيا ، وديجو ريفيرا من المكسيك ، وسنيلتشانسكي من الاتحاد السوفياتي ، ومدام دوشين من فرنسا ، وساكلا تفالا النائب في مجلس العموم البريطاني والدكتور مارنو عضو البرلمان البلجيكي من بلجيكا وريجنيال بريدجمان من انكلترا وروجر بلدوين من الولايات المتحدة .

وعقد المؤتمر فعلا اول جلساته في ٢١ تموز بحضور ٣٠٠ مندوب يمثلون اكثر من ٢٤ بلدا . بينهم ممثلون من انكلترا وفرنسا والمانيا وايرلندا وهولندا وبلجيكا واندونيسيا والهند والبلاد العربية ، سوريا والعراق ومصر وفلسطين وشمالي افريقيا ، المغرب والجزائر والبلاد الاسكندنافية ، السويد والنرويج والدنمارك والبلقان وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة وامريكا الجنوبية والفلبين وكوريا والصين واليابان ومنغوليا وعدة منظمات دولية . وقد وردت الى المؤتمر عدة برقيات منها برقية من الزعيم الايرلندي « دي فاليرا » ، ورئيس بلدية استكهولم في السويد ، ومولانا محمد علي من الهند ، والمؤرخ الالماني الكبير اميل لودويغ ، والكاتب الالماني ارنست تولر وغيرهم من الشخصيات العالمية .

وكان بين ممثلي الحركات الوطنية والتحررية في العالم الذين تعرفت اليهم والتقيت بهم في المؤتمر جواهر لال نهرو وشاتوبودايا واحدى زعيمات الحركة النسائية الاسلامية في الهند ومحمد حطه من اندونيسيا ، وديجو ريفيرا من المكسيك وقد انابه الجنرال ساندينو زعيم الثورة في نيكاراغوا ليمثله ويمثل الثورة لعدم تمكنه شخصيا من الحضور لانشغاله في الثورة التي كانت مشتعلة آنذاك ضد الامريكان ، وممثل حركة المقاومة في بلانيا التي كانت تحتلها ايطاليا ، المونسنيور فان نولي . والكونت كاريولي من المجر التي كانت تئن تحت حكم المارشال هورتي ، صنيعة الرجعية الافرنسية ، كما التقيت ببعض احرار الافرنسيين والانكليز والاوروبيين الذين كانوا يناهضون الامبريالية والاستعمار امثال جيمس ماكستون رئيس حزب العمال المستقل في بريطانيا وفنربروكوي وساكلاتفالا وديفيد كيركوود النواب في مجلس العموم البريطاني ، وجورج لانشبوري من زعماء اتحاد النقابات البريطانية وبعض النواب في الريخستاغ الالماني وعلى راسهم ويللي منتزنبرغ ، وبعض زعماء العمال في السويد وهولندا وبلجيكا ، والسيدة دوشين وغيرها من قادة الحزب الشيوعي وبعض الاشتراكيين من فرنسا ، وبعض الاحرار الليبراليين وعلى راسهم روجيه بالدوين من امريكا الذين كانوا يصدرون مجلة « الريببلك » ويدعون فيها الى مقاومة الاستعمار الامريكي والانكليزي والفرنسي والهولندي وتحرير امريكا الجنوبية والفلبين وبورتوريكو والمكسيك من السيطرة الامريكية ويؤيدون نضال نيكاراغوا ، وسن كاتا ياما من اليابان ، وجومو كينياتا من كينيا ، ومندوبين عن حركة الشين فين في ايرلندا والجيش الجمهوري الايرلندي .

وقد القيت في احدى جلسات المؤتمر خطابا بالافرنسية فيما يلي ترجمته :ـــ

« عندما دخل الحلفاء البلاد العربية عشية انتهاء الحرب العالمية الاولى في سنوات ١٩١٧ ـــ ١٩١٨ اعلنوا بأن احتلالهم مؤقت وانه سينتهي عندما يتم عقد الصلح ، وان ليس لهم من هدف الا تحرير البلاد العربية من نير الاتـــراك . ولكـــن مـــا الذي شاهدناه ولمسناه بعد عقد الصلح او على الاصح بعد فرض المعاهدات ، المسمـــاة معاهدات الصلح ، بالقوة . هذه المعاهدات التي أصبحت بما فرضته مـــن مظـــالم والحقته من حيف وجور بالشعوب المستضعفة مصدرا دائما للحروب والنزاعات . فقد قرر الحلفاء بعد وقت قصير من عقد هذه المعاهدات بأن تخضع فلسطـــين والعراق وشرق الاردن للنير والاستعمار الانكليزي . فبعد فصل فلسطين عن أمها سوريا والتي لم تكن الا الجزء الجنوبي الذي لا يتجزأ منها ، جزأتها ثانية الى فلسطين وشرقي الاردن ، وتتميز فلسطين عن بقية المستعمرات بانها تخضـــع لاحتلالـــين واستغلالين : احتلال بريطاني وعميله واداته الاحتلال الصهيوني الاستيطاني الـــذى يستند على وعد بلفور . وهذا الوعد اكبر ظلم وأكثر نفاق عرفه العـــالم . فهـــو يدعو تحت ستار انساني لابادة شعب بأسره بتجريده من بلاده واراضيه وتشريده ، واعطائه بلادا لا يملكها الى شعب آخر ، اليهود .

فلنبحث عن دوافع واسباب هذا التصريح . لقد كان الهدف منه قبل كل شيء تأمين دعم رؤوس الاموال اليهودية في امريكا واوروبا اثناء الحرب ، والحيلولة ومنع توحيد البلاد العربية فيما بعد ، الامر الذي من شأنه ان يؤدي الى انهاء السيطرة البريطانية عليها ويشكل تهديدا كبيرا لسيطرتها على الهنـــد وسائـــر بـــلاد الشرق الاوسط والاقصى . فلا ننسى أن فلسطين تشكل الجسر بين اوروبا والشرق الاقصى . ولذا فان الاستعمار البريطاني يقوم الان ببناء قاعدة بحرية في حيفا ويربطها بسكة حديـــد استراتيجية بالخليج الفارسي ، سكة حديد حيفا بغداد .

واذا ما القينا نظرة على الاوضاع السائدة في فلسطين الان فماذا نرى ؟ نجدهـــا ترزح تحت حكم استعماري مباشر بواسطة حفنة او عصابة من الموظفين البريطانيين وعملائهم من العرب والصهيونيين دون رقابة او معارضة . فلا اوجد اية حريات ، لا حرية كلام ، ولا حرية صحافة . ولا حرية اجتماع او تنظيم . فالسياسة القمعيـــة الوحشية تسود البلاد . فالثوار والمعارضون والمقاومون للاحتلال يتعرضون لابشع انواع القمع والاضطهاد ، والاعتقالات الادارية والسجن بدون محاكمـــة ، والنفى والاقامة الجبرية . وفي السجون يطبق نظام وحشي قاسي ، ويســـود التعذيـــب الجسدي والنفسي على نطاق واسع . ومن الجهة الاقتصادية فالاهـــالي العـــرب يعانون من بؤس وفقر مدقع وبطالة متفاقمة فقد زادت الضرائب خمسة اضعاف منذ الاحتلال . ومعظم الميزانية ، اكثر من ثلاثة ارباعها تصرف على الرواتب الباهظـــة التي يتقاضاها الموظفون البريطانيون . اضف الى هذا مصادرة اراضى الفلاحـــين

واجلاءهم عنها عن طريق بيعها للصهيونيين والشركات الاحتكارية الكبرى كشركة استثمار البحر الميت ومشروع رتنبرغ . وقد أدى كل هذا الى نقمة جماهير الشعب العربي والفلاحين والى تذمرهم من الاحتلال والى معاداة السلطات والى النضال ضدها . بينما تخلت شريحة من البورجوازية والموظفين المتعاونين مع سلطات الاحتلال عن النضال ، وراحت تبحث عن تسوية معه وفي ظله . وقد تجلى هذا في قرارات المؤتمر العربي السابع التي اقتصرت على المطالبة بحكومة محلية برلمانية في ظل الاحتلال البريطاني ، ولزيادة الموظفين من أبناء البلاد ومن طبقتها وباعطائها حصة في اقتصاديات البلاد . بعد ان كانت كل المؤتمرات السابقة ترفض الانتداب والاحتلال والتعاون معه ، وتصر على المطالبة بالاستقلال التام في نطاق الوحدة العربية . ولم تبدي اي اهتمام بمصالح الجماهير والفلاحين والعمال ولم تدعم نضالهم ضد طردهم من أراضيهم وفرض اعمال السخرة عليهم واثقال كواهلهم بالضرائب الفاحشة .

واما في الاردن فقد لجأت الامبريالية البريطانية الى الاستعانة بامير محسوب على العرب لفرض سيطرتها عليه ، بعد ان عجزت عن ذلك عن طريق الحكم المباشر وظنت بهذا انها تستطيع تهدئة الاوضاع فعقدت معه معاهدة تعترف فيها لفظيا باستقلال شرق الاردن ولكنها تحول هذه المعاهدة الى اتفاقية عبودية بما حوته من قيود وشروط ، واباحة اقامة قواعد عسكرية برية وبحرية وجوية لها ، والسيطرة على قواتها والاشراف على اقتصادياتها وماليتها . وزيادة في التمويه والخداع فرضت بالتزوير والرشوة مجلسا وطنيا اقر هذه المعاهدة غير ان جماهير الشعب من فلاحين وبدو رفضت هذه المعاهدة وتواصل الكفاح من اجل التحرير الكامل من السيطرة الاجنبية . ولا تجد الامبريالية نفرا الا قليلا من المرتزقة يتعاونون معها .

واما العراق الذي يشكل بموقعه الجغرافي جسرا استراتيجيا من الدرجة الاولى بين بريطانيا ومستعمراتها في الشرق ، وقاعدة للتدخل ضد تركيا الكمالية وايران والاتحاد السوفياتي ، ولتأمين سيطرتها على الهند فقد اضطرت بعد ثورة ١٩٢٠ الى التراجع عن الحكم المباشر فيه ، والالتجاء الى تنصيب الامير فيصل ملكا عليه وعقد معاهدة معه تعترف فيها باستقلاله لتمويه سيطرتها وخداع الشعب العراقي ولكن العراق رفض المعاهدة واصر على الجلاء والتحرر الكامل ، ولم يصادق عليها البرلمان المزيف الا تحت تهديد الحراب والقوة الغاشمة المكشوفة . ورغم هذا فالشعب العراقي عن بكرة ابيه لا يزال يواصل النضال ضد هذه التبعية المقنعة ، وعندما انتهى أمد هذه المعاهدة رفض هذا البرلمان نفسه تجديدها رغم الوعد والوعيد والتهديد كله .

وبالاضافة الى موقعه الاستراتيجي الهام يشكل العراق سوقا هاما لاستثمار رؤوس الاموال البريطانية في الصناعات النفطية ، ومصدرا هاما للبترول وسوقا

لتصريف المنتجات والبضائع البريطانية ، ونهب ثروات العراق واستغلال شعبه . وهنا أيضا قام الاستعمار البريطاني بمصادرة مساحات واسعة من الاراضي واقطاعها الى عملائه .

ازاء كل هذه المظالم والانتهاكات لحقوق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها ولمبادىء الحرية والعدالة ، اتساءل ما هو موقف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الحاكمة والمشاركة في الحكم في عدد من الدول الاوروبية على وجه العموم وحزب العمال البريطاني على وجه الخصوص ؟ فقد صادقت جميع الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والدولية الثانية على وعد بلفور والانتداب البريطاني وايدته ودعمت الصهيونية التي ما هي الا اداة من أدوات الاستعمار ، وعدوان قائم بذاته على حقوق شعب آخر . واثبتت حكومة حزب العمال في بريطانيا انها احسن خادم وعضد للامبريالية والرأسمالية البريطانية ، وان سياستها تجاه المستعمرات كسياسة المحافظين ان لم تكن اسوأ منها .

واود في نهاية كلمتي هذه ان اسأل الرفيق ماكستون رئيس حزب العمال المستقل والمنضم لحزب العمال ، ما الذي ينوي هو وحزبه عمله تجاه كل هذه المظالم والتصرفات المنافية للحق والعدالة .

واخيرا أؤكد لكم أن الشعوب العربية في فلسطين وشرق الاردن والعراق مصممون جنبا الى جنب مع اشقائهم في سوريا والاقطار العربية الاخرى ، على مواصلة الكفاح والنضال ضد كل استعمار سياسي واقتصادي وعملائه ، حتى تحقيق النصر النهائي والاستقلال التام الناجز . . »

انتفاضة سنة ١٩٢٩ :

ومن الحوادث الهامة التي جرت في فلسطين اثناء اقامتي في جنيف انتفاضة ١٩٢٩ التي وقع فيها قتلى وجرحى كثيرون من العرب واليهود نتيجة استفزازات الصهيونيين ومحاولتهم الاستيلاء على البراق ، الحائط الغربي للحرم الشريف . وقد صورتها الدعاية الصهيونية واجهزة الاعلام الغربية على انها صراع طائفي ومذبحة قام بها العرب ضد اليهود . والحقيقة انها كانت هبة ضد سياسة حكومة الانتداب والهجرة الصهيونية واستلاء اليهود على مساحات واسعة من الاراضي اما بواسطة شرائها من الاقطاعيين العرب غير المقيمين في فلسطين ، ال سرسق وال التيان وال سلام وغيرهم ، والاراضي الحكومية المدورة التي اعطتهم اياها حكومة الانتداب ، تنفيذا لصك الانتداب ووعد بلفور . وتشريد الفلاحين والمزارعين العرب اهلها منها . وقد كتبت مقالة في جريدة العمل ، السويسرية ادحض فيها هذه المزاعم ، وابين حقيقتها كثورة ضد الانتداب ووعد بلفور واقامة الوطن القومي اليهودي وحفاظا ودفاعا عن

النفس والوطن . وفيما يلي ترجمة هذا المقال الذي نشر في جريدة « العمل » العدد ٢٠٦ بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٩ : —

« احدى عشرة سنة من السيطرة البريطانية في فلسطين » :

« يخطىء خطأ كبيرا من يظن ان الاحداث الاخيرة المؤلمة التي وقعت في فلسطين هي نتيجة هيجان مؤقت سببه تناقضات طائفية ومشاحنات دينية . فالاخبار المشوهة المرجفة التي تنشرها وكالات الانباء الصهيونية والانكليزية ، وتبرزها كمذبحة طائفية تفسيرات خاطئة وكاذبة ومنافية للحقائق . فالوقائع مختلفة تماما ، واسباب الصراع اعمق بكثير . ولا بد لفهمها من عرض تاريخي موجز سريع لها .

لما غزا الحلفاء البلاد العربية ، ومنها فلسطين ، في أواخر الحرب العالمية خدعوا اهلها بتصريحاتهم المتكررة بان احتلالها مؤقت ريثما يتم عقد الصلح ، وان لا هدف لهم الا تحريرها من نير الاتراك ، وبالمناداة بحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها ونقاط ولسون الاربعة عشر . ولكن حالما تم عقد الصلح زال القناع وتكشفت نوايا الحلفاء الحقيقية ، فعمدوا الى تجزئة البلاد العربية واقتسامها فيما بينهم . وهكذا قسمت سوريا الى منطقتين شمالية وجنوبية ، وفرض على الجزء الجنوبي منها ، فلسطين ، التي قسمت ثانية الى : فلسطين ، الضفة الغربية لنهر الاردن ، شرقي الاردن ، والضفة الشرقية ، الحكم الانكليزي . وعندها ايضا عرف العرب بان بريطانيا أصدرت اثناء الحرب وعد بلفور القاضي بانشاء وطن قومي او بمعنى اصح دولة يهودية في فلسطين على حساب اهلها وسكانها العرب ، من اجل ضمان كسب تأييد ودعم رؤوس الاموال اليهودية في أمريكا وأوروبا . هذا هو احد الاسباب . والسبب الثاني هو الحيلولة دون توحيد البلاد العربية واتحادها بادخال عنصر غريب بينهم لمنع ذلك الاتحاد ، الذي من شأنه ان يقوض او ينهي سيطرتها على البلاد والشعوب العربية ، ويشكل تهديدا خطيرا لسيطرتها على الهند .

وهكذا وجد الصهيونيون الذين كانوا يحلمون منذ أمد طويل باقامة دولة يهودية في فلسطين حليفا وحاميا وسندا لهم في الاستعمار البريطاني ، وراحوا يعملون مستندين الى وعد بلفور للسيطرة والاستيلاء على فلسطين بكل الوسائل .

ولقد كان من الطبيعي والحق ان يقاوم العرب ويثوروا ضد هذين الاعتدائين والاستعماريين المتحالفين الانكليزي والصهيوني . ومن هنا نشأ النضال والكفاح ضد الاستعماريين . ولان العرب يقاومون الصهيونية والهجرة اليهودية الهادفة الى تحويل البلاد الى وطن قومي او دولة يهودية ، واقتلاعهم من بلدهم ووطنهم ، فانه من الخطأ الاستنتاج بانهم يحاربون كدين او كيهود ، او انهم يمانعون في دخول الاجانب ، يهودا أو غير يهود ، الى بلادهم كسائحين او لاجئين شريطة أن لا يأتوا اليها كمستعمرين او مستوطنين أو غزاة لفرض حكمهم او سيطرتهم عليها .

وفعلا فان تاريخ فلسطين حتى الاحتلال الانكليزي وصدور وعد بلفور وبروز الحركة الصهيونية لا يروي اية صراعات او اصطدامات بين العرب واليهود . ودليل آخر على أن طابع الكفاح الذي يخوضه العرب ضد الهجرة اليهودية ليس طابعا ضد السامية ، وانما ضد الامبريالية والصهيونية ، انه بينما كان اليهود يتعرضون للاضطهاد في اوروبا ، كانوا دائما يجدون ملجأ في البلاد العربية .

وهكذا يتضح بجلاء ان الحوادث الاخيرة ما هي الا فصل من فصول النضال الذى على العرب أن يخوضوه ضد الامبريالية البريطانية واداتها الصهيونية ، التي تدفع العرب باستفزازاتها وتحدياتها وتحرشاتها الى الثورة . ولا تقتصر الثورة على التصدي للصهيونيين فقط بل انها تتصدى للسلطات البريطانية وثكنات قواتها .
ولا حاجة للقول بأن الحل الوحيد الصحيح ليس في زيادة القمع والارهاب والبطش الذي لن يؤدي الا الى المزيد من الثورات والانفجارات ، بل في الغاء وعد بلفور الجائر ، وتحرير جميع البلاد العربية من النير الاوروبي ، والاعتراف بحق العرب في تقرير مصيرهم بأنفسهم .

في انكلترا من سنة ١٩٢٩ الى ١٩٣٢ :

في أواخر سنة ١٩٢٩ غادرت جنيف الى لندن لاتمام التخصص في طب وجراحة العيون في اكبر مستشفيات العيون في لندن « مورفيلدز آي هوسبيتل » . وبقيت في انكلترا الى أوائل سنة ١٩٣٢ حين عدت الى القدس بعد ان حصلت على شهادة التخصص في طب وجراحة العيون ، وعلى اجازة من الكلية الطبية الملكية في لندن، وعضوية الكلية الملكية للجراحين .

واثناء اقامتي في لندن التقيت بعدد من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون هناك. اذكر منهم واصف كمال وخلوصي الخيري ونظيف الخيري وضياء الدين الخطيب ووصفي العنبتاوي وعز الدين الشوا وسعيد علاء الدين من فلسطين ، وطلبة من العراق : محمد حديد وجورجي جورجي وشاكر جواد ، الذي كان يدرس الرسم والنحت في مدرسة شهيرة للفنون تدعى مدرسة سليدس ، وعبد الاحد بيثون وبعض اعضاء البعثات العراقية العسكرية الذين كانوا يدرسون في المدارس العسكرية ، وبعض المصريين . ونشأت بيني وبينهم روابط صداقة ومودة استمرت مع البعض حتى الان . كما تعرفت في لندن على بعض السفراء العرب في لندن في الفترة ما بين ١٩٢٩ — ١٩٣٢ اذكر منهم مزاحم الباجهجي وجعفر العسكري من العراق .

وحال وصولي الى لندن عملت على الاتصال بالفرع البريطاني لعصبة مقاومة الاستعمار ومن أجل الاستقلال الوطني ، وقد كنت تعرفت على بعض اعضائه في فرانكفورت حين حضرت مؤتمر العصبة العالمي فيها . وقد كان سكرتيره ريجينالد بريدجمان ، ومن اعضاء اللجنة التنفيذية الكاتب السياسي والاجتماعي الشهير بالسم

دات الذي كان يصدر مجلة ليبر منثلي ، وبيج آرنوث وس . ساكلاتفالا النائب الهندي في مجلس العموم البريطاني ، والنائب جيمس ماكستون ، رئيس حزب العمال المستقل ، ونائب من حزب العمال ، ديفيد كيركوود ، واخرين من زعماء حركة العمال البارزين .

وفي نطاق اتصالاتي مع الفرع الانكليزي للعصبة اشتركت في اصدار بعض النشرات والكراسات التي تشرح القضية الفلسطينية وتبين حقيقتها كحركة تحررية لا تعصبية و كره للاجانب او الاغيار او رفض للتجديد والتقدم ، او عرقية او دينية كما كان يحلو للبعض أن يصورها . والقيت محاضرة في كلية بدفورد ، احدى كليات جامعة لندن ، عن القضية الفلسطينية شارحا ظلامتنا ، وموضحا الحيف والعدوان الواقع علينا من الحكومة البريطانية والصهيونية ، والخطر الذي يهدد بامتلاعنا وتشريدنا واجلائنا عن اوطاننا من جراء السياسة التي تتبعها الحكومة البريطانية .

كذلك التقيت في لندن مع بعض الانكليز المهتمين بالدين الاسلامي والذين اعتنقوه اما عن قناعة او لغرض في نفوسهم ولكن ليس لنا الا الظاهر اذكر منهم شخصية معروفة في ذلك الحين يدعى لورد هيدلي ، وقد كان يراس جمعية تهتم بدراسة الاسلام والمسلمين . وقد دعتني هذه الجمعية الى القاء محاضرة أمام جمعية نسائية عن المرأة في الاسلام ، ففعلت واوضحت أن الاسلام منح المرأة حقوقا اكثر بكثير من الحقوق التي كانت تتمتع بها في ذلك الحين في الغرب ، اقصد التشريع الاسلامي ، وان كانت ممارسات المسلمين في كثير من الاحيان لا تتطابق مع هذا التشريع ، فالذنب في هذا ذنب المسلمين لا ذنب الاسلام ، كما أن التخلف والتأخر الذي يعاني منه المسلمون في جميع أقطارهم مرده هم أنفسهم ، لا الدين الاسلامي الذي يحض على الاخذ بجميع اسباب التقدم والرقي . والايات التي تحض على هذا في القرآن اكثر من أن تحصى .

ولم يقتصر اتصالي في لندن على نشيطي اليسار فقط ، فقد عمدت الى الاتصال برجال العصبة الوطنية البريطانية ورجال جريدة المورننج بوست والمس نيوتن ، وهم من غلاة الرجعيين الاستعماريين الا انهم كانوا يبدون ، لغرض في نفس يعقوب ، تعاطفا مع العرب وتأييدا لنا في معارضتنا لوعد بلفور واقامة الوطن اليهودي في فلسطين . ولم أكن اجد غضاضة في الاستفادة من أي تأييد أو معاضدة من أية جهة كانت ، شريطة أن يبقى الانسان يقظا وعلى حذر منهم لئلا يصرفوه أو يحرفوه ، دون أن يشعر ، عن وجهته أو هدفه ، ويغرروا به ويخدعوه ويستغلوه لخدمة مآربهم في توطيد نفوذهم ، وصرفه عن مقاومة أطماعهم الاستعمارية الامبريالية ، ويقودوه الى طرق مسدودة . كما فعلوا بالملك حسين الجد وبعض قادة الحركة القومية والملك فيصل والامير عبد الله وقيادة الحركة الوطنية في فلسطين . . . .

اعدى عدوك ادنى من وثقت بـه	فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وانما رجـل الدنيـا وواحدهـا	من لا يعـول في الدنيـا على رجل

وتجدر الملاحظة هنا الى أن هذه العصبة والقائمين عليها ومؤيديها وجريدة المورننج بوست وان كانوا استعماريين ، فانهم كانوا يختلفون في اجتهادهم مع المستعمرين الاخرين كونستون تشرشل وبلفور ولويد جورج وكرزون . فبينما كان الاخيرون يرون في الصهيونية والوطن القومي اليهودي الضمان لبسط سيطرتهم ونفوذهم في الشرق العربي خاصة والشرق عامة ، وتأمين مواصلاتهم مع الشرق الاقصى ، ويرون مصلحتهم ، مصلحة الامبراطورية والاستعمار البريطاني ، امتطاء اليهود والصهيونية ، كان الاوائل يرون ان الاضمن والافضل لمصالحهم ، مصالح الاستعمار البريطاني ، امتطاء العرب والحركة القومية العربية . وليس هذا بدعا في السياسة البريطانية ، فان الساسة البريطانيين يراهنون دائما على أكثر من حصان واحد . وهذا يذكرنا كيف أن الانكليز حتى في الحركة القومية كانوا يراهنون على عدة احصنة ، فبينما كان المكتب الشرقي في القاهرة يراهن على الشريف حسين وانجاله فيصل وعبد الله ، الهاشميين ، (لورنس) ، كان فريق آخر من الساسة (فيلبي) يراهنون على ابن السعود وآله . وفي فلسطين نفسها منهم من كان يعضد الحاج أمين الحسيني (واترز تيلور) ، (ورينتشموند) ، بينما كان اخرون في الحكومة يدعمون راغب النشاشيبي وغيره من المعارضين للحاج امين او المنشقين على الحركة الوطنية، عملا بسياسة فرق تسد . ولكن في النهاية يسقطون او يتخلون عن الحصان الخاسر ، كما فعلوا مع الملك حسين الجد وراغب النشاشيبي وفخري النشاشيبي .

واذكر انه اثناء وجودي في لندن في الثلاثينات عقد فيها مؤتمر الطاولة المستديرة لبحث المشكلة الهندية . وكان بين اعضاء الوفود التي حضرت المؤتمر وفد يمثل المسلمين في الهند ، وعلى راسه الاخوان محمد علي وشوكت علي وغيرهم من الزعماء المسلمين . فعن لي ان ارسل اليهم مذكرة اوضح لهم واذكرهم فيها بالاخطار التي تتهدد المقدسات الاسلامية والمسلمين في فلسطين والقدس اولى القبلتين وثالث الحرمين من جراء السياسة التي تتبعها حكومة الانتداب البريطانية والحركة الصهيونية ، واستحلفهم واناشدهم باسم الاسلام الضغط على الحكومة الانكليزية للتخلي عن هذه السياسة والاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني والمسلمين في فلسطين ، والحفاظ على صبغتها العربية والاسلامية ، وتعليق اي اتفاق لحل المشكلة الهندية على منع الهجرة اليهودية والعدول عن اقامة الوطن القومي اليهودي فيها . والغاء وعد بلفور ، والاعتراف باستقلال فلسطين في اطار الوحدة او الاتحاد العربي . وصدف ان حضر الى لندن في تلك الاثناء رفيق التميمي موفدا من دائرة المعارف في فلسطين فشارك في وضع المذكرة غير ان رفيق التميمي لم يوقعها لكونه موظفا حكوميا في دائرة المعارف في فلسطين . فوقعتها وجمعت عليها تواقيع بعض الطلبة الفلسطينيين الذين كانوا في انكلترا آذ ذاك .. اذكر منهم انيس البيبي من يافا وسعيد علاء الدين من الرملة وبعض الاخوة العراقيين ، محمد حديد وعبد الرزاق الصابونجي ، وعبد الاحد بيثون من الموصل وهو عربي مسيحي وارتأينا ان يوقع

اسمه عبد الواحد بدل عبد الاحد بيثون ليكون اكثر وقعاً لدى المسلمين الهنود . واذكر انه على اثر ارسال هذه المذكرة زارني من رجال المباحث المعروفة « سكوتلانديارد »واستفسروا مني عن المذكرة وعن الاشخاص الذين وقعوها ، وعن نواياهم اتجاه اعضاء الوفد الاسلامي ، اذ انهم معنيون بالمحافظة عليهم وعلى سلامتهم الشخصية ، فقد هالهم عبارة في المذكرة تقول انهم ان لم يستجيبوا لندائنا بمذكرتنا فستحل عليهم لعنة الله والمسلمين اجمعين الى يوم الدين . فبينت لهم اننا لا نقصد بهم سوءا البتة واننا فقط نستحثهم ونستنهض غيرتهم الدينية . وعندما رجعت الى القدس فيما بعد علمت انهم قاموا بتحريات عني هنا ايضا .

ومن طريف ما حدث لي ، في لندن اثناء اقامتي فيها وانتسابي الى نادي للطلبة يدعى « نادي حركة الطلاب المسيحيين » كان ينتسب اليه اخواني الطلبة العرب وطلاب من جميع الاجناس والقوميات ، ان فقدت معطفا ثمينا لي .. ولما كنت اقوم بالبحث عنه مع المسؤولين في النادي قلت لهم : لست غاضبا لضياع المعطف او سرقته لكن الذي يغضبني ويؤلمني اننا نعيش في مجتمع يضطر فيه البعض للسرقة لسد حاجتهم . وظل الكثيرون يتندرون بهذه الملاحظة .كما وحدث مرة ، وكنت قد انتخبت عضوا في مجلس ادارة النادي ، اثناء نقاش في لجنة قبول اعضاء جدد طلب احدى الفتيات ، التي تقدمت بطلب الانضمام الى النادي ، ان اعترضت السكرتيرة ، وكانت سيدة في منتصف العمر ، على قبولها . وعندما سألتها عن سبب معارضتها قالت : انها قد لاحظت في عيني الفتاة مقدمة الطلب بريقا .. فقلت وماذا ؟ « قالت يبدو انها فتاة لعوب» . فاجبت على الفور بانها هذه هي الفتاة التي يجب ان نحتضنها في النادي لنهديها سواء السبيل ونحول دون انحرافها او جنوحها . ووافقت الاكثرية على قبولها . وفي مساء يوم من الايام وانا جالس في قاعة الطعام اتناول طعام العشاء وحولي بعض الاخوة ، دخلت السكرتيرة المذكورة ، وعندما اقبلت علينا ضحكت ، فقالت ولم تضحك ؟ فاجبت لقد لاحظت بريقا في عينيك ، فضج الجميع بالضحك .

كذلك التقيت في هذا النادي بعدد من الطلاب الايرلنديين الوطنيين المعادين للامبريالية الانكليزية والمناضلين من اجل استقلال ايرلندا وتوحيد شطريها الشمالي (مقاطعة السترر) والجنوبي الذي حصل على الاستقلال الشكلي سنة ١٩٢٠ ، بعد فصل شماله عنه ، اعضاء السين فين وفيننا فيل وطلائع الجيش الجمهوري الايرلندي .. ونشأت بيني وبينهم علاقات صداقة اساسها معاداة الامبريالية الانكليزية والكفاح ضدها . وقد كانوا يطلعونني على نشراتهم ومطبوعاتهم والجريدة التي كانوا يصدرونها تحت اسم « آن فوبلاخت » وهي لسان الحركة الوطنية في ايرلندا ، وظللت استلمها حتى بعد عودتي الى القدس . واذكر بهذه المناسبة ما كانوا ينشرونه عن فظائع الانكليز وجرائمهم التي كانوا يرتكبونها في ايرلندا بعد وقبل ثورة عيد الفصح سنة ١٩١٦ وحتى سنة ١٩٢٢ وخاصة فرقة « بلاك اند تان » ، التي قدمت الى

فلسطين فيما بعد واقترفت جرائم مماثلة سنة ١٩٣٥ حتى ١٩٣٨ .

وتخطر بذاكرتي في هذه المناسبة ما كان قد علق في ذهني ، في سنوات ١٩١٩ — ١٩٢٢ ، عن اول اضراب عن الطعام طرق مسامعي وترك انطباعا فيه ، كوسيلة من وسائل المقاومة ، تحديا للدولة المحتلة وتصعيدا لحركة المقاومة الوطنية ، واستثارة للرأي العام والضمير العالمي ضد المحتلين . وهو الاضراب عن الطعام في السجن الذي قام به محافظ مدينة كورك الشاعر الايرلندي الشهير ماك سويني في ايرلندا الجنوبية ، واستمر اكثر من سبعين يوما ، حتى مماته .

وكما في سويسرا كنت احرص في لندن على الحضور والاشتراك في اي اجتماع يعقد او مظاهرة تنظم للدفاع عن شعوب المستعمرات ، او لنصرة الحركات التحررية في اي بقعة من بلاد العالم ، او ضد الحرب ومن اجل العدالة الاجتماعية ، وما اكثرها في لندن . وسادت انكلترا في الثلاثينات ازمة اقتصادية حادة كالتي تجتازها اليوم ، وبلغ عدد العاطلين عن العمل حوالي الثلاثة ملايين او اكثر . ولم يكن قد اقر حتى ذلك التاريخ ، قانون التعويض عن البطالة والضمانات الاجتماعية الشاملة ، فقامت حركة جماهيرية واسعة للعاطلين عن العمل تطالب بتأمين العمل وتوفيره وضمانات اجتماعية . وقد نظم احد زعماء هذه الحركة ويدعى وال هانيجتون مظاهرة احتجاج كبيرة دعيت « زحف الجياع » ، تنطلق من جميع مدن بريطانيا في اقصى الشمال الى اقصى الجنوب وتلتقي في لندن ، وتنتهي فيها بمظاهرة كبيرة يقدم فيها وفد عن الزاحفين باسم العمال العاطلين احتجاجا الى الحكومة ومجلس العموم على الاوضاع السائدة ، ويطالبون بتوفير العمل لهم وتأمينه وسن تشريع للضمان الاجتماعي ينص على اعطاء العاطلين بدل تعويض عن البطالة ، وقد حدثت اثناء المظاهرة اضطرابات ومصادمات مع البوليس حينما اصر المتظاهرون على الزحف على مجلس العموم في ويستمنستر . والقانون الانكليزي يحظر التظاهر في ساحة البرلمان او بالقرب منه . وطبعا اشتركت في تأييد التظاهرة . كما كنت اواظب على الاشتراك في مظاهرات اول ايار وحتى انني كنت اقنع بعض اصحابي من الطلبة العرب بالاشتراك فيها .

وبهذه المناسبة تحضرني زيارة قمت بها انا وبعض الاخوان ، اذكر منهم واصف كمال وخلوصي الخيري واخرين للسفارة العراقية في لندن . وقد اطلعنا اثناءها ، مزاحم الباجه‌جي او جعفر العسكري ، لست متأكدا ، على صورة عن الاتفاقية المعقودة بين الامير فيصل والدكتور وايزمن ، وقد كان الحديث يدور بكثرة حولها ؛ وفي الصورة تحفظ الامير فيصل عليها ، وهو انه اذا لم تتم اقامة الدولة العربية الكبرى حسبما ورد في طلبه المقدم الى وزارة الخارجية البريطانية سنة ١٩١٨ فانه يكون في حل من التقيد بها . ولا يغير من هذا انكار بعض الاوساط العربية ،وخاصة المحيطة بالامير فيصل والمنتفعين من وجودها .

كذلك اذكر انه عندما دار الحديث عن مظاهرات العمال العاطلين وزحف الجياع على لندن والاضطرابات الدموية التي احتدمت على اثرها ، وتردد الحكومة البريطانية في كيفية معالجتها ووضع حد لها ، قال جعفر العسكري لا فض فوه ، « لو كنت مكان الحكومة البريطانية لاصدرت الاوامر بتطويقهم في الساحة او الساحات التي يتظاهرون فيها بالمصفحات والمدافع الرشاشة وحصدتهم بها ، ليكونوا عبرة لغيرهم من العمال المتمردين الهائجين وقضيت على حركتهم في المهد وانتهيت منها » . فتصور يا رعاك الله عبقرية من تولوا امرنا زمن غير قليل في العراق . ولكن فاته أن الانكليز في بلادهم لا يستطيعون ولا يجرأون على السلوك الذي يسلكونه في الهند (مذبحة امريتسار) أو في غيرها من المستعمرات .

وقبل ان انهي حديثي عن اقامتي في لندن ، لا بد لي من ان اسجل ما كان يشكو منه بعض افراد البعثات العسكرية من العراق الذين كانوا يوفدون للدراسة في معاهدها العسكرية من أن القائمين عليها لا يطلعونهم على التطورات الاخيرة في الفنون العسكرية ولا يدربونهم على الاسلحة الحديثة المطورة ، ويميزون بينهم وبين الطلبة الانكليز . وقد كان اكثرهم يتقد حماسة ووطنية .

وصدف اثناء وجودي في لندن أن حضر وفد فلسطيني ، الوفد الفلسطيني الرابع، عقب انتفاضة سنة١٩٢٩ للتفاوض مع الحكومة البريطانية حول القضية الفلسطينية، وكان مشكلا من الحاج أمين الحسيني وموسى كاظم الحسيني وراغب النشاشيبي والفرد روك وجمال الحسيني . وحضر بصحبة الحاج امين الحسيني ابن اخيه مصطفى كامل الحسيني ، رفيقي وزميلي في الدراسة في القدس ، ومع راغب النشاشيبي عزمي النشاشيبي ، كذلك احد زملائي ، فانبسطت بلقائهم . كما ودعاني الحاج امين الى اللقاء به وتناول العشاء معه ودارت بيننا احاديث متفرقة ، تناولنا فيها القضية الفلسطينية ، وابديت له فيها استغرابي بمقررات المؤتمر السابع وتراجعه عن المطالبة بالغاء الانتداب ووعد بلفور ، والاستقلال التام ضمن الوحدة العربية ، وانسحاب قوات الاحتلال البريطانية ، وامتعاضي منها . فاظهر موافقته لي على هذا الانتقاد وتنصل منها . واكد انه لا يزال يؤيد المطالب القومية التي ذكرتها ، وانه يتربص الوقت المناسب . واظن انه كان قد بلغه فحوى خطابي في مؤتمر مقاومة الاستعمار ، فحاول ان يبرر موقفه ويستميلني ويستثير الزهو والغرور في نفسي بالثناء على والدي . وقص علي كيف انه لما جاء اميل لودويغ ، المؤرخ الالماني الشهير ، الى القدس بابي عنده ، وعلق اميل لودويغ على ان اكثر الوجوه ارستقراطية من الذين التقاهم في القدس كان وجه ابي وانفه . ولا اشك أن الحاج امين كان يقصد بهذا التعريض بما سمعه او بلغه عني من ميولي نحو الاشتراكية واليسار ، فقد كنت اصطحبت صديقي القديم ، ابن اخيه مصطفى كامل، الى بعض الاجتماعات اليسارية والنوادي السينمائية التي تعرض افلاما عن

الثورات الوطنية التحريرية كالفيلم المشهور « عاصفة فوق آسيا » والحركة الشيوعية وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ، وليوحي لي من طرف خفي بأن مكاني أو موقفي في الساحة الطبقية هو في صفوف الارستقراطية او النخبة .

ومكث الوفد قرابة الشهر في لندن يحاول اقناع حكومتها او حملها على تغيير سياستها تجاه الهجرة اليهودية والحكم المباشر ، قاصرا مطالبه على وقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الاراضي لليهود وتأسيس حكومة نيابية وطنية . باختصار المطالب التي أقرها المؤتمر العربي السابع ، متخليا عن المطالبة بالاستقلال التام ضمن الوحدة او الاتحاد العربي ومغفلا حتى التعرض لوعد بلفور او الاحتلال ولكن دون جدوى ، فعاد بخفي حنين . ورفضت الحكومة البريطانية مطالبه جملة وتفصيلا ، معللة ذلك بأن « مطالبه » تتناقض والتزامات حكومة بريطانيا بمقتضى الانتداب وصك الانتداب بنفسه المتضمن وعد بلفور ، وان لا سبيل حتى للنظر في اي اقتراح لا يتفق مع مقتضيات الانتداب . وهكذا فشلت ثانية محاولة حمل الانكليز على تغيير سياستهم تجاه وعد بلفور والوطن القومي اليهودي عن طريق استرضائهم والتودد اليهم واستجدائهم ، وعدم المطالبة بانسحابهم والاستقلال التام والغاء الانتداب نفسه « أساس الداء ومصدر البلاء » .

وبعد رجوع الوفد ، وفي محاولة من الحكومة البريطانية لتهدئة الحالة وتخدير يقظة الشعب العربي في فلسطين ومنع تصعيد الحركة الوطنية ، اصدرت وزارة المستعمرات في اعهد اللورد باسفيلد بيانا يعد بتخفيض الهجرة ، ووضع قيود على بيوع الاراضي لليهود ، والنظر في منح الفلسطينيين درجة من الحكم الذاتي لا تتناقض مع صك الانتداب ووعد بلفور ، ولكنها عادت في اقل من شهر بعد صدوره فسحبت هذا البيان والغته . ومع ذلك لا يزال فينا من يثق بالانكليز ويتعلق بأذيالهم ويرجو منهم خيرا . وجاء الى لندن اثناء اقامتي فيها ايضا رجائي الحسيني واسحق موسى الحسيني ومحمد النجار وعبد الله البندك وصبحي الناجي . ومنهم من كانت تربطني بهم صداقة قديمة استمرت حتى اليوم ، وآخرون لقيتهم لاول مرة في لندن . كذلك مر من لندن في هذه الاثناء الشاب المتقد حماسة ووطنية رجا حوراني ، وقد كان في طريقه الى سوريا راجعا من الولايات المتحدة بعد ان اتم تحصيله هناك وحاز على درجة ماجستير في التاريخ والاجتماع من جامعة متشغان ، ونشأت بينه وبيني صداقة وثيقة توطدت على مر الايام . وهو من اوفى الاصدقاء الذين عرفتهم في حياتي . وقد نشأ حوار بيني وبينه ادى الى تفاهم تام وتطابق في الاراء وقد اهديته كراسا بعنوان « معنى الامبريالية » يفضح الامبريالية والاستعمار ويدعو لمقاومتهما . وقد اعجبت به كثيرا ، وكان هذا اساس التفاهم بيننا . وسأعود الى ذكر هذا الصديق الوفي والرفيق الامين عندما اتحدث عن عودتي الى القدس ولقائي به ثانية فيها بعد سنة ١٩٣٢ .

في أواخر سنة ١٩٣١ وأوائل سنة ١٩٣٢ اتممت تحصيلي وحصلت على ليسانس

الكلية الطبية الملكية وعضوية الكلية الجراحية الملكية من الكليات الملكية في لندن وانكلترا ودبلوم التخصص في طب وجراحة العيون من الكليات نفسها ، وقفلت راجعا الى القدس . ولما كنت اخشى من عدم السماح لي بادخال الكتب التي كانت قد تجمعت لدي طيلة مدة اقامتي في لندن ، عهدت بها الى احد اصدقائي من العراقيين الذي كان يدرس الفنون الجميلة ، على ان يشحنها لي الى القدس فيما بعد اذا تبين لي انها قد يسمح بادخالها ، وطلبت منه ذلك . ولكني فوجئت عند رجوعي باستجوابات متكررة جعلتني اصرف النظر عن استحضارها ، وهكذا خسرت مجموعة قيمة كبيرة من الكتب التي تبحث في الماركسية والاشتراكية والشيوعية .

العودة الى القدس :

في اوائل سنة ١٩٣٢ عدت الى القدس مسقط راسي بعد غياب استمر سبعة اعوام ، وكانت البلاد تتململ وتتلمس طريقها للخلاص من الاحتلال والانتداب الانكليزية وربيبته الصهيونية ووعد بلفور . وفور عودتي التحقت بمستشفى العيون الانكليزي في البقعة ، وعملت فيه حوالي السنة متطوعا بدون اجر للتعرف على امراض العيون السارية والمنتشرة في بلادنا ، واكتساب الخبرة . وبعد مضي العام عرضت علي ادارة المستشفى العمل فيه على اساس تعاقدي ، ولا اظن ان الدافع لذلك كان حب الاستفادة من كفاءاتي او تمكيني من استيفاء الخبرة اللازمة والمران الضروري في الجراحة ، بل على الاغلب لتقييد حريتي قدر الامكان . اذ يجب ان لا ننسى ان كل المؤسسات الاجنبية في هذه البلاد من مدارس ومستشفيات، طبية او ثقافية ، على اتصال وثيق بدوائر الاستخبارات للدولة التي تنتمي اليها ، ومراكز للتجسس ودراسة احوال البلاد تمهيدا للسيطرة عليها ، ولكسب اعوان وعملاء لهم ، والحد من استقلالها سياسيا واقتصاديا وطبيا وثقافيا ، ومنع اخذ اهل البلاد زمام المبادرة في ايديهم ، والعمل على سد ما يحتاجون اليه بانفسهم ، وابقائها معتمدة عليهم . ومن اطلع على التقارير التي كان يعدها القائمون عليها الى حكوماتهم، مثلي ، وشهاداتهم امام لجان التحقيق التي كانت تفد الى البلاد بين حين وآخر ، يعرف هذا حق المعرفة .

واما انا فقد كنت انف واكره ان يستغل الطب كحرفة او تجارة او مهنة ، ولا تطاوعني نفسي على مد يدي لاخذ جزاء إتعابي من مرضى هم في اشد الحاجة الى من يمد لهم يد المساعدة . ولي راي في الطب والاطباء سأورده في مقالات عن الطب والاطباء ورسالتهم ، وضرورة جعل الخدمات الصحية مجانية ومتاحة ومتوفرة للجميع بلا استثناء دون مقابل . بكلمة اخرى يجب ان يكون الطب مؤمما ، ويجب تأمين الضمان الصحي لجميع افراد المجتمع دون مقابل . ولذا فقد قبلت العمل في المستشفى على الرغم من ضآلة الراتب ، وبقيت اعمل فيه على اساس تعاقدي حتى سنة ١٩٤٦ . ولم اخف اثناء عملي فيه معاداتي للانتداب والاحتلال الانكليزي

والاستعمار عموما ، وكنت الجاهر القائمين عليه بما يختلج في نفسي . وقد كان بعضهم يقابله بنوع من التسامح والليبرالية وسعة صدر مع رصده ونقله الى من يهمه الامر منهم ، والبعض يتبرم من ذلك ، ولكن يبدو انه من الافضل لهم ان يبقوني تحت بصرهم وسمعهم . فصبروا على مضض . وقد كنت طبيب العيون الوحيد في البلاد .

ولما كانت امراض العيون منتشرة بكثرة في بلادنا ، وخاصة في الجنوب منه طلبت الحكومة من المؤسسة المشرفة على المستشفى ، وهي منظمة مار يوحنا ، واتفقت معها على أن تتكفل باقامة عيادات ثابتة لامراض العيون في بعض المدن في جنوبي فلسطين كالمجدل وغزة واسدود وبعض القرى الكبيرة كالمسمية والسواقير وبئر السبع وهوج وخان يونس ، ووحدة عيادة متنقلة من قرية لقرية ، وتقيم في كل منها يومين او ثلاثة، وتحيل من يستلزم عمليات جراحية الى المستشفى القاعدة في القدس . ويقتصر عمل هذه الوحدة المتنقلة على اشهر الصيف فقط وتعود للمستشفى في الشتاء . وبعد مضي عام على عملي في المستشفى ، انتدبتني ادارته للعمل في هذه الوحدة والاشراف ايضا على القيادات الثانية فقبلت . وقد اتاح لي هذا فرصة التجول في جميع انحاء الجنوب ، من الرملة الى اقصى الجنوب حتى رفح وهوج بئر السبع ، والتعرف على كثير من الشباب المثقفين الذين كانوا يقومون بالتعليم في المدارس المنتشرة في الجنوب ، وقد نشأت بيني وبين اكثرهم صداقات وتفاهم لا تزال مستمرة حتى اليوم ، واذكر على وجه الخصوص مخلص عمرو (الشهيد الذي توفي اثر التعذيب الشديد في سجون الاردن ، وعبد الله الخطيب وشريف بسرزق ومحمد هيكل ومحمد برزق وعلي الصرطاوي وعبد القادر الصالح ، وشحدة عمرو وعثمان بدران وبعض الاطباء ، كالدكتور حيدر عبد الشافي واخيه مصطفى عبد الشافي والدكتور صبحي شراب والدكتور سليمان قليبو ، وبعض الشخصيات الوطنية في غزة ورشاد الشوا) ، والتقيت ثانية بعز الدين الشوا الذي كانت تربطني به صداقة منذ أن التقينا في لندن ، وكثيرين غيرهم من المخاتير وبعض مدراء المحطات الزراعية الحكومية والخبراء الزراعيين في الجنوب .

واثناء تجوالي في الجنوب كنت اسمر في اوقات الفراغ وكل ليلة تقريبا مع المعلمين الشباب والموظفين الذين يصادف وجودهم هناك ، وكنا نتبادل الحديث عن الاحوال السائدة في بلادنا وعن الاخطار التي تهددنا من جراء الانتداب ، واستمرار الاحتلال والهجرة اليهودية والمطامع الصهيونية ، وعما يعانيه فلاحونا وجماهير شعبنا من ظلم وجور واهمال من حكومة الانتداب ، ونتذكر ما قاله شاعرنا ابراهيم طوقان :

أمامك : ايها العربي يوم ... تشيب لهوله سود النواصي
وانت كما عهدتك لا تبالي ... بغير مظاهر العبث الرخاص

مصـيرك بـات يلمسـه الاداني — وسار حديثه بين الاقاصي
فلا رحب القصور غدا بباق — لساكنها ولا ضيق الخصاص
مناهج للابادة واضحات — وبالحسنى تنفذ والرصاص

واحدثهم عن الحركات التحررية في بقية بلادنا : في سوريا والعراق ولبنان ومصر والمغرب العربي والجزائر وليبيا وتونس ، وفي بقية الاقطار الشرقية التي ترزخ تحت نير الاستعمار : الهند واندونيسيا والهند الصينية وايران ، ولا انسى الاقطار الاخرى : ايرلندا وامريكا الجنوبية والمكسيك ونكاراغوا وبورتوريكو ، واطلعهم على بعض الجرائد والنشرات التي كانت تردني ، وكانت مجلة (الدهور) التي كان يصدرها سليم خياطة في بيروت والتي كانت تحمل رسالة التحرر الفكري والوعي القومي، وتبث الروح الوطنية ، والكرامة والاباء ، وتشيع الادب التقدمي الحي الذي يعالج مشاكل جماهير الشعب ، اكثر المجلات التي نتداولها ، وكانت الوسيلة الرئيسية لبث فكرة التصدي للاحتلال والاستعمار ، ونشر الادب التقدمي الحي والفكر الاشتراكي والماركسي ، ومحاربة الانانية والفردية والذاتية . وقد شكل هؤلاء نواة حركة وطنية استقلالية في اوساط المعلمين والطلبة . ومما ساعد على انتشار هذه الفكرة الاستقلالية ، وادراك ان العدو الاساسي هو الانتداب والاحتلال البريطاني ، وانه لا فائدة من محاربة الظل وترك الاصل ، تشكيل حزب الاستقلال العربي ، والمقالات التي كان ينشرها حملة هذه الفكرة : امثال حمدي الحسيني ، عوني عبد الهادي ، وعجاج نويهض ، محمد نمر عوده ، وصبحي الخضرا ، ويفضحون فيها الاستعمار البريطاني ويكشفون زيف وخداع الساسة الانكليز الذين يتظاهرون بصداقة العرب ليحرفونا عن مقاومة الاحتلال ، ويستغلون اليهود لتنفيذ مآربهم وضمان مصالحهم ، واشغالنا بصراع جانبي ليصرفنا عن مقاومتهم ومجابهتهم ، فالاستعمار الانكليزي هو الذي ابتدع وعد بلفور والوطن القومي اليهودي ، بمعنى اصح الدولة الصهيونية وليست الصهيونية هي التي اوجدت الاستعمار البريطاني ، والذين ساهموا في بعث هذا المفهوم السياسي الجديد القديم ، اذ انه في الواقع ليس جديدا ، بل هو المفهوم الذي انبثق مع انبعاث الحركة القومية العربية ، مفهوم مكافحة ومقاومة الانتداب والصهيونية في آن واحد معا ، اذ انهما وجهان لعملة واحدة ، ولا تقوم الصهيونية والهجرة اليهودية بهدف تهويد البلاد وتغيير طابعها السكاني والجغرافي الا بحماية الحراب البريطانية ، وفي ظل الاحتلال الانكليزي . فهي الفرع وهو الاساس الذي تنمو عليه . فاذا ما اقتلع الاساس ماتت هي ايضا .

مظاهرات سنوات ١٩٣٢ — ١٩٣٥ :

وهكذا في اعقاب تعنت الحكومة البريطانية ومواصلة سياسة التهويد ، وطمس الهوية العربية في فلسطين ، وصفع المفاوضين العرب المرة بعد الاخرى ، ورد وفودهم الاربعة خائبين ، ورفضها حتى البحث في مطالبهم وشكاواهم بحجة انها

تتعارض والانتداب ونصوصه ومقتضياته ، قاصدين بذلك الهجرة وبيوع الاراضي وادنى درجات الحكم الذاتي المحلي ، واثر رجوع الوفد وادراك بعض القادة التقليديين ، ما كان قد ادركه مسبقا بعض الشباب امثال من ذكرت قبلا وجماهير الشعب العربي بفطرتها السليمة ، من أن اساس الداء واصل البلاء هو الانتداب والاحتلال الانكليزي ، وسلبنا حقنا الطبيعي في الحرية والاستقلال وتقرير مصائرنا بانفسنا ، عمت البلاد موجة عارمة من المظاهرات والاحتجاجات ضد الاحتلال البريطاني وسياسته وربيبته الصهيونية ، ووقعت مصادمات بين المتظاهرين ورجال الشرطة والجيش ، ولم تتورع فيها سلطات الاحتلال من الاعتداء على الشيوخ واستعمال اشد انواع البطش والقسوة ، حتى انهم اعتدوا على الشيخ الجليل موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية نفسها ، فقد اشترك في هذه المظاهرات اعضاء اللجنة التنفيذية والوجهاء والاعيان وسواد الشعب . ومنذ هذا التاريخ اتجهت الحركة الوطنية الاتجاه الصحيح ، وراحت تركز على مقاومة الاحتلال وتحديه دون أن تغفل الصهيونية ووعد بلفور والهجرة اليهودية وسياسة تهويد البلاد ، بعد أن كانت تركز على اداة من ادواته ومظهر من مظاهره وهي الصهيونية ووعد بلفور . وغني عن القول انني كنت من اكثر الناس تحمسا لهذه المظاهرات وابتهاجا بها .

وفي السنوات التي تلتها جرى تشكيل عدة احزاب . كلها تدعي خدمة المصلحة العامة وتحقيق اهداف الحركة الوطنية في الاستقلال والوحدة ودرء الخطر الصهيوني ووضع حد له وللهجرة اليهودية ولانتقال الاراضي اليهم ، والقضاء على الوطن القومي اليهودي في المهد . ولكنها في الحقيقة لم تكن تهدف الا الى خلق مراكز قوة ونفوذ للقائمين بها والمشرفين عليها وتأمين حصة لهم في الحكم المرجو الذي كانوا يأملون الوصول اليه . فكلهم يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بوصل . ولم يشذ عن هؤلاء الا بعض اعضاء مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني ، وحزب الاستقلال الذين ساهموا في بث الروح الوطنية وتوعية الجماهير في مهرجاناتهم واجتماعاتهم بالعدو الحقيقي اساس الداء واصل البلاء . ولكن حزب الاستقلال لم يعمر طويلا لانه كان يعلق كل آماله على الملك فيصل ويربط مصير حركته به . وبوفاة الملك فيصل في اواخر سنة ١٩٣٣ انفرط عقد الاستقلاليين وتشتت شملهم وتوقف نشاطهم ، لانهم لم يكونوا يثقون بانفسهم ولا بالشعب ، ولم يحاولوا ان يوجدوا لهم قاعدة جماهيرية شعبية ، بل كانوا يبنون نشاطاتهم على علاقاتهم وصلاتهم بالحكام والملوك امثال : فيصل ومن قبله ابيه الحسين وحتى الامير عبد الله ، الذي كانوا يشبهرون به في مجلتهم « العرب » التي كان يصدرها احد مؤسسي حزبهم عجاج نويهض . وبعد وفاة الملك فيصل سارعوا للالتفاف حول شكري القوتلي عندما اصبح رئيسا للدولة السورية ، ولكنهم بعد أن أطاح انقلاب حسني الزعيم بالقوتلي في عام ١٩٤٩ ، تفرقوا وتركوا دمشق وقصد بعضهم مصر ، والبعض الاخر عمان يبحثون عن ملك او امير يتجمعون حوله .

وقد بلغت موجة اضرابات ومظاهرات سنة ١٩٣٢ – ١٩٣٥ ذروتهما في حركة الشيخ عز الدين القسام ورفاقه الذين نذروا انفسهم لله والوطن ، وجادوا بأرواحهم في مكافحة الانكليز المحتلين والصهاينة ، رافعين راية الكفاح المسلح ، السبيل الاساسي للخلاص من الاحتلال ، ومرشدين الجماهير التي تنشد الاستقلال والحرية الى الطريق الذي يتوجب سلوكه .

ومن الحوادث الهامة التي وقعت في سنوات ١٩٣٢ – ١٩٣٦ وادت الى تكهرب الجو وتصعيد الحركة الوطنية ، تهريب اليهود السلاح بكميات كبيرة بقصد تشكيل قوات صهيونية مسلحة ومدربة ، وغض السلطات البريطانية بصرها عن هذا التدريب والتهريب ، بينما كانت تعمل جاهدة لنزع السلاح من العرب ، وتوقع اقصى العقاب في اي عربي تجد في حوزته اية قطعة سلاح ، ولو كانت رصاصة واحدة او موس او حتى هراوة . كذلك جرى تشكيل حاميات يهودية لمنع العرب من العمل في الورش والاراضي والمصانع اليهودية ، الامر الذي دفع العمال العرب الى تشكيل حاميات عربية لحماية انفسهم ، والى النشاط في حركة تشكيل جمعيات عمالية عربية .

فقد كانت الحكومة المنتدبة تميز بين العمال العرب واليهود في الاجور ، وتخيل اكثر الاعمال العمومية ولو في المحيط العربي الى الشركات والمقاولين اليهود ، الامر الذي زاد في سخط العرب وتفشي البطالة بينهم . كذلك ادى الفقر المدقع وتشريد الفلاحين من اراضيهم التي استولى عليها اليهود او ابتاعوها من العرب غير المقيمين والاقطاعيين ، ومن الاراضي الاميرية المخلولة التي اعطتهم اياها حكومة الانتداب تمشيا مع نصوص صك الانتداب ووعد بلفور ، الى ظهور عصابات السلب والنهب والاخلال بالامن في الطرق العامة . ومرد هذه العصابات وهي أن كانت في ظاهرها لصوصية واجراما ، الا انها في الحقيقة الرد البدائي والطبيعي على تقلبهم لتمشية العيش والارض التي يغتاشون منها ، والضيق والبؤس الذي يعانونه من جراء السياسة التي تتبعها حكومة الانتداب الانكليزية ، وتوالدها الهجرة اليهودية التي تزاحمهم على الارض والاعمال وتنتزعها منهم في وطنهم وعقر دارهم . اجل انها كانت تعبيرا عن التمرد ضد الجور والظلم والابادة .

وكان ابرز هذه العصابات العصابة التي كان يقودها ابو جلدة والعرميط ، وقد اذاعت الذعر والرعب في اوساط سلطات الاحتلال في سنوات ١٩٣٣ – ١٩٣٤ ومرغت هيبة الحكومة في الوحل . وللانصاف يجب أن لا يغفل ذكر جهود الحزب الشيوعي الفلسطيني وحضه الفلاحين على التمسك بأرضهم والتشبث بها . ومقاومة اجلائهم عنها وتسليمها للمستعمرين الصهيونيين بالقوة . وقد شارك عدد كبير من اعضائه في التضامن مع المعتصمين في الارض ، كما حدث في وادي الحوارث وفي عرب الزبيدات في الخارثية قرب حيفا . عدا عن انهم كانوا يتضامنون مع الحركة الوطنية في مطالبتها بوقف الهجرة اليهودية ومنع بيوع الاراضي وتشكيل حكومة

وطنية ، ويحضون الشعب على مقاومة الاحتلال والمطالبة بالغاء الانتداب ووعد بلفور والجلاء ، في جميع منشوراتهم ، ويشاركون مشاركة فعالة في المظاهرات والاضرابات .

ثلاثة لبنانيين تقدميين : سليم خياطه ، ورئيف خوري ، ورجا حوراني في القدس

وحدث ان قدم الى القدس في غضون سنوات ١٩٣٣ ــ ١٩٣٤ سليم خياطه الذي كان يصدر ويحرر مجلة « الدهور » في بيروت ، مبعدا من السلطات الفرنسية في لبنان . فتعرفت اليه وعرفته على اصدقائي وسعدت كثيرا بلقائه . وكنت قد تعرفت عليه من قبل ، عن طريق مجلة الدهور التي كنت اطالعها بانتظام واعجبت ايما اعجاب بتفكيره العميق واطلاعه الواسع ونشاطه الجم وحماسه الفائض . وكان يومئذ في القدس ايضا رئيف الخوري الاديب المعروف الذي كان يعمل في كلية صهيون ورجا حوراني الذي التقيته ثانية في القدس بعد ان سبق والتقيت به في لندن . وكان ايضا يعمل مدرسا في كلية روضة المعارف الوطنية . وشكلنا مع بعض الاصدقاء من القوميين حلقة ، تناقش اوضاعنا وتبحث عن افضل الوسائل واسرعها للتخلص مما نعانيه من الاحتلال وافتئات على حقوقنا واغتصاب لها ، ولتحقيق هدفنا في ان نعيش احرارا في بلادنا ، وتوفير العزة والكرامة والتقدم والرخاء لشعبنا . واستقر رأينا على ان افضل وسيلة واقصر طريق لذلك هي الاشتراكية العلمية ، ولا نفرق بين الاشتراكية والشيوعية فما الاولى الا المرحلة الممهدة للثانية . كما واتفقنا على مواصلة اصدار مجلة « الدهور » عن بعد وبالواسطة في دمشق تحت اسم « الطليعة » لتكمل الرسالة التي بدأها سليم خياطه . وفعلا تم الاتفاق مع عدد من الاخوان في دمشق على الاشراف على اصدارها ، اذكر منهم الدكتور كامل عياد ، وصلاح الدين المحايري ، وصلاح الدين البيطار وميشيل عفلق وغيرهم من الادباء وتعهدنا بالمساهمة في تمويل المجلة بما نجمعه هنا من المشتركين والقراء والمناصرين ، وما التزمنا به انفسنا من الدعم المنتظم ، وقمنا بحملة واسعة لنشرها بين المعلمين والمثقفين والطلبة . وقد لاقينا نجاحا لا بأس به في هذا المضمار .

وقد صدر العدد الاول منها في آب سنة ١٩٣٥ وعهد برئاسة تحريرها الى فؤاد الشايب . ومن مساهماتي في تحريرها المقال التالي بعنوان « الميزة الانسانية » :

اكثر الباحثون من شرح الفوارق بين الانسان والحيوان والميزات التي ترفع الاول عن مصاف الثاني وتبين الفوارق التركيبية Anatomical من انتصاب الاول ودب الثاني على اربع ، وعلقوا اهمية كبرى على اختلاف وضعية الابهام بالنسبة لبقية الاصابع في يد ابن آدم واقرب نوع من القردة اليه . كذلك اشادوا بمقدرة الاول على النطق وكون الثاني اعجم لا يقدر على التكلم .

هذا ، في نظر اكثر الناس ، اهم مميزات الانسان عن الحيوان ، وعلى الاقل اكثرها رواجا وذيوعا عندهم . ولكن فاتهم او تجاهلوا أن الفرق الاساسي ، وان يكن نتيجة الاختلاف في التركيب هو كون الانسان ليس فقط يعقل ، بل يفكر ويعي وجوده « انا افكر ، اذن انا موجود » .

ولكن ، في الواقع ، لو امعنا النظر في سلوك الحيوان والانسان لوجدناهما جد متشابهين ولعجزنا في كثير من الاحيان عن تقرير ادنى فارق بين الانسان والحيوان يعدو التركيب الجسماني . فالانسان كالحيوان ، يطلب الطعام اذا جاع وينشد الماء اذا عطش ويبحث عن اشباع شهواته اذا ما استيقظ ، وما عدا ذلك فهو كالحيوان أيضا تتقاذفه المقادير ، وتتدافعه الظروف والحوادث ، وتحمله على القيام بعمل واجتناب اخر دون اختيار . لذلك هو رهن عواطفه وعبد شهواته كالحيوان .

نعم هذا حال السواد الاعظم من الناس ، فاتهم لا يتحسسون حتى وجود انفسهم ، اذ لا يتدبرون انفسهم ولا ما حولهم ولا هم يفكرون .

والتفكير يبدأ بالتحسس وادراك الشخص وجوده ومن ثم يتعدى ذلك الى محاولة تقرير مصيره ، والى العمل على تحرير نفسه من القوى العمياء التي تتلاعب به ، والى التأثير في المحيط والظروف تأثيرا واعيا Conscious اذ كل كائن يؤثر بطبيعة الحال بوجوده تأثير اعمى وغير واع Unconscious كالنحل مثلا يلقح الازهار حال تنقله من زهرة الى اخرى طلبا للرحيق ، حتى يتوصل رويدا الى التحكم في الطبيعة وفي نفسه ، وتصريف الامور وفق رغباته ومثله العليا .

والشرط لتحقيق ذلك هو درس النظم والقوانين الاجتماعية والنفسية وتفهمها على حقيقتها وادراك كنهها حتى يتمكن الانسان من استخدامها وتحويلها حسبما يشاء ، او بكلمة مختصرة لطلب كل ما نعرفه من علوم على اختلاف انواعها من كيماوية وتاريخية وطبيعية وجغرافية الخ ... والتمكن منها واتقانها فلولا النظرية ما كان العمل الواعي ولولا العلم ما وجد العمل المثمر .

لرب معترض يقول : ولكن كيف الوصول الى هذا ، واني للسواد الاعظم تحقيق انسانيتهم والحصول على ما يشترك لذلك من علم وثقافة ، وهم اما محرومون حتى من وسائل المعيشة الحيوانية ، واما ان كسب ذلك يستنفذ جميع قواهم ولا يدع لهم الوقت ولا القوة للحصول على ما تقدم ؟

صحيح هذا ، فالظروف الوضعية والنظم الاجتماعية والاقتصادية التي هي نتيجة التفاعل غير الواعي بين العوامل الطبيعية وتصرفات الانسان وسلوكه غير الواعيين تضطر القسم الاكبر من النوع البشري الى التردي في طبقة الحيوانية .

وهنا يجب الا يغرب عن بال المفكر حقيقة اخرى راهنة وهي أن النفر القليل من البشر الذي تيسرت له كل اسباب التثقف هو ايضا لا ينجو في النهاية من الهبوط الى مصاف الاكثرية . اذ كما هو معلوم ، لا يستوي العالم والجاهل الا بأن ينحط الاول الى درك يتعذر في الحالة الراهنة ، اي ما دام الثاني محروما كل أسباب الرقي وغير شاعر بوجوده وحقوقه في الحياة .

والان اذا كان ما شرحناه صحيحا ، وهو صحيح اذ انه الواقع ، فصحيح كذلك انه اذا رغب البعض في البقاء في مملكة الانسانية ، والاستمرار في تحقيق انسانيتهم واستكمالها وعدم التردي في طبقة الحيوانية يترتب عليهم ان يعملوا على ايقاظ السواد الاعظم وتنبيه الى الشعور بوجوده وبحقه في الحياة وبنوع الحياة التي تليق بالانسان . وسبيل هذا : اولا حمل الناس على دعوتهم الى التفكير ونشر الثقافة وتعميمها ، وثانيا العمل في الوقت نفسه على ابدال الأوضاع الراهنة بأوضاع تكفل انعتاق الانسانية ونموها وازدهارها وتكاملها .

الطليعة هي التي تقوم ابدا بهذه الاعباء ، وهذا هو ، واجب المفكرين الاحرار الذين يكونون الطليعة .

فالى التفكير الحر . الى العمل الذي يقتضيه هذا التفكير .

« فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

ثم خلف فؤاد الشايب في رئاسة التحرير رجا حوراني بعد ابعاده من فلسطين سنة ١٩٣٦ لنشاطه في الحركة الوطنية هنا . وقد انشأ أثناء وجوده في القدس جمعية « أصدقاء الحبشة » لمناصرتها ضد الغزو الايطالي ، وجمعية لمحو الامية والعناية بما كانوا يسمونهم حملة « النسلال » وهم أولاد في عمر الزهور ما بين السادسة والسادسة عشر . وكان يقوم بنفسه بتعليمهم . كما وانه كان على اتصال دائم بالمراسلة بغاندي الزعيم الهندي ، الذي كان قد التقى به في احدى سفراته وببعض اساتذته ومعارفه في الولايات المتحدة ويشرح لهم القضية الفلسطينية خاصة والعربية عامة ويفضح مهارتات الحكومة المنتدبة ، ويناشدهم كل أصحاب الضمائر الحرة مناصرتنا وتأييدنا في كفاحنا ضد الاحتلال والانتداب والصهيونية ، الامر الذي لم تستطع سلطات الاحتلال الانكليزية تحمله ، فقامت بابعاده . كذلك ابعدت الاديب الكبير رئيف خوري لنشاطه ايضا وتربيته اجيالا في كلية صهيون على الروح الوطنية والعزة والكرامة ، وبثه روح المقاومة والكفاح وتوخي المصلحة العامة وخدمة المجموع . وقد الف اثناء وجوده هنا المسرحية الشهيرة « ثورة بيدبا » التي لاقت اقبالا ورواجا منقطع النظير بين الطلبة والمثقفين ، بالاضافة الى كتبه الكثيرة لحقوق الانسان والثورة الفرنسية ، وابحاث ادبية اخرى . واستمرت مجلة « الطليعة » في

الصدور في دمشق والوصول الى القدس حتى نشوب الحرب العالمية الثانية ومنعها من الصدور ، بعد أن اسهمت بنشر الوعي القومي الصحيح والثقافة الحرة والافكار التقدمية بين أوساط كبيرة من الفقراء . وفي اواخر هذه السنة شكل بعض الكتاب التقدميين الملتزمين رابطة اسموها « عصبة القلم » لنشر وبث الوعي القومي الصحيح والثقافة الحرة والافكار التقدمية ، وكان من مؤسسيها عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) ، حنا سويده (أبو الخطاب) ، عبد الغني الكرمي ، محمود سيف الدين الايراني ، رئيف خوري ، رجا حوراني ، عارف العزوني ، والدكتور خليل البديري . وقد اتفقت هذه العصبة مع جريدة الدفاع على تخصيص صفحة خاصة لهم اسبوعيا ، ولما كانت الفاشستية تستهوي الكثير من الشباب وتستأثر باعجابهم كحركة بعث ونهضة وتخطف ابصارهم ببريقها كتبت المقال التالي في جريدة فلسطين بتاريخ ٥—١—١٩٣٦ تحت عنوان « الفاشيستية والوطنية الصحيحة » ، ابسط فيه حقيقتها : —

« وهكذا تجد انه من جراء ما تنشره الصحف عن انتشار الفاشستية واتباع نفوذها واكتساحها قطرا بعد قطر في اوروبا ان الكثيرين من خيرة الشبان في هذا البلد واشدهم تحمسا للعمل صار يعتقد انها المثل الاعلى للوطنية الصحيحة والشكل الاخير للنهضات القومية ، ويفكر جديا باقتباسها والنسج على موالها وبطرب في سره لكل انتصار تحرزه ، بل ان البعض ليذهب الى أبعد من هذا فيصفق جهرا لفوزها .

وتأويل هذا يسير ظاهر فجميع الاخبار التي تنقلها الينا الصحف عن هذه الحركة تصورها لنا في شكل بعث أو نهضة انسانية جديدة تحمل طيها بشائر بحبوحة ورخاء وأمل ورجاء . ولا غرو ونحن في بدء نهضتنا القومية ننشد هذه الاهداف نفسها ، ان تعجب بكل حركة ترمي الى تحقيق ما نصبو اليه اضف الى هذا أن الشباب بطبيعته متمرد ميال للعمل يحن الى أعمال الفتوة والبطولة ويأنف من الاستجداء والسؤال ، ويرى هؤلاء البعض في مظاهر الفاشستية الخلابة ما يشبع هذه الرغبات ويرضي هذه الميول .

ينقم هذا الشباب على ما حوله من تفسخ وانحطاط وجمود ويرى في الفاشستية ثورة على ذلك فيصمم لها ، ويشمئز مما يعرفه من حركات وطنية ممسوخة قائمة على الاستجداء والتوسل والتضرع ، ويميل بطبيعته الى الوطنية الصحيحة القائمة على فرض نفسها فرضا وارغام الاخرين على أن يفسحوا لها المحل اللائق لها تحت الشمس وبين الامم بالقوة والكفاح ، وتتراءى له الفاشستية كأنها تحامل ذلك ايضا وتحققه وتستهويه وتفوز باعجابه .

هذه هي على وجه الاجمال الاسباب التي تحمل هذا القسم من الشبان على التغني

بالفاشستية والاشادة بذكرها . ولكن قليلا وننظر هل هي حقيقة ما يتوهمونهـــا او انهم مغرورون .

معنى الوطنية ومرماها كما افهمها هو تحقيق السعادة والطمأنينة لمجموع الشعب او الامة التي ينتسب الفرد اليها . ولا يختلف اثنان في أن هذه السعادة لا تكـــون الا بتأمين مستوى معيشة مادية مطرد الرقي والارتفاع وتوفير جميع اسبـــاب الرقي الادبي ، وان يكفل لكل فرد من افراد الامة حرية نمو شخصيته واظهار مواهبها . والشق الاول يتيسر اذا ما ضمن المجموع الامة العمل المنتج وزيادة مضطردة في الاجور والدخل . والثاني يتحقق اذا ما مكن كل فرد من افراد الامة من الحصول على اوفر قسط من التعليم والتهذيب تمكينا حقيقيا ، اي ان تقدم له جميـــع الاسباب لوالوسائل اللازمة لذلك من مؤسسات علمية وفنية وادبية وتامين اسباب المعيشة ليتمكن من التفرغ للدرس والتثقف اي أن هذا متوقف على تحقيق الشطر الاول .

والشق الثالث رهين تحقيق الشطرين الاولين وضمان حرية الراي والكلام والاجتماع. ولا يكفي أن تحقق هذه الاهداف لمدة ما بل ان يضمن بقائها واستمرارها وذلك باقرار الامن داخلا وخارجا وايجاد الممكنات للتحسن والرقي المطردين .

هذه في نظري الوطنيـــة الصحيحـــة ولا اظن احدا يخالفني فيهـــا ، فلنتفحص الفاشستية ونتمعنها هل تتفق وشيئا من هذا التعريف او تكفل تحقيقه .

لست اريد هنا أن أدرس نشوء الفاشستية ونموها وتطورها ، فذلـــك يطـــول وانما اود ان ابحث منها ما له تعلق مباشر لما اسلفت . ولهذا لنلقي نظرة على مـــا يجري في البلدان التي استقرت فيها الفاشستية وتسلمت زمام الامور فماذا نرى .

لا مناص لكل من يتتبع مجرى الامور في هذه البلدان وسيرها من الاقرار بأن مستوى معيشة الاكثرية الساحقة في هبوط متواصل ، وان الفاشستية بدلا أن تعمـــل على رفعه ، تدعو اكثرية الشعب باسم الوطنية والتضحية الى الرضا بهـــذا المستوى المطرد الهبوط . وانها بدل تأمين العمل المنتج تخترع العمل غير المنتـــج والمميت للتفكير (كمعسكرات العمل في المانيا مثلا) كذلك في الناحية الادبية والتهذيبية فعدد الطلاب في المدارس الثانوية والعليا قد نقص عما كان عليـــه قبـــل تسلمها منصـــة الحكم ، والاعتقاد بالخرافات والايمان بالمعميات قد حل محل التفكير الحر والاختبار التجريبي والتحليل العلمي . والشخصيـــة بدلا ان تؤمن الحرية الكاملة لنموها وازدهارها ، نراها تكبت وتضر باسم النظام الى العدول عن كل تفكير حر مستقل ، والى القبول صاغرة لما يملي عليها ، نراها بدل أن تمرن على التفكير والتحليل والتفهم تمرن على الطاعة العمياء ، نراها ترغم على الاستحالة شيئا فشيئا الى الة صماء ، فحرية الكلام والاجتماع ملغاة تماما .

وكنتيجة لكل هذا نرى الامن في الداخل ، وان يكن في الظاهر مستتبا ، ابد على وجه الاضطراب وفي الخارج فبدل ان تكفل العيش مع مجاوريها وبقية العالم بسلام نراها بما تتبعه من سياسة داخلية وخارجية وتعلنه او تخفيه احيانا من طموحها لبسط سيادتها وسيطرتها على بقية الاجنس ، تؤلب العالم اجمع عليها وتدفع به وبنفسها في هوة الخراب والدمار .

يتضح مما تقدم لكل من وطن نفسه على مجابهة الواقع مهما كان بشعا قبيحا ورؤية الامور على ما هي عليه ان الفاشستية ليست الا وطنية رائفة ، وانه شتان ما بينها وبين الوطنية الصحيحة . فليول اصحاب الضمائر الحية والعقول السليمة وجوههم شطر غيرها » .

وفي مستهل نفس السنة نشرت مقالا ثانيا تحت عنوان « سبيل التحرر » في جريدة الدفاع بتاريخ ٢٧–١–١٩٣٦ اعالج فيه قضية التحرر والتخلص من الانتداب والاحتلال :

سبيل التحرر

في القضية ، اعني القضية الوطنية تبلبل واضح ومنشأه في تظنوي اختلاف في الاجتهاد وتباين في اوجه النظر لا تفاوت في الاخلاص ، فاني انزه العربي ايا كان عن التردي في حماة المروق من الوطنية او تجنب السبيل الحق عن معرفة وسلوك الطريق الخاطىء عن تعمد وليس انفى لهذا التخبط المضيع للجهود والمثبط للعزائم من التمحيص الهادىء على ضوء الحوادث التاريخية لاظهار الرشد من الغي وتبيين المستقيم من الاعوج .

اتى علينا في هذه البلاد حين من الدهر كنا ولا نزال فريقين ففريق يدعو الى الكفاح والنضال للحصول على الحرية والاستقلال لتعبير عليهما الى مضمار التقدم والرقي والنهوض بهذه الامة اذ يقرر في غير تشكيك ولا تردد ان هذا اي الاستقلال شرط اساسي اولي ومقدمة وان كل نهوض اجتماعي او سياسي او ادبي او صناعي لاحق ونتيجة له ويعلن هذا الفريق نفسه ان لا علاقة بيننا وبين المحتلين سوى ما بين المعتدي والمعتدى عليه والسالب والمسلوب والظالم والمظلوم وان ليس من مصلحة مشتركة اومنفعة متبادلة تربطنا واياه ، وان المسالة ليست سوء تفاهم يزال باجتماع او تبادل الاراء وسرد الحقائق والادلاء بالحجج والبراهين بل ان المسالة مجرد عدوان عن تعمد واصرار وسابق تفكير وطمع بررته القوة الغاشمة ومكنه ضعفنا فما علينا او تبادل الاراء وسرد الحقائق والادلاء بالحجج والبراهين بل ان المسالة مجرد عدوان وهذا لا يكون الا بمواصلة الكفاح والنضال بشتى الوسائل والامتناع قطعيا عن التعاون مع الغير بل العمل على عرقلة ومقاومة مشاريعه وخططه .

والفريق الاخر يقول بالاهداف نفسها ولكنه يعتقد أنه لا بد للوصول اليهـا مـن التدرج في كنف الاحتلال شيئا فشيئا انه ليس من المستحيل التوصل الى ايجاد قاعدة مشتركة بيننا وبين المستعمرين تضمن تحقيق ان لم يكن جميع فعلى الاقل اكثر أمانينا الوطنية فلهذا لا يستنكف بل يتوق الى التعاون مع الغاصب زاعما بذلك انه ينتزع منه بعض الحقوق المسلوبة ويساعد على تقوية الحركة والروح الوطنية فيدعو الى التفاهم معه ومفاوضته ويؤمل الخير كله من وراء مكتب للدعاية يقيمه في بلاد العـدو أو وفد يبعثه لاقناع حكومة الغاشم بأحقية قضيتنا وبأنها ليست خطرا على مطامعها الاستعمارية بمعنى اخر انه لا يرى تنافيا بين الحكم الاجنبي او مكـان التـدرج في معارج الرقي والعمـران .

هذه هي نظريات الفريقين على وجه الاجمال ولكليهما حجج واساليب يرتكز عليها ويستنتج خطته فيها فلنبدأ باستعراض كل منها ومن ثم لنحاول تفنيدها وتمحيصهـا على ضوء الاختبار لنر ايها الصحيح وايها الزائف

فريق النضال والكفاح يبني دعوته على درس النهضات القومية في التاريخ وهذا بدون استثناء يدلل على أن الشعوب المقهورة ما استعادت مجدها الا عن طريـق الحرية وان هذه لم تتحقق الا بالمقاومة والقراع المتنوعي الصـور والاشكـال حتى الولايات المتحدة الامريكية التي تربطها والانكليز روابط عدة من لغوية وجنسية وثقافية لم تجد للحصول على حريتها واستقلالها بديلا عن سلوك هذا المسلك الوعر ودفـع المعتدي باللغة الوحيدة التي يفهمها اي القوة وما دام الامر كذلك فكل خطة غير هذه لا تعود في الواقع على القضية الا بالضرر وتبديد القوى واضاعة الجهود وتزيد فـي قوى المحتل وتكسب اعماله غير المشروعة هذه الصبغة التي اعجزه نوالها .

وحجج الفريق الثاني تتلخص في أن البلاد لا تقدر على الكفاح ولا قبل لها بمهاجمة العدو فليس لها الا سلوك اهون الطرق والعمل جهدنا على استخلاص مـا يمكـن تخليصه واتخاذ هذا اساسا للحصول على اكثر فأكثر حتى نصل الى استيفاء حقوقنا كاملـة .

خير وسيلة للتثبت من صحة نظرية او عدمها تجربتها ووضعها موضع التنفيذ فان جاءت بالمطلوب ثبتت والا فلا بد من نبذها والبحث عن غيرها .

نظرة واحدة في حجج الفريق الاول تظهر بوضوح أن لا سبيل الا ردها اذ ليست مجرد افتراضات بل هي استشهادات واقعية .

اما حجج الفريق الثاني فعلى العكس يبدو بجلاء لمن يمعن النظر فيها انها مجـرد ادعاء تنفيه التجارب وينقصه التمحيص .

ففي القطرين الشقيقين مصر وسوريا اتبع القائمون على الحركة الوطنية خطـة التدرج نحو الاستقلال بالتعاون مع الحكومة المحتلة ضمن الحدود التي رسمتها لهم من

مجالس نيابية ودساتير وقوانين اساسية وتولي تنفيذ هذه السياسة عدا الذين ينعتون انفسهم بالمعتدلين من يعدهم الراي العام اساتذة في الوطنية كسعد والنحاس فماذا كانت النتيجة ؟

هل خطت البلاد خطوة نحو الاستقلال وهل تمكن هؤلاء الوطنيون من استخدام الاجهزة والمشاريع الحكومية لتقوية الحركة الوطنية وتحقيق اقل مطالبنا وقائع الحال تجيب بالنفي القاطع . بل لا مناص من الاقرار بأن ليس فقط لم يؤد ممارسة الحكم في ظل الاحتلال الى تعزيز الحركة الوطنية وتنشيطها بل على العكس اولاً ويؤيد من قال وقام بالكفاح واضطرار النحاس وغيره اثناء وجودهم خارج الحكومة لسلوك هذا النهج كاد يودي بالحركة الوطنية ويميتها ويقضي على كل أمل بالخلاص .. واما القول بأن البلاد غير قادره على الكفاح وانا ضعفاء فوهم ايضا ولو بدا الاول وهى حقيقة اذ مثلها في هذا كمن راى شخصا نائما فحسبه ميتا وما عليه الا أن يوقظه حتى يتثبت من انه مليء بالحياة او كمثل من راى رجلا ساكنا فظنه كسيحا او مشلولا ويكفي ان يحمله على التحرك ليقتنع بصحة اعضائه وسلامة اعصابه فالحقيقة انا اقوياء ولكن هذه القوة كامنة تحتاج الى الاظهار وهذا لا يكون الا بالمران على المقاومة والكفاح وما يبدو علينا من ضعف ليس الا دليل تعودنا عن العمل وتفرق كلمتنا وتضارب جهودنا ولسنا نحتاج لاكثر من لم الشعث وتوحيد الصفوف وتنظيم الجهود واتباع خطة مثمرة والاقدام على العمل ليتبدل هذا الضعف قوة .

جلي مما تقدم أن للاستقلال والحرية طريقا واحدا فقط لا ثاني له فلنتدبر اي السبل نحن سالكون

القدس　　　　　　خليل البديري

كذلك قمت في مستهل السنة نفسها بالقاء محاضرة تحت عنوان امراضنا الوهمية ، في جمعية الشبان المسلمين بيافا نشرت في جريدة اللواء بتاريخ ٢٥-٢-٣٦ وكلها بهدف بث روح المقاومة والنضال :

بواعث الخور

في حياتنا العامة ، كما في حياتنا الفردية ، خور وضعف ملموسان ، لا حاجة الى وصفهما . ولعل اكثر اعراض هذا الضعف ظهورا للعيان هذا التردد والتلكؤ والحيرة ، فترون الوقت ينقضي ، والفرص تمضي ، ونحن لا نزال حائرين في امرنا لا نعرف كيف نصرفه فلا نستفيق الا ونحن اسوأ حالا مما كنا فاقة الراي التردد .

نعم اقول كل هذا الضعف ومظاهره المتعددة اصبحت معروفة لدى الخاص والعام، فلا تحتاج الى تفصيل . وليس بكاف على ما أرى تقرير هذا الواقع بل يتحتم علينا

اذا اردنا التخلص من هذه الآفات ، ان نبحث عن اسبابها ، حتى اذا ما اكتشفناهـا عملنا على ازالتها اذ لا سبيل الى الدواء قبل معرفة موطن الداء وسببه .

واهم أسباب هذا الانحلال في نظري ، فقدان الثقة بالنفس وعدم الاعتماد عليها . فاننا لو تدبرنا أنفسنا لوجدنا أن عدم اقدامنا على ما نحن في اشد الحاجة اليه مـن أعمال اقتصادية وسياسية ، وأدبية ، واجتماعية ناشىء عن عدم اعتقادنا في أنفسنا القدرة على القيام بها . واني لرجل يعتقد ان لا قدرة له على المشي محاولة ذلك : ولو كان فعلا صحيح الاعضاء سليم الاعصاب ؟ وانك لو استدرجته بطريقة من الطرق الى المشي دون أن ترسخ في نفسه الاعتقاد بقدرته على ذلك لا يلبث أن يتعثر ويقع ، وكذلك الامم والشعوب فان ما يصيب المشاريع القليلة التي نبدأها من فشل أيضـا ناتج عن انتفاء هذا الاعتقاد بالقدرة على تحقيقها واتمامها . وكيف الثبات ولا ايقان بالفوز ولا ايمان بالنجاح ، وشرط كل نجاح الداب والمثابرة وشرط هذين العقيـدة وايمان بالقدرة على الوصول الى ما نصبوه اليه . اذا انتفت هذه العقيدة انتفى العمل . وما ترددنا في جميع نواحي حياتنا ، وعدم مثابرتنا ، دأبنا على خطة واحدة ، وسلوكنا كل يوم سبيلا جديدا لتحقيق غاياتنا الا وليد انعدام هذا الايمان ، وفقـدان هذه العقيدة اي القدرة على تحقيق ما نريد .

لرب معترض يقول صحيح ما ذكرت اذ هذا لا يعدو تقرير الواقع وتصويره ، ولكن هل كشفت لنا عن الاسباب التي ادت الـى تضييعنا هذه العقيدة ، وافتقادنا هذا الايمان ؟ جوابي على ذلك نعم . لهذا أسباب ولكنها في الحقيقة وهمية لا نصيب لها من الصحـة .

التهويل بالصعوبـات

رأس هذه الاسباب أو الاوهام تضخيم الصعوبات والتهويل من شأن القوى التي تعترض طريق تحقيق أمانينا القومية . من هذا مثلا ما يردده دعاة الهزيمة والتـردد حينما تعلو الصيحة الى مقاومة الاستعمار ومكافحة المعادي كقولهم : من نحن لنقدر على الوقوف في وجه غاشم احتل ثلثي المعمورة واكثر ؟ وما عندنا من العدد ووسائل القتال لنقابل به معداته الجهنمية ؟ انا لا نكون الا كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل .

بكلمة مختصرة انهم يقولون ان العدو قوي جدا واننـا ضعفـاء ، فليس لنـا الا استرضاءه واستجداءه . كلا ايها الاخوان انهم في ادعائهم هذا واهمون ، فالحقيقة على عكس ما يقولون . فالاقوياء نحن والضعفاء هم العادون . . .

نعم ، الاقوياء نحن . فانا من أي وجهة قلبنا المسألة ارغمنـا على تقريـر هـذه النتيجة . اذ لو قارنا عدد الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) بعدد الشعوب القاهرة

لوجدنا عدد الاولى يصغر عدد الثانية . فعددا نحن اقوى بكثير من اعدائنا ، نحن العديد الذي لا يحصى وهم الاقلية الضئيلة .

التنظيم وتوحيد الصفوف

ولكن لاظهار قيمة هذه القوة ينقصنا توحيد الصفوف والتنظيم . وعدا العدد فنحن اقوى من العدو لاننا على حق وهو ضعيف لانه على باطل . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بقوة الحق والحق من أمر الله . افلم يغلب اجدادنا العرب الرومان والفرس على كثرة عددهم وتفوق عددهم . وهل غير كون الاولين محقين والاخرين مبطلين لذلك سببا ؟ ان الحق يزيد في قوة المدافع عنه كما ان الباطل ينقص من قوة المغير المؤيد له فكيف اذن وقد توفر العاملان عامل الكثرة وعامل الحق ؟!

اما من جهة المعدات ووسائل القتال فانها وان تكن في جانب العدو ، فلا داعي لان تهولنا ، فانها ما كانت يوما لتمنع شعبا او امة من استرداد حقوقهما اذا ما وطنا النفس على ذلك . وان في مقاومة اخواننا الاتراك بقيادة مصطفى كمال ، وتغلبهم على الاعداء الذين كانوا يفوقونهم اضعافا مضاعفة في العدد والعدد — اذ يجب ان لا يغرب عن بالنا ان الكماليين ما كانوا يحاربون اليونان فقط بل جميع دول الحلفاء قاطبة ، وان تلك الجبهة الموحدة ما تصدعت بانفصال الافرنسيين والايطاليين عنها الا بعد ان اظهر الاتراك قوتهم وبرهنوا للعالم على انهم صدقوا النية على صيانة كيانهم وتخليص ديارهم — اقول : ان في تغلب الاتراك لدليلا واقعيا على ان المعدات ليست حائلا بين شعب واستقلاله ، اذا ما صحت عزيمته على انتزاعه ..

رسالتنا امام التاريخ

... وما كنا بمضطرين للرجوع الى الماضي القريب للتدليل على صحة ما نقول . فان نظرة واحدة لما يجري اليوم في الحبشة ، حيث يتقاتل جيش كامل السلاح والعدة مجهز باحدث وسائل الفتك والتدمير ، مع شعب اعزل ، لبرهان قاطع على ان الغلبة للحق ولو كان اقل عدة من الباطل . غير اننا اذا امعنا النظر في مسألة المعدات ودققنا البحث فيها لتيقنا انها ايضا في جانبنا . فان هذه المعدات والوسائل ، هي في متناولنا وبين ايدينا ، بل هي شيء مادي يكفي لدرء خطرها ان لا نخشاها وليس هذا على من عرف ما يريد بعسير .

نحن اقوى ايضا لاننا اصحاب عقيدة ومبدأ ، ولان لنا هدفا نرمي الى تحقيقه ، ولان لدينا رسالة يطالبنا التاريخ بادائها . الا وهي مواصلة تحرير الانسانية المعذبة ، وفك ملايين البشر من عقالهم . واتاحة الفرص للشعوب المقهورة لاظهار مواهبها . والمساهمة في تشييد حضارة ومدنية ارقى . والاعداء ضعفاء لانهم اصبحوا عثرة في سبيل التطور الانساني والسنن الطبيعية ، لانهم فقدوا حيويتهم ، ولانهم

شاخوا وصاروا لا يطيقون التقدم ، بل يحاولون وقف التطور الطبيعي . والحياة لا تطيق الردة . انهم صاروا يعيشون في الماضي لا في المستقبل ومتى بلغت مدنية ما هذه الدرجة فلا شك أن مصيرها الزوال . وان ما تنقله الينا الصحف عن انتشار البطالة . وتزايد البؤس والشقاء واضطراب الحكم وزوال الطمانينة ، وعجزهم عن حل مشاكلهم ، وجنوحهم للحرب كمهرب منها ، لدليل لا يخطىء على أن ساعتهم قد دنت ، وان آلامهم ومتاعبهم هذه ليست الا الام النزاع والاحتضار . أما الامنا ومتاعبنا فعلى العكس هي الام الوضع والنمو . وشتان ما بين الاثنين . ذلك يؤدي الى القبر وهذا يمكن من الحياة .

لنستبدل الوهم بايمان

يتضح مما تقدم ان جميع مستلزمات النهوض والمشاوية متوفرة لدينا ، وان الحياة تسايرنا ، بل ان المستقبل لينتدبنا ، وليس ينقصنا سوى نزع هذا الوهم بعدم القدرة على ما نريد من ادمغتنا واستبداله بالايمان والاعتقاد اللذين يؤديهما الواقع ويحتمهما سير الطبيعة ، بأن في امكاننا تحقيق ما نأمل ، وان النصر حليفنا ، فتتوفر الارادة وتتمثل اقداما وعملا يكفلان ابلاغنا ما نتطلب من حرية ورخاء .

ضرر الفردية

وثاني أسباب الانحلال الذي يعتورنا هو الانانية البغيضة والفردية الحمقاء ، فكلنا تقريبا نتملص من مجابهة ما يترتب علينا من مسؤوليات تجاه شعبنا المنكوب محتجين بأننا لم نكلف الا بأنفسنا ، وبأن كل واحد لنفسه وان الله للجميع ، منشأ مرض الانانية هذا وهم ايضا ينفيه التمحيص . ويتلخص هذا الوهم في أن اهتمام كل واحد بأمر نفسه فقط وانصرافه عن التفكير في غيره اضمن لمستقبله ، وابقى على عيشه ، واحفظ لمنصبه . غير اننا اذا تدبرنا الواقع الفيناه على نقيض ذلك . فالانسان في مجتمعنا الحاضر لا يسد جزءا ضئيلا من حاجياته بنفسه ، بل لا بد له للمحافظة على حياته والابقاء عليها من تبادل نتاج عمله ومجهوده مع عدد لا يحصى من البشر ، فمصيره مرتبط بمصير غيره كره ام احب ، فما يعمله غيره يؤثر عليه ، كما ان ما يأتيه هو يؤثر ايضا على غيره . والارتباط هذا بين مصير الفرد وامته اكثر وثوقا في بلادنا المنكودة الحظ المهددة بالافناء ، اذ يجب ان لا ينسى الذين يظنون انهم في مأمن من غائلة التشريد والجوع ، لوجودهم في مناصب او لكونهم على شيء من الثروة ، ان اشغالهم هذه المناصب متوقف على وجود الامة التي يشغلون او ينسبون اليها ، وان الاجنبي لا يتردد في الاستغناء عنهم وتشريدهم اذا ما تم له اخضاعها . وكذلك اصحاب الثروة فان الدخيل لا يلبث ان يبتلع ثروتهم ويعرض عن التعامل معهم متى تم له تشريد هذا الشعب وابادته او اجلاؤه عن موطنه . فلنتدارك انفسنا قبل فوات الوقت . ولا يزال في الوقت متسع . وليكن شعارنا : كلنا لواحد وواحد للكل .

وليذكر الذين يظنون انهم واجدو حظوة عند المستعمر او يجرون مغنما من الدخيل، ان هذا وذاك ، لا يدنيانهم الان الا لاتخاذهم جسرا يقضون عليه مآربهم ويحققـون بواسطته اطماعهم . وانهم متى تم لهم ما يريدون من هذه الامة لا يتوانون عن نبذهم والايقـاع بهـم .

فواضح اذن ان مصلحتنا كأفراد ، ومستقبلنا كاشخاص ، يحتمان علينا الاهتمام بالمجموع ، ويستلزمان العمل على انهاضه ، والمسارعة الى نصرته . وانا ان فعلنـا ذلك لا نكون في الحقيقة قد خدمنا الا انفسنا .
خلاصة القول ان جميع الاسباب التي تغل ايدينا عن العمل وتدخـل في قلوبنـا الضعف ، وهمية لا تستند الى اساس واقعي . ولسنا نحتاج لاكثر من نزعها مـن مخيلاتنا حتى يتبـدل مـا يبـدو علينا مـن ضعف قوة وتستحيل الهزيمة نصرا . وما تنصرون انفسكم الا وينصركم الله » .

ولا يفوتني ان اذكر انه قدم الى القدس في سنوات ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ انطوان سعاده الذي اسس فيما بعد الحزب القومي السوري ، والتقى بحلقتنا ، وقد كان رئيـف خوري وسليم خياطه على معرفة سابقة به . وتحدثنا طويـلا ، عـن المشاكل التى نعانيها والامال التي تراودنا ، وتبادلنا الاراء ولكننا لم نتوصل الى اتفاق لاننا كنا نحن هنا نتمسك بالنزعة القومية العربية ، بينما كان هو لا يهتم الا بما يسميه القوميـة السورية ويتحدث عن النزعة الفينيقية ، ونحن لا نقر بشيء اسمه القومية السوريـة بل نعتبر القومية السورية جزءا من القومية العربية الشاملة . وهـو لا يـرى اى ترابط بين القومية السورية او الهلال الخصيب وبين الجزيرة العربية وبقية الاقطار العربية في مصر والمغرب ، في الوقت الذي كنا نحن نؤمن بترابط عضوي بين جميـع الاقطار العربية في الشرق والغرب وانها وحدة لا تتجزأ ، وان مصير كل قطر مرتبط بمصير كل الاقطار العربية الاخرى ، وبالمقابل مصير كل الاقطار العربية مرتبط بمصير كل قطر منها . كما انه كان يترسم في خطاه الفاشية والنازية وعبادة الزعيـم والدولة ، بينما كنا نحن نترسم الاشتراكية والديمقراطية الشعبية وتحكيم المجموع لا الفرد . وهكذا افترقنا دون ان نتفق وواصل كل منا مسيرته .

كذلك نشطت في سنوات ١٩٣٢ الى ١٩٣٦ حركة تاسيس الجمعيات العماليـة وحاميات العمال العرب اصد هجمات حاميات العمال الصهيونيين الذين كانـوا يمنعون العمال العرب من العمل في اي مشروع حكومي او يهودي ليس فقط في المحيط اليهودي بل وحتى في المحيط العربي . وقد نتج عن ذلك عدة اصطدامات دامية بين العمال العرب واليهود . وظلت موجة المظاهرات تشتد وتتصاعد عقب استشهـاد القسام واخوانه في اواخر سنة ١٩٣٤ الى ان اضطرت الاحزاب التي كانت تتصارع

فهيا بينها على الزعامة وعلى توطيد نفوذها وتقوية مراكزها ، والاثبات للحكومة المحتلة بأنها هي التي تمون على الشعب ، الى الاتفاق فيما بينها وتشكيل ائتلاف يتقدم من الحكومة بمطالب مشتركة محددة . وفعلا قدمت الاحزاب المذكورة المؤلفة مذكرة للحكومة المحتلة تطالب بها بالحد الادنى من المطالب الوطنية .

١ : تشكيل حكومة نيابية مع الاعتراف لبريطانيا بحقوق مميزة ومصالح خاصة بها في البلاد

٢ : وقف الهجرة اليهودية وقفا تاما .

٣ : منع بيع الاراضي لليهود .

وكالعادة في محاولة منها لتهدئة الوضع وكسب الوقت ووقف هذا المد الشعبي الثوري الموجه ضدها ، عمدت الحكومة البريطانية الى الخداع والمماطلة . فوعدت بالبحث في انشاء مجلس تشريعي كالذي رفض سنة ١٩٢٢ ، ولكنها رفضت وقف الهجرة بحجة ان هذا يتنافى مع صك الانتداب ، ووعدت بفرض بعض القيود على بيع الاراضي في مناطق وحالات معينة . ولكن مجمل الرد كان الرفض القاطع .

وعلى اثر هذا الرد قدم كل حزب على حدة ، ملاحظاته وانتقاداته على هذا الرد . فما كان من حكومة الانتداب الا مواصلة سياسة المماطلة فدعتهم الى ارسال وفد منهم الى لندن لمقابلة وزير المستعمرات وبسط مطاليبهم امامه . وقبل زعماء الاحزاب الدعوة بسرور وابتهاج وراحوا يهيئون انفسهم للسفر الى العاصمة البريطانية والتمتع بضيافة حكومتها . ولكنهم اختلفوا على كيفية تشكيل الوفد . فبينما كان البعض يريد حصر الوفد في اشخاص الوفد السابق الذي ارسل سنة ١٩٣٠ ، اصر الاخرون على ان يكونوا هم انفسهم الوفد . واخيرا اتفقوا على ان ينتخب كل حزب ممثلا عنه ولكن الحزب العربي ممثلا بجمال الحسيني تحفظ من هذا واصر على ان يقدم هو لائحة باسماء الوفد . ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن . فاستمرت الهبة الشعبية في التصاعد ، وساعد على ذلك رد الحكومة المتعنت والمخيب للامال ، وما تسرب عن عزم الحكومة البريطانية على سحب مشروع المجلس التشريعي تحت ضغط اليهود ، واستمرار الهجرة ورفض الحكومة توقيفها مؤقتا ريثما تجري المفاوضات مع وزير المستعمرات ، ومواصلة تسليح الصهيونيين . ووقعت اصطدامات بين العرب واليهود ، وليس من المستبعد ان يكون الانجليز وعملاؤهم السريون هم الذين اشعلوها ليصرفوا الجماهير العربية عن التصدي لهم واشغالهم بالاقتتال مع مخلب القط الذي اوجدوه واستوردوه هم اي الصهيونيين ، ولينصبوا انفسهم حكما بين الشعب العربي الاصيل والدخلاء الذين استوردتهم هي نفسها (حصان طروادة : اليهود والوطن القومي اليهودي) ، ادت الى اعلان الاضراب العام في يافا في اواخر نيسان سنة ١٩٣٦ اشترك فيه جميع الاهالي والبحارة والعمال مما ادى الى اغلاق ميناء يافا ، وتبعه اضراب جميع وسائل النقل في جميع

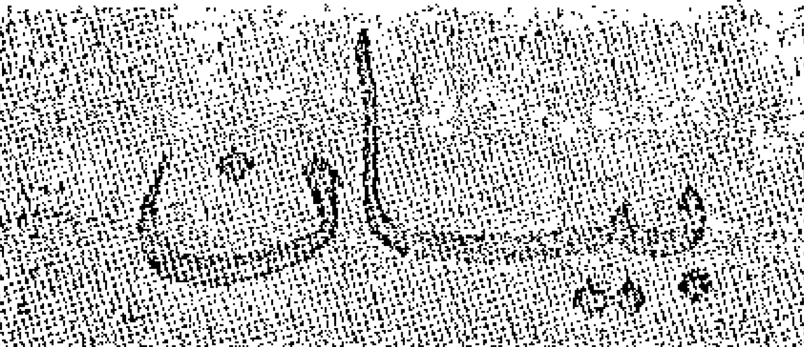
ارجاء فلسطين . وزاد النار اشتعالا خطاب لديزنكوف رئيس بلدية تل - ابيب الاستفزازي والمهين للعرب ، على اثر مقتل بعض اليهود في الاصطدامات التي وقعت على حدود تل - ابيب وصف فيها العرب بأمة وحشية مجرمة . وامتد الاضراب من يافا الى ان شمل جميع البلاد . وتشكلت لجان قومية في كل مدينة وقرية على غرار اللجنة القومية في يافا .

وتحت ضغط جماهير الشعب الهائجة اضطر زعماء الاحزاب الى الائتلاف ثانية والظهور بمظهر موحد والفوا لجنة من بينهم سموها اللجنة العربية العليا للاشراف على الاضراب والتنسيق فيما بين اللجان القومية المتعددة ، وقررت هذه الاستمرار في الاضراب الى ان تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلا ساسيا ، تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية ، واعلنت انها ستعمل مع الامة مستمدة القوة من وحيها وصادق عزمها ، على تحقيق المطالب الاساسية التي ما فتئت تطالب بها وهي : -

١ : منع الهجرة اليهودية منعا باتا .
٢ : منع انتقال الاراضي العربية لليهود .
٣ : انشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي .

لاحظ يا رعاك الله لا مطالبة بالغاء الانتداب وانهاء الاحتلال والجلاء والاستقلال التام والسيادة القومية . وابرقت الى الملوك والامراء العرب والمسلمين تستغيث بهم لانقاذ البلاد المقدسة وتحقيق مطالبها . غير أن الحكومة البريطانية امعانا منها في النكاية بالعرب وتاكيدا لرفض مطالبهم ، أصدرت ٤٥٠٠ شهادة هجرة جديدة بدلا من وقف الهجرة ولو مؤقتا . وعلى الاثر عقدت اللجان القومية مؤتمرا وقررت اعلان الامتناع عن دفع الضرائب في منتصف ايار سنة ١٩٣٦ . وكان قد سبق هذا الاجتماع والقرار ضغط شديد متواصل من بعض افراد الشعب وبعض اللجان القومية على اللجنة العربية العليا مطالبا اياها باقرار الامتناع عن دفع الضرائب والدعوة اليه . وقد كان أول بيان صدر بالدعوة الى الامتناع عن دفع الضرائب والعصيان المدني وعدم التعاون بيان اشترك في اصداره والتوقيع عليه ستة اشخاص وهم حمدي الحسيني ، الدكتور خليل البديري ، عجاج نويهض ، حنا خلف ، شكري قطينة ، وعبد الله البندك . وتوالت بعد ذلك بيانات مماثلة وعرائض للجنة العليا تؤيد هذا الطلب ، اشترك في توقيعها المئات من أفراد الشعب .

وقد اصدرت في هذه الاثناء بالاشتراك مع الاخوان حمدي الحسيني ، عجاج نويهض ، حنا خلف ، عبد الله البندك ، الدكتور محمود طاهر الدجاني ، شكري قطينه الذي ظهر اسمه خطأ كشكري خوري ، البيان المثبت صورته في الصفحة التالية :



الى الامة العربية الكريمة

اجتاح الاستعمار الانكليزي فلسطين العربية منذ عشرين سنة [illegible] فرقت هذه البلاد تحت ضغط هذين الاستعمارين المتحدين على استعباد الامة العربية والتنكيل بها واذلالها، ولم يكن حاشا للامة العربية في هذه البلاد ان ترضى الذل وتنام على الخسف فنشب النضال بينها وبين الاستعمارين وكانت الثماني عشرة سنة الماضية سلسلة مصادمات بين الظالم والمظلوم وآخر حلقة في هذه السلسلة ما يجري الآن على ارض فلسطين العربية من المذابح بين العرب واليهود تحت سمع الاستعمار الانكليزي وبصره. وانما نحمل الاستعمار الانكليزي والصهيونية تبعة كل ما وقع ويقع في هذه المصادمات من الخسائر في الارواح والاموال [illegible] ولاعتقادنا الجازم ان هذه البلاد ستظل في اضطراب وقلق مستمرين ما دام هذا الوضع الشاذ قائماً. وانا نطالب من الامة العربية في فلسطين على اختلاف طبقاتها ان تعمل من قوتها هذه المرة [illegible] على الاضراب الكامل الشامل حتى تحقيق هذه المطالب:

١ — ان تلغى الهجرة اليهودية على ان توضع ادارة المهاجرة والسفر تحت مراقبة لجنة مشتركة من الحكومة الحاضرة ومنتخبين من الشعب العربي ريثما يتم تشكيل حكومة وطنية.

٢ — مصادرة الاراضي [illegible] من الحكومة الحاضرة ومنتخبين من الشعب العربي.

٣ — اطلاق سراح الموقوفين السياسيين من العرب.

٤ — تشكيل حكومة وطنية دستورية ذات مجلس نيابي منتخب من جميع طبقات الشعب العربي مع القسم اليهودي الذي كان قاطناً فلسطين قبل الحرب وقبل صدور وعد بلفور.

وانا نطالب من اللجان القومية في سائر انحاء فلسطين ان تبذل جهودها في سبيل تنظيم الاضراب وجعله نافذاً وشاملا [illegible] فلا يضمن الاستمرار في الاضراب حتى تنال البلاد مطالبها والله من وراء القصد.

شكري خوري — عجاج نويهض — حمدي الحسيني — الدكتور خليل البديري

حنا خلف — [illegible] — الدكتور محمد طاهر الدجاني

وفي اعقاب استمرار المظاهرات والاضطرابات واعلان الامتناع عن دفع الضرائب، الغى وزير المستعمرات البريطاني دعوة الاحزاب لارسال وفـد عنهـم الى لندن ، واعلنت الحكومة البريطانية عن عزمها على اعادة النظام والاستقرار بيد من حديد . وبعد ذلك اي بعد وضع حد للاضطرابات والمظاهرات وقمعها ، ارسال لجنة ملكيـة للتحقيق في اسباب الحوادث والشكاوى المزعومة من سياسة الحكومة دون التعرض لنصوص الانتـداب (لاحظ دون التعرض لنصوص الانتداب) ان المسألـة مسألة مماطلة وتسويف وتخدير لا اقل ولا اكثر . اذ ان اساس الداء ومصدر البلاء هـو الانتداب ووعد بلفور والوطن القومي اليهودي ، وهذه هي المـواد الاساسيـة في نصوص الانتداب الذي لا يجوز التعرض لها .

وعلى اثر هذا البيان الذ ي ادلى به وزير المستعمرات طلب المندوب السامي من اللجنة العليا وقف الاضراب والمثول امام اللجنة الملكية . لكن اللجنة العربية ، تحت ضغط الراي العام واصرار اللجان القومية والصمود والتصدي لسلطات الاحتلال ، لم تستطع الاستجابة لطلب المندوب السامي وقررت الاستمرار في الاضراب ومقاطعة اللجنـة .

ولما رات الحكومة ان سياسة الخداع والمماطلة والتخدير لم تعد تثمر ، لجأت الى العنف والشدة والقبضة الحديدية في قمع الاضراب والمظاهرات . فراحت تعتقـل النشيطين ومن تظنهم المحرضين عن طرف وجنب . اذ ان الشعب كله والامة كلهـا كانت صفا واحدا وقلبا واحدا ، تعمل بوحي من ضميرها وتحس بالخطـر الـذي يتهددها في عقر دارها ، ولم تكن بحاجة الى محرضين . بـل هي التي كـانت تدفع الزعماء الى المقاومة . وتقودهم هي بدل ان يقودوها هم . فقد كانت حركة المقاومـة عفوية وطبيعية ، ونتيجة غريزة الدفاع عن النفس والوجـود والبقـاء . وهكـذا اضطرت الحكومة الى اعتقال الالاف لا العشرات او المئات دون توجيه اية تهمة لاحد او محاكمة . ونشرت الارهاب في طول البلاد وعرضها آملة بذلك ان تفتت في عضـد المقاومة وتوهنها وتكسر شكيمتها . آلا ان العكس هو الذي حصل فكلمـا ازدادت الحكومة في تعنتها وارهابها وبطشها ازداد اصرار الشعب على المقاومة والاستمرار في الاضراب وتصعيده الى الثورة والكفاح المسلح في مجابهة جرائم القتل والتشريد والابادة ونسف البيوت والعقوبات الجماعية التي كانت تقترفها الحكومة في المـدن والقرى . وازاء كل هذا لم تجد اللجنة ما تستطيع عمله الا اقرار وارسـال وفـد خامس الى لندن لشرح القضية للحكومة الانجليزيـة وللقيـام بالدعايـة للقضية الفلسطينية في الاوساط الانجليزية مؤلف مـن جمـال الحسيني ، وشبلي الجمل ، والدكتور عزت طنوس ، واميل الغوري . وقد بلغ بالحكومـة الجنـون الى حـد الخروج عن المعترف به في معالجة المظاهرات والاضطرابات فنسفت في النصف الثاني من شهر حزيران سنة ١٩٣٦ البلدة القديمة في يافا باكملها ، الامر الذي لم يستطع القضاء البريطاني نفسه ان يبرره ، بل وجد نفسه مضطرا لادانته والتنديد به . هذا عدا مئات البيوت التي نسفت في القرى . وفي مواجهة الارهاب وهذه الجرائم لم تقل

عزيمة الشعب المقاوم الثائر فراح يهاجم الدوريـات الحكوميـة ومراكـز البوليس والجيش ودور الحكومة ويقتلع السكك الحديدية ليعطل تنقلات قوات الحكومة من جيش وبوليس ، ويقطع وسائل الاتصالات كأسلاك البرق والتليفون ، وكلما ازدادت الحكومة في البطش وقتل الفلاحين الامنين وتشريدهم ازداد صموده وتصديه وتصميمه على المقاومـة .

وكما قلت اعتقلت الحكومة الالاف ، وكنت من ضمن من اعتقلتهم ، وكان قد سبق ذلك فرض الاقامة الجبرية علي في مدينة القدس وعدم مغادرتها لمدة سنة من تاريـخ ٢٤ أيار ١٩٣٦ ، ـ وامعانا في النكاية ـ اثبات وجودي ثلاث مرات يوميا في مركـز بوليس الشيخ جراح ، مع انني كنت أسكن في حي القطمون ويتواجـد فيـه مركز للشرطة ، كذلك فرضت السلطات الاقامة الجبرية على حنا خلف في مدينة رام اللـه وعدم مغادرتها للمدة نفسها . وكان هذا اثر نشرنا نداء بعنوان «لا اضراب بلا تمثيل» ندعو فيه الى الامتناع عن دفع الضرائب ، والعصيان المدني .

فيمـا يلي صورة عن هـذا النـداء :

لا ضرائب بلا تمثيل

الى الامة العربية الباسلة

أيها العرب! إن تاريخ الأمة العربية المجيد الحافل بصفحات من كرامات البطولة والتضحية يطالبنا من خلال الأجيال والقرون بكل عربي حر لتلبية هذا النداء صارخاً أن المستقبل لنا إذا [illegible] على جدارة لنكون أبناء الماضي من الإباء والأمجاد؟

الدكتور محمد فاروق البدري — الدكتور فوزي فريج — الدكتور محمود طاهر الدجاني — الدكتور [illegible] البديري

[illegible] — جابر [illegible] — الدكتور ميخائيل شماس — عطاالله فريج — سامي عيسى — [illegible] — رضا خلف

أحمد طاهر الدجاني — عبد الحميد [illegible] — شكري [illegible] — [illegible] — مصطفى الشاشي — [illegible] — حسن [illegible]

حسين علي قليبو — جميل فرعون — سعاد القطب — محمد فؤاد الإمام — فاروق [illegible] الدجاني — فاضل عبد اللطيف

عبد الرحيم [illegible] — [illegible] — إبراهيم موسى الحسيني — [illegible] — [illegible] — يوسف [illegible]

هاشم السبع — محمد [illegible] — اسحق [illegible] — محمد يوسف [illegible] — [illegible] — محمود [illegible] — محمد شرف

شوكت البسيلي — جلال [illegible] — توفيق فريج — جودة [illegible] — موسى [illegible] — [illegible] طه — [illegible]

يعقوب عبد السلام [illegible] — داود [illegible] — حافظ [illegible] — شاكر [illegible] — [illegible] — [illegible]

[illegible] — محمود [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — محمد [illegible]

هشام [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] الخطيب — [illegible] — [illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible]

[illegible] — محمد علي — علي مصطفى [illegible] — محمد عبد المعطي [illegible] — [illegible] — كمال [illegible]

[illegible] الشاهد — [illegible] الشاهد — [illegible] — إبراهيم [illegible] — [illegible]

داود [illegible] — [illegible] عبد اللطيف — [illegible] — [illegible] — [illegible] مصطفى

[illegible] — إبراهيم [illegible] — [illegible] — [illegible] — محمد [illegible]

[illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible] — عبد [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible]

محمد [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible]

محمد [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible]

يوسف [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] الدجاني

[illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible]

[illegible] الأنصاري — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible]

وقد اقامت الحكومة عدة معتقلات اشهرها: معتقل عوجا الحفير وصرفند العمار ، التي تذكر بصرفند الخراب الواقعة على مقربة منها ، وقد سميت هكذا لانها حظيت باحراقها على يد قوات الصديقة التقليدية بريطانيا سنة ١٩١٩ التي يتغنى بصداقتها ملوك وامراء وزعماء العرب . ولم يقتصر اضطهاد الحكومة ومطاردتها على المعروفين بعدائهم للاحتلال والانتداب بل امتد حتى الى من كانوا يسمونهم بالمعتدلين مع الحكومة . فحينما هاجم الثوار مراكز الجند وقوات الاحتلال المرابطين في مدينة نابلس لم تتورع حكومة الانتداب البريطانية عن اعتقال رئيس بلديتها سليمان عبد الرزاق طوقان واخذه رهينة وابقائه على سطح البناية التي اتخذت مقرا لقائد قوات الاحتلال ، طيلة الليل الى جانب جنود الرشاشات الذين كانوا يتمترسون على سطح البناية في مواجهة الثوار ويتبادلون اطلاق النار معهم ، آملين بذلك أن يقلع الثوار عن مهاجمة الجنود حفاظا على حياة أحد أبناء شعبهم ورئيس بلديتها . وكان حاكم نابلس اذ ذاك اللورد كارادون الذي يتظاهر الان بالعطف على العرب عامة والفلسطينيين خاصة ويتنقل من بلد عربي الى آخر داعيا العرب وحاثا اياهم على القبول بالامر الواقع خشية ان يلحق بهم ما هو أدهى وأمر . فيا للشجاعة البريطانية يختبئون كالمجرمين وراء المواطنين العزل الابرياء الذين يختطفونهم ويتخذونهم رهائن . وعلى اثر هذه الاقامة الجبرية فوق السطح في خط تبادل النيران قام سليمان عبد الرزاق طوقان برد الوسام الذي كانت قد منحته له الحكومة البريطانية مكافأة على تعاونه معها . ومع كل هذا فلا يزال القادة والملوك والامراء العرب يثقون ببريطانيا وحسن نواياها ويشيدون بصداقتها .

ولما تحولت الاضطرابات والمظاهرات السلبية التي قصد منها التعبير عن الاستياء من السياسة التي تتبعها الحكومة وتأييد المطالب الوطنية الاساسية والبسيطة بوقف الهجرة وبيع الاراضي لا الجلاء والاستقلال التام ، ونتيجة لاعمال القمع والتعسف والبطش والاعتقالات والتشريد واطلاق النار على المتظاهرين العزل ، الى ثورة مسلحة هبت الشعوب العربية المجاورة الى نجدتها . فقدم فوزي القاوقجي احد ابطال الثورة السورية الى البلاد على راس جماعة من المتطوعين وانضموا الى اخوانهم الثائرين في فلسطين . وقد وقعت معارك حامية بين الثوار بقيادته ، وقوات الاحتلال المعززة بالمصفحات والدبابات والطائرات ، لم تستطع قوات الحكومة ان تحرز اي نصر حاسم فيها . بل على العكس عندما انتهى الاضراب استطاع القاوقجي اختراق طوق الحصار الذي ضرب حوله والانسحاب بقواته بشرف كذلك اشتهر في المعارك سعيد العاص الذي استشهد في معركة الخضر ما بين القدس والخليل وطارق الافريقي .

مصيبة العرب في ملوكهم وامرائهم وزعمائهم :

واستمر الاضراب التاريخي الاسطوري اكثر من ستة اشهر لم تلن فيه عزيمة الشعب ولم تفتر ، ووجدت الحكومة البريطانية نفسها في ورطة لم تحسب لها الحساب الكافي ولا تستطيع التخلص منها . ولم يجدها معها حشد الجيوش وشن حرب ابادة وارهاب على الشعب العربي الفلسطيني الصغير ، فراحت تستنجد بالملوك والامراء والزعماء العرب لتخليصها من هذه الورطة وكسر الاضراب . وقد قيض الله لها ملوكا وامراء وزعماء لا تتزعزع ثقتهم بها مهما عملت وغدرت بهم وخدعتهم وكالت لهم الصفعات واللطمات المرة بعد المرة ، فراحوا يتآمرون معها على كسر الاضراب وانهائه دون الحصول على اي بادرة عملية ملموسة على تغيير سياستها ، اعتمادا على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل . « ونثق بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » . (فقرة من نص النداء الملكي الذي وجهوه للجنة العربية العليا لانهاء الاضراب والاخلاد الى السكينة) . وينطبق عليهم قول الشاعر العربي :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد	ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يرجون من ظلم اهل الظلم مغفرة	ومن اساءة اهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته	سواهم من جميع الناس انسانا

واقول انا فليت لي بهم ملوكا وامراء وزعماء كأمان الله في افغانستان والامير عبد الكريم الخطابي بطل الريف والامير عبد القادر الجزائري ، ومصطفى كمال التركي ؛ وابراهيم هنانو وسلطان الاطرش ، والشيخ عز الدين القسام وغيرهم من الجنود المجهولين .

وعلى اثر هذا النداء الذي صادف هوى في قلوب اعضاء اللجنة او اكثرهم ؛ اصدرت اللجنة العليا نداءا الى الامة تدعو فيه الى انهاء الاضراب وكل أعمال المقاومة دون أن تحقق اي مطلب من مطالبها ، ولا حتى بادرة توحي بعزم الحكومة المحتلة على الاقلاع عن سياسة التهويد والقمع ومطاردة الذين اشتركوا في المقاومة والاضراب . بل بالعكس صرح وزير المستعمرات البريطاني بعد اسبوعين من وقف

الاضراب وانهائه ، ان الحكومة لا ترى سببا لايقاف الهجرة ولو مؤقتا . واصدرت اكثر من الفي شهادة هجرة ، بالاضافة الى الهجرة غير المشروعة والاشخاص الذين يملكون مبلغا من المال وغيرهم من الذين تتوقف معيشتهم على هؤلاء الرأسماليين . اي بمعنى اخر اضعاف الشهادات الرسمية .

ولم تستطع اللجنة العربية العليا في اعقاب هذا القرار وتحت ضغط الراي العربي العام ، الا أن تصدر بيانا باستنكار تصريح وزير المستعمرات ، معتبرة اياه تحديا شديدا لمشاعر العرب وعدوانا على حقوقهم ودليلا على فقدان حسن النية ، وكأن ما سبق من تصرفات الحكومة وممارساتها لم يكن كافيا لاثبات ليس غياب حسن النية فحسب بل سوء النية والاصرار على الاستمرار في العدوان المخطط والمبيت والغدر والخداع المتكرر ، وقررت مقاطعة اللجنة الملكية . غير انها لم تلبث ان تراجعت عن قرارها هذا ، نزولا عند رغبة اصحاب الجلالة والسمو الملوك والامراء والرؤساء العرب الذين أوصوا بانهاء الاضراب ، وقررت المثول بين يدي اللجنة الملكية .

وفعلا مثلت اللجنة في اوائل سنة١٩٣٧ أمام اللجنة الملكية وبسطت قضية فلسطين وشكواها أمامها ، وكررت المطالبة بايقاف الهجرة اليهودية وقفا تاما ، والعدول عن اقامة الوطن القومي اليهودي ، ومنع انتقال الاراضي العربية لليهود منعا باتا ، وانهاء الانتداب مع الاعتراف بموقع خاص ومصالح مميزة للاستعمار البريطاني ، وذلك على أساس انهاء الانتداب واقامة حكومة وطنية مستقلة ترتبط بمعاهدة مع بريطانيا تضمن مصالحها الاستعمارية على غرار المعاهدات المعقودة بين العراق وبريطانيا ، وسوريا ولبنان وفرنسا ، ومصر وبريطانيا . هذا في الوقت الذي كانت فيه هذه البلدان تكافح وتسعى جاهدة للتخلص من هذه المعاهدات الجائرة وغير المتكافئة والمنتقصة لسيادتها القومية والمقيدة لاستقلالها . وهكذا بلغ العرب من أنفسهم ما لم يتمكن الاعداء الانجليز والصهاينة بلوغه معهم، فأفشل الاضراب وهدرت دماء آلاف الشهداء ، وبددت الجهود والتضحيات الجسيمة التي قدمها الشعب الفلسطيني على يد الملوك والامراء والزعماء الذين نصبوا ملوكا وامراء وزعماء بنعمة بريطانيا . لقد حشد الانكليز قوات تقدر بأكثر من ثلاثين الف جندي مجهزين احسن تجهيز ومزودين بالدبابات والمدفعية الثقيلة والجبلية والطائرات ، ومارسوا أوحش أساليب القمع لتحطيم معنويات الجماهير ، وفرضوا الاحكام العرفية وراحوا يفرضون العقوبات الجماعية على القرى ويدمرونها لافقارها ومن ثم عزلها عن الكفاح ، ويعتقلون كل من يشتبهون به ، وينفون ويبعدون دون محاكمة او توجيه اي اتهام ، للقضاء على الثورة وكسر الاضراب فلم يتمكنوا . فتطوع لذلك الملوك والامراء والرؤساء .

لقد شمل الاضراب كما اسلفت ، جميع أفراد الامة وطبقاتها وفئاتها . وبرز الشعب موحدا كالبنيان المرصوص ، ولم يتعد عدد الخوارج اصابع اليد . ولكن

الذي شذ هو فئة الموظفين العرب وقد كنت ممن سعى السعي الحثيث وبذل جهـدا كبيرا لحملهم على الانضمام للاضراب والتوقف عن التعاون مع الحكومة ، ولزمت من اجل هذا الصديق موسى العلمي طيلة ايام الاضراب حتى اعتقالي في منتصف شهـر حزيران ، لاقناعه بضرورة ذلك ولكني لم افلح . والسبب هو تخوف الموظفين انفسهم من فقدان وظائفهم ، وكون بعض اعضاء اللجنة انفسهم ، وعلى رأسهـم رئيسهـا ورؤساء البلديات ضد هذه الفكرة لان في هذا الاضراب احراجا لهم ، ولو انهم كانوا يدعون انهم غير موظفين وانهم منتخبون . فحتى لو صح هذا الادعاء ، فهو لا يعفيهم من الاضراب ، لانهم بحكم مناصبهم التي كانوا يشغلونها وحتى ولـو عـن طريـق الانتخاب ، ملزمون بالتعاون مع الحكومة ، وهذا بالضبط مـا كان الاضراب يقتضي الامتناع عنه . وتجدر الاشارة بهذا الصدد الى أن بعض رؤساء البلديات السابقين الذين فقدوا مناصبهم ، كانت هذه الفكرة تدغدغهم لا عن وطنية ، ولكن لاحراج الذين حلوا محلهم في رئاسات البلديات والمناصب الكبيرة . ومن جهة اخرى منحت الحكومة المحتلة اكثر كبار موظفيها العرب اجازات طويلة خـارج البـلاد لتفادي احراجهم وانقاذهم من الضغوط للمشاركة في الاضراب . واخيرا وبعد اخذ موافقة الحكومـة وبناءا على توصية جورج انطونيوس ، وبدافع الاخلاص للحكومة والغيرة عليها تجرأ الموظفون على تقديم مذكرة يطالبون فيها بوقف الهجرة تمهيدا لاعادة النظام واستتباب الامن والاستقرار وحسب .

التفاعل والتضامن بين الاقطار العربية :

ولم تقتصر الموجة الثورية عامة سنة ١٩٣٦ على فلسطين وحدها، ففي نفس العام اجتاحت الهبات والثورات التحريرية العالم العربي كله . فقـد قامـت في سوريـا مظاهرات واضراب استمر حوالي الشهرين وانتهى بفوز الحركة الوطنية ، واعتراف فرنسا باستقلال سوريا ، وعقد معاهدة معها كمعاهدة العراق مع بريطانيـا . وفي مصر ايضا وقعت انتفاضة جماهيرية انتهت باعادة دستور سنة ١٩٢٣ المعلق ، وبانهاء الاحتلال العسكري رسميا ، ومعاهدة بين مصر وبريطانيا تمنح الاخيرة حق ابقاء قوات في قناة السويس فقط . كذلك في العراق ادى انقلاب بكر صدقي المعادي للامبريالية البريطانية الى قيام حكومة حكمت سليمان التي اتخذت طابعـا معاديـا للاستعمار الانجليزي .

لجنة اللورد بيل واول تقسيم :

وعلى اثر وقف الاضراب وانهائه قدمت الى البلاد اللجنة الملكيـة برئاسة اللورد بيل التي اعلن عنها وزير المستعمرات . وبعد استماعها الى شهادات العرب واليهود أصدرت في أوائل سنة ١٩٣٧ قرارها وتوصياتها التي تتلخص في انهاء الانتداب واقامة دولتين في فلسطين ، التقسيم عربية ويهودية ، واقتطاع اجزاء من البلاد ووضعهـا

تحت سلطة الانتداب لحمايتها بوصفها أماكن مقدسة : دولة عربية في القسم الفلسطيني المخصص للعرب وفي شرق الاردن المتاخم له ، ودولة يهودية في مناطق ساحل فلسطين حيث احتشدت المستوطنات اليهودية ، وابقاء الاماكن المقدسة : القدس ومنطقتها ، والناصرة ومنطقتها ، وطبريا وما جاورها ، تحت اشراف الدولة المنتدبة المباشر للمحافظة على قداستها وحرية الوصول اليها .

وقد اثار هذا التقرير ، تقرير التقسيم ، موجة احتجاج وسخط عارمين ، ودفع العرب الى تصعيد النضال وتشديده . واعلنت اللجنة العربية العليا رفضه رفضا باتا ، وتضامن معها في هذا جميع الدول والاقطار العربية والمسلمون في الهند . وتجددت الثورة المسلحة بعنف أشد وعزم امضى واتسعت اتساعا كبيرا حتى شملت جميع أرجاء فلسطين . ولم يجد في قمعها حشد عشرات الالوف من القوات البريطانية التي تعززها المصفحات والدبابات ومختلف انواع المدفعية الثقيلة والجبلية ووضعها تحت قيادة قائد من أكبر قوادهم العسكريين الجنرال « ديل » .

وقد تم للثوار في هذه الاثناء او من خلالها تحرير مناطق واسعة من البلاد شملت القدس ونابلس ورام الله وجنين وطولكرم والخليل . وانزوت الحكومة في القلاع والحصون التي انشأتها والتي كانت تسمى معاقل تيجارت على اسم الخبير الذي أوصى بانشائها واعتصمت فيها . واستمرت هذه الثورة التي كان القرويون والفلاحون عمادها الى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ . وقد حاولت السلطات القضاء عليها وقمعها باعلان اللجنة العليا هيئة غير مشروعه في أواخر سنة ١٩٣٧ ونفي عدد من أعضائها : احمد حلمي باشا ، والدكتور حسين الخالدي ، وفؤاد سابا ، ورشيد الحاج ابراهيم ويعقوب الغصين الى سيشل خارج البلاد ، ولم تتمكن من أو لم ترد اعتقال الحاج أمين الحسيني وفضلت خروجه من البلاد . كما أن جمال الحسيني افلت من الاعتقال .

وحري بالذكر بهذه المناسبة أن فريقا من الثوار اعتصموا في داخل البلدة القديمة في القدس وسدوا أبوابها ومنعوا قوات الاحتلال الانجليزية من دخولها مدة تزيد على العشرة ايام ، فضربت عليهم حكومة الانتداب وقواتها الحصار الشديد بقصد تجويعهم وتعطيشهم وارغامهم على التسليم . غير أن هذا الحصار لم يفلح في كسر مقاومة المعتصمين ، مما اضطر الحكومة الى حشد قوات كبيرة واقتحام المدينة على جثث وأشلاء الاطفال والنساء والرجال العزل ، اذ لم يكن عدد المسلحين بأسلحة قديمة بالية داخل المدينة يزيد على عشرين شخصا ، وكان الجند حين دخلوا المدينة يطلقون النار دون تمييز على كل شيء تقع اعينهم عليه أو يتحرك ، مما ادى الى مصرع اكثر من خمسين الى ستين معظمهم من الاولاد والاطفال الذين لم تتجاوز اعمارهم السابعة او الثلاثة عشر عاما ، والنساء الذين كانوا يتولون توزيع الخبز والماء على المحاصرين . وهكذا تغلبت الكثرة على الشجاعة ، والسلاح المتطور الوفير على

السلاح البدائي النادر . وقد كانت المقاومة داخل المدينة اذ ذاك تحت قيادة خطاط من نابلس يدعى شكيب القطب .

الزيـــارة للعـــراق عـــام ١٩٣٨ :

وقد صدف أن قمت في سنة ١٩٣٨ بزيارة للعراق بمناسبة عقد مؤتمر الاطبـــاء العرب في بغداد في عهد حكومة جميل المدفعي بعد مقتل بكر صدقي ، والتقيت ببعض رجالاته الوطنيين المعادين للامبريالية الانكليزية : امثال كامل الجادرجي . ونخرى آل جميل ، ومحمد حديد وحسين جميل ، وصالح جبر ، وعبد الفتاح ابراهيم، ويوسف عز الدين ، وعزيز شريف ، وكامل قارانجي ، وناظم الزهاوي وغيرهم . فتوطـدت صداقتي مع بعضهم ، وخصوصا محمد حديد ، الذي كنت قد التقيت بـه مـن قبل في لندن في الثلاثينات وحسين جميل وجميل كبه . وكان الشعـور الوطني والادراك بأن الاستعمار انكليزيا او فرنسيا او ايطاليا ، هو عدونا الرئيسي ، وان لا خـلاص لاي قطر عربي الا بالتضامن والاتحاد والتنسيق بين نضالات جميع الشعوب العربية في مختلف اقطارها ، أكبر وأوثق رابط يربطنا ويشدنا الى بعضنـا البعض . وقـد تجددت هذه الصلات فيما بعد في لقاءات مع بعضهم هنا في القدس وفي انكلترا .

التخلي عن قرار التقسيم ولجنة رودهيد :

وفي اعقاب الثورة والمقاومة العنيفة ورفض التقسيم من العرب رفضا باتا ، وقبول بعض الصهيونيين به ورفض آخرين له ، اوفدت الحكومة البريطانية لجنة ثانية في منتصف سنة ١٩٣٨ برئاسة السير جون وودهيد لدراسة وسائل التقسيم ، فخرجت بنتيجة مفادها انه غير عملي وغير ممكن التطبيق في الظروف الراهنة،فاعلنت حكومة الانتداب التخلي عنه في أواخر سنة ١٩٣٨ ، ودعت بدل ذلك ، وفي محاولة لايجاد مخرج لها ، الى عقد مؤتمر ثنائي ثلاثي ، اي انكليزي عربي يهودي دعت اليه حكومات العراق ومصر والسعودية ، واليمن باستثناء سوريا ولبنان مـن جهـة ، والوكالة اليهودية في فلسطين التي كانت تمثل ليس اليهود في فلسطين فقط بل جميع المنظمات اليهودية والصهيونية في العالم على اعتبار أن وعد بلفور كـان للشعـب اليهودي بأسره . وكما كان متوقعا أو المقصود له ، لم يتوصل المؤتمر الى اتفاق واخفق ، وهذا أتاح الفرصة للحكومة البريطانية لفرض الحل الذي اعدته .

الكتـــاب الابيض لعام ١٩٣٩ :

وهكذا أصدرت الحكومة البريطانية قبيل الحرب العالمية الثانية كتابهـا الابيض لعام ١٩٣٩ بشأن القضية الفلسطينية الذي ينص على أن انهاء الانتداب يتطلب نشوء علاقات ما بين العرب واليهود من شأنها جعل حكم البلاد حكما صالحا في حيز الامكان، بمعنى أدق جعلت انهاء الانتداب والتخلي عنه وقفا على موافقـة الطرفـين العرب

واليهود الامر الذي كما هو ظاهر مستحيل . اذ أن اليهود لن يقبلوا بهذا قبل أن يصبحوا أكثرية في البلاد ، ولن يتيسر لهم ذلك الا في ظل الحراب البريطانية ، وعلى أن يسبق هذا ، انهاء الانتداب وتشكيل الدولة المستقلة في فلسطين ، فترة انتقال مدتها عشر سنوات تقوم خلالها الحكومة المقترحة بعقد معاهدة مع بريطانيا تحفظ حقوق ومصالح الاخيرة المميزة ومتطلباتها الحربية (الحماية) . وأما فيما يتعلق بالهجرة فتقترح الحكومة البريطانية العدول عن قدرة البلاد الاقتصادية على استيعابها في تقديرها وتقترح قصرها على ٧٥ الف مهاجر ، ٣٥ الفا منهم حالا ، و ٥٠ الفا على مدى عشر سنوات ، وبعد ذلك تكون الهجرة وقدرها بموافقة العرب . واما مسألة الاراضي فيوكل الى المندوب السامي بتنظيم انتقالها او بمنعه على ضوء حالة المزارعين العرب ، بمعنى اخر لا يمنع بل ينظر في تحديده او تقييده .

وتدارست الهيئة العربية العليا المشروع المقترح في الكتاب الابيض ، وأصدرت بيانا سجلت فيه على الحكومة الانكليزية تسليمها نظريا ومبدئيا بمطالب العرب ، الا انها اخذت عليه تعليقه انهاء الانتداب وتأسيس الدولة الفلسطينية على رضاء اليهود وموافقتهم ، والكل على يقين انهم ، اليهود ، سيرفضونه ويعملون كل ما في وسعهم لاحباطه الى أن يصبحوا الاكثرية . واعتقد أن الهيئة كانت على حق في رفضه ، ولو أن الرفض كان غير قاطع وغير صريح . ولا بد هنا من الاشارة الى أن الثورة في أواخر سنة ١٩٣٨ بدأت تتعثر وتتلاشى بعد أن فقدت قيادتها الواعية وتفشت الاغتيالات التعسفية في صفوفها وصفوف الشعب الفلسطيني خدمة لمصالح شخصية وأنانيات ضيقة ، وكسب نفوذ على حساب الآخرين . مما أدى الى اضعاف الوحدة الوطنية والقومية التي تجلت في سنوات ١٩٣٦ و ١٩٣٧ والقسم الأكبر من سنة ١٩٣٨ وتمزيقها ، وفقدانها قاعدتها الجماهيرية والحماس الذي رافقها في بدايتها . فقد دب الفساد في صفوف الشعب وانقسم الى مؤيد للثورة ومعارض ومقاوم لها . وبادر البعض بتشجيع وتأييد من السلطات المحتلة وبحجة الدفاع عن النفس ، والتصدي للارهاب ، وعلى رأسهم فخري النشاشيبي بالتعاون مع جماعات من آل عمرو في دورا وآل العزة في بيت جبرين ، والشيخ شحادة ابو عرام شيخ مشايخ جبل الخليل في يطا ، ومشايخ ابو غوش في منطقة القدس والخليل ، وفخري عبد الهادي ، وفريد ارشيد ومؤازرة بعض رجالات المعارضة في منطقة جنين ونابلس ونايف الزعبي في الجليل الى تشكيل ما أسموه « فصائل السلام » . وقد كان لهذا الانقسام والاقتتال بين الاشقاء والتمزق اثره الخطير والعميق في حرب مقاومة التقسيم سنة ١٩٤٨ . وهكذا شيئا فشيئا تلاشت الثورة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ .

اما القيادة الصهيونية فقد اعلنت رفضها للكتاب الابيض رفضا باتا . وشنت عليه حربا شعواء ، ودعت اليهود الى مقاومته مقاومة عنيفة ، وعدم التعاون مع الحكومة

المحتلة على اساس هذه السياسة . وبدا اليهود والصهاينة اعمالهم الارهابية ضد سلطات الاحتلال . غير ان اندلاع الحرب العالمية الثانية وضع مؤقتا حدا لها .

واما الحركة الوطنية العربية فقد اعتراها هي ايضا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية جمود ، وتخلت عنها القيادة التقليدية التي شردت الحكومة البريطانية بعضا منها واعتقلت البعض الاخر ، جمال الحسيني ، وامين التميمي ، ونفتهم الى روديسيا . وغادر البعض الاخر البلاد هربا من الاعتقال والتمع وعلى راسهم رئيس الهيئة العليا . ومن ثم تهاود نفرا اخر منهم مع الامبريالية البريطانية وعاد الى البلاد وعلى راسهم جمال الحسيني .

الحركة الطلابية ما بين سنوات ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٧ :

في هذه الفترة ايضا نشطت الحركة الطلابية بين العرب وتأسست اول جمعية لهم تحت اسم جمعية الطلبة العرب في بيت لحم ، وتبعها تشكيل جمعيات طلابية في معظم البلدان ، تحولت فيما بعد الى رابطة الطلاب العرب . واتسعت هذه الرابطة واتخذت لها منبرا في مجلة اصدرتها تحت اسم « الغد » في منتصف سنة ١٩٣٨ ، وراحت تبث من على صفحاتها الوعي القومي والروح الوطنية الصحيحة وفكرة الجماعة بدل الفردية والانانية ، وتحقيق المصلحة الذاتية عن طريق تحقيق المصلحة العامة ومصالح المجموع لا على حساب المصلحة العامة او مصالح المجموع ، مجموع الشعب ، وتستنهض همم الشباب للكفاح والعمل على انهاض المجتمع العربي ، ليس في المدن فقط بل وفي الريف خاصة ، والعناية بالفلاح والقرى والطبقات الفقيرة ، فأنشأت مدارس لمكافحة الامية ، وعملت على بث فكرة التعاون في الريف وسعت الى اقامة جمعيات زراعية تعاونية لرفع مستوى الفلاح وتحسين مدخولاته وانهاضه .

ويعود الفضل في نشوء هذه الحركة ونموها واتساع نشاطها وانتشارها الى مبادرة الرفيق عبد الله البندك بمؤازرة بعض الطلاب والاساتذة وفي مقدمتهم داود ترزي ، وجميل مسلم وسعيد الدجاني وعوني الدجاني والياس فريج وغيرهم ، وقد استمرت هذه الحركة في النمو والانتشار والتطور الى ان انبثقت عنها في عام ١٩٤٥ « رابطة المثقفين العرب » . وتحولت الغد الى لسان حال لها يشرف على اصدارها وتحريرها مخلص عمرو وعبد الغني الخطيب ، وعيسى شاكر ويساهم في تحريرها عدد غير قليل من الكتاب من بينهم عبد الرحمن الكيالي ، وقدري طوقان ، وخليل البديري ، وعوني الدجاني ، وعقيل هاشم ، وفؤاد نصار ، واميل حبيبي ، واميل توما ، وتوفيق طوبى ، ومحمد فياض ، وعيسى الناعوري ، ورئيف خوري واخوان من الشباب التقدمي في العراق ومصر . وقد استمرت الغد في الصدور حتى اواخر سنة ١٩٤٧ ، وساهمت بدور كبير في بث ونشر الافكار التقدمية والاشتراكية العلمية .

وقد نشرت فيها في اوائل عام ١٩٤٥ المقالة التالية تحت عنوان « رسالة الطب والاطباء » التي كنت قد القيتها كمحاضرة في الجمعية الطبية الفلسطينية العربية في نفس العام :

« ليس من شك في ان الفارق الاساسي بين الانسان والحيوان ، هو ان الانسان يحمل رسالة يحاول تأديتها في هذه الحياة ، وله هدف يجهد لتحقيقه . فاذا ما انعدمت هذه الرسالة وانفقد ذلك الهدف ، اصبح والحيوان سواء بسواء . ورسالة الانسان فيما ارى هي ان يجعل الحياة اسعد وابهج ، وان يسمو بها عن طريق اكتساب المعرفة واكتشاف نواميس الطبيعة والسيطرة على جميع العناصر وتسخيرها لارادته الى حد الكمال ، اي ان يصبح المسيطر التام في الكون .

والطب لا بد له من رسالة . فهل يكون مجرد وسيلة للكسب السهل تقوم على اساس الاستفادة من آلام المرضى واوجاعهم لتكديس الاموال وجمع الثروات ؟ ايكون الطب تجارة او حرفة كباقي الحرف ، والطبيب تاجرا يتاجر بالالام والاوجاع ؟ كلا ان الطبيب ارفع من هذا ، والطب اسمى من هذا ، والطب أسمى من أن يسخر لجمع المال . فما هي رسالة الطب ؟ وما هو واجب الطبيب ؟

تتلخص رسالة الطب في تأمين الصحة التامة جسما وعقلا لكل انسان مدى الحياة ولتحقيق هذا الهدف ، ترتكز هذه الرسالة على المبادىء التالية :

١ — المحافظة على الصحة .
٢ — منع الامراض والوقاية منها .
٣ — اكتشاف الامراض وتشخيصها .
٤ — معالجة الامراض وازالتها .
٥ — ارجاع الصحة .
٦ — التثقيف او التهذيب الصحي .

وكل هذه المبادىء الاساسية يحتاج الى شرح وتفصيل فلنبدأ بالاول وهو المحافظة على الصحة ، ونبحثه بالنسبة الينا ولاوضاع شعبنا العربي بصورة خاصة .

تقتضي المحافظة على الصحة العناية بالانسان وظروف معيشته منذ ولادته بل قبل ان يولد ، اذ لا يمكن أن نفترض أن جميع الاطفال يولدون اصحاء . فكثيرون منهم يخرجون الى الحياة وهم مصابون بعلل او عاهات وراثية او جنينية . ولهذا كان من الضروري اعتناء الاباء والامهات والاجداد بصحتهم وهذا يعني أول ما يعني توفير الغذاء المفيد الكافي لجميع بني الانسان . كذلك يلزم الاهتمام بمسكن الانسان وملبسه والاعتناء بالظروف والشروط التي يعمل ويعيش فيها . هذه بالايجاز مقتضيات المحافظة على الصحة . ولتطبيق هذا المبدأ على حياة شعبنا ، يتحتم علينا أن

نستعرض حالته الغذائية ، واحوال سكنه وملبسه حتى نتمكن من تبيين حاجاته ومستلزماته ، ومن ثم نعمل على ايجادها .

وبهذه المناسبة يجب أن أعترف أننا معشر الاطباء العرب مقصرون جدا . فلم يعن احد منا بدراسة احوال شعبنا الصحية . وليس لنا ما نرجع اليه في هذا الشأن الا تقرير الدكتور فيكرز عن الحالة الغذائية الاقتصادية في فلسطين في سنتي ٤٢ و ٤٣ . وقد نشر في أواخر سنة ١٩٤٤ . ويجدر بكل طبيب عربي يهمه تحسن حالة شعبه الصحية ، والنهوض به الى مستوى الامم الراقية أن يدرسه بروية وامعان .

يتضح من دراسة هذا التقرير ان ما يقرب من ٨٠٪ من مجموع شعبنا العربي في هذه البلاد لا يتناولون الغذاء الملائم الكافي . ويعلم الجميع ان الحياة لا تقوم الا بالغذاء . ان الوحدة القياسية للمواد الغذائية هي الكالوري . وحسب تقرير فيكرز على اساس تقرير لجنة خبراء في التغذية عينتها عصبة الامم قبل الحرب الحاضرة ، يجب ان يحتوي الغذاء الكافي للشخص المتوسط الحجم والوزن على ٣٠٠ كالوري يوميا . ولكن ليس يكفي أن نقرر كمية الكالوريات الكافية . فان المواد الغذائية تنقسم الى مواد نشوية زلالية او بروتينية ودهنية ، ومن الضروري ان نحدد النسبة اللازمة من كل من هذه المواد في الغذاء الكامل . وحسب تقدير فيكرز ، فان ٦٠٪ من مجموع الكالوريات يجب أن يأتي من المواد النشوية و ٣٠٪ من المواد الدهنية و ١٠٪ من المواد الزلالية (اي ان الغذاء الكامل في فلسطين يجب ان يتكون ٤٣٥ غراما من المواد النشوية و ٦٨ غراما من المواد الزلالية و ٦٠ غراما من المواد الدهنية في اليوم ، وليس هذا كل ما في الامر ، فان الغذاء لكي يكون كاملا يجب أن يحتوي على مواد يصح أن تسمى واقية ، وهي المعادن والفيتامينات ٪ واهمها الكلس والفسفور والحديد ، وفيتامينات A. B. C. D. كذلك يجب ان تاتي نسبة معينة من المواد الزلالية والدهنية من مصادر حيوانية ، لاحتوائها على عناصر ذات تاثير كبير في النمو ، معقودة في المواد الدهنية النباتية .

وهاكم ما يحتاجه الجسم يوميا من المعادن والفيتامينات :

الكلس ١٥ر١ غراما ، الفسفور ٦١ر١ غراما ، الحديد ١٥ مليجراما
والفيتامينات : فيتامين ا ٣٠٠٠ — ٤٥٠٠ وحدة دولية
فيتامين ب ٥٠٠ : :
فيتامين س ٥٠ — ٧٥ مليجراما

ليس ملء المعدة بالطعام كاف للظن أن الانسان نال حاجته من الغذاء . فان لم يحتوي الغذاء على العناصر الواقية والضرورية ، ، تعرضت الصحة للبقاء في حالة سيئة وحتى الحياة تعرضت للخطر . ولم يعد خافة على احد ، الامراض التي تنشا من سوء التغذية كالكساح والسكربوط ، والبربيري ، والبلاجرا ، وتسوس الاسنان ،

وبعض حالات فقر الدم ، وضعف مقاومة الجسم للامراض التي تنتابه ، كما إن هنالك علاقة وثيقة بين الغذاء ، والنمو الطبيعي الجسماني والعقلي والنشاط والقدرة على العمل . فلا يجهل احد مثلا ما لنقص الكلس من اثر في تكوين العظام والاسنان وتجمد الذم وانتظام وظائف الاعصاب

ولنرجع الان الى درس حالة التغذية عند شعبنا على ضوء هذه المعلومات . فماذا نرى ؟

يستفاد من تقرير الدكتور فيكرز السالف الذكر ، ان ما يقرب من ٦٠٪ من مجموع الشعب العربى لم يكن يحصل فى سنة ١٩٤٢ على الكالوريات الكافية اى انه كان يعانى نقصا كميا في التغذية . ويشير التقرير الى ان تحسنا كبيرا طرأ على هذه الحالة في سنة ١٩٤٣ ، ويعزوه الى التقنين ورفع مستوى الاجور والمعيشة بين الطبقات الفقيرة . ولكنه ينسى ان هذا قد يكون تحسنا طارئا فقط بسبب ارتفاع الاجور ، والاعمال التى اوجدها الجيش خلال مدة الحرب لذلك لا يمكن تعليق اهمية على هذا التحسين ، ولا نكون مخطئين اذا قصرنا النظر على الحالة سنة ١٩٤٢ لانها اقرب الى الحالة الطبيعية .

ان اهم المواد التي تنقص في الغذاء هي الكلس فيتامين «أ» وهذا ناشىء عن قلة استهلاك الحليب والمواد الزلالية والدهنية الحيوانية يقول تقرير الخبراء الذين عينتهم عصبة الامم ان الاحداث في طور النمو ،والحوامل والمرضعات يجب ان يتناولوا ما بين ثلاثة ارباع اللتر واللتر من الحليب يوميا . وقد ذكرت قبلا ما للكلس من الاهمية في تكوين العظام والنمو ، وما للفيتامينات خصوصا فيتامين «أ» من اثر ظاهر على صحة العين والبصر في العتمة اي عند الغروب وفي الظلام ، وكذلك على جهاز التنفس والانسجة ، ان فيتامين «د» مفقود تماما تقريبا في الغذاء ولولا نعمة الشمس في هذه البلاد لكان لنقصه اثر سيء جدا فى الحالة الصحية فلا يخفى عليكم ضرورة وجود الفيتامين «د» ليتمكن الجسم من تمثيل الكلس والفسفور الذي يتناوله في الغذاء ، والدور الذي يلعبه فى تكوين العظام والاسنان

هذه بايجاز اهم النواقص في الغذاء عند العرب ، وهي طبعا ناتجه عن الفقر وانحطاط مستوى المعيشة . وللتدليل على ما لها من اثر في صحتهم العامة يكفى ان نورد الارقام التالية :

لقد اظهرت الاحصاءات والفحوص الصحية بين التلاميذ العرب ان حالتهم الصحية ونموهم الجسمي ادنى بكثير مما عند اليهود فوجد ان عند ٦٤ بالمئة منهم يبدو اعراض نقص او سوء في التغذية وكذلك ظهر عند ٤٠ بالمئة منهم علائم فقر الدم ، بينما لم تظهر الا في ١٣ بالمئة من اليهود الشرقيين و ٨ بالمئة من اليهود الاوروبيين .

وقد كانت نسبة الاحداث الذين هم في حالة نمو وصحة جيدة بين مختلف الطوائف كما يلي : العرب ٣٥ر٥ بالمئة — اليهود الشرقيون ٥٨ بالمئة — اليهود الغربيون ٦٧ بالمئــة

واما حالة السكن عندنا فلا يجهل احد ما هي عليه ، ولا عبرة بالقليلين الذين يسكنون البيوت الصحية في المدن الكبيرة فالاكثرية الساحقة تقطن داخل السور في بيوت غير صحية مكتظة بالسكان فكثيرا ما تؤوي غرفة واحدة اكثر من خمسة او ستة اشخاص وتضم دار واحدة اكثر من عائلتين او ثلاثة . وعلى العموم لايتجاوز مسكن العائلة الغرفة او الغرفتين ، وليس فيه منافع صحية كافية . والدور في البلدة القديمة عادة مظلمة رطبة لا يتخللها النور والهواء الكافيان واما المساكن في القرى فاكثرها لا يصلح زرائب للحيوانات والبهائم وزيارة واحدة للقرى العربية كافية لاقناع اي كان بوجوب هدم اكثرها بالمره وبنائها من جديد .

واما اللباس وخاصة في القرى فهو غير صحي ، وكثيرا ما يساعد على التعفن بمنعه نور الشمس والهواء من التخلل الى الجسم والحذاء مفقود بالمرة اذ اكثر الفلاحين حفاة ، وهذا يعرضهم للامراض التى تتسرب الى الجسم من الاقدام كالانكلستوما والبلهارسيا وغيرها .

ان لهذا كله اثرا واضحا في الحالة الصحية عندنا ، فقد بلغت نسبة الوفيات عند العرب في الماضي ١٩ بالمئة بينما لم يتجاوز ٧ر٥ بالمئة عنـــد اليهود . ونسبة وفيات الاطفال بلغت ١١ر٣ بالمئة عندنا و ٤ر٤ بالمئة عند اليهود .

وننتقل الان الى المبدا الثاني ، وهو منع الامراض والوقاية منها . وهذا يشمل القضاء على اسباب الامراضــ والمصادر التي تنشــأ منها الميكروبات كالمستنقعات والاوساخ ، والتطعيم في حالة انتشار مرض سار او التطعيم الواقي كالتطعيم ضد الجدري والتيفوئيد والتيفوس والدفتيريا وبقية الامراض التي اثبت العلم امكان ايجاد مناعة ضدها بواسطة التطعيم وجعل هــذه الوسائل في متناول الجميع وتأمــين المساكن الكافية لمنع الازدحام .

واما المبدا الثالث وهو اكتشاف الامراض وتشخيصها ، فهو امر طبي محض يستلزم وجود عدد كاف من الاطباء الاكفاء ذوي التدريب والاختبار الكافيين ، وتوفير المستشفيات والمختبرات الكيماويــة والتعاون الوثيق بــين الاطـــباء العموميين والاخصائيين ولكن اكتشاف الامراض وتشخيصها ما هو الا مقدمة لمعالجتها وشفائها وهذا يستلزم بالاضافة الى توفير العدد اللازم من الاطباء والجراحين والمستشفيات ودور الولادة ، العقاقير والادوية الطبية اللازمة والصيادلة والمختبرات الكيماوية ودور اشعة اكس ومحطات الراديوم

ووضع هذا كله في متناول الجميع . ونظرة واحدة الى الحالة في بلادنا ترينـــا ان القرى خالية بالمرة من الاطباء والمستشفيات ، حتى المدن قليلة المستشفيات والاسره . ففي القدس وقضائها التي يبلغ عدد سكانها العرب ١٥٠ الفا ، لا يبلغ عدد اسرة المستشفى ١٣٨ ، بينما القسم المخصص للانكليز . وهـم يعدون بالمئات يبلغ ٦٣ واذا قارنا عدد الاسرةفى المستشفيات في فلسطين ، التيفي خدمة العرب واليهود ، لوجدناها بنسبة ٢ر٥ بينما السكان بنسبة ٢ ـ ١ اذ عدد الاسره فى المستشفيات التى تحت خدمة اليهود هو ١٨٦٤ بينما التي في خدمة العرب لايتجاوز ال ٧١٨ . ومراكز رعاية الطفل ٥٦ عند اليهود و ٤٤ عند العرب لكن كل ما سلف لايفي بالغاية مالم يصحبه تاثيف او تهذيب صحي . اذا قد يتوفر الاطباء والمستشفيات والعلاج ، ويبقى الشعب ممتنعا عن الاستفادة منها لجهله

هذه اجمالا المبادىء الاساسية التى يرتكز عليها الطب وهذه لمحة عن حالـــة شعبنا الصحية الغذائية . وهي كما ترون تتطلب منا ، من الاطبـــاء العرب القيام بواجبات كثيرة وشاقة ، اذا ارادوا ان يكونوا امناء على الرسالة التي يحملونها يجب ان يعتنوا بصحة الشعب ، ويقضوا على مواطن الخطر بالتثقيف والدعاية، ويجب ان يعملوا لرفع مستوى المعيشة . وعليهم ان يكونوا لسان حال الشعب في المطالبة بتوفير العدد الكافي من الاطباء والمستشفيات والاســـرة الكافية ودور الوقاية ومحطات الراديوم ودورة العجزه وملاجىء للمصابين بالامراض الغـــير قابلة للشفاء . بكلمة موجزة ، ان الطب لا يمكن ان يؤدي رسالته الا اذا ادرك الاطباء انه ، كما قال البروفسرو فير شو ، علم اجتماعي يستهدف منفعة المجموع وعملوا على جعله في متناول الجميع

« عن الغد سنة ١٩٤٥ »

سنوات الحرب العالمية الثانية ما بين سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥ :

ساد الهدوء والاستقرار فلسطين طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية ما بين سنة ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ ، وتوقفت الاصطدامات توقفا تاما بين العرب من جهة والحكومة والصهيونيين من جهة ثانية . ونتيجة للحرب ازدهر النشاط الاقتصادى في الناحيتين العربية واليهودية ونمت الطبقة العاملة العربية نموا كبيرا من جراء انشاء وانتشار المشاغـــل والورش في معسكرات الجيش البريطاني الامر الـــذى اقتضته صعوبة المواصلات ومخاطرها . كما دى الى اقامة بعض المصانع والورش العربية المحلية لسد حاجات القوات العسكرية واحتياجات البلاد . وقد شمل هذا الاتساع والانتعاش الاقتصاد اليهودي ايضا ، وادى هذا التطور الى نهوض الحركة العمالية العربية واتساعها وتاسيس النقابات والاتحادات العمالية العربية . ويعود الفضل الاكبر في ذلك الى جهـــود ومبادرات اعضـــاء عصبة التحرير الوطنـــي

والشيوعيين العرب . واستأنفت جمعية العمال العربية الفلسطينية ، التي كانت قائمة قبل اضراب سنة ١٩٣٦ العام ، نشاطها بعد ان تخلصت من القيادات الدخيلة غير العمالية التي حاولت استغلالها لبناء مراكز قوة لها والركود الذي اصابها من جراء القمع البريطاني سنة ١٩٣٦ .

عصبة التحرر الوطني :

وفي حين اختفت القيادة التقليدية من المسرح في غضون سنوات الحرب الاولى برزت الى الوجود تحت اسم « عصبة التحرر الوطني » في السنة الرابعة من الحرب اي سنة ١٩٤٣ قوة وحركة جديدة تميزت عن القوى السابقة باعتمادها على جماهير الشعب وعلى الثقة بها ، وعدم الارتباط بالملوك والامراء او تعليق الامال والثقة بهم .. بل تضع كل ثقتها بالشعب وسواده ، صاحب المصلحة الحقيقية في الاستقلال التام الناجز والتحرر من كل استغلال ، والذي لا تتحقق مصالح كل فرد منه الا بتحقيق مصالح الكل لا على حساب الاخرين ، والتي لاتلتقى مصالحه ابدا مع مصالح المستعمرين ، ترفع شعارات التحرر القومي والاجتماعي وتنادي وتطالب باشاعة الحريات الديمقراطية ، حرية الفكر والراي والنشر والاجتماع والتنظيم ، والاستقلال التام واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقلة ، وتعتمد لتحقيق ذلك على توعية الجماهير وتعبئتها وتنظيمها .

وقد اثار ظهور العصبة بقايا القيادة التقليدية التي بقيت في البلاد وخاصة من اعضاء الحزب العربي بقيادة توفيق صالح الحسيني شقيق جمال الحسيني استئناف نشاطهم ، ودفع بعض ابناء الطبقة المتوسطة والمثقفين الذين لارصيد اقطاعي او عائلي او عشائري لهم ، اذكر من ابرزهم الدكتور يوسف هيكل وخلوصي الخيري وفريد السعد وحنا نقاره ، الى محاولة تنظيم انفسهم ، وتكوين حزب على اسس عصرية على غرار الاحزاب في الغرب ، يتولى الدفاع عن مصالحهم وطموحاتهم وفعلا كونوا حزبا اسموه « حزب الشعب » ضم بعض ابناء الطبقة الوسطى من اصحاب المهن الحرة وقادة الحركة النقابية الاصلاحية الا انه لم يعمر طويلا ، ولم يكتب له البقاء لتغيير الظروف والاوضاع التي كان يعلق الامال عليها ويرتبط بها كنوري السعيد وموسى العلمي وبعض الساسة الانكليز الذين كانوا يتظاهرون بالعطف على العرب ويراهنون عليهم لضمان مصالحهم وتعزيز نفوذهم ومواقعهم في الشرق العربي بدلا من الاعتماد على الصهيونية والوطن القومي اليهودي ، ويحاولون خلق او ايجاد قيادة جديدة بديلة للقيادة القديمة مرتبط بهم وظيفة لهم كنوري السعيد واصحابه وتلاميذه ، تماما كما ينقسم السياسيون الامريكيون اليوم ويتظاهر البعض منهم بالعطف على العرب وقضاياهم السياسية ويحاولون ايجاد قيادة بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية تثق بهم ويثقون بها وتدور في فلكهم ، بينما تفضل الاكثرية منهم الاعتماد على الصهيونيين ودولة اسرائيل .

أنا والحرب العالمية الثانية :

لقد نشبت الحرب العالمية الثانية في اواخر صيف سنة ١٩٣٩ وبدأت المانيا الهتلرية بغزو بولندا واجتياح النرويج والدنمارك وهولندا وبلجيكيا وفرنسا ودول البلقان . وقد كنت طيلة السنتين الاوليين للحرب امل واتمنى ان تندلع الثورات الاجتماعية على الانظمة المجنونة التى تزهق ارواح الملايين من البشر وتنشر الخراب والدمار والكوارث لاعادة اقتسام العالم او توزيع المستعمرات وتحمل في طياتها نذر حروب جديدة. ولما قامت المانيا الهتلرية بعدوانها الغادر على الاتحاد السوفياتي في صيف ١٩٤١ ، ايقنت بانها سائرة الى الهزيمة ، ولم يخامرني شك ، على الرغم من توغلها مسافات واسعة في الاتحاد السوفياتي ، ووصولها الى ضواحي موسكو ومحاصرة لينينغراد واحتلالها شبه جزيرة القرم ، واطلالها على القفقاس ، ومنابع البترول في باكوو باطوم ، بان النصر سيكون حليف الاتحاد السوفياتي (وحلفاءه بالضرورة والاكراه لا الرغبة والاختيار) . ذلك لاعتقادي بان الغلبة ستكون للحق وللشعوب التي تحارب عن ايمان ، ودفاعا عن المثل العليا والانسانية والحرية والعدالة ، وحق الشعوب في تقرير مصائرها بنفسها ، وضد النظم التي تسبب الحروب وتولدها . وقد قادتني قناعتي هذه الى مشادات ومصادمات مع كثير من معارفي واصدقائي الذين كانوا يتمنون ، لكرهم للاستعمارين الانكليزي والفرنسي انتصار المانيا الهتلرية جريا وراء المثل القائل « عدو عدوك صديقك » ، ناسين ان عدوا عاقلا خير من صديق جاهل ، وغير منتبهين الى ما يضمره ويبيته لهم هتلر وموسوليني من نوايا تستهدف استعبادهم واستغلالهم لمئات من السنين ، مستندين في ذلك الى ما ابتدعوه من نظريات عرقية تخولهم حق حكم العالم ، والتصرف بمقدرات جميع الشعوب وتسخيرها لمصلحتهم وخدمتهم ، ويبررون ذلك بتفوق وتميز وسمو العرق الارى والجنس الابيض على جميع الاجناس والاعراف ، وتصنف الشعوب على درجات على رأسها الشعب الجرماني وفي اسفلها الشعب العربي . ويكفي للدلالة على هذا ما جاء في احد خطابات هتلر في جمع من الطلبة في مستهل سنة ١٩٣٦ اكد فيه ، ان لاوروبا الحق في الاستعمار لان الله قدر للبيض ان يحكموا العالم . وعندما انتهت الحرب كما كنت موقنا بانهزام هتلر وموسوليني وانتصار الاتحاد السوفياتي وحلفاءه الضرورة والغدر ، كنت امل واتمنى ان يعقب ذلك انتصار للثورات الاشتراكية في اوروبا كلها ، وتحرر جميع البلاد المستضعفة والمستعمرات . وهكذا توضع مرة والى الابد نهاية للحروب والكوارث ، ويقوم عالم يسوده العدل والسلام والاستقرار والرخاء والتعاون والتضامن ، بدل التنافس والتنازع والسيطرة والهيمنة والتحكم والاستغلال والاحترام ، كل شعب حقوق الشعوب الاخرى ، وكل الشعوب حق كل شعب . ولكن امنيتي هذه وتوقعاتي لم تتحقق بكاملها ، فعلى الرغم من تحرر اكثر اقطار اوروبا الشرقية ، ونشوب الثورات التحريرية في البلقان ، لم تشمل الثورة اقطار اوروبا كالمانيا والنمسا وفرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال ولنمسا

انها كانت على قاب قوسين او ادنى منها . ولم تنجح الثورة في اليونان بالرغم ن المعارك البطولية التي خاضها الشعب اليوناني بقيادة منظمات «ايلم» و «ايلاس» ضد الرجعية المحلية والجيوش البريطانية والامريكية ، مع انه لولا تألب قوى الرجعية العالمية كلها عليها والتدخل السافر والمكثف للجيوش البريطانيةوالامريكية ضدها لكانت اليونان اليوم في عداد منظومة الدول الاشتراكية . كذلك لم تشمل الثورة الاجتماعية تركيا وايران. ولوانها تركت تاثيرها وبصماتها والقت ظلالهاعليها فتحققت بعض الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية . كما تمت في انكلترا وبقية الدول الاوروبية وامريكا نفسها (خشية امتداد الثورة ونجاحها) بعض الاصلاحات الاجتماعية وقيام ما يدعي دولة الرفاه ، في الدول الاسكندنافية وانكلترا لفترة من الزمـــــن .

هذا وقد ادى انتشار شعارات الدفاع عن الحرية والديمقراطية وحق تقريـــــر المصير لكل الشعوب المستضعفة والمستعمرة والدول المغلوبة على امرها اثنـــاء الحرب الى نهوض حركات التحرر في آسيا وجنوب امريكـــا ووسطها ، وتحقيـــق اكثريتها استقلالها السياسي الشكلي إن لم يكن الكامل لان الاستقلال الاقتصادي والذهني شرطان اساسيان لا بد منهما لاستكمال الاستقلال السياسي . وقد ادى تصاعد هذه الحركات في النهاية الى استقلال الهند والصين واكثر دول جنوب شرقي اسيا والمستعمرات البريطانية والفرنسية في افريقيا .

وقبل انهاء الحديث عن سنوات ما بين ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، يجب ان لا يفوتني ذكر حادث هام وقع في العراق سنة ١٩٣٩ قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وبعد مقتل بكر صدقي وسقوط حكومة حكمت سليمان ، وفي عهد حكومة نـوري السعيد التى اعقبت حكومة المدفعي الانتقالية التي تشكلت اثر مقتل بكر صدقي ، وهو مصرع الملك غازي في حادث اصطدام شاع انه كان بتدبير من الانكليز واعوانهم لما اشتهر عنه من العداء للانكليز ولنوري السعيد بالذات ، وتعيين الامير عبد الله وصيا على العرش .. وحادث اخر ذو اهمية كبيرة وقع سنة ١٩٤١ . هو الانقلاب الذي قام به رشيد عالي الكيلاني من رؤساء الوزارات السابقين ، وهرب الوصي ونوري السعيد ولجوئهم الى الاردن وفلسطين .. ولكن حكومة رشيد عالي لم تعمر أكثر من شهرين او ثلاثة اذ اعادت القوات الانكليزية ، التي كانت موجوده اصلا في بعض القواعد ، احتلال العراق باكمله من جديد . وعاد الى بغداد اعوان بريطانيا وعملاؤها نوري السعيد والوصي . غير ان الجدير بالذكر في هـذه المناسبة ان الحاج امين الحسيني وبعض انصاره من نشيطي الحركة الوطنية في فلسطين من بينهم فؤاد نصار كانوا في بغداد اذ ذاك واشتركوا في هذا الانقلاب .. غير ان عدم حظوة الانقلاب بتاييد جماهيري واسع وعدم التفاف الشعب حوله ، واقتصاره على تاييد قسم لايستهان به من الجيش ادى الى فشله . كما وان الالمان تخلوا عن مده

بالمساعدة والمعونة التى كانوا وعدوه بها قبل قيام الانقلاب . وهذا يذكرني بما حدث للايرلنديين اثناء الحرب العالمية الاولى، عندما قاموا بثورتهم سنة ١٩١٦ المسماة « ثورة عيد الفصح » وخذل الالمان لهم بعد ان كانوا قد قطعوا لهم عهدا بامدادهم بالاسلحة والعتاد حال اندلاع الثورة . وكان الوسيط في تلك الاتفاقية الوزير المفوض الايرلندي الاصل في السفارة البريطانية في برلين سير روجه كيسمنت الذي اعدم فيما بعد بتهمة الخيانة لدى رجوعه الى انكلترا ، والذي يعتبره الايرلنديين احد ابطالهم الشهداء .

ولا يسعني بهذه المناسبة الا ان اذكر وانبه المناضلين وقادة الحركات التحررية واعضاءها الى عدم الاعتماد على الامبرياليين والثقة بهم ، انكليزا كانوا او فرنسيين او المانا او ايطاليين او امريكيين . فهؤلاء كلهم يحاولون استغلال حركات التحرر والمقاومة لمصالحهم واغراضهم الخاصة ، وبهدف التغلب على خصومهم أو منافسيهم ولا يضمرون اي خير لحركات التحرر ويخذلونها في اخر المطاف ويتخلون عنها . اذ انهم يخافون انتصار حركات التحرر اكثر من تخوفهم من منافسيهم . ويعتبرونها خطرا مشتركا عليهم ، ويتوصلون في النهاية الى تسويات واتفاقات فيما بينهم فملة الكفر واحدة .

وقد اختبرنا هذا هنا بانفسنا في سوريا وفلسطين والشرق عموما وشمالي افريقيا ومصر فبالرغم من التنافس الشديد بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا على هذه المناطق فقد رايناهم عندما تتازم الامور ويغدو انتصارات الثورات وشيكا يتفقون ويتراضون فيما بينهم ويتحدون على قمعها . وهذا ما حدث في مصر وسوريا والعراق والسودان وطرابلس الغرب والحبشة واكثر المستعمرات الافريقية .

استقلال سوريا ولبنان وجلاء الجيوش الاجنبية الفرنسية والانكليزية عنهما :

ولقد جرى تصعيد كبير في حركة التحرر الوطني في سوريا في اعقاب الحرب العالمية الثانية التي انتهت في ايار سنة ١٩٤٥ . فانبرت حكومة سوريا برئاسة شكري القوتلي التي تشكلت اثناء الحرب نتيجة نهوض حركة التحرر الوطني فيها بقيادة الكتلة الوطنية للمطالبة بجلاء القوات المسلحة الاجنبية من افرنسية وانكليزية عن الاراضي السورية وحدث الامر نفسه في لبنان . وبدل ان تستجيب فرنسا وانكلترا لهذه المطالب التي وعدوا بتحقيقها حال انتهاء الحرب ، اتفقتا سرا على مواصلة احتلال سوريا ولبنان بصورة مشتركة . فتقدم البلدان سوريا ولبنان بشكوى الى مجلس الامن يطالبون فيها باتخاذ قرار يقضي بجلاء القوات الاجنبية عن الاراضي السورية وحدث الامر نفسه في لبنان . وبدل ان تستجيب فرنسا من الولايات المتحدة ، الحيلولة دون ذلك او ارجاءه غير ان تاييد الاتحاد السوفييتي الشديد لطلب سوريا ولبنان واستخدامه حق النقض ــ الفيتو ــ حال دون تمرير

قرار يتيح لبريطانيا وفرنسا اطالة الاحتلال ، وتعليقه على مفاوضات تجرى بين سوريا ولبنان من طرف وبريطانيا وفرنسا من الطرف الاخر . وكانت هذه اول مرة يستعمل فيها الاتحاد السوفييتي حق النقض . وقد استعمله لصالح الجلاء عن سوريا ولبنان ، وقد كان لهذا رنة ابتهاج وشكر في جميع الاوساط العربية فى حينه ، غير ان الزعماء والحكام العرب سرعان ما نسوه او تناسوه وانضموا الى الجوقة الموجهة من الجبهة الاستعمارية التي تطالب بالغاء حق — الفيتو — لصالح الدول الاستعمارية التي كانت تسيطر على الجمعية العمومية لهيئة الامم ومجلس الامن اذ ذاك . وكنتيجة لذلك وتحت ضغط الراي العام العالمي وفي جو نهوض النضال ضد الامبريالية في ارجاء العالم اجمع اضطرت فرنسا وبريطانيا الى الجلاء عن سوريا اولا في ابريل من سنة ١٩٤٦ وعن لبنان بعد ذلك في اواخر السنة نفسها وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا الحادث شجعني وغيرى على المطالبة بعرض قضيتنا قضية فلسطين على الهيئة العامة للامم المتحدة ومجلسها .وسياتي الحديث عن هذا بالتفصيل فيما بعد .

قضية فلسطين وهيئة الامم المتحدة :

منذ صدور الكتاب الابيض صعد الصهيونيون مقاومتهم للسياسة التي احتواها، وضاعفوا جهودهم لتهجير اكبر عدد من اليهود الى فلسطين بصورة مشروعة وغير مشروعة ، متحدين بذلك اية قيود على الهجرة ومغامرين ومخاطرين بحياة الاف اليهود الذين كانوا يدعون محاولة انقاذهم من مخالب النازية ومعسكرات الاعتقال والابادة الهتلرية ، بشحنهم داخل وعلى ظهر سفن بالية غير صالحة لعبور البحر . ولم يتوقف سيل الهجرة غير المشروعة اثناء الحرب ، وعقب انتهاء الحرب استانف الصهيونيون اعمال الارهاب ضد البريطانيين ومنشآت حكومة الانتداب احتجاجا على سياسة الحكومة ، وتأكيدا لمطالبهم بفتح أبواب الهجرة على مصراعيها واقامة الدولة اليهودية. وقد بلغ هذا التحدي ذروته في نسف فندق الملك داود في القدس ، مقر هيئة أركان القوات المسلحة في فلسطين وحكومة الانتداب والمندوب السامي في منتصف سنة ١٩٤٦ الذي راح ضحيته حوالي ١٠٠ شخص من موظفي الحكومة . ودأب الصهاينة طيلة سني الحرب على تهريب السلاح وتخزينه ومطالبة الحكومة البريطانية بتشكيل فرقة يهودية خاصة في الجيش البريطاني بهدف تدريب اكبر عدد ممكن من المحاربين اليهود بشكل منظم وموحد لتنظيمهم فيمابعد في الهاجاناه، القوات الصهيونية المسلحة. وقد تم فعلا تدريب ما بين ٣٠ الى ٤٠٠ الفا في الجيش البريطاني . هذا بالاضافة الى عشرات الالاف الذين كان يجري تدريبهم في فلسطين بعلم السلطات البريطانية والذين كانوا يعملون في اجهزة الامن والشرطة في البلاد . كما واكبوا على بناء منشآت سرية لصنع السلاح .

وهكذا عندما اندلعت الحرب العربية الاسرائيلية في مستهل صيف سنة ١٩٤٨ كان عند اليهود ما بين سبعين وثمانين الف مقاتل مدرب .. واخيرا وردا على الارهاب الصهيوني الذي استفحل امره قامت السلطات البريطانية باعتقال عدد من الزعماء اليهود .

الحركة الوطنية عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية في مستهل صيف سنة ١٩٤٥ :

قبل التطرق الى هذه الفترة لا بد لي من الرجوع قليلا الى سنوات الحرب ومشروع الكتاب الازرق الذي وضعه بالاشتراك مع الانكليز نوري السعيد في أوائل سنة ١٩٤٣ . وقد نص هذا المشروع الذي عرف بمشروع الهلال الخصيب (وهو حق اريد به باطل) على توحيد سوريا وفلسطين ولبنان في دولة موحدة اي سوريا الكبرى ، وضم العراق اليها وابقاء الباب مفتوحا لانضمام بقية الدول العربية اليه تحت اسم الجامعة العربية وعلى منح اليهود في فلسطين حكما ذاتيا . كذلك نص على منح الموارنة في لبنان حكما ذاتيا اذا رغبوا في ذلك . ولكن القوى الوطنية رفضت المشروع آنذاك ورأت فيه محاولة بريطانية لتشمل سوريا ولبنان تحت سيطرتها وادخالهما في قبضة الامبريالية البريطانية والرجعية العربية المتمثلةفي العائلة الهاشمية المرتبطة ارتباطا وثيقا بها . ولكن فكرة التضامن والتعاون العربي التي ما هي الا وجه من وجوه الوحدة العربية التي ما فتأ رواد العرب منذ بدء نهضتهم ينادون بها ، ورغبة بريطانيا في ركوب موجة الوحدة العربية لاستغلالها وتسخيرها لمصلحتها ، أدت في النهاية سنة ١٩٤٥ الى تشكيل الجامعة العربية ، الحق الذي يريد به البريطانيون باطلا .

يعود الفضل في ابقاء جذوة الحركة الوطنية متقدة ، طيلة سنوات الحرب بعد اختفاء القيادة التقليدية من المسرح السياسي المحلي الى الحزب الشيوعي الفلسطيني وعصبة التحرر الوطني ومؤتمر نقابات العمال العرب الذين ما انفكوا يطالبون بالاستقلال وإنشاء الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقلة ، وفي الوقت نفسه يؤيدون الحرب ضد النازية ومقاومتها ..

وازاء رفض العرب واليهود للكتاب الابيض وعجز الحكومة البريطانية عن تحمل عبء مواصلة سيطرتها على فلسطين بمفردها ، بعد خروجها منهكة ومستنزفة من الحرب ، ومنافسة الولايات المتحدة لها ومحاولة الحلول محلها في الشرق العربي ، لجأت إنكلترا الى الاستعانة بالولايات المتحدة واشراكها معها في تحمل الاعباء والنفقات ، فاقترحت تشكيل لجنة مشتركة انكلو — امريكية لدراسة الوضع في فلسطين ووضع حلول للازمة المحتدمة فيه .. وفعلا وصلت هذه اللجنة الى القدس في أواخر سنة ١٩٤٥ أو مستهل سنة ١٩٤٦ . وقد صادف وصول اللجنة اطلاق سراح جمال الحسيني رئيس الحزب العربي الفلسطيني وعودته الى البلاد ، فشرع فور عودته في بعث نشاط الحزب العربي وتصعيده ، وقد كان يقوم ببعض النشاط قبل

وصوله برئاسة اخيه توفيق صالح الحسيني . وبالاتفاق مع موسى العلمي حاول تجميع القوى والاحزاب والعناصر العاملة في الحقل الوطني ، فاقترح تشكيل لجنة عليا تضم رؤساء او ممثلي الاحزاب الخمسة وهي :ـ

١) حزب الدفاع برئاسة راغب النشاشيبي .
٢) حزب الاصلاح برئاسة الدكتور حسين فخري الخالدي .
٣) حزب الكتلة الوطنية برئاسة عبد اللطيف صلاح .
٤) حزب مؤتمر الشباب برئاسة يعقوب الغصين .
٥) حزب الاستقلال برئاسة عوني عبد الهادي .

وقد ضم اليها بعض الشخصيات المستقلة او التي تمثل منظمات او هيئات جديدة انبثقت ابان الحرب كجمعية العمال العربية . وفيما يلي نص بيان جمال الحسيني كما نشر في جريدة فلسطين بتاريخ ٢٦ــ٣ــ١٩٤٦ :

بيان جمال الحسيني

ما برحت منذ عودتي الى فلسطين ابحث في الوضع السياسي والنظم التى تسير الحركة القومية فيها كي اتمكن القيام بما شرفتني الامة به من تنظيم العمل القومي في هذه الاوقات العصيبة تنظيما يكفل لها الاندفاع في الحركة الوطنية في جميع الميادين ويحفظ لها مصالحها وكرامتها وقد وجدت في البلاد لجنة عليا انقطع ثلث اعضائها عن الاجتماع لاسباب مختلفة ولم يتيسر للباقين العمل الجدي لدواعي اخرى اهمها ان ثلاثة اعضاء ينتمون الى جهات مختلفة يعتقدون انهم وجدوا انفسهم فيها بسبب تغيب المتقطعين من الاجتماع امام خمسة اعضاء من الحزب العربي ويرون ان هؤلاء بتضامنهم يتمكنون من تسيير العمل حسبما يشاؤون ومع اني لم اجد ما يؤيد هذا الزعم الا ان الوضع لا ينافيه بل يجعله هين الوقوع ، وبهذا توقف دولاب العمل الصحيح واصبحت اعمال اللجنة العليا مظهرا لاحقيقة وتعطلت المصالح القومية وانفقد الامل من تسيير الهيئة السياسية في شكل يكفل لها الوقوف في وجه الخصوم من جهة والتعاون مع البلاد العربية الشقيقة التواقة للاخذ بناصرنا من جهة اخرى ثم وجدت ان منظمات وفكر اجتماعية وسياسية قد نبتت وترعرعت في البلاد لم يكن لها اي تمثيل في اللجنة العليا .

وعلمت ان لدى اعضاء اللجنة هذه فكرتين لتنظيم شؤونها الاولى انه يجب حصر العضوية باعضاء اللجنة العليا التى تالفت قبل الحرب والموجودين الان في فلسطين وهم رؤساء الاحزاب الستة وعضو مستقل والثانية انه يجب ادخال عناصر جديدة وفتية ونشيطة في اللجنة العليا تمثل الفكر والمنظمات التي قامت في البلاد .

فرايت ان بقاء اللجنة العربية العليا على ما كانت عليه قبل عشر سنوات انه جمود يتنافى مع المصلحة العامة ولا يضمن التنظيم والنشاط اللذين يلمح الراي

العام في المطالبة بايجادهما وهو تحديد لا يقره الوعى القومي الذى وصلت اليه الامة . لذلك قررت ان اقتراح اضافة عشرة اعضاء لا ينتمون الى الاحزاب على ان يكونوا من ذوي الكفاءات من الشباب المثقف النشيط المشهود لهم بالاخلاص في العمل والتوثب للخدمة العامة والذين يمثلون منظمات وفكر غير ممثلة فـى اللجنة العربية العليا الحاضرة وهم السادة : فارس سرحان واحمد الشقيري وسامى طه والدكتور خليل البديري وهنري كتن وانطون عطا الله والدكتور عزت طنوس والدكتور حنا عطا الله والدكتور يوسف هيكل والشيخ فريح المصدر

وبما ان وجود عضو واحد من كل حزب في اللجنة فيه حرج على العضو من حيث تمثيل الحزب في الجلسات بصورة دائمة رايت ان يضاف الى كل حزب ممثل في اللجنة عضو اخر وان يضاف الى ممثلى الحزب العربي عضوان بدلا من خمسة اعضاء حسب القاعدة التى اتبعت في السابـق فيصبحون سبعة مقابل عشـرة يمثلون الاحزاب و ١٢ من الذين ينتمون الى منظمات وفكر خاصة ولا ينتمون الى الاحزاب . وقد انتخب الحزب العربي كلا من السادة فريد العنبتاوي وموسـى الصوراني بالاضافة الى عضائه الحاليين وبالنظر لاستقالة السيد موسى العلمي بسبب انشغاله في اشغال عامة اخرى مع تاييده للجنة الجديدة فقد اختير بدلا منه السيد انور الخطيب وهو لا ينتمي الى اي حزب . وعلى هذا تتالف اللجنة العربية الجديدة من ٢٩ عضوا ينتخبون من بينهم لجنة عاملة تنفذ مقرراتهم وتدير مكتبهم وبهذا العمل نكون قد حصلنا على الامور التالية :

١ ـ انزلنا نسبة اعضاء الحزب العربي من النصف الى اقل من الربع ولم يكن هذا ليتم الا بالثقة التالية التى اولانى اياها الحزب العربي وقبوله التضحية الحزبية التي طلبتها اليه حرصا على توحيد الكلمة .

٢ ـ ادخلنا في جسم اللجنة العربية العليا دما نشيطـا وفكرا جديدة فوسعنا رقعة التمثيل الصحيح وضمنا وجود الات صالحة للتنظيم الذي يتطلبه الوعـى القومي في البلاد .

٣ ـ وسعنا على الاحزاب الخمسة امر تمثيلها في جميع الجلسات وضمنا لاعضاء كل الحزب امر التشاور معا في جميع اعمال اللجنة

وقد دعوت هؤلاء الاعضاء جميعا راسا او بواسطة رؤساء احزابهم لاجتماع يعقد في الحزب العربي في الساعة ١٠ من يوم الاربعاء ٢٧ الجـارى لانتخاب ممثلى فلسطين في مجلس جامعة الدول العربية المنعقد الان في القاهـرة وللبدء في اعمال اللجنة الجديدة واني ارجو بحرارة الى جميع الاعضاء حضور هذه الجلسة المهمة على ان من لا يحضر يكون قد اسقط حقه في الاعتراض على ما يقرر فيها اذ ان من الافتئات على حقوق الامة والاضرار بمصالحها ان يوقف دولاب الاعمال

القومية او يؤجل تنظيمها في هذه الاوقات الحرجة بسبب تغيب اي كان من الاعضاء مهما كانت شخصياتهم محترمة وعزيزة ومهما كان العذر مقبولا او معقولا فمسدولاب العمل القومي يجب ان يدور بقطع النظر عن الاشخاص وساقترح على اللجنة العربية العليا في حالة اصرار اي من الاعضاء على التغيب عن الجلسات ان تعين اعضاء اخرين بدلا عنهم يمثلون الفئات والفكر الذي يحملونها وذلك بعد مدة تحدد. وتكوين اللجنة العربية العليا على هذا الشكل انما يكون لهذه الدورة التي نحن فيها فقط وساقترح عليها في وقت مبكر ان تضع في دستورها نظاما انتخابيا يكفل لجميع عرب فلسطين الراغبين حق الانتخاب بقطع النظر عن حزبياتهم وعن ميولهم وافكارهم حتى تصبح اللجنة ممثلة للامة تمثيلا مباشرا صحيحا . بهذا انتقدم الى الامة العربية الكريمة راجيا التاييد سائلا من المولى سبحانه العون والتوفيق . »

جمال الحسيني

ولكن رؤساء الاحزاب الاخرى رفضوا الاشتراك في هذه اللجنة وابوا ان يسلموا لجمال الحسيني رئيس الحزب العربي الفلسطيني بحق اختيار او تعيين من يشاء في هذه اللجنة واصدروا مجتمعين بيانا بهذا المعنى في جريدة فلسطين بتاريخ ١٢،٩ — ٣ — ١٩٤٦ هذا نصه :

بيان جبهة الاحزاب

القدس — عقد رؤساء الاحزاب العربية الخمسة في فلسطين اجتماعا قبل ظهر اليوم في مكتب الاستاذ عوني عبد الهادي بالقدس حضره كل من السادة راغب النشاشيبي وعبد اللطيف صلاح وعوني عبد الهادى والدكتور حسين فخرى الخالدي ويعقوب الغصين وقد بحثوا البيان الذي اذاعه الاستاذ جمال الحسيني المتعلق بتعديل اللجنة العربية العليا فقرروا اصدار بيان الى الامة الكريمة هذا نصه :

«لقد اطلعنا على البيان الذي اذاعه السيد جمال الحسيني على الامة العربية الكريمة في ٦ آذار والكتب التي بعث بها الينا وقال فيها ان الامة فوضته في الداخل والخارج في العمل على تنظيم اللجنة العربية العليا وتقويتها والمضي قدما وانه لاجل هذه الغاية قداعتمد اقتراحه القاضي بابلاغ عدد اعضاء اللجنة العربية العليا الى ٣٩ عضوا وانه قد عين اشخاصا تعيينا شخصيا ليكونوا اعضاء جددا في اللجنة وقد عمل ذلك دون الرجوع الى سائر الاحزاب والهيئات واستشارتها ان هيئات الاحزاب تأسف ان ترى نفسها مضطرة الى ان تستنكر الادعاء الذي ادعاه السيد جمال الحسيني من تفويض الامة العربية له في الداخل والخارج . ونحن رؤساء الاحزاب لم ننتدب السيد جمال الحسيني أن يمثل البلاد فضلا عن انه ليس

من شأن هذه الاحزاب، وهي تتوخى خدمة مجموع البلاد والامة ان تصبغ على شخص معين صفة الزعامة المطلقة او ان تخوله حق تاليف اللجنة العربية العليا برايه وبالشكل الذي، يراه هو مناسبا دون رأي غيره وعلى هذا ترى الاحزاب ان الهيئة التى عين اعضاءها السيد جمال الحسيني ودعاها باللجنة العربية العليا لاتمثل في الحقيقة الا الحزب العربي وحده. ولما كان لا بد من تمثيل فلسطين لدى الجامعة العربية في دورتها الحاضرة تمثيلا صحيحا فقد قررت الاحزاب الخمسة ايفاد كل من السادة عوني عبد الهادي والدكتور حسين فخرى الخالدي. والحاج يعقوب الغصين ممثلين في مجلس الجامعة في انعقاده الحالي .

وقد تداولت الاحزاب فيما يتعلق بتنظيم اللجنة العربية العليا تنظيما يحتوى على تمثيل جميع الاحزاب والمنظمات والهيئات في البلاد على ان يترك امر انتخاب الممثلين الى الهيئات والجماعات التى ينتمون اليها بحيث تجتمع قوة البلاد التمثيلية السياسية في صعيد واحد غايته الوصول الى اماني البلاد المقررة واستقلالها المنشود.

راغب النشاشيبي ، وعبد اللطيف صلاح ، وعوني عبد الهادي ، والدكتور حسين فخري الخالدي ، ويعقوب الغصين .

كذلك اصدرت عصبة التحرر الوطني البيان التالي بتاريخ ٢٩-٣-١٩٤٦ :

بيان عصبة التحرر الوطنى

« بعد الاطلاع على بيان الاحزاب الخمسة يعلن حزب عصبة التحرر الوطني احتجاجه على ادعاء السيد جمال الحسيني تمثيله للبلاد ويوافق على عدم الاعتراف باللجنة العربية الجديدة ويرى في انفراد السيد جمال بتعيين لجنة يصبغ عليها صفة التمثيل بادرة خطيرة في تاريخ حياتنا الوطنية . »

كما واصدرت اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب البيان التالي بتاريخ ٢٩-٣-١٩٤٦.

بيان اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب

« ان رابطة المثقفين العرب في فلسطين التي تعمل على خدمة المجتمع الفلسطيني وتسعى للتحرير الفكري حريصة على بث روح الديمقراطية في افراد الشعب وهي لذلك تستنكر العمل الفردي وفرض لجنة عليا على الشعب دون اخذ رايه ومشاورته فسكرتيرية اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب في فلسطين تحتج على تعيين السيد جمال الحسيني لافراد اللجنة العربية العليا وهي تؤيد الاحزاب الخمسة في عدم اعترافها (الاعتراف) باللجنة العليا المعينة وتطلب ايجاد لجنة عليا تمثل الشعب تمثيلا صحيحا . »

وبالاضافة الى الاحزاب الخمسة وعصبة التحرر ورابطة المثقفين العرب اصدرت الجبهة العربية بيافا بيانا بهذا المعنى ايضا بتاريخ ٢٩-٣-١٩٤٦

بيان الجبهة العربيـــة بيافـــا

« اطلعت اليوم على البيان المؤرخ في ٢٨ــ٣ــ٤٦ الموقع من رؤساء الاحزاب الخمسة في فلسطين بخصوص تاليف اللجنة العربية العليا وبيان السيد جمال الحسيني بهــذا الخصوص . انا نجد ان بيان الاحزاب الخمسة في محله فيما يتعلق بتاليـف اللجنـة العربية العليا واستنكار عمل السيد جمال الحسيني بتعيين اللجنة بصورة شخصية نويد رؤساء الاحزاب الخمسة الموقعين على هذا البيان . »

الجبهة العربية بيافـــا

وكنت من ضمن من انتقاهم جمال الحسيني بايعاز من موسى العلمي لعضويـة اللجنة التي الفها ولكنني رفضت في بادىء الامــر الانضمام اليها ونشرت في جريــدة فلسطين العدد ٢٦ بتاريخ ٣٠ ــ ٣ ــ ١٩٤٦ مقالا ابسط فيه رايي في كيفيـة تشكيل اللجنــة :

الطريقــة المثلـــى للتنظيـــم
راي وتعليق على تعديل اللجنــة العربيـــة العليا

« ان خطورة وضعنا السياسي وضرورة كفاحنا الوطني للوصول الى غاياتنا السامية امران يستلزمان تنظيما وثيقا قويا يكفل بعث النضال الوطني وارتباط الشعب بقيادته والسير صفا واحدا لرفع نير الاستعمار ونيل حقنا المشروع في الحرية والاستقلال

لقد اثبتت الاشهر التي تعاقبت منذ تاليف اللجنة العربية العليا ان هذه اللجنة كانت مظهرا لا حقيقة وان التعاون بين اعضائها بعضهم مع بعض وتعاونها مع الشعـب كانا ضعيفين مهلهلين ان لم نقل معدومين مما عطل المصالح القومية وافقد الامل في سير هذه الهيئة سيرا يكفل الوقوف في وجه الخصوم والتعاون الجدي مع الاقطــار الشقيقـــة .

كل هذا ــ وبالاضافة الى ظهور منظمات جديدة ــ حدا بالاستاذ جمال الحسيني الى اعادة تاليف اللجنة في شكل جديد تكون فيه اشد تماسكا واوسع تمثيلا

ان الغاية النبيلة التي دفعت الاستاذ الحسيني الى القيام بما قام به والتي حملته منذ عودته الى الوطن على التفكير في طريقة التنظيم السياسي والتشكيـل المتـين الوثيق ، هي غاية كل مواطن حر في هذه البلاد ، وان اقدامه الجريء على انقاذ هذه التبعة الكبرى بمفرده شيء يدعو الى التقدير والاكبار .

الا انني ارى من جهة اخرى ان الشعب وحده هو صاحب الحق في انتخاب قادته ، وان الشعب وحده هو الذي يجب ان يضع على راس حركة النضال من يثق بهم . وليس من العدل ان يحرم احد افراد الشعب من هذا الحق ، كما انه ليس من العدل ان يتحمل الاستاذ جمال كل هذه المسئولية الخطيرة وحده .

وانني وان كنت اوافقه موافقة تامة على تبل الغاية التي يسعى اليها ، واشاركه الراي في ضرورة التنظيم والعمل ، الا انني لا ارى ان الطريقة التي اتبعها هي الطريقة الموصلة الى الهدف الذي يسعى اليه . فقد يكون في تأليف اللجنة الجديدة صفة اكثر شمولا واوسع تمثيلا من اللجنة السابقة الا انها لا تزال محدودة التمثيل ضعيفة التماسك ، ولن تؤدي الطريقة التي اتبعها الاستاذ جمال الى استكمال التمثيل مهما بلغ عدد المنضمين اليها ومهما اتسعت قاعدة التمثيل فيها ، وذلك لان التوفيق بين الاحزاب والتعيين عن المنظمات ، وكل وسيلة من هذه الوسائل لا يمكن ان يكون الشعب قاعدتها الا اذا اشترك الشعب نفسه في الانتخاب والا اذا قدم هو من يختاره للقيادة، دون النظر الى تناسب الاحزاب وتناسق الفكر والمنظمات، فقد ينتخب الشعب ممثليه من حزب واحد ، او من احزاب متعددة ، او من اشخاص لا ينتسبون الى اي حزب او منظمة ، ولكنهم يكونون عندئذ ممثليه ولهم حق القيادة والسير بالحركة الوطنية غضب من غضب ورضي من رضي .

انني اعتقد ان الطريق المثلى لذلك هي ان يعيد الاستاذ جمال مشاوراته لجميع الاحزاب والهيئات والمنظمات ، وان يشكل بالاتفاق معهم لجنة يضمون اليها من يتفقون عليه من الشخصيات المستقلة وتكون هذه اللجنة لجنة تحضيرية مؤقتة تقوم الا بدعوة الامة لتشكيل لجان قومية في جميع انحاء البلاد ، وان تجتمع هذه اللجان بعد تأليفها في مؤتمر كبير عام تضع فيه ميثاقا وطنيا وتنتخب فيه لجنة مركزية او تنفيذية تقوم بتنفيذ قرارات المؤتمر وتعمل ضمن ميثاق . وليس لاحد ان يعترض بعد هذا حتى ولو ادى الانتخاب الى ان تكون اللجنة من حزب واحد

اننا مقدمون على عهد خطير مخيف وان نضالنا الوطني سيدخل في معارك مريرة شديدة وان ميدان النضال لن تثبت فيه الا التنظيمات القوية المتماسكة وان الشعب وحده هو صاحب الكلمة الاولى والاخيرة . »

ولكني عدت فيما بعد فقبلت الانضمام اليها استجابة للحاج موسى العلمي وتقديرا مني بانه قد استطيع اقناع اعضائها من الداخل باعادة تشكيلها على الوجه الصحيح وبالنهج الذي ارتأيه في السير بالحركة الوطنية ويبدو لي الان بعد ان مررت بالتجربة انني كنت مخطئا .

وعلى اي حال فازاء رفض الاحزاب الاخرى الاشتراك فيها تم تشكيل جبهة معارضة تحت اسم الجبهة العربية العليا ، ضمت بالاضافة الى الاحزاب الخمسة ، اميل توما ممثلا لعصبة التحرر الوطني ، وآخر للجنة التنفيذية لمؤتمر العمال العرب، وحمدي الحسيني من الشخصيات الوطنية المستقلة وفيما يلي نص البيان الذي اصدرته عقب تشكيلها ونشر في جريدة فلسطين بتاريخ ٥-٦-١٩٤٦ :

بيان من الجبهة العليا الى الامــة العربية الكريمة
الارتباط بميثاق الامة القومي والحرص على وحدة الحركة الوطنية
بيــان الجبهــة العليــا

اصدرت الجبهة العربية العليا التي تالفت مؤخرا البيان التالي :
تتقدم الجبهة العربية العليا في فلسطين ببيانها هذا الى الامة العربية الكريمة فى فلسطين خاصة . وفي الاقطار الشقيقة عامة ، شارحة فيه حقيقة الموقف الداخلى في هذه البلاد ذاكرة المساعي التي بذلت في سبيل توحيد الجهود الوطنية والاعتبارات التي حالت دون نجاحها مبدية للراي العام وجهة نظرها في اتجاه الحركة الوطنية . والظروف والاسباب التي دعت الى تاليفها لتساهم في خدمة القضية في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل قضية البلاد

الاتصــالات السابقــة

منذ شعر ممثلو الهيئات الوطنية في فلسطين وبعض العاملين في الحقل الوطني بامكان استئناف النشاط السياسي في البلاد خلال سنوات الحرب الاخيرة جــرت اتصالات بينهم في سبيل تاليف جبهة متحدة تعمل على تحقيق اهداف الامــة ودفــع الاخطار عنها . وقد كانت الهيئات حريصة على ان تتمثل في هذه الهيئة وحدة الامــة تمثيلا صحيحا وان تقيمها على اسس من التنظيم تتناسب مع خطورة قضيــة هــذا البلد المقدس يشتمل على برامج صريحة لانقاذه والدفاع عنه . ولكن بعض الناطقين باسم الحزب العربي حينذاك عارضوا في تاليف هذه الجبهة وفي ابــداء اي نشــاط سياسي . وبالرغم من جميع المساعي التي بذلت لتحقيق هذه الوحدة ظل حضراتهم متمسكين بوجهة نظرهم وانقضت مدة طويلة بسبب ذلك لم تتمكن البلاد في اثنائها من تحقيــق وحدتهــا

انتداب الاستــاذ العلمــي

غير ان رؤساء الاحزاب العربية الستة في فلسطين اخذوا يعقدون اجتماعات دورية يبحثون فيها بعض الشؤون العامة بقدر ما تسمح به الظروف وحينما عقدت الحكومات العربية مؤتمر الاسكندرية التحضيري لتاسيس الجامعة العربية ووضع ميثاقها . انتدبت الاحزاب الستة الاستاذ موسى العلمي للاتصال والتحدث عن قضية فلسطين في ذلك الاجتماع كما حضر الدورة الاولى التي عقدها مجلس الجامعة العربية

اختلاف وجهــات النظــر

وعلى اثر ارفضاض هذه الدورة نشا اختلاف بين الاحزاب العربية والاستاذ موسى العلمي حول المهمة التي قام بها ، وتناول الاختلاف الطريقة التي اتبعت في تاليــف مكاتب الدعاية العربية ، ومشاريع انقاذ الاراضي تلك الطريقة التي كان من الطبيعى

أن تلفت الانظار اليها وتثير الانتقادات حولها اذ انه ما من شك في ان مكاتب الدعاية تألفت ولم تطلع الهيئات الوطنية في فلسطين على طريقة تأليفها ووضعت لها برامج ولم تعرض على اي هيئة وطنية لاقرارها واختير لها موظفون لم يعلم احد في فلسطين على اي اساس اختيروا أو اية سياسة رسمت لهم وكذلك حينما اقترح الاستاذ موسى العلمي المشروع الانشائي لم يكن ممثلو اي هيئة من الهيئات على اطلاع او معرفة به. وبدلا من ان يعالج هذا الاختلاف في حدود المنطق والحكمة وتجد رغبة رؤساء الاحزاب الخمسة في الاتحاد والتفاهم جوا ملائما اقدم بعض الاخوان من المسؤولين عن مكتب الحزب العربي على اصدار قرارهم الخطير بالانسحاب من شركة صندوق الامة

اتصالات دولة توفيق السويدي

وفي اثناء هذه المرحلة قدم الى فلسطين صاحب الدولة السيد توفيق السويدي واتصل بممثلي الاحزاب الستة في سبيل توحيد الكلمة وتأليف جبهة وطنية عليا وقد رحب رؤساء الاحزاب الخمسة بمساعيه كل الترحيب وابدوا استعدادهم للاتحاد والتضامن .. غير ان اخواننا الذين اتصل دولته بهم من اعضاء الحزب العربي اصروا على ان تكون لهم في اللجنة العربية العليا اكثرية بدعوى انهم حزب الاكثرية في البلاد فبسط رؤساء الاحزاب الخمسة وجهة نظرهم التي تحملهم على معارضة هذا المطلب وهي تتلخص في ان جميع الاحزاب والهيئات في فلسطين ذات اهداف وغايات واحدة لم تختلف حتى الان جملة ولا تفصيلا والامة كلها وراء هذه الاهداف حزب واحد، ولا يوجد مقياس صحيح لمعرفة اي الاحزاب في فلسطين اكثر اتصالا وعددا ولا يمكن لهيئة وطنية عليا تتولى قيادة الحركة الوطنية وتتحمل مسئوليات تاريخية جسيمة ان تقوم على اساس وجود اكثرية حزبية فيها تجعل اراء الاخرين لا وزن لها وعلى ضوء هذا الموقف غادر فخامة السيد السويدي فلسطين ولم تتألف الجبهة المتحدة

وقدوم وفد الجامعة

وحينما عقد مجلس الجامعة العربية دورته الثانية قدم الى فلسطين صاحب المعالي السيد جميل مردم بك رئيس تلك الدورة والاستاذان خير الدين الزركلي وتقي الدين الصلح ، واتصل هذا الوفد الكريم بممثلي الاحزاب في فلسطين فبسط كل وجهة نظره فيما يتعلق بتأليف لجنة عربية عليا واوضح رؤساء الاحزاب الخمسة الاعتبارات والاسباب التي لا تبرر قيام لجنة عربية عليا فيها اكثرية حزبية وبعد ذلك فوض الجميع معالي السيد جميل مردم بك بتأليف لجنة عربية عليا من اثني عشر عضوا فألفها معاليه من رؤساء الاحزاب الخمسة وخمسة اعضاء يمثلون الحزب العربي وعضوين محايدين هما عطوفة حلمي باشا والاستاذ موسى العلمي وقد طالب بعض رؤساء الاحزاب في هذه اللجنة بأن يكون لها حق الاشراف على مكاتب الدعاية العربية ومشاريع انقاذ الاراضي جميعها حتى تكون للبلاد سياسة موحدة

ولا تكون فيها عدة هيئات لكل منها سياسة قد تتعارض مع سياسة الاخرى وقد حمل رؤساء الاحزاب الخمسة على طلب اقرار هذا المبدا ذلك الغموض الذي رافق تأسيس مكاتب الدعاية العربية وبعض تصريحات عزيت الى بعض اعضاء هذه المكاتب لا تتفق مع الحقيقة ولا المصلحة الوطنية وكذلك حملها على طلب اقراره ايضا الاختلافات التي نشأت حول شركة صندوق الامة والمشروع الانشائي تلك الاختلافات التي لم يكن بد من معالجتها حرصا على المصلحة العامة غير ان هذا المطلب لم يتحقق وبالرغم عن هذا حاول بعض رؤساء الاحزاب الخمسة ان يعمل في هذه اللجنة العربية العليا رغبة في الاتحاد والتضامن واملا في معالجة وضعها اثناء سيرها ولكن هذه اللجنة فشلت في تحقيق وحدة الامة واداء واجبها

بعد عودة الاستاذ جمال

ولقد كانت الامة تطالب بالحاح بعودة جميع رجالاتها المبعدين والغائبين ورددت جميع الهيئات الوطنية هذا المطلب الوطني ولما سمح للاستاذ جمال الحسيني بالعودة الى وطنه قابلت الامة ذلك بمنتهى السرور واعتبرت عودته من منفاه بداية لعودة باقي رجالات البلاد ، واعتقد رؤساء الاحزاب ان الاستاذ جمال سيتعاون واياهم على توحيد الجهود الوطنية وكانت عودة الاستاذ جمال الحسيني في الوقت الذي اعلن فيه قدوم لجنة التحقيق المشتركة الى فلسطين وقبل ان يصل الاخ جمال الى بلاده ويجتمع فيها باخوانه صرح بأنه يرى الاتصال بهذه اللجنة ويشير بذلك وحينما وصل فلسطين اخذ يشترك في جلسات اللجنة العربية العليا التي كان بعض رؤساء الاحزاب قد انقطع عن حضور جلساتها بسبب الاعتبارات السابقة المشار اليها وقد لفت بعض رؤساء الاحزاب نظر الاستاذ جمال الى ضرورة معالجة وضع اللجنة العربية العليا وتوحيد الجهود فأرجأ ذلك بسبب وصول لجنة التحقيق المشتركة الى البلاد

تعديل اللجنة العليا

ولما وصلت هذه اللجنة راى اكثر رؤساء الاحزاب وبعض ممثلي الحزب العربي في اللجنة العربية العليا واكثرية الهيئات الوطنية في فلسطين وخارجها مقاطعة لجنة التحقيق غير ان الاستاذ جمال الحسيني — ولم يكن عضوا في اللجنة العربية القائمة بعد — اصر على وجوب الاتصال بها فكان الاتصال بلجنة التحقيق بسبب الاكثرية الحزبية في اللجنة العربية العليا تجاه ذلك اصبح رؤساء الاحزاب الخمسة والحياديون في داخل اللجنة العربية العليا ممن لارائهم في الشؤون العامة وزن — اصبحوا في موقف يتعذر عليهم ان يعملوا ما لم يجر تعديل اساسي في اللجنة العربية العليا يكفل لهذه اللجنة ان تستوحي سيرها من مشيئة الامة وحدها ويفسح المجال فيها لجميع الاراء ويكون لاعضائها حق المناقشة والبحث والتقرير في كل ما له اتصال بالقضية الوطنية وتحترم فيه حرية الراي وتسير سيرا ديمقراطيا صحيحا لا اثر فيه للانفراد المطلق او

التحزب او املاء الـــراي

وقبل ان تغادر لجنة التحقيق المشتركة هذه البلاد تصدى الاستاذ جمال الحسيني قبل ان يدخل في هيئة اللجنة العربية العليا الى تعديلها فعدلها على النحو الذي ارتآه وبالطريقة التي اختارها فنشأ اختلاف لا يقوم على اعتبارات شخصية او حزبية وانما يقوم على هذه الطريقة التي تعتبر سابقة خطرة لها تاثيرها في سير الحركة الوطنية ولا تتناسب مع الاصول الديمقراطية الصحيحة فضلا عن انه بهذه الطريقـــة اوجـــد اكثرية حزبية جديـــدة

في الـــدورة الثانية للجامعة

وبعد هذا التعديل الذي انفرد به الاستاذ جمال على هذا النحو انتدب وفدا برئاسته مسافر الى مصر لتمثيل تلك اللجنة العربية العليا اثناء انعقاد الدورة الثالثة لمجلس الجامعة العربية وعلى اثر ذلك اجتمع رؤساء الاحزاب الخمسة وقرروا عدم الموافقـــة على هذا التعديل غير الدستوري واصلاح هذا الخطأ فأصدروا بيانا بذلك وانتدبوا وفدا منهم سافر الى مصر ايضا وهناك جرت اتصالات عديدة وعرضت اقتراحات لمعالجـــة هذه الحالة الشاذة كان آخرها ان تضم الاحزاب الخمسة الى ممثليها في اللجنة العربية العليا عشرة اعضاء اخرين على اعتبارهم محايدين

ممثلو الاحزاب في اللجنة

وبعد ان صدرت توصي لجنة التحقيق المشتركة وتضاعف شعور الجميع بضرورة التعاون والاتحاد بالسرعة الممكنة تقدمت الاحزاب الخمسة باسماء ممثليها في اللجنـــة العربية العليا وبأسماء العشرة الحياديين بموجب كتاب ارسل الى الاستاذ جمـــال فلم يوافق على دخول خمسة من هؤلاء بدعوى ان ثلاثة منهم حزبيون واحدهم مـــن حزبه كما صرح بذلك وان اثنين يمثلان هيئتين يساريتين هما عصبة التحرر الوطنـــي واللجنة التنفيذية لمؤتمر العمال العرب ، وقال بأن الهيئتين لا تتقيـــدان بميثاق الامـــة الوطني . اما فيما يتعلق بهاتين الهيئتين فاننا نترك لهما الرد على ما وجه اليهما الا أن مندوبيهما في هذه الجبهة قد اشتركا فيها على اساس العمل ضمن ميثاق الامة الوطنـــي الذي اقرته في جميع مؤتمراتها وأما فيما يتعلق بالثلاثة الاخرين الذين لم يوافق الاستاذ جمال على دخولهم الى اللجنة العربية العليا لاعتبارات حزبية فاذا كان احدهم حســـب تصريحه من اعضاء حزبه فهل وجود الاثنين الاخرين اللذين لم يسبق لهما أن انتسبا الى اي حزب من الاحزاب سبب كاف لعدم الاتفاق ؟

تاليـــف الجبهـــــة العليـــــا

اننا باستعراضنا هذه المراحل والمواقف نود أن نوضح للامة بأن الاحزاب الخمسة والهيئات الوطنية الاخرى لم تكن حجر عثرة في سبيل توحيد الجهود ولم ترد أن تفرض

مشيئتها لاعتبارات حزبية أو شخصية وليس الخلاف القائم من أجل مقاعد او مناصب وانما هو في سبيل تحقيق جو صحيح للعمل المشترك والخدمة الصالحة . ولذلك فاننــا تجاه التوجيه الحالي الذي توجه اليه قضية الامة وجهودها نجد انفسنــا في موقـف يحتم علينا فيهان نساهم في العمل الوطني لا لمناواة فريق ولا لمعارضة حزب وانما لكي نتخذ الحركة الوطنية في فلسطين اتجاها قويما وتسير سيرا سليما . ولذلك فقد قررنا تأليف الجبهة العربية العليا في فلسطين حسب الاسس المبينة والاهداف المذكورة فيمــا يلــي

أولا ــ تأليف اتحاد عام من الاحزاب العربية الخمسة في فلسطين وعصبــة التحـــرر الوطني واللجنة التنفيذية لمؤتمر العمال العرب باسم الجبهة العربية العليا .

ثانيا ــ ترحب هذه الجبهة بأي هيئة تود الانضمام اليها وتعمل ضمن مبادئها وأهدافها ويتقـــرر قبولهـــا

ثالثا ــ تضم هذه الجبهة اليها عددا من رجالات البلاد والعاملين في الحقل الوطني بقطع النظر عن حزبياتهـم .

رابعا ــ تعمل هذه الجبهة على تحقيق مطالب الامة ضمن الميثاق القومي الـذي مــن اهدافــه :

«أ» استقلال فلسطين استقلالا تامــا ضمن الوحدة العربيــة .

«ب» رفض الاستعمار بجميع انواعه .

«ج» تشكيل حكومة وطنية نيابيــة .

«د» جلاء الجيوش الانكليزية وغيرها عن البلاد .

«هـ» المحافظة على اراضي البلاد بالوسائل الفعالة .

«و» وقف الهجرة اليهودية وقفا تاما .

«ز» تنفيذ مقاطعــة البضـــائع الصهيونية .

وستعمل هذه الجبهة على تنظيم الاتصال وتوثيق الصلات مــع الاقطــار الشقيقة حكومات وشعوبا وقد وضعت لها برنامجا ونظاما لتحقيق اهدافها والسير في اعمالهــا وستؤلف لجانا فرعية على اسس قومية باسم اللجان القومية .

لا شقـــاق ولا تصـــدع

والجبهة العربية العليا تعلن بكل تأكيد أن تأليفها لا يعني اي تصــدع في الجبهــة الوطنية في فلسطين ولا يجب أن يفسر بأنه شقاق داخلي او اختلاف في المبادىء الوطنية والاهداف القومية فهذه الجبهة اشد ما تكون استعدادا لمؤازرة اي هيئة اخرى والتعاون معها في كل ما يعود على الامة والبلاد بالخير واكثر ما تكون حرصا على أن تمضى الامة في سبيلها وان لا تنصرف عن غايتها السامية الى جدل عقيم او تحزب سقيــم وان لا تصغي الى اية دعاية من شأنها أن تفت في عضدها او تشوه اهدافها وغاياتها واننا لنرجو أن تتبارى جميع الهيئات والافراد في العمل المنتج لخير البلاد حتــى لا

يجد خصوم هذا الوطن العزيز منا جميعا الا الادارة والعزم على تحريره وانقاذه وفي ميادين العمل الوطني الصالح متسع للجميع

القدس في ٣-٦-١٩٤٦
مكتب الجبهة العربية العليا

يعقوب الغصين — الدكتور كمال حنون — الدكتور حسين فخري الخالدي — اميل توما — حمدي الحسيني — عوني عبد الهادي — سليمان عبد الرزاق طوقان.

وفي اعقاب هذه الخلافات قدم الى القدس جميل مردم وحاول التوفيق بين اللجنة العليا والجبهة العليا فلم يفلح . واخيرا قرر مجلس الجامعة العربية المنعقد في بلودان حل اللجنة والجبهة وانتخاب (انتقاء) جبهة متحدة تمثل فلسطين تحت اسم الهيئة العربية العليا تتكون من اربعة أشخاص : جمال الحسيني ، احمد حلمي ، الدكتور حسين فخري الخالدي ، واميل الغوري على أن يبقى كرسي الرئاسة شاغرا وان يكون جمال الحسيني نائبا للرئيس والدكتور حسين امينا للسر . وفور رجوع الحاج امين الحسيني الى مصر من فرنسا تبوأ كرسي الرئاسة الذي كان محجوزا لـه .

وبعد أن قررت اللجنة العربية العليا مقاطعتها بحجة عدم اية فائدة ترجى من الاتصال بها لما عرف مسبقا عن سياسة الدول التي اوفدتها ، عادت ورجعت عن قرار المقاطعة بناء على توصيات الحكومات العربية وتقدمت للشهادة امامها . وكانت النتيجة أن اوصت اللجنة بادخال مئة الف يهودي حالا ، وتسهيل الهجرة فيما بعد بخلق ظروف ملائمة لذلك ، والغاء القيود على انتقال الاراضي من العرب الى اليهود ، وفرض وصاية مشتركة انجلو أمريكية ، على أن يصار فيما بعد الى اقامة دولة ثنائية القومية . وكان من الطبيعي أن يرفض العرب هذا المشروع رفضا باتا ، كما وأن اليهود اصروا على اقامة الدولة اليهودية في جميع ارض فلسطين في الحال . ومرة ثانية حاولت بريطانيا حل المسألة عن طريق اقامة كانتونات عربية ويهودية في فلسطين مع الاحتفاظ بالسيطرة على فلسطين كلها بحجة المحافظة على الامن والسلام . ولكن العرب واليهود على السواء رفضوا هذا المشروع ايضا . وعقب هذا قررت بريطانيا عقد مؤتمر يضم ممثلين عن الدول العربية وعن الحركة القومية العربية الفلسطينية والوكالة اليهودية . واخفق هذا المؤتمر ايضا في الوصول الى حل يرضي الجميع .

في هذه الفترة ما بين انتهاء الحرب العالمية الثانية وعرض القضية الفلسطينية على هيئة الامم المتحدة تضاربت الاراء هنا في اوساط الحركة الوطنية بين حصر المشكلة الفلسطينية بيننا وبين الانكليز فقط وبين توسيع الاطار بحيث يشمل امريكا أيضا ، وبين عرضها على هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن . وبعد البحث والمشاورات قررت دول الجامعة العربية والقيادة التقليدية الفلسطينية ممثلة بالهيئة العربية العليا في مؤتمر الجامعة العربية الذي عقد في بلودان ان ترفض تدخل امريكا في الموضوع وان

تحصر المساعي لحل القضية الفلسطينية في المفاوضات مع انكلترا . ولكن الكثيرين كانوا يدعون الى اخراجها من الطوق الانكليزي او الانجلو امريكي ، والى عرضها على هيئة الامم ومجلس الامن . وكنت انا من ضمن هؤلاء . وقد ارسلت في حينه برقية بهذا الشأن الى رؤساء الحكومات العربية ، وفيما يلي نصها كما وردت في الخبر الذي نشر في جريدة فلسطين العدد ٧١ بتاريخ ٢٣ــ٥ــ١٩٤٦ :

« القدس في ٢٢ ايار ــ لمراسل فلسطين الخاص ــ ارسل الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العربية العليا الى اصحاب الدولة رؤساء الوزارات في جميع الاقطار العربية ، والى مجلس الجامعة العربية ، والى الحكومة العربية السعودية وجميع الصحف العربية في الاقطار الشقيقة البرقية التالية : « احييكم ، ان طلب الحكومتين الانكليزية والاميركية رايكم في تواصي اللجنة المشؤومة مكيدة جديدة اناشدكم عدم الوقوع فيها ، مأساة فلسطين من صنع الاستعمار الانكليزي والراسمالية الاميركية ، ان استمرار الوضع الراهن وبقاء الاحتلال والصهيونية سهم في قلب البلاد العربية يجب انتزاعه. الحل الوحيد الاستقلال التام وتأليف حكومة وطنية دستورية ديمقراطية في الحال وجلاء الجيوش الاجنبية . نطلب تأييدكم وعرض المشكلة على هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن كنزاع بين العرب كفريق والاستعمار والصهيونية كفريق آخر »

وتلقيت في ٣٠ــ٥ــ١٩٤٦ البرقية الجوابية التالية من لجنة الاحزاب العراقية التي نشرت في جريدة فلسطين بتاريخ ٣١ــ٥ــ١٩٤٦ :

تلقى الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العربية العليا البرقية الاتية من بغداد « تلقينا برقيتكم ، نحييكم ونقدر نضال فلسطين وقيادتها مقترحاتكم تتفق ووجهة نظرنا ، سبق للجنة الاحزاب أن استنكرت المشاورات التي اعلنت الحكومتان البريطانية والاميركية عزمها على اجرائها كما أن لجنة الاحزاب سبق لها أن طلبت عرض قضية فلسطين على مجلس الامن وهي ساعية لحمل الحكومة العراقية على تحقيق ذلك » .

وكتبت ايضا عدة مقالات في جريدة « فلسطين» ومجلة «الغد» انذاك ادعو فيها الى عرضها على الجمعية العمومية لهيئة الامم ومجلس الامن للاستفادة من تنافس الدول الكبرى ، والاستعانة بالدول المحايدة والدول التي تحررت حديثا ، على اقرار حقنا في تقرير مصيرنا بأنفسنا وانتزاع الاستقلال وارغام الانكليز على الجلاء . وفيما يلي بعض هذه المقالات :

هيئة الامم المتحدة

سننتصر اذا عرضنا عليها قضية فلسطين العربية

ان الوضع الحالي الذي نعانيه اليوم هو من صنع الاستعمار والراسمالية

الامريكية ، لحرماننا من حريتنا وتسلم الاستعمار زمام الحكم في بلادنا ، هو الـــذي فتح أبواب الهجرة وهو الذي سهل بيع الاراضي وهو الذي اقام من بلادنا موطن خطر على استقلال البلاد العربية جميعها فضلا عن دوسه لحقوقنا ومتابعته تنفيذ سياسته المبيتـــة لنــــا .

ولقد اعتدنا أن نرى الاستعمار يلجأ الى سياسة التسويف والمماطلة والى كيـــل الوعود المكذوبة بلا حساب كلما وجد نفسه يقف وجها لوجه امام الشعب وكلمـــا ساقته طبيعة التناقض في سياسته الى الظهور بوجهه المكشوف ونواياه المفضوحة ولا حاجة بنا الى استعراض وعوده الكاذبة المتتالية والتي ابتدات منذ ابتدات صلته بنا والتي لن تنتهي الا بانتهاء هذه الصلة ، تلك الوعود التي لم ينفذ ولن ينفذ وعدا واحدا منها ، على حين لم يتردد في تنفيذ سياسته المبيتة في خلال كيل تلك الوعود .

ولقد جاء تقرير اللجنة المشتركة ، وما فيه من التواصي ، صورة مكشوفة عمـــا يبيته لنا كما أن مخادعته في « المشاورات » بشأن تقرير اللجنة ، انما هو استمرار في استعمال اساليب التخدير والمماطلة ، وصورة واضحة جلية عن « الكلام » بشيء و « العمل » بضده فكأنه لم يستشر الجامعة واللجنة العليا بشـــأن هجـــرة ١٥٠٠ مهاجر شهريا ، وكأن هذه الهجرة ليست قائمة رغم رفض الهيئتين لها ، ورغم أن مدة تلك الهجرة كانت مقيدة بمدة عمل لجنة التحقيق وكأن تلك الهجرة مشروعة وغير مشروعة ، لم تكن مستمرة قبل الاستشارة ، وفي خلالها وبعد رفضها والى الان ..

اننا لا نستغرب هذه السياسة من الاستعمار لانه ليس مـــن الطبيعي ولا مـــن الممكن ان تحل قضيتنا على اساس مصادقته ولا من الممكن والطبيعي أن يصفي نفسه بنفسه وعن رضاه فنحن وهو على طرفي نقيض وسياستنا التحريرية تتناقض كلية مع سياسته الاستعمارية والنضال بيننا وبينه قائم ما دام هو موجودا

والمجال الذي نستطيع أن ننازله فيه اليوم ، هو هيئة الامم المتحـــدة ، ومجلس الامن . وفي اعتقادي أن اي نوع من انواع المفاوضة معه ، هـــو مضيعـــة للجهود والوقت ، وتسويف لا خير لنا فيه . وحسبنا دليلا على ذلك ، ان المفاوضة بينه وبين شقيقتنا مصر ، تلك المفاوضة التي استغرقت شهرين ، جلت خلالهما الجيـــوش الاجنبية عن سوريا ولبنان ، على حين ضاعت فيهمـــا جهـــود المفاوضين سدى ، وانتهيا بعزم الحكومة المصرية على عرض قضيتها على مجلس الامن كما يبدو ذلـــك من أخبار الصحف .

غير أن بعض الوطنيين المتخوفين على قضيتنا ، والمشفقين عليها من المغامـــرة بطرحها في منظمة الامم المتحدة ، يترددون في الجزم بضرورة ذلك ، ويتخوفون مـــن النفوذ الدولي لانكلترا وامريكا ، ومن أثره في أحتمال صدور قرار جـــائر ضدنا ، فنكون قد سعينا الى ايذاء قضيتنا بايدينا ، ونكون قد سقنـــا الشر الى انفسنـــا بأنفسنا . وقد ذكرت بعض الصحف الاسبوعية أن (مسؤولا كبيرا جدا) في اميركا

ـ ولعله عفيفي باشا ـ قد أرسل يحذر من عرض القضية على هيئة الامم ، ويتخوف من نفس ما يتخوف منه بعض الوطنيين عندنا . وقد أشارت بعض الصحف ايضا الى أن عزام باشا صرح انه في حالة انتصارنا على بريطانيا في منظمة الامم ، فاننا لن ننتصر على الصهيونية . ومع استبعادي الشديد لان يكون قد صدر تصريح من هذا النوع ، عن عزام باشا ، فانني اعتقد أن الصهيونية قطعة من الاستعماريين البريطاني والاميركي وفي حالة هزمهما فانها بالتأكيد مهزومة فيهما لا محالة ، لانها ليست شيئا منفصلا عنهما ولا حماة لها غيرهما .

انني اعتقد أن التخوف من عرض القضية تخوف لا مبرر له ، وانه حرص دفع اليه شرف القائلين به واشفاقهم على الوطن من مستقبل مظلم جديد ، غير أن البحث في هذا الامر ، وتقليبه على وجوهه ينير لنا الطريق ويقودنا الى الحقيقة . فما الذي يحدث لو أننا عرضنا قضيتنا على هيئة الامم ؟ وما هو القرار الذي يمكن أن يصدر عنها ؟

انه في رأيي احد قرارين : فاما أن يكون قرارا بحق تقرير المصير اي الاستقلال التام ، وحكمنا لانفسنا بأنفسنا ، وهو ما يصبو ويناضل لاجله كل وطني واما أن يكون قرارا بنقل البلاد من الانتداب الى الوصاية وفي مثل هذه الحال لا يجوز لمجلس الوصاية او الدول الوصية أن تحدث اي تغيير اساسي في البلاد . والهجرة ـ بلا شك ـ تغيير أساسي لا يجوز احداثه .

ان ميثاق هيئة الامم المتحدة لا وجود فيه للرجوع من الانتداب الى الاستعمار . ولا وجود فيه لغير نقل البلاد من الاستعمار الى الوصاية أو الاستقلال ولا يمكن أن يصدر قرار في غيرهما . وفي احدهما خلع لنير الاستعمار ومنع للهجرة ، وفي الاخر غل ليد الاستعمار ووقف للهجرة ولاعتداء الصهيونية التي لو كانت ترى في عرض القضية مصلحة لها لاقامت الدنيا واقعدتها حتى تحقق ذلك .

وهيئة الامم اليوم غير عصبة الامم الغابرة واختلافها عن سالفتها هو الذي يمنع بريطانيا من أن تطرح هي بنفسها قضيتنا كما فعلت بعد الحرب العالمية الاولى لانها لا تضمن تأييد اعضاء هذه الهيئة لها . ولو كانت تشعر هي او اميركا او الصهيونية بتأييد هذه الهيئة لما ترددت لحظة واحدة في طرحها وكسب هذا التأييد

وانني اعتقد أن أكثرية أعضاء منظمة الامم يؤيدوننا نحن ويساندون قضيتنا فقد تلقى رئيس جمهورية لبنان ، رسالة من رئيس جمهورية الارجنتين جاء فيها « أرجو منكم أن تبلغوا الدول العربية انني عازم على تأييدها كل التأييد في قضية فلسطين ... وأتعهد لكم ، في حالة تقديم القضية الى هيئة الامم المتحدة ، بأن يؤيدكم نحو «٢٠» صوتا ، من أصوات دول أميركا الوسطى والجنوبية » .

فهذه الاصوات العشرون ، ستنضم اليها بلا شك أصوات الدول العربية الخمس ، وايران ، وتركيا ، والصين ، والاتحاد السوفياتي ، وأوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، وبولونيا ، ويوغوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبذلك سيكون الى جانبنا (٣٤) صوتا من (٥٣) صوتا . وهي أكثرية واضحة ، ولا اشك في أن هذه الاصوات قابلة للزيادة اذا احسنا عرض قضيتنا ، واتصلنا بأعضاء المنظمة ، وشرحنا لهم عدالة مطالبنا .

وها نحن نرى انه لا يمكن ان يؤخذ قرار يجعلنا في وضع اسوأ من الوضع الحالي، وها نحن نرى ان انصارنا اكثر من اعدائنا ، مما يدعو الى التفاؤل ومما يبين انه لا مبرر للتخوف من عرض القضية على هيئة الامم .

وأما عرضها على مجلس الامن فليس فيه ما يدعو الى الحرص والتخوف أيضا . فان اعضاء هذا المجلس احد عشر عضوا ، سيؤيدنا منهم : مصر والاتحاد السوفياتي ، وبولونيا ، والمكسيك ، والبرازيل ، والصين ، وسيكون ضدنا بالتأكيد انكلترا ، واميركا ، وهولنده ، وأما فرنسا واستراليا فموقفهما مشكوك فيه ، وفي حالة وقوفهما ضدنا فان الذين الى جانبنا يكونون الاكثرية . وحتى في حالة حصول الاكثرية في جانب بريطانيا ، فليس من غير المؤكد أن يستعمل حق « الفيتو » للحيلولة دون اتخاذ اي قرار في غير صالحنا ، كما وقع في قضية سوريا ولبنان .

ان عرض القضية على هيئة الامم المتحدة في مصلحتنا وحدنا ، وفي اعتقادي انه ضرورة وطنية يجب أن نعمل لها وان نقرر الطلب الى الجامعة بعرضها وان نعمل على الاتصال بأعضاء هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن لشرح قضيتنا وتوضيح عدالتها لنفوز بأوسع ما يمكن ان نفوز به من التأييد وانني اعتقد أن شعبنا وقيادتنا اللذين ناضلا ويناضلان الان وسيتابعان النضال من أجل الحرية لن يترددا في التضحية مهما عظمت في هذا السبيل والله من وراء القصد .

الدكتور خليل البديري
جريدة فلسطين تاريخ ٢٩ــ٥ــ١٩٤٦

حول مقررات بلودان

لماذا نفاوض بريطانيا بعد أن خبرناها

نقلت الصحف والبرقيات اخبار مباحثات الجامعة العربية في بلودان ، حول قضية فلسطين وغيرها . وكانت في خلاصتها معالجة لامرين احدهما تعيين اتجاه الجامعة في موقفها السياسي الدولي . والاخر معالجة قضيتي طرابلس وفلسطين على أساس هذا الاتجاه . وقد كان قرار الجامعة الخاص بفلسطين ملخصا في الرد على اميركا ، واعتبارها دولة لا شأن لها بفلسطين وفي تاليف لجنة تقوم بمفاوضة انجلترا لالغاء

تواصي لجنة التحقيق المشتركة . وقد صرح عزام باشا بأن الجامعة ستطلب الى **الحكومة البريطانية أن تبدأ المفاوضات قبل بداية شهر ايلول .**

ان هذه المفاوضات تعني اولا : التسليم بحق بريطانيا في هذه البلاد وانها طرف لا بد من التفاوض معه على أساس هذا الحق ، وانها ليست كاميركا او غيرها من الدول الاخرى لا حق لها مطلقا في التدخل بشؤوننا . او التسليم بهذا الحق ، معناه نفي وجودها في بلادنا كمستعمرة غاصبة ، واشراكها في التدخل بشؤوننا وفي حق تقرير مصيرنا ، خلافا للحق الطبيعي المشروع ، وخلافا لميثاق منظمة الامم ، التى لا تعطي حق تقرير المصير لغير اصحابه

وتعني هذه المفاوضات ثانيا: ان الجامعة العربية لا تزال تثق بالاستعمار البريطاني وتأمل فيه الخير . وقد ظهرت هذه الثقة حتى في المشكلة الفلسطينية التي تعتبر من مآسي التاريخ ، والتي كانت من بناء الاستعمار البريطاني وحده والتي لا تترك ثقة لابسط الناس معرفة به . وانه لمن دواعي الذهول ان تعود الجامعة الى سياسة المفاوضات والمشاورات بعد ان جربتها بنفسها في القريب حين شاورتها بريطانيا في ادخال (١٥٠٠) مهاجر شهريا فرفضت الجامعة ذلك واصرت بريطانيا عليه وكان ما أرادت بريطانيا ولم يكن ما ارادت الجامعة ثم عادت الجامعة فقررت المفاوضة والتشاور في أمر المئة الف كأن الامر بدأ من جديد وكأن لم تكن مفاوضات سابقة وكأن لم يكن رفض سابق وكأن الذين دخلوا من المهاجرين دون رضى الجامعة ودون رضى شعب فلسطين شيء غير جدير بالبحث وكأن ما ارتكبه الاستعمار سابقاً لا حساب له . وكأن الامور تستأنف دائما من جديد ، لا علاقة لسابقها بالبحث وكأن الثقة ببريطانيا شيء هو فوق اعمالها وهو الشعار الدائم دون ماتقوم به من أعمال تزعزع ثقة الحجارة بها . لقد نكث الاستعمار البريطاني كل وعوده السابقة لنا وهو مستمر في سياسته فما معنى هذه الثقة المستمرة ؟ والحديث الشريف يقول « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فكم مرة نريد أن نلدغ ؟ وقد خان الاستعمار البريطاني وعوده للشعوب والامم الاخرى وهي تمقته وتبغضه فهل من مصلحة بلداننا العربية أن تسير في قافلته وتنجر وراء سياسته فتشاركه تلقي هذا البغض وتحمل نتائجه ، مع يقينها بأنها لن تنال من هذه النتائج غير الغرم وهو وحده ينال الغنم ؟

قد يقول البعض : ان بريطانيا ومن ورائها اميركا ، دولتان قويتان جداً ، فمن مصلحتنا السير معهما ، ومن مصلحتنا مسايرتهما . وانني لاسأل القائلين بهذا القول، معتقدا ان رائدهم المصلحة : على من تعود مسايرتهما في داخل بلادنا بالنفع اعلى الشعوب التي تريد حريتها وانماء ثرواتها ، ام على المستعمرين المستغلين لهذه الثروات ؟ واذا كانوا يعنون بمسايرتهما في الخارج ، فهل نقفز عن اوضاعنا الداخلية اولا ؟ وحتى في حالة اطمئنان هذه الاوضاع ، ما الذي يعود علينا من مسايرتهما غير

كسب الاعداء ونحن في غنى عن ذلك ؟ ثم اليس وقوفنا موقف المحايد خيرا لنا من كسب الاعداء وتكبد الخسائر ؟ وهل نطمع في مطمع خارجي ، ونحن انفسنا طعمة لهذين الاستعماريين ؟

ان الثقة ببريطانيا ، تنقضها مفاوضتها الحالية مع اميركا لارسال الجنود الى بلادنا . فمن تخف بريطانيا ؟ أمن مقاومة اليهود لتواصي اللجنة ؟ وضد من ترسل هذه الجنود ؟ أليست ضدنا نحن الذين لا يمكن ان نرضى بحالنا الراهن ، فضلا عن ان نرضى بتواصي اللجنة ؟ أليست ضد البلاد العربية جمعاء ، باقامة الوطن القومي، وتوطيد أركان الاستعمار في بلد يعتبر قلبا للبلاد العربية كلها ، ومكمن خطر على حرياتها واستقلالها ؟ ان الثقة بالاستعمار البريطاني هي التي دعت « بيفن » لأن يقول بعد قرار الجامعة « وقد وجدت في تعاملي مع العرب سخاء عظيما » وهي التي دعته لان يستغل هذه الثقة الى ابعد الحدود ويقول « وقد اقتنعت ان مجرد الغاء الكتاب الابيض لا يذهب بعيدا عن سبيل حلها » ..

وتعني المفاوضات ثالثا : التسليم بالوضع الحاضر ، وعدم معالجته ، وقصر الامر على البحث في تواصي لجنة التحقيق . ومعنى هذا ان تستمر الهجرة وأن يستمر بيع الاراضي وان يستمر الاستعمار وحكم الاجنبي لبلادنا ، وان يستمر حشد الجيوش ، وبناء المعسكرات واستصدار القوانين لتوطيد الصهيونية وبناء الوطن القومي . فهل قصر المفاوضة على بحث التواصي مجد ونافع ، مادامت هذه التواصي سارية المفعول عمليا ؟ قد يفهم الشخص معنى المفاوضة ، اذا كانت الامور المتفاوض عليها رهن البحث ، واذا كانت المفاوضة ستقر هذه الامور او ترفضها ، ولكن ما معنى المفاوضة والهجرة مستمرة ، والبيوع جارية ، وحشد الجيوش مستمر ؟

ان قبول الوضع الراهن معناه القبول بما يقع فيه : ومعناه القبول باستمرار دخول «١٥٠٠» مهاجر رسمي ، واضعاف هذا العدد من (غير الرسميين) ، والقبول باستمرار الحكم الاجنبي فهل هذا ما عنته الجامعة العربية بقرار المفاوضة وهل هذا ما تريد ان تخدم به الدول العربية فلسطين ونفسها ؟ انني أعتقد ان الجامعة لا تنوي ذلك . ولكن ما قيمة هذه النية من الناحية العملية ، ان عدم القيام بعمل حاسم في وضعنا الحاضر ، معناه استمرار الخطر علينا وعلى البلاد الشقيقة ، ومعناهمساعدة وخدمة للاستعمار من الناحية العملية مهما سلمت نوايانا وحسن قصدنا . ولقد قال بيفن في خطابه عن مشكلة فلسطين « هل تريدون حل هذه المشكلة ؟ ان كنتم تريدون فانني اقترح عليكم ترك الامور حيث هي » .

ثم ما هو الذي نريد ان نفاوض بريطانيا فيه ؟ فانها لا تجهل قضيتنا ولا يمكن ان تفهمها غير الفهم الاستعماري . ولقد صدق بيفن حين طلب ترك الامور حيث هي ، لان معنى ذلك الاستمرار في بناء الوطن القومي وتوطيد أركان الاستعمار ، وهو لا

يريد غير ذلك وما فكرة المفاوضة مع استمرار الوضع الا تلهية واشغال عـن ضرر عملي قائم ، بأمل مؤكد الخيبة والتكذيب ، وتحقيق ومعاونة للاستعمار قصدت او لم تقصـد .

أن وقف ما يجري الان في بلادنا من هجرة وبيوع وحكم الاجنبي ، هو الذي يجب أن نقوم به ، وهو الذي يجب أن نناضل من أجله . وهذا لن يكون بالمفاوضة ، وتمطيط الامور وانما يكون بطرح القضية على مجلس الامن حالا ، وباصرار الدول العربيـة على وقف الهجرة ووقف بيوع الاراضي حالا ، والنضال من أجل استرجاع حقوقنا في هيئة الامم المتحدة ، وبكل ما يمكن أن نقوم به من اعمال اخرى .

انني أؤمن بأن الجامعة العربية انما قامت لخدمة البلاد العربية ولمحاربة اطمـاع الاستعمار وان قضية فلسطين قضية العرب جميعا ، وان حلها السريع خير لاهلهـا وللشعوب العربية وللسلم العالمي . وانني أهيب بشعوبنا وقياداتنا ان لا تتردد في معالجة الوضع الراهن ، وفي الوقت الحاضر . والله الموفق .

القـدس :   الدكتور خليل البديـري
عـن جريـدة فلسطين تاريخ ١٦ـ٦ـ١٩٤٦

علـى هامـش مشروع التقسيـم

كفانـا انخداعـا

ان سياسة التسويف والمماطلة التي اتبعتها بريطانيا وما تزال تتبعها ، بشـأن قضايانا هي سياسة تقوم على تنفيذ أغراضها عمليا ولفها بالتلهية والتأميل قـولا وتكون نتيجتها دائما تنفيذ ما يريد الاستعمار والابتعاد عن بحث الواقع ومقاومتـه

ان الافراط في حسن الظن ببريطانيا ، من بعض ساسة العرب واملهم الخلب فيها ، يتطابق مع سياستها ، ويحملها على استغلال هذا الامل في اندفاعهاوتكالبها على تنفيذ هذه السياسة ومن المؤلم ان تكون شواهدنا على ذلك الحوادث المـريرة التي يعانيها وطننا العزيز ، والتي وصلت الى هذه المرحلة التي لا تحتاج الى شـرح

لقد فتح الاستعمار ابواب الهجرة ، واشترط موافقة العرب عليها فكان ذلـك ـ تأهيلا ـ مخادعا وانخدع به بعض الساسة فاشاروا بوقفها فكان الواقع هو استمرار الهجرة بل كان اكثرمن ذلك وهو استقبال سفن الهجرة ـ غير الرسمية ـ داخل المياه الاقليمية وخارجها وقيادتها الى شواطىء السلامة ثم ما يتبع ذلك من الشكليات الرسمية التي تنتهي ببقاء هؤلاء المهاجرين ـ غير الشرعيين .. ونحن نعلم الطرق التي تسلكها جميع حكومات العالم بشأنهذا النوع من الهجـرة بـل نعلم ان حكومة فلسطين تسجن كل مهاجر «غير شرعي» من المصريـن والسوريين ثم تقوم بابعادهم وهكذا فاننا لا نلبث ان نواجه بالامر الواقع و« بمشروعية » من سيقت بهم السفن الى شواطىء السلامة .

ثم الف الاستعمار اللجنة المشتركة واعلن ان عملها التوصية بايجاد حل عادل دائم واشترط موافقة العرب على توصياتها .فكان ذلك تأميلا مخادعا وانخدع بــه بعض الساسة فتقدموا بشهاداتهم امامها ثم كان الواقع ومنه ادخال مئة الف مهاجر في عام وهو حادث شديد المرارة ثم اعلن الاستعمار ان الحكومة البريطانية غير مقيدة بتواصي اللجنة ، وقد لا ترى ادخال هذا العدد الضخم من المهاجرين ، فكان ذلــك ــ تاميلا ــ مخادعا ، وانخدع به بعض الساسة وطالبوا بالمفاوضات مع بريطانيا فكن الواقع وهو اعلان تجزئة فلسطين وادخال المائة الف واستمرار الهجرة فوق ذلك ، وهو اشد الحوادث مرارة ، واعظمهـــا خطورة ، ودعـــت بريطانيا الدول العربية للمفاوضة ، واعلنت في صراحة ،ان اساس المفاوضات ، هـــو مشروع (الدولة الاتحادية) . فهل بقي بعد هذا شيء من حسن الظن ، وهل باستطاعـــة احد ان ينكر ان حسن الظن هذا قد انتج الكثير من المساويء العملية الملموسة ؟

لقد كان لمعالجات « فلسطين الغراء »ولمقالات فضيلة الشيخ راغب ابي السعود الدجاني اثرها الواضح ، لصراحتها وصدق منطقها . ولقد اصبح واجبا علينا في فلسطين ، ونحن نقترب من الفناء ساعة فساعة ، ان تسلك طريقا سياسيا اخرلا يكون لحسن الحظ فيه وجود ، وان نكتفي بهذه الدروس المريرة القاسية وان نردد مع صاحب الفضيلة الشيخ الدجاني «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »

وعلينا ان لا نستوحي سياستنا من « الامل » في هذه الدولة او تلك ، ولا من الادل ممن يمكن ان يساعدنا من الدول هذه او تلك ، ولا مـــن الخشية ممن يمكن ان تستغل وضعنا لمصالحها ، هذه الدولة او تلك ، وانما يجب ان نستوحي سياستنا من واقعنا الذي نعانيه ، وان نختط سياستنا من وحي هذا الواقع ، والخروج الى ما فيه خير قضيتنا ، ولا يضيرنا بعد ذلك ، غضب من غضب ، او رضي من رضي فلا يجوز ان تكون المساومة هي الاصل وقضيتنا سلعة فيهاوانما يجبان تكون قضيتنا هي الاصل ، وان لا تكون هنالك اية مساومة واذا الحت الضرورة فلتكن المساومة لمصلحتها ، لا ان تكون هي المصلحة المقاومة

لقد اعلن البريطانيون قبل مدة ان التقسيم مشروع اميركي ، لا يوافقون عليه، وظهر اليوم ان التقسيم مشروع بريطاني ، قد لا يوافق عليـــه الرئيس ترومان . واعلن البريطانيون ان هجرة المائة الف طلب اميركي يلح الاميركيون في تنفيذه، ثم ظهر اليوم أن البريطانيون لم يصادقوا عليه فقط ، بل اعلنوا استئناف الهجرة ايضا وليس الغرض من كل هذه الظواهر ، الا التلهية والتاميل . وتمديد الوقت الذي يتم خلاله تنفيذ السياسة المبيتة ، ومواجهتنا بـــالواقع والواقع السيء دائمـــــــا

ان هذا لا يزدنا الا علما بالاستعمار ونواياه ، والا رفضا لان تكون سياستنـــا منسجمة معه ، والا الثقة بان موحى سياستنا وخططنا يجـــب ان يكـــون قضيتنا وواقع اوضاعنا . وهذا يقودنا بالطبع الى ان نكون نحن المقررين لسياستنا قبل غيرنا

وان لا يكون لقوم مهما اتصلت بيننا وبينهم الروابط ، حق الاملاء علينا ، او الانهاء في امورنا دوننا .

واننى اهيب بشعبنا وقادته ان يضعوا حداً للخطة السياسية القديمة وان يختطوا سياسة جديدة تبدا باخراج قضيتنا من النطاق الاستعمارى بقرار عرضها على مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة حيث نطالب بحق تقرير المصير وحيث نقضي نهائيا على تأجيل الاستعمار واستمرار مخادعته وانني اهيب بشعبنا وقادتنا ان يعقدوا مؤتمرا وطنيا كبيرا يقررون فيه خطة سياسية جديدة تقوم على اساس الميثاق القومي وتسلك سبيلا اعظم فائدة واكثر جدوى فكفانا تجارب وخداع

ولسوف يعيد الاستعمار الاعيبه وتلهياته وتاميلاته ، وسيجعلها اداة لكسب الوقت وتنفيذ سياسته ، فهل سينخدع بها احد بعد ؟ ان موقفنا في فلسطين يجب أن يكون حازما وسريعا ، ويجب أن لا نضيع لحظة من وقتنا الخطير الثمين ، فمبا بعد هذا الخطر الذي يواجهنا من خطر ؛ ولا بعد هذا الحل المشؤوم من حلول

(عن جريدة فلسطين ٣ — ٨ — ١٩٤٦)

ممن تفاوضون ؟ ... وفيم تفاوضون

دخلت بريطانيا بلادنا دخول الحليف ؛ وتصرفت فيها تصرف المستعمر ، وقد لجأت الى عصبة الامم المنقرضة فاخذت منها (مشروعية) الاستعمار ، تحت الاسم الزائف المعروف « بالانتداب » وامضت فيها نحو ثلاثين عاما تعتبر سجلا تاريخيا رائعا لشعب ضعيف اعزل عنيد جدا في طلب حقه ، عناد الحق نفسه ، ومناضل ببسالة في سبيل حريته ، استبسال الحرية نفسها ولقد كانت العشرون سنة الماضية من الادلة التي لا تناقش ، على ان العرب لم يكونوا في لحظة من اللحظات يعترفون بحق وجود بريطانيا في بلادهم ولا بمشروعية ما سمي بالانتداب . ولقد اتبعت بريطانيا سبيل التغلغل في الحكم ، وتسلم كل السلطات من كبيرة وصغيرة حتى وصفت بحق انها « حكومة بوليسية » ولقد ادت طريقها في الحكم ، الى اقل مما تقوم به حتى الحكومات الديكتاتورية من تامين الامن ، وحماية الحقوق المدنية ، حتى اصبح همها حماية نفسها وموظفيها ، وحسبك في قلاع الدوائر ، وفي مد الاسلاك الشائكة دليلا اي دليل ، فاما الواجب الذي نصبت نفسها من اجله ، وادعت انها قيمة عليه من نقل البلاد الى الاستقلال ، ومن احلال الوئام بين اهلها ، فان مبلغ نجاحه منثور على الاسلاك الشائكة ، ومتقلص في قلاع الدوائر ومفضوح بشكل مبتذل ، في مشروع « الدولة الاتحادية » والذي هو الان موضع المفاوضة المضحكة المبكية ...

ان ما وصلت اليه حالنا هو من صنع بريطانيا وحدها ، وفي خلال مدة الانتداب الذي لم نعترف به في يوم من الايام . وان جمعية الامم البائدة التي وافقت على

الانتداب ، قد سقطت صفتها الدولية اليوم . لـم تصدق على مشروعية وجود بريطانيا في بلادنا ، بل لم تبحث قضيتنا وقضية الانتداب بعد . فهل نعطي نحن صفة المشروعية لوجود بريطانيا عندنا بالمفاوضة ؟ وهل هذا في مصلحتنا ؟ وهل الطريق اليوم غير طريق هيئة الامم المتحدة ؟

ان بريطانيا تصر على ان يكون اساس المفاوضة مشروع الدولة الاتحادية . وان اميركا تصر على توسيع منطقة اليهود وعلى توسيع الصلاحية لهم في الهجرة، ومعنى ذلك انها توافق على الاساس ، فهل لنا من نفع يرجى في هذه المفاوضة ؟ وما هو؟ اذا كان هذا النفع هو شرح قضيتنا ، فهل من المنطق ان نفهم بريطانيا ما اوقعته هي نفسها ببلادنا مدة ثلاثين عاما ؟ او لم تكفِ وقائع الاحوال ، وشروح المكاتب العربية وطيرانات امين الجامعة ، واجتماعات الملوك والقادة، بروزفلت وتشرتشل وباعضاء لجان التحقيق المختلفة ؟ ما الذي انتجته كل هذه الجهود والمساعي ، انها اذا لم تكن كافية ولا مقنعة فانها مصيبة . وانها اذا كانت قد انتهت الى اقناع بريطانيا بمشروعها الجديد فالمصيبة اعظم ، وما لعظمها من حد .

وحتى في حالة « الحلم » بما يمكن ان تنتجه هذه المفاوضات من « خيـــر » فهـــل يمكن ان تكون الا شيئا دون ما انتجته مفاوضة شرق الاردن لبريطانيا ؟ واسمـــع مبلغ ما تنتجه امثال هذه المفاوضات من القيمة الدوليـــة ، والكرامة العامة فيما اوردته شركة رويتر بخصوص دخول شرق الاردن في هيئة الامم المتحدة :

« نيويورك في ١٥ — ر — طلب مندوب بولونيا في مجلس الامن تأجيل طلب المملكة الأردنية الهاشمية الدخول في صفوف الامم المتحدة وبنى طلبه على كون المعاهدة الاردنية البريطانية تنص على ان تقدم بريطانيا للاردن مساعدة مالية على ان يكون لها الحق في وضع جنود واسلحة هناك . هذا لا يعني ان المملكة الاردنية دولـــة ذات سيـــادة » .

ومندوب بولونيا الذى يقول هذا القول هو نفسه الذي كان يؤيد بشدة سوريا ولبنان حين عرضتا قضيتهما على مجلس الامن اليست النتيجة التي انتهت اليهـــا « مفاوضات » شرق الاردن كانت ضدها في الداخل والخارج ، الم تكن نتيجة لجوء سوريا ولبنان الى مجلس الامن . ورفضها الدخول في اية مفاوضات مع بريطانيا وفرنسا سوى المفاوضات الفنية في كيفية الجلاء ، الم تكن تلك النتيجة خيرا لها؟ وهل مفاوضاتنا مع بريطانيا مفاوضات فنية على اساس اعترافها بحقنا في تقرير مصيرنا وانها « اى المفاوضات » على كيفية خروجها ؟ اما الاساس البريطاني فان المفاوضات فيه على كيفية استمرار البقاء .. فهل نعارض في ذلك ؟

لقد اختلفت هيئة الامم الحالية عن سالفتها وهنالك تنافس بين الدول الكبرى فيها . فما الذي يمنعنا من الانتفاع بهذا التنافس على اساس مصلحتنا ، خصوصا وان دستورهذه المنظمة يعطي الشعوب حق تقرير المصيـــر وسواء اكانت هذه

المنظمة تقوم بالواجب الذي نصبت نفسها له ام كانت الدول الاستعمارية تعمل على عرقلة هذا الواجب فاننا كقوم مغلوبين على امرنا يجب ان لا نكون عونا للاستعمار على اضعاف مهمتها ومركزها ،كما اننا يجب على « الاقل » ان نجعل من هذه المنظمة منبرا لفضح فيه نيات الاستعمار ونتقدم اليها بالشكوى عليه لا في وضع «المتفق» معه والمفاوض له على حساب قضيتنا .

ان المفاوضة لعبة استعمارية مكشوفة ، بانكشاف اساسها اولا ، وبكونها (مفاوضة) بين صاحب حق وبين اخر لا حق له ثانيا . وهي ابعاد عن طريق منظمة الامم التي من حقها بحث (مشروعية) وجود بريطانيا من آساسها . والمفاوضة ايضا بحث في الفرعيات لا في الاصول وابعاد عن تغيير الوضع الراهن من اصله ويحاول الاستعمار نشر الايهام ، وليس‌ثو بالعدالة ؛ في تهاويله الاخيرة بشان الهجرة . وفي القاء التبعات في (تهريب) المهاجرين على غيره ، كأن مبدأ الهجرة نفسه لم يضعه هو ، وكأن مئات الالوف من المهاجرين ، لم تكن هجرتهم من صنع يده ، وكأن جريمة القتل بالعصا يجب ان تحمل على الشجرة التي اخذت منها العصا ، لا على القاتل نفسه

وان القول باللجوء الى منظمة الامم اذا فشلت المفاوضات (رغم وضوح اساسها) قول يدعو الى العجب ، لان فيه اعترافا بأن هيئة الامم فوق بريطانيا وهي محطة الامل ومنتهاه حتى في نظر القائلين بالمفاوضة ولان فيه اعترافا بان ساسة العرب لم يتمكنوا خلال ثلاثين سنة وفي مئات الاجتماعات والتحقيقات من اقناع بريطانيا بوجهة نظرهم وهو اعتراف شديد الالم وشديد الالحاح بضرورة عرض القضية على هيئة الامم ومجلس الامن فضلا عن انه بالاضافة الى وضوح التلهية واضاعة الوقت والجهود ووضوح الاتاحة لاستمرار الوضع الراهن في الهجرة والبيوع وبقاء الاستعمار ... فهل هذا ما نهدف اليه ؟

(عن جريدة فلسطين بتاريخ ١٧ ـ ٨ ـ ١٩٤٦م)

والان ... فماذا نحن فاعلون

الان ، وقد وصل مؤتمر لندن الى نتيجته المتوقعة المحتومة فلنضرب صفحا عن الماضي ، ولنبحث فيما يجب علينا عمله الان ، وكيف يجب أن نقوم به .. اعلنت بريطانيا ، صادقة او غير صادقة ، انها ستعرض القضية الفلسطينية ، على منظمة الامم في دورة ايلول المقبل ، واعلنت في الوقت نفسه ، انها ستتابع ادخال المهاجرين بمعدل (١٥٠٠) مهاجر شهريا ، واعلنت ايضا (في حالة عرض القضية) انها لن تتقدم الى هيئة الامم ، باية توصية كانت ، وانها ستترك للهيئة ، الحرية في وضع اي حل تراه . واظهرت في بياناتها انها كانت ولا تزال محايدة نزيهة في هذه القضية

وان العرب واليهود هم الذين يتشددون في مواقفهم وهم الذين قادوا ويقودون الى تعقيد القضية واشكالها ، حتى لم يعد في وسع محايد نزيه « كبريطانيا » الا نفض اليد ، والا التالم والتاسف على تشدد العرب واليهود والا التقدم الى هيئة الامم للتعاون على ايجاد الحل المعقول ؟

هذا هو الموقف الذي تتظاهر بريطانيا انها تقفه ، وهذا هو الثوب الزائف الذى تضفيه على نفسها . واذا كان لاحد ان ينخدع بهذه البراءة المصطنعة ، وبهذا الرياء الظاهر ، فهو غير العرب وغير قياداتهم السياسية . فان بريطانيا لم تكن طرفا محايدا في هذه القضية ولا هي طرف محايد الان ، ولن تكون كذلك عند عرض القضية ، فلقد كانت خلال الاعوام الثمانية والعشرين الماضية ، هي والصهيونية طرفا واحدا ، ولا يمكن لشخص مهما بلغت سذاجته ، ان يخليها من تبعة الحالة التى وصلنا اليها الان ، بل لا يمكن لشخص سمع بالعدل سماعا ، ان لا يضعها في موقف الخصم الرئيسي من هذه القضية . فمن هو الذي وهب بسخاء بلاد غيره ، وطنا قوميا للصهيونية ، ومن الذي عمل بجد وصرامة لتثبيت اركان استعماره ومن الذي اوجد الامتيازات الاقتصادية والادارية والاستشارية الصهيونية ، ومن تثبيت اركان هذا الوطن القومى ، ومن الذي فتح ابواب الهجرة على مصاريعها: الذي اخضع موارد البلاد ، واكثر من رجال البوليس والجيش والقلاع والثكنات؟ انه بريطانيا ، التى تتظاهر اليوم بالحياد والنزاهة .. بل من هو الذى يسمح الان بالهجرة ، وهل تسيير الهجرة حياد ؟ واية لجنة اوصت بادخال مئة الف مهاجر ، الم تكن بريطانيا هي التي الفتها ؟ ومن عرض المشروع الذى يسمح بادخال (٤٨) الف مهاجر سنويا ، اليس هو مشروع الكانتونات البريطاني وهل هذا هو الحياد ؟ ومن الذي يريد ابقاء الحكم الحقيقي في يده ؟ وهل تقديم بريطانيا مشروع الكانتونات لهيئة الامم لا يعتبر توصية ؟ واذا لم يكن فيه معنى التوصية فهل اجاهل في الدنيا ان يقنع بان واضعه وعارضه محايد ؟

ان بريطانيا لم تكن محايدة ، ولا تكون ولن تكون ، ولا يمكن ان يكون موقفها معاديا للصهيونية ، لان مصلحتهما واحدة ، ولانهما صفحتان لورقة واحدة لا يمكن الفصل بينهما . وان قرارها عرض القضية على هيئة الامم ، فيه غرض اخر ، غير غرض التظاهر بالحياد ، ذلك هو الابهام بانها الرابحة ، واطلاق المجال من الان الى ايلول ، لمعاودة المفاوضة ، وللبحث عن مخرج خلال الشهور السبعة المقبلة والتخويف للعرب خاصة ، بما يمكن ان ينتجه عرض القضية من الخسارة وبابقاء التامل فيها ، وانها خير لهم واكثر ودا وصداقة واملا من غيرها . ولعل اول اثر لهذا الغرض البارع الخبث ، ما سمعناه من تصاريح الانخداع واقوال التردد لبعض السياسيين ، مما نشرته الصحف في الايام القليلة الماضية . وان نظرة الى الماضي والى ما اوصلنا اليه من الحال الاسود الان ، تبين لنا في غير لبس ولا شك ، مبلغ

نية بريطانيا نحونا ومبلغ الهلاك المنتظر في الاخذ بسياسة التردد ؟ والتامل التام في بريطانيا . لقد كانت محافلنا السياسية ، من جامعة عربية وهيئة عليا ووفود مسؤولة ، كانت تقول دائما ، ان الفشل في مؤتمر لندن ، يؤدى بنـــا الى طريق الهيئات الدولية ، والذي نعرفه ان مؤتمر بلودان ، قد قرر رفع قضيتنا الى تلك الهيئات ، يوم قرر المفاوضة مع بريطانيا . وقد جعل تنفيذ القرار الاول موقوفا على فشل المؤتمر . واليوم وقد فشل المؤتمر لم يبق مجال لغير عرض القضية ولم يبق ما يمنع ذلك خصوصا وان بريطانيا نفسها قد قررته .

غير ان عرضنا القضية يختلف عن عرض بريطانيا لها واذا كنا قد املنا خيرا او رجونا الاخذ بالامر عن قريب في الماضي فان هذا الامل وهذا الرجاء قد ثبت ضرره فضلا عن بطلانه . وهو دليل جديد على ان بريطانيا خصم في القضية .فهل ستضع بريطانيا نفسها خصما حين تتقدم بالعرض امام هيئة الامم ؟ وهل ستضع نفسها شريكة الصهيونية فيها ؟ اذا لم نتقدم نحن برفع القضية ونتقدم على اساس الخصومة لبريطانيا والصهيونية معا واذا لم نحكم صوغ قضيتنا وادلتنا على هذا الاساس . فاننا قد اجرمنا نحو وطننا وانفسنا واجرمنا نحو الاقطار العربيـــــــــة وشعوبها عامـــة .

ان للهيئات الدولية مبادىء اساسية تقوم على سيادة الشعوب لانفسها وتساويها وتعاونها على احلال مبادىء السلم والتقدم ونحن شعب يريـــد استقلاله وتقرير مصيره على هذه الاسس الدولية ، ومناورات بريطانيا والاعيبها تحول دون ذلك اننا نريد حكم انفسنا بانفسنا دون ان يكون لاحد تدخل في شؤوننا ،وهو حق طبيعي مشروع يتساوق مع مبادىء الهيئات العالمية ، واننا لا نريد ان نرتبط باية دولة اجنبية ، ولا ان نعطي مركزا ممتازا لاي احد ، وهو حق طبيعي ومشروع ومنسجم مع المبادىء الدولية . واننا نريد جلاء الجيوش الاجنبية عن بلادنا لنعيش احـــرارا فيها اولا ، ولكي لا نكون ثغرة في جسم البلاد العربية ، تنتظر منها طعنة الاجنبي من الخلف ، وفي كل لحظة وفي كل ساعة ، وهو حق طبيعي ومشروع ايضا ، ولا يخالف مبادىء المنظمات الدولية . وفيما عدا ذلك ، وفي النواحي الدولية العامة ، فاننـــا شركاء لهذه الدول واعوان لها ، مثل غيرنا سواء بسواء . هذا مانريده وهذا ما يجب ان نعمل له ، وهذا ما يجب ان نتقدم به الى الهيئات الدولية ، فهل هذا مـــا تريده بريطانيا ، حين تعرض القضية بنفسها ؟ بل هل هنالك من خصم رئيسى قبل بريطانيا يحول دون ذلك ؟

ان الدول العربية ، ذات اصوات لا بأس بها في الهيئات الدولية ، وان موقعها الاستراتيجي الهام ، واثره في السلامة الدولية يقوي مركزها تقوية عظيمة ،ويحتم لها النصر اذا جدت في طلب حق مشروع تقره المبادىء الاساسية لمنظمات الدول، ان علينا واجبين ، يتحتم علينا القيام بهما الان : اولهما الاعراض التام عـــن كل

مناورة او مفاوضة او جر الى حديث بيننا وبين بريطانيا خلال الاشهر المقبلة وان ننزع من سياستنا كل امل بها

وثانيهما : ان نبادر نحن بعرض القضية ، عرضتها بريطانيا او عدلت عن ذلك ،وان لا نترك لها ابدا زمام المبادرة في عرضها وان نبين في جلاء ووضوح حقنا الشرعـــــى وما الحقته بريطانيا بهذا الحق وما يمكن ان تعمله وتتابع عمله ، في حالة بقاء اى تدخل لها بنا وبقضيتنا ، وفى حالة الاعتراف باي حق لها ، اللهم اذا كان الاستعمار واغتصاب الموارد ، وبناء الاوطان علـــى حساب الغير ، حقوقنا نعترف نحن بها او تعترف بها الدول

لقد اصبح زمام المبادرة بايدينا ، ولقد قربنا من الموقف الحاسم في قضيتنا فلنعد العدة ولنعبىء كل قوانا ولننتفع بكل ما يواتينا من الفرص والظروف ولنقدم فهذا وقت للاقدام .. والله من وراء القصد

جريدة فلسطين تاريخ ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٤٧ م

وعلى اثر هذه المقالات تلقيت عدة برقيات تاييدا للاقتراحات والاراء التي عرضتها. وفيما يلي نص معظمها كما نشرت في جريدة فلسطين ومجلة الغد :

الدكتور خليل البديري ـ القدس

نطالبكم بعرض القضية على هيئة الامم المتحدة لان هذه هي ارادة الشعب .

رشاد البكري ، عبد الهادي حنين ، ملحم عبد الرحمن ، كمال بدر ، عبد الله بشير ، حكمت الحموري ، حجازي الدويك ، حسين عمرو

الخليـــــل

الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العليا ـ القدس

نحييكم ونطلب عرض قضيتنا على مجلس الامن الدولي فهى الطريقة المثلى لانصاف عرب فلسطين ـ عن قرية بيت وزن ـ محمد صالح ، حسين الوزني نابلـــس

الدكتور خليل البديري باب العامود ـ القدس

ان طرح قضيتنا امام مجلس الامن الدولي لعـــين الصواب . اؤيـــد الدكتور البديري في برقيته ـ قدري طوقان ، نابلس

الدكتور خليل البديري ـ القدس

نحييكم ونطلب عرض القضية على هيئة الامم المتحدة ، حمدي سلطان التميمي، احمد بيوض التميمي ، رشاد الخطيب ، صادق الجعبري ، حسني الجعبري ،شاكر

عمرو ، عبد المعطي ناصر الدين ــ الخليل

الدكتور خليل البديري ــ القدس

نطالب بعرض قضية فلسطين على منظمة الامم ومقاضاة الاستعمار امام دول العالم الحــرة .

طلال عابدين ، ابراهيم ابو غربية ، راضي الدويك ، عيسى الشعراوي ،عزت عابدين ، محمد الجنيدي ، صبحي الشريف ، يعقوب الحموري ــ الخليل

الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العليا ــ القدس

الانجليز والامريكان غير امناء على قضيتنا . نطلب عرضها على مجلس الامن الدولــــي .

عبد الله صوفان ، احمد الخطيب ، رحمي طوقان ، نواف الضامن ــ نابلس

الدكتور خليل البديري ــ القدس

نؤيد ما جاء في برقية الدكتور البديري الى مجلس الجامعة العربية ونصر على طلب الاستقلال وتشكيل حكومة وطنية في الحال وجلاء الجيوش الاجنبية وعرض القضية على مجلس الامن .

الدكتور عبد الله المغربي ، الدكتور برهان عبد الهادي ، الدكتور محمد نقيب الحسينـــي .

الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العربية ــ القدس

لا مهادنة مع منتهكي حرمات وطننا ومغتصبي حريته . عرض قضيتنا علـــى مجلس الامن ضرورة حتمية لفضح الاستعمار الانكليزي والراسمالية الاميركيـــة الصهيونية ، وربيبتها ولنيل حريتنا

جمعية العمال العربية ــ بيت جالا

الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العليا ــ القدس

نحييكم : عرض قضيتنا على مجلس الامن ضرورة وطنية ومحك لوعى الزعامة السياسي وفهمها لتطوير الاوضاع العالمية ، ممالاة الاستعمار تضعف مركزنا وتزيد من تعنته .

اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب ــ القدس

الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العليا ــ القدس

تلقينا برقيتكم نحييكم ونكبر فيكم نضال فلسطين وقيادتها . مقترحاتكم تتفــق ووجهة نظرنا سبق للجنة الاحزاب ان استنكرت المشاورات التي اعلنت الحكومتان البريطانية والاميركية عزمها على اجراءها كما ان لجنة الاحزاب سبق لها ان طلبت

عرض قضية فلسطين على مجلس الامن وهي ساعية لحمل الحكومة العراقية على تحقيق ذلك .

لجنة الاحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين ـــ بغـــداد

الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العليا ـــ القدس

ان من اوجد مأساة فلسطين لا يمكن ان يحلها لغـــير مصلحتـــه . الاستعمار الانجليزي والراسمالية الاميركية والصهيونية صانعو الماساة واعداء الشعب العربى وغاصبو حريته . يجب اخراج قضيتنا الى الحقل الدولي بعرضها على مجلس الامن فلم يعـــد مجال للمطالة .

رابطة المثقفين العرب ـــ بيت جالا

الدكتور خليل البديري ـــ القدس

باسم ثمانين الفا في قضاء الخليل نطلب عرض القضية على مجلس الامن.

يوسف عبد الحميد عمرو ، موسى ابو عرام ، كايد صويطي ، اسماعيل خليل ابو عملان ، عبد الهادي حنيحن ، محمد محمود سليمان ، عيسى موسى الطرايرى ، توفيق محمود علي ، امام قرية سعير ،ملحم عبد الرحمن .

وفي نهاية الامر اضطرت بريطانيا ، وقد اختفت من الوجود عصبة الامم التي كانت تزعم انها تستمد شرعية انتدابها منها ، الى احالة القضية الى هيئة الامـــم المتحـــدة كصراع او نزاع بين العرب واليهود ، لا كصراع بين شعب يناضل من اجل تحرره وحقه في تقرير مصيره بنفسه ، ودولة تحتل اراضيه رغمـــا عنـــه ، وتعمـــل على تغيير طابعها العربي بفرض هجرة غامرة عليه ، وتحويله من اكثرية ساحقـــة الى اقليـــة مستضعفة ، وتحول دون ممارسته حقه في الحرية والاستقـــلال ، آملـــة في تجديـــد انتدابها او وصايتها منفردة او بالاشتراك مع الولايات المتحدة ، ومواصلة سيطرتهـــا على البلاد بحجة عدم اتفاق العرب واليهود واستمرار النزاع بينهم .

وفعلا عرضت بريطانيا المشكلة على هيئة الامم المتحدة في منتصف سنة ١٩٤٧ ، فقررت الاخيرة ارسال لجنة تحقيق الى فلسطين لدراسة المشكلة ووضع مقترحـــات لحلها . وقدمت اللجنة التي كان من بين اعضائها دول محايدة كالسويد ، والهنـــد ، وايران وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا الى القدس . ولكن الهيئة العربية العليا قررت مقاطعة اللجنة الدولية واصرت على ابقائها داخل الطوق الامبريالي الانجلو امريكى لاعتقادها ان هذا اضمن للمصلحة العربية القومية وفلسطين بالذات ومعلقة آمالها على حسن نوايا الانكليز رغم المرات والمرات التي لدغتهم وصفعتهم فيها ،ورغم انها اصل كل البلاء ، ورفضت بسط القضية وشرحها امام لجنة تضم دولا خرجت على الاطار الامبريالي الى جانب دول مرتبطة بذلك كاستراليا وكندا وبعض دول امريكا اللاتينية . ولا يفوتني أن أذكر في هذه المناسبة أن عصبة التحرر الوطني والاشخاص الآخرين الذيـــن

كانوا يرون أو يدعون الى الاتصال باللجنة وبسط القضية امامها ، التزموا بقرار الهيئة العربية . حفاظا على وحدة الصف ، وامتنعوا عن التقدم بشهادات أمامها . غير انــه لا بد لي ان اذكر أن هذا لم يمنع من اجراء بعض اجتماعات ومحادثات لشرح القضية مع بعض اعضائها في السر ، ومنها اجتماعات جرت بيني وبين الاعضاء اليوغسلافيين في اللجنة بتدبير من مفيد النشاشيبي . ولا اشك في أنه قد كان لهذه اللقاءات اثر في قرار الاقلية التي أوصت باقامة دولة ديمقراطية موحدة أو ثنائية القومية اتحادية الشكل . وكانت النتيجة ما نعرفه من اقرار هيئة الامم في أواخر سنة١٩٤٧ انهاء الانتداب وتقسيم فلسطين قسمة ضيزى الى دولتين عربية ويهودية وجلاء القوات البريطانية عنها .

قرار التقسيم :

لقد كان اقرار التقسيم صدمة لي وللذين نـادوا بعــرض القضيــة على الجمعية العمومية لهيئة الامم ومخيبا لامالنا ، لانه يتنافى مع مبادىء هيئة الامم وميثاقها نفسها وحق تقرير المصير لكل شعب وابسط مبادىء العدل والانصاف ، وخرق فظ لها . والذي آلمني اكثر من أي امر اخر مشاركة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكيــة ودول امريكا الجنوبية التي تعاني من الهيمنة الامبريالية الانجلو ــ امريكية واستغلالها وتسلطها عليها في اقرار هذا القرار وهذه القسمة الضيزى . وفي اعتقادي أن الاتحاد السوفياتي اخطأ في تقييم الوضع واساء من حيث أراد النفع . صحيح ان القــرار نص على اجلاء انكلترا عن فلسطين ولكنه اقام بدلا من ذلك قاعدة أمريكية فيهــا ، اسرائيل ، الى جانب القاعدة البريطانية التي كانت قائمة في الشرق العربي والتى كان يهدف الى تقويضها وازالتها . وتجاهل أو نسي أن الامبريالية والاستعمار وأن تنافسا وتصارعا احيانا ، ، الا انهما في النهاية يتوصلان الى اتفــاق فيمــا بينهم على اقتسام النفوذ ، ووقف الصراع بينهما تجاه خطر حركات التحرر القومي ، والمد الاشتراكي ، وحركات التحرر الاجتماعية في بلدانهما نفسها .هذا ولوانني لا استطيع الجزم بأنهم لو عارضوا أو امتنعوا عن التصويت لكانت النتيجة غير ذلك ، نظــرا لموازين القوى العالمية آنذاك ولازماع الامبرياليين الانكليز والامريكان على الاحتفــاظ بسيطرتهما على منطقة الشرق العربي ، وتواطؤ الحكومات والرجعيات العربية على ذلك عن قصد أو غير قصد ، أو للعجز عن ادراك التغييرات التي طرأت بعد الحرب .

غير ان هذا لا يبرر مشاركة الاتحاد السوفياتي وتخليه عن السياسة المبدئية التى نادي بها منذ نشوئه ، وهي حق تقرير المصير لكل الشعوب صغيرهــا وكبيرهــا ، وتصفية الاستعمار والاستقلال ، وانتهاجه سياسة ذرائعية (برجماتيكية) انتهازية . كذلك لا يجوز اغفال اخطاء القيادة الفلسطينية والحكومات العربية بعدم عرضها هي القضية على الشكل الصحيح ، كقضية تحرير وتخلص مــن الاستعمار والسيطــرة الاجنبية ، وتركها المبادرة لانكلترا لتعرضها كنزاع بين قوميتين على قدر متساو مــن الحق ، وانها لم تأل جهدا في اقامة قسطاس الحق والعدل والتوفيق بينهما ولكن دون

طائل ، لا كصراع بين شعب اصلي صاحب الحق الذي لا يتنازع في بلده ووطنه وبين محتل غاشم ، انكلترا ، ودخيل تفرضه بريطانيا ، الصهيونية والوطن القومي اليهودي ، لتوطيد سيطرتها وتمكين نفوذها في الشرق العربي والحيلولة دون تحريره وتوحيده . كما أن القيادة القومية الفلسطينية والحكومات العربية لم تحاول قط كسب الدول والراي العام الى جانبها وجانب الحق العربي الصريح ، بل على العكس أكتفت بالاتصال بمن هو الخصم ، انكلترا ، وجعلت منه الحكم . وقد تجلى هذا في مقاطعتها اللجنة الدولية الموفدة من هيئة الامم واتصالها باللجنة الانجلو امريكية .

وجدير بالذكر بهذه المناسبة ما ذكره لي أحد اعضاء الوفد السوري الى هيئة الامم الامير عادل أرسلان بحضور عدد من المهتمين بالحركة الوطنية في دمشق غداة انقلاب حسني الزعيم ، وقد صدف أن التقيت به اذ ذاك وقص علينا كيف أن أعضاء الوفود العربية كانوا يديرون ظهورهم اذا ما مر احد اعضاء الوفد السوفياتي او الدول الاشتراكية ويفرون منهم فرار السليم من الاجرب ، ولم يحاولوا أبدا الاتصال بهم أو شرح القضية لهم . والانكى من ذلك أن اميل الغوري أحد أعضاء الوفد الفلسطيني ظن أن باستطاعته تأليب الدول التي تدعي المسيحية ضد اليهود بتذكيرهم ان اليهود هم الذين صلبوا المسيح فالحق الضرر بالقضية بدل النفع ، اذ صورها وكأنها نزاع ديني وتعصب ذميم ، لا قضية تحرر ونزاع بين مغتصب ، الانكليز ، وذيل له ، الصهيونية ، وصاحب الحق الشرعي في البلاد ، الشعب العربي الفلسطيني . كذلك اصروا على المطالبة بدولة فلسطينية عربية ، وكانوا في غنى عن ذلك اذ انها ستكون بطبيعتها عربية لان العرب كانوا ، حتى مع الاعتراف باليهود الذين قدموا اليها رغما عنهم واعطوا الجنسية ممن لا يملك منحها ، الانكليز ، اذ لم تكن فلسطين في يوم من الايام جزءا من انكلترا أو ممتلكاتها ، يشكلون أكثر من الثلثين . وهكذا اكدوا على الطابع العنصري والعرقي بدل أن يؤكدوا على الطابع الديمقراطي التحرري .

ويجدر أن أذكر بهذه المناسبة انني كنت ضمن من انتدبتهم الهيئة العربية العليا لتمثيل فلسطين في هيئة الامم . فقد تألف الوفد الذي عينته الهيئة من جمال الحسيني وهنري كتن ، واميل الغوري ، وعيسى نخله ، وواصف كمال وراسم الخالدي ، وكاتب هذه السطور . غير أن السفارة الامريكية في القاهرة والقنصلية هنا في القدس رفضت اعطائي انا وراسم الخالدي تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة ، ولم تجد مراجعة عبد الرحمن عزام أمين سر الجامعة العربية وتأكيده باننا اعضاء في الوفد الفلسطيني واننا نطلب التأشيرة لا كأفراد بل كأعضاء في الوفد المذكور وتوسطه في حملها على منحنا اذنا بالدخول . وقد سبق انتدابي في الوفد محادثات مطولة مع رئيس الهيئة العليا الحاج امين الحسيني وعضوها الدكتور حسين الخالدي بسطت لهم فيها وجهة نظري في كيفية عرض القضية على هيئة الامم والاتصال بجميع الوفود والاعضاء فيها وعدم حصرها بالانكليز والامريكان ، والتأكيد على أنها نزاع بين العرب كفريق والاستعمار الانكليزي والصهيونية كفريق آخر ، وعلى طابعها التحرري

الهيئة العربية العليا
لفلسطين
القاهرة

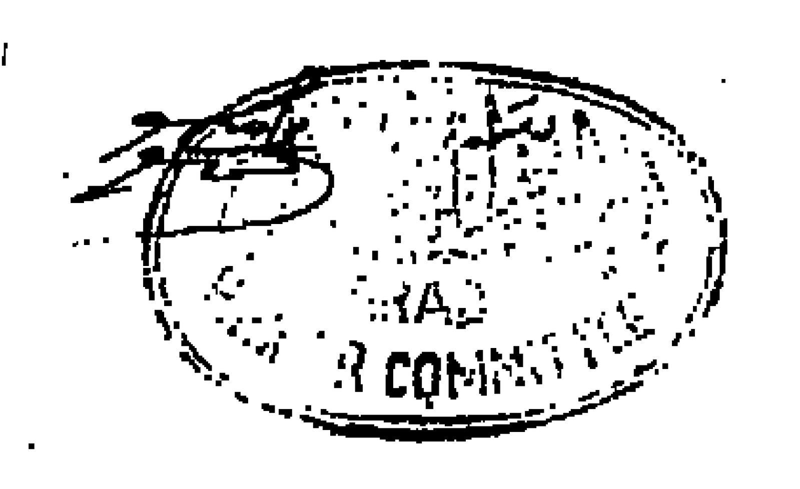
التاريخ ٢٥/٦/[illegible] الرقم ——

الى من يهمه الأمر

ان الدكتور خليل البديري هو عضو الوفد العربي الفلسطيني الى منظمة الأمم المتحدة ، وللبيان أعطيت هذه الشهادة .

TO WHOM IT MAY CONCERN

This is to certify that Dr. Khalil Budairi is a member of the Palestine Arab Delegation to the United Nations Organisation.



الديمقراطي ، واننا نهدف الى اقامة حكومة ديمقراطية بكل معنى الكلمة لا نميز فيها بين دين وجنس وعرق ، ولا نقر فيها لاية دولة بمكانة ممتازة او مصالح خاصة وانها لن تدور في فلك أية دولة أو مجموعة من الدول ، بل دولة محبة للسلام تحرص على اقامة صلات حسن جوار ومودة مع جميع الدول والشعوب وتبادلهم احتراما باحترام .

ويتماثل هذا مع الموقف الذي أعلنته عصبة التحرر الوطني ورابطة المثقفين العرب وكثير من الاستقلاليين والمستقلين في بياناتها . وقد يكون من الجدير بالذكر في هذه المناسبة أنه على الرغم من تماثل ارائي ووجهات نظري مع مبادىء العصبة وآراءها ومع أكثر الاستقلاليين العرب منذ العشرينات ، فانني لم انتسب في يوم من الايام

الى أي حزب أو منظمة ، وكنت اصدر في مواقفي دائما عــن تفكــيري واجتهــادي وقناعاتي الخاصة . ولا أزال على ذلك حتى يومنا هذا .

وهكذا فقد كان من الطبيعي أن يرفض العرب جميعهم والفلسطينيون خاصة قرار التقسيم . وحتى العصبة ، عصبة التحرر الوطني ، رفضته في بادىء الامر وحين كان مشروع قرار ، ولكنها عادت فيما بعد وقبلته بعد اقراره على انه أهون الشرين . وفي اعتقادي فقد كنا ولا نزال على حق في رفضه ، فهو يتناقض مع حقنا في تقرير مصيرنا، وينتزع منا ظلما وعدوانا اكثر من نصف وطننا ، ويحرم حوالي نصف شعبنا الــذي يحتويه القسم المخصص للدولة الاسرائيلية من حقه في تقرير مصيره بنفسه ويخضعه لحكم اجنبي عرقي وديني. فالخطأ ليس في رفض التقسيم بل في عدم الاعداد للحيلولة دونه ، ولاحباطه ومنع تنفيذه ، وحشد جميع القوى العربية لمقاومته ، والاستهانــة باستعدادات الصهيونيين واعوانهم ، والثقة بالانكليز والانخداع بهم والاعتماد عليهم في منع تنفيذ التقسيم ، وهم الذين اوجدوا المشكلة أصلا وخلقوها واقاموا الوطــن القومي الصهيوني والدولة الاسرائيلية بقوة حرابهم وجردوا عرب فلسطــين مــن السلاح ومنعوهم من ممارسة حقهم في الحرية والاستقلال ، وحالوا دون التحامهم مع وطنهم الام سوريا وبقية الشعوب العربية . وقد بلغ بهم النفاق والخداع بعــد أن حققوا فعلا اقامة الوطن القومي اليهودي ، ومكنوا لليهود كل اسباب البقاء والمنعــة والقوة ، وشكلوا لهم قوة عسكرية ضاربة ، الهاجاناة ، باشراف الجــنرال أوده وينجيت وامنوا انتصارهم في المعركة التي كان من المؤكد أن تنشب بينهم وبين العرب، وغرروا بالدول العربية الدائرة في فلكهم ومنعوها من الاعداد للمعركــة ، وقطعــوا المساعدات والذخيرة عن صنيعتهم الفرقة العربية (انظر مذكرات الملك عبد الله) . الى أن ينفضوا في اللحظة الاخيرة ايديهم مما اقترفوه من الجرائم والجنايات والفظائع ضد الشعب العربي الفلسطيني ويمتنعوا عن التصويت في هيئة الامــم ويتظاهــروا بمعارضتهم التقسيم ، بينما هم قد اعدوا لاسوأ منه وتركوا فلسطــين نهبا للفوضى والدمار وشعبها للتقتيل والتشريد ، وعدم الفطنة الى تواطؤ بعض الحكومات الرجعية على اقتسام فلسطين مع الصهيونية والحاق الاجزاء التي بقيت بعد اكتساح اليهــود لاكثر مما خصص لهم في التقسيم الى مناطقهم ، كما تبين فيما بعد في تسليم المثلــث سنة ١٩٥١ والانسحاب من اللد والرملة ، وعدم تجاوزهم حتى اثناء حرب مقاومــة التقسيم حدود المناطق المخصصة للدولة الاسرائيلية ، والانسحاب منها اذا ما حدث وتجاوزوها خطأ ، وضم ما تبقى من فلسطين الى شرق الاردن وطمس الشخصيــة والهوية الفلسطينية وتحويل الفلسطينيين الى مجرد مشردين ولاجئين . ولم يجــد في منع التقسيم ، وفي الحفاظ على الارض والوطن استبسال بعض المتحمسين الذين استشهدوا وعلى رأسهم القسام ورفاقه عبد القادر الحسيني وسعيد العاص والالاف المناضلين المجهولين الذين ضحوا بأرواحهم غير مبتغين حمدا أو شكورا .

اقامة الدولة اليهودية الصهيونية والحيلولة دون اقامة الدولة العربية الفلسطينية:

لقد اسفر قرار التقسيم وانسحاب بريطانيا بعد أن اتمت جريمتها بخلق الوطن القومي وتزويده بكل أسباب القوة والمنعة ومكنت له من الانتصار ، والحروب المزيفة ضد التقسيم التي اعقبته ، الى استيلاء اليهود على مساحة اكبر من المساحة المخصصة لهم في التقسيم ، والحيلولة دون اقامة الدولة العربية الفلسطينية وطمس معالمها وتشريد الشعب الفلسطيني وابادة جزء منه . وادت في النهاية في مستهل الخمسينات الى ضم ما تبقى من فلسطين والمنطقة المخصصة للعرب الى دولة شرق الاردن والحاقها بها ، وتقليص القضية الفلسطينية الى قضية لاجئين ومشردين .

وقد برزت الى الوجود في اعقاب هذه الكارثة عدة مشاريع لتوطينهم اما في سيناء او في البلاد العربية التي لجأوا اليها أو في غور الاردن ، ولكن تمسك المشردين بحقهم في العودة الى مواطنهم الاصلية ومقاومتهم لهذه المشاريع احبطها وافشلها . ولا بد بهذه المناسبة من الاشادة بالمقاومة الباسلة بقيادة الشيوعيين ضد التوطين في سيناء في قطاع غزة . وكادت الشخصية الفلسطينية تطمس وهويته تبدذ الى أن برزت الى الوجود حركة فتح فبعثت القضية الفلسطينية من جديد . هذا وللانصاف يجب أن لا ننسى جهود بقايا عصبة التحرر الوطني الذين تشتت قادتها بين المنطقة المغتصبة (اسرائيل) وما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) للحفاظ على الشخصية الفلسطينية ، فتعرضوا للملاحقة والاضطهاد والسجن والاعتقال من قبل الدولة الصهيونية والاردن والسلطات المصرية في غزة . غير ان هذا لم يمنعهم من مواصلة نشاطهم السري وان يكن في ظروف صعبة جدا . وقد استشهد عدد منهم عقب المظاهرة التي قاموا بها ضد الضم والالحاق في نابلس اثناء سوقهم مشيا على الاقدام ، مشدودي الوثائق الى خيول الفرسان ، الى عمان ، عدا التعذيب الذي تعرضوا له فور وطيلة اعتقالهم . ولم يقتصر الاعتقال والمطاردة على اعضاء عصبة التحرر والشيوعيين بل تعداهم ليشمل اكثر من عرفوا بميولهم اليسارية وعدائهم للاستعمار ، او من كانت دوائر الاستخبارات الانكليزية والفرنسية والامريكية قد وضعتهم على القائمة السوداء . وقد اعتادت هذه الدوائر على تعميم هذه القوائم على جميع الحكومات العربية . واذا كانت الحكومات العربية الرجعية قد اختلفت في كل شيء فانها اتفقت على امر واحد الا وهو على ملاحقة الشيوعيين خاصة والوطنيين المعادين للامبريالية واليساريين عامة ، في كل مكان . وهكذا فقد كنت ضمن من اعتقلوا في غزة سنة ١٩٤٨ ما يقارب الشهر ايام الحكم العسكري المصري مع حمدي الحسيني وخضر الجمزاوي ، وفائز الوحيدي وآخرين لا اذكر اسمائهم دون أن توجه الينا أية تهمة .

كما وانني اضطررت لمغادرة مصر في سنة ١٩٤٨ رغم توسيط عبد المنعم مصطفى ، القنصل المصري في القدس قبل اجتياح الصهيونيين للقدس الغربية ، ورئيس قسم

فلسطين في الجامعة العربية . وكذلك عند مروري بعمان في طريقي من القاهرة الى القدس جوا ، كدت اعتقل لولا توسط بعض الاقارب والاصدقاء هناك وتعهدهم بأني لن امكث في عمان وانني سأواصل سفري الى القدس وقد كان ذلك بين شهري حزيران وتموز سنة ١٩٤٨ . وهكذا رجعت الى القدس مسقط راسي وقد كان القتال لا يزال ناشبا فيها ، وكانت تحت حكم عسكري يراسه احمد حلمي باشا ، وبقيت فيها الى الان . ولا يسعني بهذه المناسبة الا ان اذكر بالشكر والامتنان العم روحي عبد الهادي الذي حال في صمت ومن غير ان يشعرني دون اعتقالي عند وصولي الاردن في منتصف سنة ١٩٤٨ ، ومساعي الاصدقاء ، عدنان الاتاسي وواصف كمال واحسان هاشم لدى الحكومتين السورية واللبنانية ، لشطب اسمي من قائمة الممنوعين من دخول سورية ولبنان او المرور فيهما في السنوات التي اعقبت عام ١٩٤٨ .

ضم الضفة الغربية الى شرق الاردن :

في اواخر سنة ١٩٤٨ واوائل سنة ١٩٤٩ بعد دخول جيوش الدول العربية بعض اجزاء من فلسطين وخاصة غزة ودخول القوات المسلحة الاردنية الارض الفلسطينية بما يلي الضفة الغربية للاردن والاستقرار فيها ، بدا التحرك السياسي الاردني لضم المنطقة التي استقر فيها والحاقها بالملكة فبادرت الحكومة الاردنية مباشرة او بالواسطة الى عقد مؤتمر في عمان في اكتوبر سنة ١٩٤٨ يراسه الشيخ سليمان التاجي الفاروقي والشيخ سعد الدين العلمي وعجاج نويهض ، قرر الدعوة الى وحدة اردنية فلسطينية والتحضير لمؤتمر فلسطيني اوسع يبايع الملك عبد الله ملكا على فلسطين (ما تبقى منها) والاردن . وهذا لا شك حق يراد به باطل ، فشرق الاردن وفلسطين كلها وسوريا وحدة واحدة ، ولكنها جزئت من قبل الاستعماريين الانكليزي والفرنسي ، واعادة توحيد اجزاء منها امنية كل عربي في انتظار تحقيق الوحدة الكاملة الشاملة . ولكن هذه الوحدة الممسوخة جاءت لتحقيق مشروع بريطاني اتفق مع مطامع الملك عبد الله وتمهيدا لاقامة سوريا الكبرى التي كان يحلم بها ، والتي لا اعتراض عليها لولا ان تحقيقها كان سيجر الى اعادة سوريا المستقلة الى الطوق الاستعماري الانكليزي ، وتصفية القضية الفلسطينية وطمس الشخصية الفلسطينية ، وتكريس تقسيم فلسطين واقامة الدولة الاسرائيلية ، ويحول دون اقامة الدولة العربية الفلسطينية . ولا يغير من هذا ما كان يدعيه القائمون بهذه الحركة والداعون لها بانها لن تؤثر على التسوية النهائية لقضية فلسطين . ولكن الدول العربية عدا العراق رفضت ونددت به ، ولم تعترف به الا بريطانيا لانه جاء مطابقا لرغباتها ومخططاتها ، ورفضته ايضا الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج امين الحسيني ، وتلا هذا المؤتمر مؤتمر ثان اوسع في اريحا برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري في مستهل كانون الاول سنة ١٩٤٨ اشترك فيه فريق من الفلسطينيين الذين تواجدوا اذ ذاك في المنطقة التي يسيطر عليها الجيش الاردني من فلسطين، وعارضه

وقاوم عقده بعض الذين كانوا يقطنون الخليل وبيت لحم وبيت جالا التي كان يسيطر عليها كلها او معظمها الجيش المصري ، ومعظم سكان قطاع غزة . وقد نزح الى قطاع غزة من جراء هذا الخلاف بين الفلسطينيين انفسهم مخلص عمرو وفهمي الحموري ، وجريس رمان ، وعبد الرحيم الشريف ، ومصطفى دودين ، وشحادة العناني واخرون كثيرون . اقول لقد تلا عقد مؤتمري عمان وأريحا الرئيسي ، مؤتمران في رام الله ونابلس في ظل الحكم العسكري الاردني لتكريس مقررات مؤتمر اريحا وتأييدها .

وفي ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ اي بعد اسبوع من مؤتمر أريحا رحبت الحكومة الاردنية بمقررات المؤتمر ، وطلب توحيد الضفة مع شرق الاردن تحت التاج الهاشمي ، ووعدت بدراسته وتنفيذه في الوقت المناسب . وفي أعقاب هذا القرار جرى تعديل في الوزارة الاردنية التي كان يراسها توفيق ابو الهدى . فادخل فيها روحي عبد الهادي وزيرا للخارجية وموسى ناصر للمواصلات ، وخلوصي الخيري للتجارة والزراعة . وبعد ذلك بأشهر ضم اليها راغب النشاشيبي كوزير للاجئين ، واعلن عن اعتزام اجراء انتخابات نيابية جديدة في الضفتين لاضفاء الصبغة الدستورية على توحيدهما . وقبيل الانتخابات استقالت او اقيلت حكومة توفيق ابو الهدى ، وتشكلت حكومة سعيد المفتي برئاسته وقد اسندت وزارة الخارجية في هذه الوزارة الى محمد الشريقي ، ووزارة المعارف الى روحي عبد الهادي ، وخرج منها خلوصي الخيري وموسى ناصر وحل محلهما من الفلسطينيين احمد طوقان للاشغال العامة والانشاء والتعمير وسعيد علاء الدين للتجارة والجمارك وانسطاس حنانيا ، والغيت وزارة اللاجئين واشغل راغب النشاشيبي وزارة الزراعة . وهكذا أصبح عدد الفلسطينيين في الوزارة خمسة بدل اربعة في حكومة ابي الهدى .

وفعلا اجريت هذه الانتخابات لتشكيل مجلس أمة موحد يضم ممثلين عن الضفتين في منتصف نيسان سنة ١٩٥٠ ، وقد أمنت الحكومة الاردنية نجاح المرشحين الذين انتقتهم او الذين ارتأت أنها تستطيع قبولهم في المجلس العتيد . وعندما أعلنت الانتخابات ارتفعت بعض الاصوات الداعية لمعارضتها ولمقاطعتها ، وكان على راس هذه الحركة بقايا عصبة التحرر الوطني ، وبعض الذين كانوا يعتقدون أن هذه الخطوة تؤدي الى تصفية القضية الفلسطينية وطمس الهوية الفلسطينية والحيلولة دون اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، وتكريس قيام الدولة الاسرائيلية واقتسام (فلسطين) والدفاع عن تلك الحقوق بكل الوسائل المشروعة وبملء الحق وعدم قرار التوحيد الذي أقر من التأكيد على المحافظة على كامل الحقوق العربية في (فلسطين) والدفاع عن تلك الحقوق بكل الوسائل المشروعة وبملء الحق وعدم المساس بالتسوية النهائية لقضيتها العادلة في نطاق الاماني القومية والتعاون العربي والعدالة الدولية . وتبع ذلك بعض المظاهرات في نابلس ورام الله والخليل التي قام

بها المعارضون وانصار حكومة غزة ، ولكن الحكومة قمعتها واعتقلت الداعين اليها والمحرضين عليها . وفي أواخر ابريل سنة ١٩٥٠ ، اقرت الوحدة الاردنية والضم تحت التاج الهاشمي في جلسات مجلس النواب الاردني الموحد الذي ضم ممثلين عن الضفتين .

وعلى اثر اعلان الوحدة بين الضفتين وتبليغ هذا الاعلان الى الدول ، سارعت بريطانيا الى الاعتراف به والاعلان عن أن المعاهدة المعقودة بينها وبين الاردن سنة ١٩٤٨ تشمل جميع الاراضي التي يضمها الاتحاد . كذلك اعلنت الحكومة العراقية اعترافها بهذا الضم ورحبت به . أما الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني فنددت به واستنكرته واعتبرته تصفية للقضية الفلسطينية ومحوا لاسم فلسطين من الوجود . كذلك فعلت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فقررت باغلبيتها في منتصف ايار بعد تبليغها بقرار الضم توصية مجلس الجامعة بفصل الاردن من الجامعة . وأخيرا بعد محاولات لحل المشكلة بين اكثرية اعضاء الجامعة والاردن ، اعلنت الاخيرة أن الضم هو اجراء اقتضته الضرورات العملية وانها تحتفظ بهذا الجزء وديعة لديها ، على أن يكون تابعا للتسوية النهائية لقضية فلسطين عند تحرير اجزائها الاخرى قبل العدوان ، وعلى أن تقبل في شأنه ما تقرره دول الجامعة الاخرى . وهكذا انطوت صفحة معارضة الجامعة للضم الذي توطد مع الايام .

وفي منتصف سنة ١٩٥٠ أصدرت امريكا وبريطانيا (التي تناست تظاهرها بمعارضة التقسيم) ، وفرنسا بيانا مشتركا « البيان الثلاثي » اعلنوا فيه ضمانهم لحدود الهدنة ومعارضتهم لمحاولة اجراء أية تغييرات لها بالقوة ، وفرضوا احتكارهم لتزويد دوله بالسلاح بالقدر الذي يحددونه هم ، بعبارة أصرح وأدق تكريس حدود الدولة الصهيونية الكبرى والالحاق الصهيوني والضم الاردني . وتحذير العرب من القيام بأية محاولة لاسترداد حقوقهم وتحرير أوطانهم .

حكومة عموم فلسطين ومؤتمر غزة :

في نفس التاريخ الذي انعقد فيه مؤتمر أريحا عقد في غزة مؤتمر فلسطيني ، تحت اشراف الحكومة المصرية ومجلس الجامعة العربية ، دعا اليه الحاج امين الحسيني بصفته رئيس الهيئة العربية العليا وأحمد حلمي وعبد الرحمن عزام وقرر اعلان استقلال فلسطين كلها واقامة دولة فلسطينية ديمقراطية ذات سيادة يرأسها أحمد حلمي ويشغل فيها جمال الحسيني وزارة الخارجية ، والدكتور حسين الخالدي وزارة الصحة ، وعوني عبد الهادي وزارة الشؤون الاجتماعية ، ورجائي الحسيني وزارة الدفاع ، وعلي حسنا وزارة العدلية ، وانور نسيبة سكرتارية الحكومة . وعلى الاثر اعترفت بهذه الحكومة (المسماة بحكومة عموم فلسطين) اكثرية الدول العربية مصر ، سوريا ، لبنان ، السعودية ، واليمن . ورفضت الاعتراف بها دولتا العراق

والاردن وبريطانيا . وزيادة على هذا طالبت الاردن الجامعة العربية بسحب اعترافها بحكومة عموم فلسطين ، ولكن الاخيرة رفضت ذلك وقررت الابقاء على هيكل حكومة عموم فلسطين يتكون من رئيسها احمد حلمي وسكرتير . ولكن هذه الحكومة لم تعمر طويلا فلم يحن خريف ١٩٤٩ الا وقد انفرط عقدها واختفت من الوجود ، وتخلت عنها الجامعة العربية ولم تدعها لحضور جلسات الجامعة ، وتشتت اعضاؤها وراحــوا يبحثون لانفسهم عن مناصب يرتزقون منها . فتنقل جمال الحسيني فترة بين القاهرة وبيروت واستقر اخيرا في الرياض في بلاط ابن سعود . كذلك التحق رجائي الحسيني بوزارة المواصلات في السعودية كمستشار لها ثم مدرسا في جامعة الرياض ، وعـاد علي حسنا الى القدس والتحق بخدمة الحكومة الاردنية كنائب لوزير الداخلية ، وعين عوني عبد الهادي سفيرا للاردن في مصر ، وتنقل الدكتور حسين فخري الخالدي ما بين القاهرة وبيروت والقدس واعتزل السياسة واستقر اخيرا في اريحا الى ان تولى رئاسة الحكومة الاردنية سنة ١٩٥٧ . ووجد امين عقل وظيفة في الجامعة العربية ، وعاد انور نسيبة الى القدس واستقر في البرلمان الاردني اثر الانتخابات التي دبرتها الحكومة الاردنية في الضفة الغربية سنة ١٩٥٠ .

في القدس من منتصف سنة ١٩٤٨ الى الان :

مـل المقـام فكـم اعاشـر امـة ... امـرت بغـير صلاحهـا امراؤهـا
ظلمـوا الرعيـة واستجازوا كيدهـا ... وعـدوا مصلحهـا وهـم اجراؤهـا

ابو العلاء المعري

امضيت الفترة ما بين اواخر عام ١٩٤٦ ومنتصف عام ١٩٤٨ متنقلا بين القدس وغزة والقاهرة . وقد وقع الحي الذي كنت اقطنه في القطمون في ايدي القوات اليهودية ، واضطررنا الى الهجرة والالتجاء عند شقيقه لي تقطن في حي بابالساهرة مده من الزمن،ثم الالتجاء الى غزة عند شقيقي رشاد الذي كان يشغل منصبمهندس اللواء الجنوبي في عهد الانتداب . وقد انتقلت اليها مع عائلتي المكونة من زوجتي وولد وبنت صغيرين . وبينما بقيت عائلتي عنده كنت اتردد بين غــزة والقاهرة لاجراء محادثات ومشاورات مع الهيئة العربية العليا التي انتدبتني كـما ذكرت قبلا للاشتراك في الوفد الفلسطيني الى هيئة الامم . وحدث اثناء وجودنا في غزة عند اخي ان تعرضت المدينة الى قصف اسرائيلي من الجو ومن البحر ، ووقعت قنبلة على البراكة الخشبية التى كان اخي يسكن فيها ، والتي كانت دائرة الاشغال تقدمها لموظفيها ، فاحترقت البراكة ، ولكن لم يصب احد منا باذى ، اذ كناخارجها اثناء وقوع الحادث. ثم انتقلنا الى بيت حجرى ومن ثم ارتأينا انه من الاسلم لعائلتى بعد ان اشتدت الغارات على غزة ان ننقلها الى الاسكندرية ، فرافقتها الى هناك واستاجرت لها شقة ثم ما لبثت ان تركتها ، وعدت الى القدس في ايار ـــ حزيران من سنة ١٩٤٨ . واتصل بي وانا في القدس الطبيب المسؤول عن مستشفى العيون

الانكليزي الذي كان قائما في البقعة الدكتور مانسون والذي كنت اعمل فيه حتى اوائل سنة ١٩٤٦ ؛ وانتقل الى البلدة القديمة داخل السور ، واقام مستشفى طوارىء صغير في دار كانت تمتلكها جمعية ماريوحنا التي تشرف على المستشفى منذ العهد العثماني ، وطلب مني العمل ثانية في المستشفى ، فقبلت وعدت الى العمل فيه حتى اعتزالي العمل عام ١٩٧٠ . وقد انتقل المستشفى في هذه الاثناء الى بناية فخمة جديدة انشأتها المنظمة خارج السور ، بعد ان باعوا المستشفى القديم في البقعة قرب محطة السكة الحديدية لليهود ، وترددوا بين انشاءها في عمان او في اوغندا . اذ ان المشرفين عليه ، وهي منظمة ماريوحنا في لندن كانوا يتوقعون سقوطها في ايدي اليهود عاجلا او اجلا ، فرؤساء هذه المنظمة على اتصال وثيق بوزارة الخارجية البريطانية وبدوائر استخباراتها . وقد اسهمت بقسط كبير في اقناعهم بابقاء المستشفى هنا في القدس .

لقد ساد القدس منذ الضم جو من الارهاب الحكومي ، وتضييق على الحريات العامة ، فقد حرم تشكيل الاحزاب والجمعيات والغي ماكان قائما منها . والانتخابات التي اجريت في سنة ١٩٥٠ و ١٩٥٤ لم تكن الا مسرحيات تنتقي فيها السلطات من تتوسم فيهم الولاء التام لها ولسياستها ، وتعمل على انجاحهم بكل الوسائل . ولم تشذ عن هذا الا الانتخابات التي جرت في سنة ١٩٥٦ في جو من الحرية لم يخل من التجاوزات في بعض المناطق ولكنها كانت على العموم حره ونزيهه اسفرت عن فوز القوى الوطنية : الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة سليمان النابلسي ، وحزب البعث والجبهة الوطنية التي كانت تضم مرشحي الحزب الشيوعي الاردني بالاكثرية في مجلس النواب الاردني . وتشكيل حكومة وطنية برئاسة سليمان النابلسي .

وقد تخلل هذه الفترة ما بين ابرام الضم سنة ١٩٥٠ و ١٩٦٥ عدة احداث هامة منها : حل البرلمان الاردني ، عندما رفض المصادقة على مشروع ميزانية الحكومة في ايار سنة ١٩٥١ ، وكان قد سبق ذلك ظهور كتلة معارضة في اواخر سنة ١٩٥٠ برئاسة سليمان النابلسي ، ومطالبة عدد من النواب بتوسيع الحريات السياسية ووضع حد لتدخل غلوب قائد الفليق العربي في شؤون البلاد والجيش . وفي منتصف سنة ١٩٥١ وقع حادث اغتيال الملك عبد الله في القدس ولا شك عندي بانه تم ان لم يكن بتدبير المخابرات البريطانية فبتواطؤها على الاقل ، اذ بدات تتعارض اطماع الملك عبد الله في عقد صلح مع اسرائيل ، ليتفرغ لاقامة سوريا الكبرى التي كان يحلم بها ويخطط لها ، مع الاستراتيجية البريطانية بابقاء النزاع بين العرب واسرائيل مستعرا ، للتلاعب بالواحدة ضد الاخرى اذا ما حاول اي منهم الخروج على استراتيجيتها ومخططاتها . والدليل على هذا ما شاع عن اعتزام الملك اجراء مصالحة مع اسرائيل في منتصف سنة ١٩٥٠ ، وتردد الشائعات عن لقاءات رسمية بين الملك عبد الله وعدد من زعماء الحركة الصهيونية وعلى راسهم

غولدا مائير وساسون وشيرتوك في عمـــان والشونه ، وزيارة مسؤولين اردنيين للقدس الغربية ، وجولات رئيس الوزارة الاردنية انذاك سعـــيد المفتي بايحاء من المعتمد البريطاني كيركبرايد في عدد من مدن الضفة الغربية ، القدس ونابلس ، وحث الاهالي على معارضة المصالحة تحت ستار استمزاجهم واستطلاع رايهم فـي موضوعها . وقد كان راى الاغلبية الساحقة مـــن الفلسطينيين اوكلهم تقريبا ضـــد عقد اي صلح مع اسرائيل ولو انه لغير الاهداف التى كانت ترمي اليها بريطانيامن ابقاء النزاع مستعرا ، ولكن من منطلق الاصرار على تحرير البلاد كلها من البحر الى النهر والعودةالى مواطنهم الاصلية، والحفاظ علىعروبة فلسطين كلها ومعارضة قيام دولة اسرائيل . وقد كان الملك يشيع ان الفلسطينيين هم الذين يطلبون منه ذلك لاستعادة املاكهم او الحصول على تعويض عنها .

ولا بد لي بهذا الصدد الا ان اسجل معارضتي واستنكاري ومقتي لكـــل انواع الارهاب ، الفردي او الحكومي ، والاغتيالات . اذ انها في اعتقادى لا تؤدىالى اي تغيير جوهري او جذري ، او تقدم في المجتمع . فالنظام والمؤسساتالحكومية لا تتوقف على وجود اؤ فقدان شخص او اشخاص معينين ، بل على مجموعـــة المصالح والايديولوجية التى تسود المجتمع . والطريق الوحيد المضمون لاحداث اي تغير جذري او تقدمهو اطلاق حرية الفكر والراي والتنظيم ، والسماح بقيام معارضة تقوم بحوار ديمقراطي بناء ، وتوعية جماهير الشعب وتنويرها ، واقناعها بالحجة والبرهان لا بالقسر والاكراه ، وتربيتها تربية ديمقراطية صحيحة ، وتعبئتها لحمل السلطات القائمة اما على التخلي عن الحكم ، او على تغيير سياستها وفق رغبات الاكثرية في البلد والمجتمع . اما الانقلاب الفوقية ، او العسكرية فانها لا تتمخض الا عن تغيير الممثلين ، وتبقى الادوار هي هي ، اللهم الا اذ ترافقت مـــع رغبات الاكثرية الساحقة وتاييدها ، وعبرت عن رغباتهم واستهدفت تحقيق تلك الرغبات فتتحول بذلك الى ثورة حقيقية لا انقلاب ، بمعنى اخر ممارسة الديمقراطية باوسع معانيها وتعدد الاحزاب .

وبعد اغتيال الملك عبد الله خلفه ابنه طلال ، ولكنه لم يبق طويلا على العرش لما شاع من محاولته الخروج عن سياسة والده الموالية للانكليز والانعطاف والتوجه نحو الامريكيين ، واجراء بعض الاصلاحات والتغييرات في السياسة الداخلية فقد حدث في عهده تعديل في الدستور جعل مجلس الوزراء مسؤولا امام البرلمان لا كما كان في السابق مسؤولا امام الملك فقط . وبعد سنة تقريـــبا اعفي من مسؤولياته كملك ونودى بابنه الحسين ملكا بدلا منه .

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

في تموز من هذا العام وقع اهم حدث في مصـــر ادى الى بدء عهـــد جديد في الشرق العربي بل وفي الشرق كله ، فقد قام «الضباط الاحرار» في الجيش المصري ،دون

ايديولوجية محددة ، بانقلابهم المعهود بقيادة جمال عبد الناصر ورفاقه . وقد تحول تدريجيا فيما بعد ، وخلال تذبذبات وترددات ، ونتيجة التجربة والخطأ الى ثورة حقيقية ، شملت جميع نواحي الحياة في مصر واسسها ، تستهدف بناء مجتمع اشتراكي ديمقراطي يقوم على الحرية والعدالة الاجتماعية ، الى ان اعترضتها وفاة عبد الناصر المبكرة وانتصار الردة بقيادة السادات في الاعوام التي تلت وفاته .
ولا انكر انني اوجست خفية منها في البداية وساورتني شكوك بانها من وحي الاستعمار الامريكي وتدبيره ، وبالفعل فقد أوحت ممارسات الانقلابيين وتصريحاتهم بعد الاستيلاء على السلطة بالاتجاه الى مهادنة الاستعمار والرغبة في التوصل الى تسوية معه. واذكر بهذه المناسبة ما وقع لي بعد اقل من شهر من حدوث الانقلاب، فقد اعتزمت في منتصف آب القيام بزيارة لانكلترا بعد غياب عشرين سنة عنها ومغادرتها سنة ١٩٣٢ .
وكان من الطبيعي ان امر بالقاهرة لاستقل طائرة من هنا الى لندن . ولم اجد اية صعوبة في الحصول على تاشيرة لدخول مصر والمرور بها . بل على العكس فقد حصلت على تاشيرة فخرية مجانية لعدة سنوات من وزير مصر المفوض في عمان انذاك احمد فراج طايع الذى كنت على معرفة وعلاقة طيبة معه كما كنت مع جميع قناصل مصر في القدس قبل التقسيم . فلشد ما دهشت وفوجئت عند وصولي مطار القاهرة بمنعي من الخروج منه وحجزي فيه ، والغاء التاشيرة واضطراري الى مغادرتها على اول طائرة تبرحه . على كل حال لم اكن ازمع البقاء فيها اكثر من يوم او يومين ، وانما مواصلة السفر الى انكلترا . ولم تجد تدخلات سفير الاردن انذاك في القاهرة الصديق الوفي عوني عبد الهادى . وعلمت فيما بعد عند وصولي روما في طريقي الى لندن ان مظاهرات عمالية كبيرة وقعت ذلك اليوم ، يوم وصولي الى القاهرة ، في كفر الدوار وشبرا الخيمة قام بها عمال النسيج ، وانها قمعت بمنتهى الوحشية والقسوة . وقد حكم بعد محاكمة صورية خاطفة على اثنين من العمال الذين تزعموها وقادوها بالاعدام ، ونفذ هذا الحكم حالا بعد صدوره .
ويقتضي الوفاء ان اذكر انه بعد وصولي الى لندن التقيت بالقنصل المصرى العام السابق في القدس الدكتور محمود فوزي الذي كان يشغل انذاك منصب سفير مصر في لندن ، فرحب بي اجمل ترحيب ، ولم يتنكر للصداقة والمعرفة التي نشأت بيننا ايام كان بالقدس ، وعمل بقول الشاعر العربي :

وبيننا لو عرفتم ذاك معرفة ... ان المعارف في اهل النهى ذمم

ودعاني الى حفلة عشاء ودعي اليها بعض سفراء الدول العربية في لندن ، اذكر منهم فايز خوري سفير سوريا ونديم دمشقية سفير لبنان . وبالاضافة الى هذا كتب الى حكومته يشرح لها حقيقة امرى ، ويطلب منها شطب اسمي من القائمة السوداء والسماح لي بدخول مصر والمرور منها .

وواصلت السلطات الجديدة قمع الحريات الديمقراطية والحركات العمالية . ودخلت فعلا في مفاوضات مع نوري السعيد ، قام بها صلاح سالم في برسنك في

العراق ومع الادارات الامريكية والبريطانية لتنسيق التعاون بينهم ، والحد مما يسمونه التغلغل الشيوعي والذي لم يكن المقصود منه الا الحد من الحركات التحررية وقمعها .

ولكن هذه السياسة تغيرت فيما بعد عقب الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على المراكز المصرية في سيناء ، ورفض انكلترا وامريكا تزويد مصر بالسلاح وعقد عبد الناصر في اواخر سنة ١٩٥٥ اتفاقا مع تشيكوسلوفاكيا للحصول على اسلحة منها ، وحطم بهذا احتكار الغرب تزويد الشرق الاوسط بالسلاح (الذي نص عليه البيان الثلاثي لسنة ١٩٥٠) ، والذي كان الغرب يستعمله للضغط على الدول العربية المستقلة ولابقائها في اطاره . وتزعمت حكومة عبد الناصر حملة مقاومة الاحلاف العسكرية وخاصة حلف بغداد . وسبق ان اشتركت في مؤتمر باندونغ ، وبدات باقامة علاقات واتصالات مع الدول الاشتراكية وحركات التحرر العالمية ، وتبنت سياسة الحياد الايجابي يعني معاداة الاستعمار ومكافحته والتعاون مع كل من يقاومه ويعاديه : لا الوقوف على الحياد بين المدافعين عن الحرية واعدائها ، او بين الحق والباطل . ولكن الاستعمار لم ييأس وحاول عن طريق التعهد بتمويل بناء السد العالي ان يحمل مصر على العدول عن الحياد الايجابي وادخالها في الطوق من جديد . ولما اخفقوا في ذلك سحبوا عروضهم ظانين ان هذا الاجراء سيضطر عبد الناصر الى الرضوخ لشروطهم ومطالبهم . غير ان هذا ادى الى عكس ما كانوا يتوخونه ، فاعلن عبد الناصر في منتصف سنة ١٩٥٦ تاميم قناة السويس واستردادها للشعب المصري صاحبها الشرعي . وقد استنفر هذا العمل الجريء حماس وتضامن كل الشعوب العربية ، وحتى الحكومات الرجعية لم تستطع الا اعلان تاييدها له خوفا من ثورة شعوبها عليها .

العدوان الثلاثي في اكتوبر سنة ١٩٥٦ :

لقد ارعبت هذه الموجة الكاسحة الاستعمار فعمد الى القوة لاستعادة مواقعه وفرض نفوذه ، وفاته ان ميزان القوى الجديد في العالم ويقظة الشعوب العربية وتصميمها على مقاومته ودحره لا تسمح له بتنفيذ مخططاته وتحقيقها . فقامت الدول الثلاث انكلترا وفرنسا واسرائيل تحت معاذير مختلفة بشن هجومها الغادر على القناة ، ولكنها فشلت واضطرت في النهاية الى الانسحاب مذمومة مدحورة بفضل صمود الشعب المصري وبطولته وكفاحه الرائع في بور سعيد ، وتضامن جميع الشعوب والدول العربية معه ، وقرار الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة القاضي بوقف العدوان والانسحاب من الارضي المصرية ، وتدخل الاتحاد السوفياتي الحاسم بانذاره العتيد .

ونمت بعد هذا العدوان علاقات الصداقة والتعاون بين مصر والاتحاد السوفياتي وتبدد الخوف الذي كانت تبثه الامبريالية الغربية ضد الاتحاد السوفياتي والشيوعية

وهرع الشيوعيون في مصر رغم ماكانوا يعانونه من ملاحقة واضطهاد وتعذيب وسجن الى الالتفاف حول عبد الناصر وتاييده في كفاحه ضد العدوان والضغوط الاستعمارية لثنية عن سيره الوطني التقدمي .

حكومة فوزي الملقي وهبة سنة ١٩٥٤ من جراء تزوير الانتخابات

اما في الاردن فقد خلفت حكومة ابى الهدى وخلع الملك طلال حكومة برئاسة فوزي الملقي ، وتميزت هذه الحكومة عن الحكومات السابقة بانتهاجها سياسة رشيده بعض الشيء ، فخففت من القيود على الحريات العامة وافرجت عن عدد من المعتقلين السياسيين وانتهجت نهجا وطنيا . فرفضت مشاريع ادخال الاردن فى الكتل الحربية ، ومشروع جونسون ، وطالبت باعادة النظر في معاهدة المساعدة الامريكية ، واستثارت بهذه السياسة نقمة الرجعية المحلية والدوائر الامبريالية الانكليزية والامريكية ، فاضطرت الى الاستقالة او اقيلت في اوائل عام ١٩٥٤ . وقامت اسرائيل من جانبها بغارات وحشية على القرى العربية الواقعة بالقرب من حدود الهدنة بهدف الضغط على حكومة الملقي والاساءة اليها ، وكان من ابرزها العدوان الغادر على قرية قبية في ظلام الليل في اكتوبر سنة ١٩٥٣ ، ونحالين فى ٢٠ ابريل عام ١٩٥٤ ، وغزة وخانيونس سنة ١٩٥٥ ورجع الى الحكم الرجعي العريق توفيق ابو الهدى . ولكن هذا لم يحل دون نهوض الحركة الوطنية . ففي هذه السنة نفسها اشتدت المطالبة في الاوساط الوطنية بالغاء معاهدة ١٩٤٨ بين الاردن وبريطانيا ، واقالة غلوب وفسخ المعاهدة المعقودة مع الولايات المتحدة ، بشأن المساعدة بموجب النقطة الرابعة من برنامج ترومان وحماية الاقتصاد الوطني واجراء اصلاحات عديدة في حقل السياسة الداخلية وتم تشكيل الحزب الوطني الاشتراكى بزعامة سليمان النابلسي ، وكرد فعل على هذه الحركة عمد توفيق ابو الهدى الى حل مجلس النواب . وقام بحملة من الاعتقالات في صفوف الوطنيين والمعارضة . غير ان الانتخابات التى اجريت في اواخر سنة ١٩٥٤ لم تات رغم الارهاب التى رافقها والتزوير الذي عصف بها بالنتائج التى كان يرجوها اذ فازت جبهة المعارضة زهاء ربع المقاعد ونائبين عن الجبهة الوطنية التقدمية. وقد انسحب اثناء الانتخابات ومن جراء التزوير الفظ الفاضح الذي رافقها بعض المرشحين من اعضاء الحكومات السابقة وعلى راسهم سعيد المفتي احد رؤساء الوزارات السابقين . ووقعت مظاهرات جماهيرية اطلق فيها البوليس والجيش النار على المتظاهرين سقط ضحيتها العشرات من الشهداء . وفي هذه السنة ايضا جرت اول محاولة لتشكيل نقابة للمعلمين . ولكن السلطات احبطتها باللجوء الى الفصل التعسفي وزج النشيطين منهم في السجون .

الاردن وحلف بغداد

في آخر عام ١٩٥٥ وصل الى عمان جلال بايار رئيس الدولة التركية وحاول اقناع الاردن بالانضمام الى حلف بغداد . وبعده وصل الجنرال تمبلر رئيس هيئة الاركان البريطانية للغرض نفسه . ولكن سعيد المفتي الذي كان يراس الحكومة انذاك لم يستطع الاستجابة لذلك لاستقالة اربعة من وزرائه احتجاجا على الدخول في حلف بغداد ، فسقطت حكومته . وخلفه هزاع المجالي الذى اعلن في بيانه الوزاري عن عزمه على الانضمام الى الحلف وتوثيق العلاقات مع بريطانيا . غير ان نشوب المظاهرات الجماهيرية وحملة الاحتجاجات الواسعة ضده وضد سياسته اضطرته الى الاستقالة ، واستشهد في هذه المظاهرات العشرات من الطلاب والشباب في القدس وبيت لحم ونابلس ورام الله ، من بينهم الطالبة رجاء حسن عماشة . وجرت محاولة حرق القنصليات ، التركية لعلاقاتها بحلف بغداد ، والفرنسية تعبيرا عن الاحتجاج على المذابح والجرائم التي كانت تقترفها في الجزائر والمغرب .

وتبع ذلك في مستهل سنة ١٩٥٦ حل البرلمان . وجاء الى الحكم سمير الرفاعى الذي بدأ حكمه بحملة ارهاب ضد القوى الوطنية والمعارضة فاعتقل سليمان النابلسى ورفاقه من زعماء الحزب الوطني الاشتراكي وعددا من اعضاء حزب البعث والشيوعيين ، واصر على رفض المساعدة الاقتصادية من البلدان العربية بدل المساعدة البريطانية . وعلى الاثر اجتاحت البلاد موجة جارفة من المظاهرات والاحتجاجات ضده وضد سياسته تحولت في بعض الانحاء الى مصادمات دامية مع البوليس والجيش ،واعتقل حوالي الفي شخص وقتل وجرح مئاتمن المتظاهرين ولكن بدل ان يؤدي هذا الى السيطرة على الوضع وقمع المعارضة ، ادى الى اشتدادها وامتدادها وانتشارها داخل الفيلق العربي السند الذي يرتكز عليه غلوب .

اقالة غلوب وتولي الضباط الاحرار قيادة الجيش :

في اعقاب تصاعد الحركة الوطنية في عام ١٩٥٦ برزت الى العلن منظمة «الضباط الاحرار » وعلى راسها علي ابو نوار ، واستلمت قيادة الجيش وطهرته منالانكليز واذنابهم ، وبعد تسلمها قيادة الجيش وافقت الحكومات الاردنية التيتلت طرد غلوب على عقد اتفاقية بشان القيادة الموحدة ، مع مصر اولا ثم مع سوريا ثانيا . ثم عقدت الحكومة اتفاقية اضافية بشان الوحدة الاقتصادية مع سوريا ، واعلنت تاييدها لمصر بتاميم قناة السويس . واطلقت حكومة ابراهيم هاشم سراح عدد كبير من المعتقلين السياسيين ومن ضمنهم فؤاد نصار . وفي منتصف العام نفسه ١٩٥٦ حلت البرلمان واعلنت عن اجراء انتخابات جديدة . وفعلا جرت الانتخابات في اواخر عام ١٩٥٦ كما ذكرت سابقا ولكن اتت الرياح بما لا تشتهي الرجعية والامبريالية . ففازت القوى الوطنية بالاكثرية الساحقة المؤلفة من الحزب الوطني

الاشتراكي وحزب البعث والجبهة الوطنية . وكان من بين الفائزين الدكتور يعقوب زيادين وفائق وراد وعبد القادر الصالح من الجبهة الوطنية . وعهد الى سليمان النابلسي بتشكيل الوزارة .

حكومة سليمان النابلسي من اكتوبر ١٩٥٦ الى ابريل سنة ١٩٥٧ :

فور تشكيلها اعلنت حكومة النابلسي عن عزمها علـى الغاء المعاهدة الاردنية البريطانية لسنة ١٩٤٨ ، وتصفية القواعد الحربية البريطانية في البلاد واجلاء القوات البريطانية عنها ، ومعارضةحلف بغداد، والعمل على الحصول على معونات اقتصادية من البلاد العربية بدل المعونات البريطانية والامريكية ، وتوطيد علاقات الود والتحالف مع مصر وسوريا ، واقامة العلاقـات الدبلوماسية مـع الاتحاد السوفياتي . كذلك اعلنت انها ستعمل على الغاء القوانين السارية المفعول منذ زمن الانتداب التى تحد من الحريات الديمقراطية وحقـوق المواطنين الاساسية وعلى تطوير الاقتصاد الوطني وتشجيعه ودعمه .

وقد صادف قيام حكومة النابلسي وقوع العدوان الثلاثي على مصر عقب تاميم قناة السويس ، فاعلنت وقوفها الى جانب مصر ودعمها لها ، وقطعت العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا ، ومنعت الطائرات البريطانية من استعمال المطارات الاردنية ووضعت القواعد الحربية البريطانية تحت رقابة القوات الاردنية . وتحسبا من اى هجوم محتمل من جانب اسرائيل ولصده استدعـت وحدات من القوات المسلحة السورية والسعودية والعراقية لمؤازرتها ، ولمـا رفضـت الاخيـرة ، القـوات العراقية ، الدخول تحت امرة القيادة السورية المصرية الاردنية المشتركة طالبت بانسحابها واستبعدتها . وفي مستهل سنة ١٩٥٧ عقدت ميثاق التضامن العربى وقبلت المساعدة المصرية السورية السعودية بدل المساعـدة البريطانية ، والغت المعاهدة الاردنية البريطانية وشجبت مبدأ ايزنهاور ورفضته .

غير ان هذه الاجراءات والاصلاحات استشاطت غضب الامبرياليتين البريطانية والامريكية ، والرجعية المحلية ، فسارعوا الى احباطها وافشالها بمختلف الذرائع والوسائل ، ولم يتورعوا عن اقحام الدين في الصراع السياسي البحت القائم بيـن الامبريالية والرجعية من جهة والقوى الوطنية والتقدمية من جهة اخرى . فقام الملك حسين بالاعتماد على القوات البدوية في الجيشـ وبمشاركة ودعـم الامبرياليتين البريطانية والامريكية ، بانقلابه المعهود في مستهل سنة ١٩٥٧ متهما القوى الوطنية بانها كانت تعد لانقلاب ضد النظام الملكي القائم ، ولاقامة نظام جمهوري بدلا منه .

ولما هبت الاكثرية الساحقةفي البلاد والجيش والبرلمان ضد هذا الانقلاب ،وعمت البلاد مظاهرات التأييد لحكومة سليمان النابلسي ومن اجل بقائها في الحكـم ، لجـأ الى بذر بذور التفرقة بين اعضاء الحكومة والبرلمان وكسب الوقت والاستغاثـة

ببعض العناصر الشريفة التى عرفت بوطنيتها ونزاهتها لايقاع البلبة والتردد فى صفوف الشعب والاوساط الوطنية ، فعهد الى الدكتور حسين فخرى الخالدى ، احد اعضاء حكومة عموم فلسطين والهيئة العربية العليا بتاليف حكومة اشترك فيها جميع رؤساء الوزارات السابقين وسليمان النابلسي نفسه لاضفاء صبغة وزارة قومية عليها . واعلن الخالدي برنامجا وطنيا لا يختلف كثيرا عن برنامج حكومة النابلسي ، فقد اعلن عن تمسكه بالحياد الايجابي وتوطيد العلاقات مع سوريا ومصر ورفض الاشتراك في الكتل الحربية . ولما ان رفض فرض الاحكام العرفية وقمع المظاهرات والاحتجاجات بالارهاب والقوة اقيل بدوره ، ولكن بعد ان استنفذت الاغراض من توليته الحكم مؤقتا . فقد دبت الفرقة والانقسامات في صفوف الشعب وتغلغلت البلبلة في الاوساط الوطنية . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان الملك كان فقد السيطرة على معظم الجيش ، ورفض كبار ضباطه الواحد بعد الاخر الانصياع لاوامره وتنفيذ مخططاته . فبعد ان اقصي علي ابو نوار واضطر الى اللجوء الى سوريا ، رفض علي الحياري ومن بعده صادق الشرع ايضا تولي قيادة الجيش واضطروا الى مغادرة البلاد . واستغل الملك فترة تولي الخالدي الحكم لتسريح الضباط الاحرار ذوي الميول الديمقراطية والمعادين للامبريالية ولاعادة تنظيم الجيش وتطهيره من العناصر المشكوك في ولائها واخلاصها له . ولم يجد من يعتمد عليه سوى القوات البدوية والقوات المسلحة السعودية التي وضعت تحت تصرفه وكانت ترابط انذاك في الاردن .

وخلفت حكومة الخالدي حكومة ابراهيم هاشم التي اعلنت الاحكام العرفية وحالة الطوارىء ، وبدأت تطبيق سياسة القبضة الحديدية والقمع والارهاب ، فحلت جميع الاحزاب السياسية وحرمتها ، وفرضت الرقابة على الصحف ، واغلقت النقابات والمنظمات الطلابية والنسائية ، وشنت حملة اعتقالات واسعة شملت جميع الشخصيات والموظفين والضباط المعروفين بميولهم الوطنية والتقدمية ، وكمت جميع الافواه . وحتى مجلس النواب تعرض للتطهير وحرم النواب غير الموالين للحكومة من صلاحياتهم وحصانتهم النيابية واعتقلوا ، وانتزعت من البعض الجنسية الاردنية . ومات من جراء التعذيب او عقبه عدد غير قليل من الوطنيين المعروفين ولم ينج من هذه الاعتقالات الا من غادر البلاد والتجأ الى مصر وسوريا . ومن نجح في الاختفاء او ارتد ، او اعتزل الحياة السياسية تماما وانصرف الى الاهتمام باموره ومصالحه الخاصة . وهكذا فعل اكثر السياسيين والذين كانوا نشيطون في الحركة الوطنية . ولا انكر انني كنت من ضمن الذين التزموا الصمت والعزلة منذ التقسيم والضم حتى العدون الاسرائيلي الاخير سنة ١٩٦٧ ، ولم اشترك في اي نشاط علني طيلة هذه المدة ، كما وانني لم اشترك في اي عمل سري طيلة حياتي . غير اني لم انقطع عن متابعة التطورات عن كثب هنا في الاردن والاقطار العربية خاصة والعالم اجمع .

الاتحاد الاردني العراقي :

في اوائل سنة ١٩٥٨ تم تشكيل الاتحاد العربي العراقي الأردني كخطوة مقابلة ومضادة لتوحيد مصر وسوريا واندماجهما في الجمهورية العربية المتحدة ، ونودي بملك العراق رئيسا للاتحاد . غير ان هذا الاتحاد لم يعمر طويلا اذ نشبت ثورة ١٤ تموز في العراق وقتل في اثنائها بعض الاعضاء الاردنيين في حكومة الاتحاد : ابراهيم هاشم وسليمان عبد الرزاق طوقان، والملك فيصل الثاني وعبد الاله ونوري السعيد ، واطاحت بالنظام الملكي . ولكن انهيار النظام الملكي وانحلال الاتحاد لم يرق للامبرياليتين البريطانية والامريكية ، فانزلت بريطانيا قوات في الاردن ،ونزلت قوات المشاة البحرية الامريكية في لبنان بعزم التدخل في العراق وقمع الثورة هناك ودعم حكومة كميل شمعون في لبنان ، وللحيلولة دون امتداد ثورة العراق الى الاردن . غير ان هذه القوات اضطرت للإنسحاب في اواخر سنة ١٩٥٨ . ولا مندوحة من ذكر الدور الذي قام به الاتحاد السوفياتي في هيئة الامم ومجلس الامن في التنديد بالعدوان الامريكي والبريطاني وتدخلهما في الاردن ولبنان ،وتهديدهما للامن والسلام العالمي ، والحيلولة دون تدخلهما في العراق وحملهما على اجلاء قواتهما في الشرق العربي .

وفي هذا العام نفسه عام ١٩٥٨ اغتيل نسيب المتني صاحب جريدة التلغراف التي كانت تعارض سياسة شمعون وتدعو الى تضامن لبنان مع البلدان العربية المتحررة مصر وسوريا . فكان هذا الشرارة التى اشعلت الثورة ضد شمعون وعمالته للامريكيين وانضمامه الى مشروع ايزنهاور وجعله لبنان مركزا لاعداد المؤامرات والمكائد ضد البلدان العربية المجاورة والاطاحة بانظمتها التقدمية . ولم يتورع كميل شمعون عن طلب ارسال قوات مسلحة الى لبنان لقمع الثورة ضده وتقدم بشكوى الى هيئة الامم اتهم فيها الجمهورية العربية بالتدخل في شؤون لبنان الداخلية . ولكن كل هذه المحاولات اخفقت ، ففي الانتخابات التى تمت في اواخر سنة ١٩٥٨ حل اللواء فواد شهاب محله في رئاسة الجمهورية ، وعهدالى رشيد كرامي ، احد الوجوه الوطنية وزعماء الثورة ضد شمعون والتدخل الامريكى بتاليف الحكومة ، وبدا التغيير في سياسة لبنان الداخلية والخارجية ، وتحسين علاقاتها مع البلدان العربية المجاورة وخاصة مصر وسوريا (الجمهورية العربية المتحدة) .

المساعي لضم العراق الى الجمهورية العربية المتحدة :

عقب الثورة العراقية التى تزعمها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف انسحبت العراق من حلف بغداد ، وجرت مفاوضات مكثفة بين زعماء الثورة العراقية والجمهورية العربية المتحدة لضم العراق الى الاتحاد السوري المصري . ولكن

اصرار عبد الناصر على الغاء الاحزاب ودمج العراق كليا مع الجمهورية العربية المتحدة كما بين مصر وسوريا ، وعدم الاخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة للعراق وكون الثورة العراقية كانت تقوم في البدء على اساس جبهوى يضم الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي واحزاب البعث والاستقلال ، واصرار هذه الجبهة على الابقاء على تعدد الاحزب فيها واشاعة الحريات الديمقراطية ورفضها لحل الاحزاب ، ونزوع كل من عبد الناصر وقاسم الى الحكم الفردي المطلق ادى الى فشل هذه المفاوضات ، وعدم تحقيق الاتحاد ، اضف الى هذا الصراع الذي دب بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم على زعامة العالم العربي ، وكان الرابح الوحيد من هذا الانقسام الامبريالية الامريكية البريطانية والرجعية المحلية . ولعل الحل الصحيح كان يكمن في انشاء اتحاد فيدرالي بين الاقطار الثلاثة ، واحتفاظ كل قطر بمميزاته الخاصة واجهزة الحكم التي تناسبه ، الى ان يجــرى تدريجيا تذويب الفوارق وتذليل الصعوبات والوصول الى درجة متساوية من التطور في شتى نواحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن طريق التشاور والتفاهم والتعاون لا الفرض والاملاء ، تمكن من ادماجهم في وحدة تامة .

المؤتمر الطبي العربي في بغداد :

في عام ١٩٦١ انعقد المؤتمر الطبي العربي في بغداد في عهد عبد الكريم قاسم، فانتهزت هذه المناسبة وقمت بزيارة للعراق ، وقد صدف هذا بعد المحاولة الفاشلة لاغتياله . والتقيت هناك من جديد باصدقاء قدامى كنت اعرفهم من قبل : البعض من لندن في سنوات الثلاثين ، محمد حديد ، والبعض من زيارتي السابقة في عهــد حكومة جميل المدفعي عقب اغتيال بكر صدقي وسقوط حكومة حكمت سليمان سنة ١٩٣٨ : كامل الجادرجي ، وحسين جميل ، وناظم الزهاوى وغيرهم . وقد وجدتهم غير مطمئنين لما يحدث في العراق ، وقد كان بعضهم قد اشترك في الحكومة التى الفت بعد الثورة ، امثال محمد حديد وناظم الزهاوى . ولاشك انه اجريت تغييرات جذرية وجوهرية في البنية الاجتماعية والاقتصادية في عهد عبد الكريم قاسم .ولكن مسائل اخرى سياسية كالمشكلة الكردية لم يتم حلها على وجــه يكفل الاستقرار ويضمن التعاون الطوعي والاتحاد الاختياري لا القسرى بين العرب والاكراد ، ولم ترس دعائم الحياة الديمقراطية وتوطد ، ولم تحقق الوحــدة الوطنية . وبقيــت القوى الوطنية منقسمة على بعضها تتربص الواحدة منها بالاخرى .

الانقلاب البعثي في العراق ومقتل عبد الكريم قاسم :

نتيجة للانحرافات التى طرات على الثورة العراقية واستئثار عبد الكريم بالحكم بمفرده ، وانحلال الجبهة الوطنية التقدمية ، دبت النزاعات بين اطراف الجبهـــة السابقين ، وشرع قاسم يستغل الواحد ضد الاخر ويلعب على تناقضاتهم ليوطـــد

حكمه الفردي ، الى ان تفجر انقلاب شباط سنة ١٩٦٣ باغتيال عبد الكريم نفسه وبطانته ، ووصول البعثيين بزعامة عبد السلام عارف الى الحكم . وتوالت منذ ذلك الانقلابات وتعثرت مسيرة الثورة وبددت الجهود . واحتدم الصراع بين اجنحة البعث نفسه . وقد سبب لي كل هذا حزنا والما لا يوصف . فقد كنت اعلق امالا كبيرة على التطورات في العراق .

الانقلابات المتتالية في سوريا ما بين سنة ١٩٤٩ الى ١٩٥٤ :

وقع اول انقلاب في سوريا ، سنة ١٩٤٩ بقيادة حسني الزعيم بعد الحرب العربية الاسرائيلية . وقد صدف ان كنت في دمشق ليلة وقوعه فلم ارتح لذلك . فانا امقت الانقلابات العسكرية الفوقية ، وتدخل العسكريين في السياسة وفرض انفسهم حكاما وحكما على الحكومات والشعوب . ولا يعني هذا انني ادعو الى حرمان اعضاء القوات المسلحة من قادة وضباط وافراد من حقهم في المشاركة في الحياة السياسية وتمتعهم كباقي المواطنين في الحكم الديمقراطي والانتخابات النيابية . ولكن يجب ان يبقي الشعب ، ممثلا بمجالسه النيابية المنتخبة انتخابا حرا لا المعينة تعيينا او المنتقاه انتقاءا تعسفيا والمفروضة فرضا ، مصدر السلطات والمقرر . ولا اعتقد ان الضباط معصومون اكثر من غيرهم من المدنيين من الزلل والخطأ والاطماع الشخصية والانانية ، او انهم اكثر كفاءة لادارة البلاد من المدنيين . بل اومن بان الحكم يجب ان يكون شورى بين جميع فئات الشعب وافراده ، ولم تمر اكثر من خمسة اشهر حتى عقب انقلاب اخر بزعامة سامي الحناوي . وبعد اربعة اشهر وقع انقلاب اديب الشيشكلي . وعلى الرغم من اختلاف بواعث وعناصر هذه الانقلابات ومدى استجابتها لمطامع الجماهير ورغباتها في الاستقلال والتحرر والتقدم والرخاء ، وارتباط بعضها بقوى خارجية او عدمه ، فقد كانت كلها انقلابات فوقية ضيقة . غير ان هذا لا ينفي ان انقلاب الشيشكلي تميز عن انقلاب الحناوي الذي كان يهدف الى ادخال سوريا في الطوق الاستعماري البريطاني تحت ستار التوحيد مع العراق والاردن وكخطوة نحو الوحدة العربية. وقد رفض الشيشكلي الاشتراك في قيادة الشرق الاوسط للدفاع المشترك التي ابتدعتها امريكا وبريطانيا بدل حلف بغداد ، وقبول المساعدة الفنية (النقطة الرابعة) من برنامج ترومان .

وفي مستهل سنة ١٩٥٤ نشبت الثورة في جبل الدروز ثم امتدت الى شمال سوريا وانتشرت في جميع أرجاء البلاد ، واضطر الشيشكلي الى الفرار . وقد اختلفت هذه الثورة عن الانقلابات لانها تحققت باشتراك الشعب مع الجيش ، وتالفت على اثرها حكومة برئاسة هاشم الاتاسي وصبري العسلي . وقد بادرت هذه الحكومة فور قيامها باطلاق الحريات الديمقراطية واباحة الاحزاب والمنظمات الوطنية ، واجرت انتخابات حره اذت الى فوز القوى الوطنية . ومع ان هذه

الحكومة تعرضت لضغط شديد من الامبرياليتين البريطانيـــة والامريكية للانضمام الى حلف بغداد او قيادة الشرق الاوسط ، فانها رفضتهما رفضا قاطعا ، واتجهـــت نحو تحقيق حلف دفاعي مشترك بين الدول العربية المستقلة ، مصر وسوريـــا والسعودية .. وقد اوغر هذا صدر الامبريالية فراحت تلوح لها بسوط عدوان مسلح من جانب تركيا .ولكنها صمدت وهب الاتحاد السوفياتي الى تأييدها وتحذير تركيا من الاقدام على اي عدوان عليها ، وتضامنت معها جميع الشعوب العربية . وهكذا اضطرت الامبريالية الى العدول عن العدوان المسلح من الخارج ، وراحت تحيك المؤامرات والدسائس في الداخل لاربك الحكم الوطني واسقاطه . وبداتهـــا باغتيال عدنـــان المالكي رئيس اركان الجيش السوري الذي كان يعارض بشدة انضمام سوريا الى حلف امبريالي . وقد ادين بتنفيذ هذه المؤامرة عناصر من الحزب القومي السوري الذي حكم على عدد من قادته بالاعدام ، واتضح في المحاكمة انهم كانوا على صلة بالمخابرات الانكليزية والامريكية .

واستمرت الضغوط والتهديدات على سوريا مـــن قبل الامبرياليات البريطانية والامريكية ولكنها لم ترضخ، وصمدت ووطدت تضامنها وتلاحمها مع الدول والشعوب العربية ، وعززت علاقاتها السياسية والاقتصادية بالمنظومة الاشتراكية وعلـــى رأسها الاتحاد السوفياتي . وتشكلـــت في سوريـــا جبهة وطنـــية تضم البعثيـــن والشيوعيين والقوميين الوطنيين ، اقرت ميثاقـــا وطنيا للعمل ينص على مقاومة المؤامرات والاستفزازات وعلى اطلاق الحريات الديمقراطية واجراء حملة مـــن الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وتوطيد التضامن مع الشعوب والدول العربية وتعزيز العلاقات مع حركات التحرر العالمية والمنظومة الاشتراكية ، وعلى انه لا يمكن فصل النضال من اجل الاستقلال التام ، استقلال الامة العربية ووحدتها ، عن الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية الثورية . واخيرا تم نتيجـــة المفاوضات التي جرت في مستهل سنة ١٩٥٨ بين قادة الجيش وقادة حزب البعث من جهة وعبد الناصر من جهه اخرى توحيد الدولتين السورية والمصرية وتاسيس الجمهورية العربية المتحدة . ولكن ويا للاسف لم تدم هذه الوحدة ، نتيجـــة بعض الاغلاط والمؤامرات والدسائس وعدم مراعاتها الظروف الموضوعية لكلا القطرين اكثرمن ثلاث الى اربع سنوات . فوقع انقلاب الانفصال في الثلث الاخير من سنـــة ١٩٦١ بزعامة الكزبري . ولا بد من التنبيه هنا الى ان ما مني بالاخفاق ليست فكرة الوحدة العربية ، التي تظل هدف ومطمح كل عربـــي ، بل الطريقة والوسائـــل المنافية للديمقراطية التي اتخذت لتحقيقها . وتوالت الانقلابات بعد ذلك وتولى ناظـــم القدسي ، رئاســة الدولة لفترة ما بين سنة ١٩٦٢ و ١٩٦٣ الى ان استولى على الحكم حزب البعث في ٨ اذار سنة ١٩٦٣ . غير ان النزاعات بين مختلف الاجنحة داخل حزب البعث استمرت . فمرة بتفوق الجناح اليميني ومرة الجناح اليساري. وتمت في نفس السنة محادثات بين سوريا ومصر والعراق لانشاء اتحاد فيدرالي يضم الدول الثلاث ولكنها انتهت بالفشل . وتولى امين الحافظ رئاسة الدولة .

وتبعه بعد ذلك زعماء الجناح اليساري . الدكتور نور الدين الاتاسي كرئيس للدولة والدكتور يوسف الزعين كرئيس للحكومة . وفي اواخر سنة ١٩٦٦ عقدت هذه الحكومة اتفاقية للدفاع المشترك مع مصر الجمهورية العربية المتحدة ،التي انضمت اليها فيما بعد ، عشية عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ ، الاردن . وفي نفس هذه السنة قامت اسرائيل بعدوانها الاجرامي الغادر على قرية السموع الذي وقع ضحيته اكثر من مئة من المواطنين العزل الابرياء والعشرات من افراد الجيش الاردني ، وتبعته المظاهرات الجماهيرية العارمة التي عمت جميع مدن الضفة الغربية القدس ، نابلس ، ورام الله احتجاجا على العدوان ، وعلى تهاون السلطات الاردنية في الاعداد لمقاومته وحماية البلاد والمواطنين ، وعجزها عن صده ، وطلبا السلاح وتمكين الشعب من الدفاع عن نفسه . وبدل ان تتصدى الحكومة الاردنية للعدوان والاعداء صبت جام غضبها واظهرت بأسها وقوتها في التصدي للمتظاهرين ، فوقع من جراء اطلاقها النار عليهم استشهاد العشرات . وفي عهد حكومة الاتاسي — الزعيين وقع العدوان الاسرائيلي الغادر في حزيران سنة ١٩٦٧ . واستمرت هذه الحكومة الى ان قام حافظ الاسد بانقلابه سنة ١٩٧٠ .

حرب حزيران سنة ١٩٦٧ :

لقد كانت هزيمة الدول العربية واجتياح اسرائيل الضفة الغربية بكاملها وهضبة الجولان وقطاع غزة وسيناء الى القناة صدمة قوية وخيبة امل اصابت الجميع بالذهول والوجوم والشلل والمرارة لفترة ما ، وقد كتبت اثناءها ، غداة الصدمة ، الدراسة التالية ضمنتها تقييمي للوضع ومقترحاتي لمواجهتها والتغلب عليها . وها انا اوردها فيما يلي :ـ

ما العمل ؟ ثلاث طرق لا رابع لهم بل طريق واحد لا غير

« لئن كانت الكارثة الاخيرة الرابعة في سلسلة الكوارث التي توالت على الشعب العربي الفلسطيني خاصة والشعوب العربية عامة منذ الاحتلال البريطاني الاثيم في عام ١٩١٧ صدمة ومفاجأة غير متوقعة للاكثرية الساحقة من ابناء الامة العربية فهي لم تكن كذلك لقلة منهم اذ انها كانت متوقعة لديهم ونتيجة للسياسات المغلوطة والاتجاهات الخاطئة والتحاليل الغير علمية والارتجال والتخبط التي داب عليها القادة والزعماء والملوك والرؤساء والقابضون على زمام الامور في البلاد العربية . فالكارثة الاولى نزلت بالعرب عندما انخدعوا بالوعود الكاذبة التي اطلقها الحلفاء ابان الحرب العالمية الاولى . ووضعوا ثقتهم في الانكليز والاميركيين وحاولوا ربط مصير البلاد العربية بمصير الحلفاء ولم يحافظوا على استقلال حركتهم التحررية وابقاءها نقية من المؤثرات والتبعية الخارجية .

ففي البلاد العربية عامة عدا فلسطين ، اكتفى القادة والذين تسلموا السلطة ما بين الحربين العالميتين بالاستقلال الشكلي وحاولوا توثيق تبعية بلادهم بسالبي خيراتهم ومستغلي شعوبهم وناهبي ثرواتهم فمنحوهم الامتيازات المتعددة او اقروا امتيازات سابقة كانوا قد حصلوا عليها من (الرجل المريض) الدولة العثمانية وهكذا بدلا من ان يعملوا على التخلص من القيود والجمود المتخلفة من الحكم العثماني احكموا وثاقها وظلوا يدورون في الحلقة المفرغة والنطاق الذي رسمه لهم الاستعمار . فلا تطور ولا تنمية الا في النطاق والقدر الذي يفرضه ويحدده الاستعمار .

واول خطأ ارتكبه هؤلاء القادة هو في قبولهم تجزئة البلاد العربية وتقسيمها الى دويلات ومناطق نفوذ طمعا في عروش ومناصب وارضاء لمطامح شخصية على حساب الشعوب العربية بينما كانت البلاد العربية كلا لايتجزأ ابان الحكم العثماني . وهنا يجدر التنبيه الى انه حينما تنادي الشعوب العربية وتطالب بالوحدة والاتحاد فهي لا تبتدع امرا جديدا او تصطنع حالة لا تتفق والواقع الطبيعي او التطور الحتمي بل هي تحاول تصحيح الاوضاع التي قلبها وبدلها الاستعمار وتحقيق ذاتها وتطورها الطبيعي والحتمي .

وبالنسبة للقضية الفلسطينية فالخطأ الاساسي في معالجتها يكمن اولا في قبول بعض القادة العرب اذ ذاك فصلها عن القضية العربية في اتفاقية حسين ومكماهون - وفيصل ووايزمان - ومهادنة الاحتلال البريطاني والانتداب وقصر المقاومة على معارك جانبية مع اليهود وصرف الانظار وتحويلها عن العدو الاساسي وهو الانكليز والاحتلال البريطاني فقد كان يجب على العرب منذ اللحظة الاولى التي قطع فيها الانكليز وعد بلفور ان يمتنعوا عن التعاون معهم في كل الاقطار العربية وفي كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وخاصة في فلسطين ليحبطوه ويحولوا دون تمكنها من تنفيذ سياستها وتحويل البلاد الى وطن قومي لليهود واغراقها بالهجرة اليهودية . فقد كان يجب على العرب عامة وعرب فلسطين خاصة ان يركزوا حركتهم على المطالبة بالاستقلال وحق تقرير المصير والنضال من اجله .

ومرة اخرى عند انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي مرحلة تعاظم الحركات التحررية وتحقيق اكثرية الشعوب الاستقلال ، وانتزاعها حق تقرير مصيرها بنفسها انجرت السياسات العربية والقادة والحكام العرب وراء الاتجاهات والازمة المسدودة التي يزينها ويدفعهم اليها الغرب فيتورطون في معارك جانبية مع اليهود وكنت المستعمرين الانجليز والامريكيين والفرنسيين المسيطرين على اقتصاديات البلاد العربية والطامعين في ثرواتها وفي المحافظة على هذه السيطرة من عرض القضية الفلسطينية وكانها نزاع بين شعبين وصراع بين قوميتين بدلا من كونه

صراع بين شعب يريد التحرر وتقرير مصيره بنفسه وفق خق تقرير المصير وبـــين الاستعمار البريطاني فيمهدون بل يحتمون اقرار التقسيم وهكـــذا وقعت الكارثة الثانيـــــة .

صحيح ان الصهيونية العالمية كانت ستحاول الحيلولة دون تحقيق الاستقلال . لان اليهود في ذلك الوقت ما زالوا اقلية لان اي حكم ديمقراطي سيكون بالطبع عربيا ويبقي فلسطين عربية ويحافظ على عروبتها لكن من المؤكد أن الراي العام العالمى وهيئة الامم ما كانت لتقر مشروع التقسيم واقامة الدولة الاسرائيلية لو ان القادة العرب احسنوا التصرف وعرض القضية ، ولم ينساقوا وراء الشعارات الزائفة كطرد اليهود او القائهم في البحر او ابادتهم الجماعية التي ادت وقد كان من المؤكد ان تؤدي الى اقرار التقسيم واقامة الدولة الاسرائيلية في قلب البلاد العربية .

ان الطريق الصحيح الذي كان يجب سلوكه والشعار الصحيح الذي كان يجب رفعه والمطالبة بتحقيقه هو اقامة حكومة ديمقراطية مستقلة تضمن حقوق جميـــع المواطنين بما فيهم اليهود وتؤمن للاقليات حكما ذاتيا واستقلالا ثقافيا .

والكارثة الثالثة حلت بنا عام ١٩٥٦ اثر المؤامـــرة الفرنسية الاسرائيلية التى انتهت بتجريد سيناء من السلاح وفتح مضايق تيران للملاحة الاسرائيلية غير انه اذا كان من المهم والمفيد بل الضروري استعراض الماضي للتعلم من تجاربه واستخلاص العبر منه وعدم تكرار اخطاءه . فالاهم والاكثر ضرورة هو مطالعة الحاضر وبحثه ودرسه وتحليله تحليلا علميا هادئا واستقصاء المستقبـــل واستقراءه . فالمسألة المطروحة الان بعد الكارثة التي حلت بنا هي ما العمل ؟ .. واي السبل يجب سلوكها لتحقيق اهدافنا في استعادة حقوقنا في فلسطين والحرية والوحدة او الاتحاد العربـــــي .

قبل الاجابه على هذا السؤال يجب ان ندرك اننا نعيش في عصر الذره واستقصاء الفضاء . عصر غير العصور السالفة . عصر بعد تطور وسائل النقل واستحداث الصواريخ تقلص العالم فيه وانكمش وضاقت رقعته حتى انه اصبح من الممكن الان ان تدور حول العالم في مدة لا تتجاوز المدة التي تستغرقها في التنقل من حي الى حي . عصر لا يصح فيه ما كان يصح في العصور السالفه ولا يجوز فيه ما كـــان يجوز او يمكن في عصور ما قبل الحرب العالمية الاخيرة . عصر تنقل انباء مـــا يحدث في بقعة من بقاعه الى البقاع الاخرى باسرع مـــن البرق . لهذا يجب ان ندرك اننا لا نعمل في فراغ وان العالم كله يشهد ما يحدث في اية بقعة من بقاعه وان اصداء اي حدث تتردد في العالم كله بمجرد وقوعه وتثير ردود فعل وتفاعلات فـــي جميع اجزاءه .

طرق ثلاثة لا رابع لها لازالة العدوان الاخير ومحو اثاره والعودة الى ما قبل ٥ حزيران . ولكن طريق واحد لا غير لتحقيق اهدافنا في حل المشكلة الفلسطينية ورد عروبتها وتحقيق الاستقلال الكامل والشامل اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا والحرية والوحدة والرخاء والنمو والازدهار والتقدم والتطور المطرد والاستقرار .

الطريق الاول : — وهو الطريق العاطفي والاكثر تلالؤا ووهجا وبريقا وهو رد فعل ضد ما انتابنا من كوارث وحل بنا من مظالم وعدوان اكثر منه طريق مدروس ومضمون النتائج مامون العواقب الا وهو محاولة القضاء علـى اسرائيل كممثل للشعب اليهودي المستوطن الان في جزء من بلادنا المغتصبة لا كممثل للحركـة الصهيونية والاستعمارية فحسب وهذا لا يمكن ان يتحقق الا بالاعتماد على القوة الذاتية وحدها غير عابئين بمواقف الغير مناوئنها ، كاننا نعمل في فراغ وكـأن الميدان خال لنا واليهود فقط ولا شهود ، وعلى ضمان تفوقنا وقدرتنا على ذلك . وقد اثبتت الاحداث والكوارث الاخيرة على زيف هذه الامكانيات وبطلانها سواء من حيث عدم توفير القوة اللازمة لدينا او من جراء تدخل او تدخلات اجنبية من الخارج من اي مصدر كان فالعالم اليوم لن يسكت او يسمح بابادة شعب مـن الشعوب ويقف مكتوف الايدي . فلا بد اذن من البحث عن طريق او حل اخر

الطريق الثاني : — وهو طريق المساومات والحـلول السياسية فـي اطار الاستعمار الانجلو — اميركي او بشكل عام الغربي . وهو طريق الاستسلام والخضوع للمخططات الاستعمارية التي تستهدف ابقاء وادامة التجزئة في البلاد العربية ومنع تحقيق الوحدة العربية بالمصالحة والتعايش السلمي مع اسرائيل الصهيونية التى تقف حجر عثره في سبيل تحقيق الوحدة العربية والركيزه في قلب بلادنا العربية للحيلولة دون تحررنا السياسي والاقتصادي وانعتاقنا مـن التبعية السياسية الاستراتيجية ، وثرواتنا وخيرات بلادنا واسواقنا نهبا واحتكارا لهم ، وشعوبنـا اجراء ضدهم يمتصون عرقهم ودمائهم . اي العودة بنا الى الاوضاع التي كانت سائدة قبل قيام النظم التقدمية والتحررية في الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق واليمن والجزائر بكلمهمختصره الحل البورقيبي وهوما يتعارض تعارضا كليا ويناقض اهدافنا في التحرر والوحدة والتقدم .

والطريق او الحل الثالث : وهو الوحيد الذي كفل لنا تحقيق اهدافنا هو النضال والسعي من اجل اقامة وحدة او اتحاد في منطقـة الشرق العربي ويقوم على اسس ديمقراطية وشعبية يشمل الاردن بضفتيه وسوريا والعراق والجمهورية العربية المتحدة واليمن والجزائر والسودان في البدء ويستقطب بقـية الاقطار العربية كلبنان والسعودية وليبيا وتونس والمغرب العربي فيما بعد وتدريجيا ، ويندمج في هذه الوحدة او الاتحاد الفيدرالي القائم على اسس ديمقراطيةوحكومات شعبية متجانسة لا متباينة النظم الاجتماعية والاقتصادية ، يندمـج فيها الشعب اليهودي المستوطن في القسم الذي يكون فيه اكثرية من فلسطين بشكل حكومة

اسرائيلية شعبية متجانسة فـي نظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مع النظم التحررية والتقدمية في البلاد العربية المتحررة اعضاءالاتحاداوالتي تكونجزءا من الوحدة في المنطقة ، متجردة من الصهيونية والفكرة العنصرية ومفصولة كلياوتماما عن اي تعلق او ارتباطات مع الاستعمار او قوى خارجية عن اتحاد الشرق العربي ومتضامنة ومتكافلة مع حركات التحرر العربية، ذات استقلال ثقافي وحكمذاتي. وهذا الطريق او الحل ليس سهلا ولا يمكن تحقيقه بين عشية وضحاها بل لا بدللوصول اليه من النضال الشاق الطويل المتواصل وتثقيـف الجماهير وتوعيتها وتهيئتهـا ذهنيا له وبعث ثورة فكرية لدى جماهير شعبنا يتردد صداها في اوساط الشعب اليهودي ويصحبها ويتبعها كفاح متواصل لتعميم الانظمة التقدمية في جميع البلاد العربية واحلالهـا محل الانظمة البالية الفاسـده وتصعيد النضال والكفاح ضد الاستعمار ودسائسه وعملاءه ومفاهيمه والتحرر من التبعية الثقافية له ، لا السياسية او الاقتصادية فقط ، لنتمكن من تحقيق الوحده العربية الشاملة والاستقلال التام الناجز واعادة الوجه العربي لفلسطين بارجائها الى احضان الوطن العربي الام .

وبديهي ان تحقيق الوحدة والتحرر منوط بمقاومة الاستعمار ودحره وقهره كما ان مقاومته وقهره منوط ووثيق الارتباط ايضا باسقاط اتباعه ومقاومتهم وانتزاع السيطرة منهم في البلاد التى لا يزالون يهيمنون عليها وارجاعها لصاحبها الشرعي وهـو الشعـب .

فالكفاح ضد الاستعمار وضد الانظمة المرتبطة مع الاستعمار ارتباطا مصلحيا ولو لم تكن مرتبطةبه شكليا او ظاهريا يجب ان يسير جنبا الى جنب وفي خط واحد اذ لا يمكن نجاح الواحد دون نجاح الاخر فكل منهما متمم ومكمل للاخر فاما ان ينجحا معا والا ففشل اي منهما يؤدي حتما الى فشل الاخر .

ولنجاح هذا النضال والكفاح وانتصاره لا بد مـن توثيق وتعزيز الروابط مع جميع الحركات التحررية والنظم التقدمية في العالم على اساس التضامن والتكافل وعلى ان الحرية لا تتجزأ ، وان الاستعمار والتسلط والاستغلال والاستبداد هو عدو مشترك . واذا ما قيست قوى التحرر والتقدم والشعوب فانها الكثر واقوى بكثير من قوى الظلام والتعسف والتسلط والتأخر . فقوى التقدم والتحرر هي القوى الناشئة والمتمشية مع التطور التاريخي وسنة النشوء والارتقاء وهي فوق ذلك قوى الخيـر والسمو . والقوى المضادة هي قوى الشر المناقضة والمتعارضة مع التطور وسنـة النشوء والارتقاء ولهذا فانتصار قوى الخير حتمي لا مفر منـه ولو بدا عكس ذلـك في فتـرات النكسـات .

والطريق الى هذا كله يقع ضمن اطار الاشتراكية بل فالاشتراكية هي الطريق الوحيد والمضمون للتحرر والوحدة ولاعادة فلسطـين الى اصلها العربي وتامـين

الازدهار والرخاء والنمو والتطور والارتقاء المطرد لجماهير الشعب العربي .. اذ هي وحدها التى تؤمن وحدة الصنف والهدف وتقضي على تعدد الزعامات والقيادات وتصهرها في قيادة واعية واحدة ، وتذيب العنصرية الدخيلة وتحول دون تسلط الراسمالية الصهيونية على الاقتصاد العربي بالتأميم ، ومنع الاستغلال والقضاء على الراسمالية ، ولانها الاشتراكية اقصر الطرق واسرع السبل وانجعها للحاق بالعالم المتقدم ولتوفير العيش الكريم وتحقيق الوفره وارخاء ورفع مستوى الجماهير وزيادة الدخل القومي .

هذه هي المبادىء العامة والاهداف الاساسية التي يجب ان يتركز العمل حولها وان تعبأ الجماهير وتحشد جميع الطاقات للنضال من اجل تحقيقها . اما الاهداف الانية والواجبات الفورية التي يجب حشد اوسع قاعدة واعرض جبهة تشمل جميع الطبقات وشتى الاتجاهات وتضم جميع العناصر والفئات المختلفة فهي وضع ميثاق وطني يقوم على الاسس التالية :ـ

اولا :ـ مقاطعة سلطات الاحتلال مقاطعة تامة وعدم التعاون معها او البحث في اي حل او مشاريع حلول معها والمطالبة بانسحابها وجلائها هي وقواتها ورفض اي فكرة لانشاء اي كيان او وضع اي حلول او مشاريع حلول بالتعاون معها .

ثانيا :ـ استنكار ومقاومة جميع ما تتخذه من اجراءات لتمكين سيطرتها وتثبيت احتلالها واعلان سخطنا عليها وعدم الرضا بالوضع الراهن في كل مناسبة وبشتى الوسائل .

هذه الاسس تقضي رفض اي وظائف سياسية وادارية في ظل الاحتلال .

اما في مجال التعليم فلا مصلحة وطنية ابدا في انقطاع وامتناع او منع ابنائنا من التعلم ولهذا فبالنسبة لهذه المسالة يجب ان تكون معالجتها بشكل ايجابي لا سلبي اي يجب ان نفتح المدارس ونقبل على التعليم وندعوا اولادنا على ارتيادها والدوام عليها شريطة ان يستقل معلمونا ويدرسوا ويعلموا وفق المناهج التي الفوها اي المناهج الوطنية ولا يتقيدوا بتعليمات وتوجيهات سلطات الاحتلال . بكلمة مختصرة يستقلوا بالتعليم والتربية وينشؤا النشىء على اسس وطنية وانسانية .

وفي الناحية الاقتصادية فعلى تجارنا ان يقصروا معاملتهم مع السلطات على الحد الادنى الذي يكفل تموين الجماهير العربية بضروريات الحياة . وعلى الشعب كله ان يلتزم بسياسة التقشف وشد الاحزمة استعدادا للمعركة الطويلة الشاقة. وعلينا جميعا ان نتدارس فكرة الامتناع عن دفع الضرائب والعصيان المدنى والاعداد له. التكرار ثانية : الواجب الاول هو التركيز على الانسحاب والجلاء واعلان عدم رضانا به بجميع الوسائل وفي شتى المناسبات . الواجب الثاني: لاتعاون ولا مفاوضات مع سلطات الاحتلال ومقاطعتها مقاطعة تامة . غير أن هذا لا يعنى

الامتناع عن الترويج للحل الاساسي الذي نؤمن به على الصعيد الشعبي وبين اوساط الشعب بل انه احد الجوانب الايجابية من النضال لتحقيق اهدافنا . فيجب ان لا يغفل عنـــه .

والنصر لا شك لنا شريطة ان نعمل ونكد نكافح ونناضل

« اواخر حزيران سنة ١٩٦٧ »

ولكن سرعان ما افاقت الشعوب العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصةمن الذهول والصدمة ، وهبت منظمة التحرير الفلسطينية التي تضم جميع المنظمات الثورية الفلسطينية : جيش التحرير الفلسطيني وفتح والجبهة الشعبية ومنظمات صغيرة اخرى الى النضال والتصدي للاحتلال والاعداد لمقاومته وتحديه، الشيوعيون بالنضال السياسي داخل الارض المحتلة ، والمنظمات بالكفاح المسلح داخل وخارج الارض المحتلة . وقد كانت موقعة الكرامة اول معركة كبيرة استرد العرب فيها كرامتهم وردوا المعتدين على اعقابهم خاسرين مهزومين . والفضل في هذه المعركة كان للمنظمات الفلسطينية بمؤازرة بعض العناصر الوطنية الشريفة في الجيش الاردنـــي .

وعلى الرغم من انه لم تقم اية قيادة منظمة في المناطق المحتلة : الضفة والقطاع فان رفض الاحتلال والهزيمة والاستسلام والتصميم على مقاومته وحد بين جميع فئات الشعب وافراده ، ولم ينجح الاحتلال في ايجاد من يتعاونون معه . اللهم الا افراد قلائل اذهلتهم النكسة وغمرهم اليأس فراحوا يبحثون عن حلول في ظل الاحتلال ، والدخول في حوار معه لاقامة ما اسموه الكيان الفلسطيني ، الذي لـــم يكن يعني في تلك الظروف ، ظروف ما بعد الحرب مباشرة ، الا نوعا من الحكم الذاتي او البانتوستان الذي تقيمه حكومة جنوب افريقيا العنصريةفي المناطق الشاسعة التي يقطنها الافريقيون الاصليون ، بمعنى اخر حكم مسخ تحت الحماية والسيادة الاسرائيلية او في إتحاد فيدرالي معها ، كالذي تحاول اسرائيل الان فرضه على الضفة والقطاع بموجب اتفاقيات كامب ديفيد ، مع العلم بان هذه الفكرة ، فكـــرة اقامة حكم ذاتي في المناطق المحتلة ليست جديدة بل كانت تساور المعتدين قبـــل اتفاقيات كامب ديفيد ، وانها تهدف الى تكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليه بمشاركة اهل البلاد فيه . ولكن هذه الفكرة لم تلق اي قبول من جانب الشعب وجوبهت برفض قاطع ومقاومة شديدة من جميع فئاته وطبقاته . وهكذا ولدت ميتة الى ان جاءت حكومة بيغن واتفاقيات كامب ديفيد لتبعثها من جديد . وعبثا يحاول الافراد الذين طلعوا بهذه الفكرة في الاشهر الاولى عقب الاحتلال تصويرها وكأنها سبق لفكرة اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، التي يطالب بها الان الشعب ومنظماته وعلى رأسها الممثل الشرعي والوحيد له : منظمة التحرير الفلسطينية . فالدولة التي

نطالب بها الان هي دولة مستقلة ذات سيادة نقوم في اعقاب ارغام اسرائيل على الانسحاب الكامل وغير المشروط من جميع الاراضي العربية المحتلةبعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ لا في ظله . وشتان ما بين الاثنتين وقد اعددت على اثر ظهور هـذه الدعوة والمحاولات بيانا او مذكرة تحت عنوان « لا احتلال ولا انفصال » وعرضتها على الشخصيات التي شكلت من نفسها لجنة عليا للتوجيه الوطني : ضمت روحي الخطيب ، الشيخ عبد الحميد السائح ، انطون عطا اللـه ، سعيد علاء الدين ، كمال الدجاني وغيرهم ، ولكنهم لسبب في انفسهم لم يستحسنوا توقيعها واعادوها الى بعد ان تدارسوها اكثر من عدة اسابيع وها انا اثبتها فيما يلي :

لا احتلال ولا انفصال

«نحن الموقعين ادناه اذ نعلن ونؤكد تمسكنا بوحدة الضفتين ومقاومتنا ورفضنا للاحتلال وكل محاولات التجزئة والانفصال ، واصرارنا وتصميمنا على النضال من اجل تحرير بلادنا المحتلة بجميع الوسائل ، وارغام العدو على الانسحاب والجلاء عن كل الاراضي العربية : الضفة الغربية بما فيها القدس ، المرتفعات السورية، وسيناء وتصفية جميع اثار عدوان الخامس مـن حزيـران ، واستنكارنا لجميع الاتصالات المباشرة او غير المباشرة مع سلطات الاحتلال والدخول في اى حوار معها ، قبل اتمام الجلاء واعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل العدوان وقبل اقرار السلطات الاسرائيلية بحق اللاجئين في العودة الى بلادهم وبحقوق الشعب العربى الفلسطيني الكاملة في وطنه والغاء جميع القوانين الاستثنائية المفروضة على ابناء شعبنا العربي في المنطقة المغتصبة ، واعادة جميع اراضيهم وممتلكاتـهم اليهم ، نرى من واجبنا ومن حق الشعب علينا ان نصارح الشعب عامة والمسؤولين فى عمان خاصة بالسبل والوسائل التي نعتقد انها تكفل تحقيق اهدافنا في تحريـر الارض المحتلة وارغام العدو على الانسحاب وتصفية جميع اثار العدوان .

اننا نرى انه من اجل هذا يجب ان يتم تغيير جذري ونوعي في السياسة الاردنية وتقييمها من جديد على ضوء تجارب العشرين السنة الماضية والعدوان والاحداث الاخيرة . وهذا يقتضي او ما يقتضي تحديد موقفنا بالضبط والدقة من الحركات والمعسكرات العالمية المتفاعلة والمتصارعة ويجب ان يتم هذا على اساس المصلحة الوطنية العليا والشاملة .

ففي العالم اليوم حركتان ومعسكران يتصارعان . حركة تحريرية تهدف الى تحرير جميع الامم والشعوب ، وتمكينها من تقرير مصيرها بنفسها والتطور حسب مشيئتها ، وحركة تحرص على ابقاء الاحوال والاوضاع على ما هي عليه والمحافظة على سيطرتها وفرض اراداتها وسيطرتها على العالم اجمع وخاصة على البـلاد والشعوب التي كانت او ما زالت في قبضتها او تحت نفوذها ، والتحكم في مصيرها

وتطورها : الحركة الامبريالية وقوامها الدول الغربية عامة وعلى راسهم الولايات المتحدة الاميركيـــة .

ولما كنا شعبا نناضل للتحرر او استكمال سيادته واستقلاله ، وتوحيد وطنه المجزء ، واختيار طريق التطور الذي يناسبه ويلائمه ، فمما لا جدال فيه ان مكاننا وموقعنا الطبيعي هو في صفوف الحركة التحريرية : الحركة المقاومة للاستعمار والامبريالية والرجعية .

وقد اثبتت تجاربنا خلال العشرين سنة الاخيرة خاصة ، ومنذ اندلاع الحرب العالمية الاولى ، اي منذ اكثر من خمسين سنة انه لا يمكن الركون او الاعتمـــاد او الاطمئنان الى الدول الامبريالية . اذ ان هذا قد ادى الى ما نحن عليه الان من ضعف وتجزئة ، واسلمنا فريسة سهلة وضحية رخيصة سائغة للعدوان الاخير .
فان ننسى لا يمكن ان ننسى قطع بريطانيا معونتها المالية للاردن والسلاح عنه ابان عدوان سنـــة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ، وشحنات الاسلحة مـــن المانيا الغربية في السنوات التي سبقت العدوان الاخير ، واغراق اسرائيل بالسلاح الفرنسي حتى عشية العدوان وطيلة السنوات التي سبقته ، والمؤامرة البريطانيـــة الفرنسيـــة الاسرائيلية عام ١٩٥٦ ، وقطع المعونة المالية الاميركية للاردن ، ووقـــف تزويده بالاسلحة التي كان متفقا عليها ابان العدوان وحتى الاسابيع الاخيرة . .

ولذا فنحن نعتقد انه يجب على السلطات في عمان ان تعيد النظر في موقفها من الدول التي تحاول ان تبقيها في منطقة نفوذها ، وتوقعها في احابيلها بالخداع والتضليل والتظاهر بالميل لتغيير سياستها نحوها ، بينما هي لا تهدف الا الى ابقائها في شراكها ، والحيلولة دون كسرنا الطوق الذي ضربته حولنا ، وعزلنا عن الحركة التحريرية العالمية والمعسكر المناهض للامبريالية ومنعنا مـــن الاخذ باسباب القوة والمنعة لنتمكن من الصمود وصد العدوان وازالة اثاره ، وقد ظهر هذا جليا في مواقفها في اجتماعات هيئة الامم ومجلس الامن ، ومقاومتها الضارية ومعارضتها الشديدة لاتخاذ اي قرار يدين اسرائيل بالعدوان ويرغمها على الانسحاب والجلاء ودفع تعويضات عن الاضرار التي اوقعها بالدول والشعوب العربية . وما اعلانها عن عزمها على استئناف تزويد الاردن ببعض الســـلاح الا ذرا للرماد في العيون وتغطية لغمرها اسرائيل بالاسلحة الحديثة الفتاكة وتاييدها لها ولصرفنا عن اخذ السلاح من حيث نتمكن من الاعتماد على استمراره وعدم انقطاعه او قطعه عنا وقـــت الضيق .

ان هذا لا يعني اننا يجب ان لا نواصل العمل على حمل او ارغام هذه الدول على تغيير سياستها ، او اننا لا نرحب بهذا التغيير . بل على العكس يجب مضاعفة هذه الجهود ولكن يجب ان تبقى حذرين ويقظين فلا ننخدع بالمظاهر ونكتفي بالوعود

الخلابة ، ولا ندع هذه التلويحات تلهينا او تصرفنا عن توثيق علاقاتنا بمن اثبتوا وقت الضيق انهم الصديق ، وان تمنعنا من اجراء التغييرات اللازمة في سياساتنا الداخلية والخارجية ، على اساس نصادق من يصادقنا ولا نستعدي من يعادينا ، بل نعمل ونكافح لاقناعه وارغامه على الكف عن معاداتنا او التخفيف من تاييـده لعدونا بصمودنا ونضالنا .

ومن اجل الصمود ومواصلة الكفاح والنضال لتحرير اراضينا المحتلة وازالـة جميع اثار العدوان وتصفيته ، وتأمين النصر النهائي ، نطلب من المسؤولين فـي الاردن ان يتخذوا جميع الاجراءات والتدابير لتخليص الاردن مـن اسباب ضعفه الراهن ، وتحويله الى قلعة صامدة ، وملتحمة الى اقصى الحدود واشد الالتحام مع البلدان العربية الشقيقة في معركتها ضد العدوان ، وذلك :

اولا : بتوحيد جميع القوى المعادية للاستعمار والاحتلال والمصممة فعلا على مقاومته ودحره وتصفية جميع اثاره، والحفاظ على وحدة الاردن بضفتيه واستقلاله وسيادته الوطنية فالاردن وفلسطين اسمان لمسمى واحد .

ثانيا : بتشكيل حكومة ائتلاف وطني تضم جميع العناصر المخلصة والواعية وتحوز على ثقة الشعب في الضفتين ، وتعبر حقا عن ارادته ، وتعمل على تطهير الجهاز الحكومي من الفساد والاقليميـة والمحسوبية والرشـوة والعناصر المشبوهة او الملائة للاستعمار والمرتبطة به اقتصاديا او ثقافيا . تؤمن الحريات العامة وتشيع الديمقراطية وتلغي جميع القيود والقوانين المقيدة لها ، وتطلق الشعب من عقاره، وتتيح لجماهيرنا ممارسة حقها في التعبير عن ارادتها ، وايجاد التنظيمات اللازمة لتعبئة قواها وحشد كل طاقاتها ، ومساهمتها مساهمة فعالة ونشيطة في النضال ضد الاحتلال الاسرائيلي ، ومن اجل الحفاظ على وحدة الاردن واستقلاله وسيادته الوطنية ، وتصفية جميـع اثار العدوان ، واحبـاط جميع المناورات والمؤامرات والضغوط الامبريالية . وهكذا يتم تمتين الجبهة الداخلية وتعزيزها .

ثالثا : توطيد التضامن العربي وتوثيق اواصل الوحدة مع جميع شعوب والدول العربية المقاومة للاستعمار والمكافحة ضد العدوان ، وعدم الانفراد باي عمل بدونه

رابعا : تعزيز علاقات الصداقة والتعاون مع من اثبتوا انهم الاصدقاء الاوفياء، وفي طليعتهم الاتحاد السوفييتـي والبلدان الاشتراكية الاخـرى ، الذين ايدونا ويؤيدوننا دون تحفظ او قيد او شرط ، ومـع جميع الحركات التحريرية والدول المتحررة والمؤيده لقضايانا العادلة وكفاحنا المشروع .

خامسا : اقامة علاقات وتعون وثيق مع الصين الشعبية . .

سادسا : بناء قواتنا العسكرية وتعزيزها وتزويدها باحدث الاسلحة وتدريبها على اعلى المستويات ، وتوحيد اسلحتها وقيادتها مع اسلحة وقيادة جيوش الدول العربية المتحررة

سابعا : تدعيم اقتصادنا الوطني وتطويره بالتعاون مع الدول الشقيقة والصديقه على استكشاف ثرواتنا الدفينه ، وتنمية مواردنا واستغلالها لمنفعة الشعب ولمصلحة المجموعــة .

ونهيب بجميع افراد الشعب وهيئاته والقوى الخيرية والشريفة ان لا تكتفــي بالوقوف موقف المراقب للاحداث والتطورات ، وان لا تحجم او تتردد عن تحمل مسؤولياتها كاملة ، بل تهب الى توحيدصفوفها واخذ مصيرها بايديها ، والتفاف حول هذه المطالب وتأييدها والعمل على تحقيقها وقطع الطريق على كل المؤامرات والدسائس التي تحاط وتدبر ضدنا في الخفاء ، لنفوز بما نصبوا اليه من حريةوتقدم واستقرار ورخـــاء . »

وهكذا فمنذ اليوم الاول للاحتلال ، والنضال والكفاح مستمر في الداخل والخارج ولم تتورع السلطات المحتلة عن اقتراف اي ارهاب او اجراء تعسفي ، واتباع اي اسلوب لكبته وقمعه . غير انه ظل يتصاعد ، واتخذ شكل الكفاح المسلح في غزة حيث استمر اكثر من ثلاث سنوات . واما في الضفة الغربية فقد تصدر هــذا النضال الطلاب والتلاميذ بدافع فطرى وعفوى من عند انفسهم ، ولــم ينتظروا التوجيه او الدعوة اليه من احد .

اما السلطات الاسرائيلية فقد شرعت منذ احتلالها بتغييــر المعالــم السكانية والجغرافية في البلاد وطمس معالمها العربية . فانشأت المستوطنــات ، وصادرت عشرات الوف الدونمات ، واجلت الالوف من القاطنين في مدينة القدس القديمــة ، داخل السور خاصة من مساكنهم الاصلية ، وازالت حي المغاربة بجوار حائط الحرم من الوجود ، وهدمت ونسفت خلال اجراءاتها القمعية الوف المنازل في جميع ارجاء البلاد ، وخاصة في غزة وفي مخيمات اللاجئين ، ولم تتورع عن محاولــة احــراق المسجد الاقصى تمهيدا لهدمه وازالته بالمرة على يد معتوه متدين استرالي . واذكــر بهذه المناسبة استغلال غورنغ معتوها هولنديا لحرق الريخستاغ بعداستيلاء النازيين على الحكم في المانيا لتبرير قمع الحريات الديمقراطية وحملة الارهاب والبطش ضد خصومهم عامة والشيوعيين خاصة . ولا تخفي السلطات المحتلة نواياها وعزمها على الاستيلاء على جميع منطقة الحرم الشريف . وما الحفريات ، التي تجريها هناك تحت شعار التنقيب عن الاثار لتعزيز ادعاءاتها بأن هذه المساحة تــراث يهــودي والموضع الذي كان يقوم عليه الهيكل الثاني ، وحفر الانفاق تحت ســاحــة الحــرم او فتح حفر كانت مطمومة تحتها ، الا مقدمة لزعزعة اسسه وتصديع بنيانه حتــى ينهار وتقوم بازالته كليا ، والاستيلاء عليه لتقيم مكانه الهيكل الثالــث . وتذكرنــى هذه الحفريات بالحفريات التي حاولت القيام بها بعثة انكليزية قبل الحرب العالمية الاولى في سنوات سنة ١٩١٣ بالتواطؤ مع شيخ الحرم انذاك . والحفريات التى حاول القيام بها ريتشموند اثناء فترة الانتداب سنة ١٩٢٢ .

وفي محاولة منها لقمع حركة المقاومة ، ابعدت وشردت المئات من الشخصيات النشيطة في الحركة الوطنية ، ولجأت في السنوات الاخيرة من طرف خفي الى شن حملة ارهاب وابادة ضد البعض منهم . ولكن كل هذا لم يزد الشعب الا عزما وتصميما على المضي في المقاومة والاستمرار في الكفاح . فنشبت حرب الاستنزاف على طرفي القناة ، وضاعف الفدائيون من نشاطهم داخل الارض المحتلة مما اقض مضاجع المعتدين الاسرائيليين ، وراحت اسرائيل تشن غارات وحشية في العمق المصري ، حوض البقر وابي زعبل . وسارع الاتحاد السوفيتي لمساعدة مصر على الدفاع عن اراضيها ، فزودها بناء على طلبها بالصواريخ المقاومة للطائرات والفنيين والخبراء ، واشترك طياروها مع الطيارين المصريين في التصدي للغارات الاسرائيلية وارغموها في النهاية على وقف غاراتها في العمق .

مشروع روجرز :

ادى تصعيد المقاومة واستمرار حرب الاستنزاف وتوثيق العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ودول المنظومة الاشتراكية الى قلق الولايات المتحدة وتخوفها من فقدان ما تبقى لها من نفوذ ومواقع في الشرق العربي ، فلجأت من جديد الى سياسة التأميل وثني العرب عن مواصلة الكفاح ، وتوطيد التحالف والتضامن بين الدول والشعوب العربية والمقاومة الفلسطينية ، فخرجت في عام ١٩٧٠ على العالم اجمع والعرب خاصة بمشروع روجرز لاحلال السلام بين العرب واسرائيل ، بهدف تسخيرهم جميعا لخدمة مصالحها ، واسترجاع نفوذها والمواقع التي فقدتها في الشرق العربي، وربط الاثنين العالم العربي واسرائيل بعجلتها . ولكن الهدف المباشر والاساسي كان شق وحدة الصف العربي وبذر بذور الشقاق والانقسام بين الدول العربية بعضها البعض ، وبينها وبين المقاومة الفلسطينية . فانقسم العرب عربين : عرب قبل بمشروع روجرز ، وعرب رفضه واعتبره تصفية للقضية الفلسطينية واستسلاما . وكانت منظمة التحرير والمقاومة الفلسطينية في طليعة الرافضين . غير ان الولايات المتحدة لم تكن جادة في تنفيذه وتحقيقه فلم تتخذ اي خطوة لحمل او ارغام اسرائيل على قبوله او التقيد به ، وهكذا انتهى الى لا شيء واسدل عليه الستار .

احداث ايلول الاسود في الاردن :

في هذا الجو وقعت بفعل الرجعيين الذين كانوا لا يخفون تخوفاتهم من اشتداد ساعد المقاومة وازدياد قوتها والتفاف الجماهير حولها ، وتحريض عملاء أمريكا وانكلترا ، الاصطدامات الدموية بين المقاومة الفلسطينية والحكومة والجيش الاردني ، والتزمت مصر طيلة احتدامها الصمت المطبق ، مما سهل على السلطات الاردنية مهمة محاولة تصفيتها وحماية اسرائيل منها والقضاء عليها او احتوائها ، ولم تتدخل للابقاء عليها الا في الاونة الاخيرة ، وفي محاولة لعقد تسوية بينها وبين الحكومة الاردنية انتهت باجلاء قوات المقاومة والمنظمات عن الضفة الشرقية لنهر الاردن (اطول خط مجابهة مع اسرائيل) ، وبذلك تم ضمان حدود الاحتلال الاسرائيلي

الشرقية ، وحرمت المقاومة من العمق والمؤخرة في كفاحها لتحرير الارض المحتلة . كما حرمت مصر كذلك الفدائيين الفلسطينيين من القيام بعملياتهم للعودة وتحرير الارض الفلسطينية المغتصبة عبر سيناء .

غير أن المقاومة الفلسطينية لم تستسلم ولم تلق سلاحها ، بل ضمدت جراحها ولمت شعثها وانسحبت الى لبنان ، وتمركزت على حدود اسرائيل الشمالية ، واستأنفت كفاحها للعودة الى وطنها السليب ، واسترداد حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه من هذه الجبهة .

وفاة عبد الناصر في أواخر سنة ١٩٧٠ :

في أواخر هذه السنة توفي عبد الناصر على اثر الارهاق الذي أصابه اثناء المفاوضات والجهود التي بذلها لتنقية الجو العربي واحلال الوفاق ، ووقف الصراع الدامي بين المقاومة والحكومة الاردنية . وهكذا خسرت الحركة القومية العربية التحريرية القائد والزعيم الذي شق طريقه وتوصل عبر التجربة والخطأ الى استخلاص مؤداه : ان الطريق لخلاص الشعوب العربية وتحريرها يقع في اطار الاشتراكية العلمية ، وعبر التحالف مع قوى التحرر العالمية وعلى راسها الاتحاد السوفييتي ، والمقاومة والتحدي للامبريالية في جميع أشكالها ، وان الاستقلال السياسي يبقى اجوفا اذا لم يرافقه استقلال اقتصادي وتحرر من الراسمالية العالمية ، وان الحرية السياسية رهينة بالتحرر الاقتصادي والاجتماعي والقضاء على الاستغلال والاضطهاد في جميع صوره فانطلق ينهج نهج التطور اللاراسمالي ويطبق الاشتراكية ، مراعيا الخصائص القومية للشعوب العربية والظروف المحلية للشعب المصري .

ما بين سنوات ١٩٦٩ — ١٩٧٢ :

خلال هذه الفترة ما بين ١٩٦٩ و ١٩٧٣ قدم الى القدس عدة شخصيات سياسية وكان أولها جورج براون الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية البريطانية في سنوات العدوان والسنين التي تلتها ، والذي صاغ القرار ٢٤٢ الذي اقره مجلس الامن في أواخر ١٩٦٧ واجتمع مع بعض الشخصيات الفلسطينية هنا . وقد وجهت اليه اثناء هذه الزيارة كتابا مفتوحا بالانكليزية هذه ترجمته التي نشرت في جريدة القدس بتاريخ ٢٣—١—١٩٧٠ :

كتاب مفتوح الى المستر براون :

« لقد نقل عنك ، انك صرحت هنا ، وفي القاهرة ، ايضا ، انك لا تتحيز ، لا لاسرائيل ولا للعرب . وانما تحيزك هو لبريطانيا .

وانني أود ان أؤكد لك ، اننا نحن العرب ، ايضا لسنا متحيزين لا لاسرائيل ، ولا لبريطانيا ، ولا حتى للعرب . بل نحن نقف مع الحق والعدل والسلام . نحن نؤيد

حق كل شعب ، وليس حقنا فقط ، في أن يعيش سيدا وحرا في وطنه ، وبسلام مع الجميع نحن لا نطمع فيما يمتلكه الغير ، وكلنا نصر على التمسك والاحتفاظ بما هو حقنـــا المشروع .

لقد كنا نحن عرب فلسطين ضحايا السياسة البريطانية الاستعمارية الغاشمة : ضحايا خيانتها وغدرها وخداعها . فلقد كان سلفكم اللورد بلفور . وهو مصـــدر « وعد بلفور » الذي يتناقض تناقضا صارخا ، ويتعارض تعارضا تاما ، مع الوعـــود التي قطعها السير هنري مكماهون لشريف مكة انذاك . وهو كذلك ابرم اتفاقيـــة سايكس بيكو ، المعارضة مع الاخيرة ايضا ابان الحرب العالمية الاولى .

ان السياسة الاستعمارية البريطانية هي التي ارست اسس دولة اسرائيـــل في وطننا ، من حيث لم تكن تملكه ، ولا تملك ان تهديه للغير . هذه السياسة البريطانيـــة نفسها هي التي اغرقت بلادنا بالهجرة اليهودية العارمة بقوة السلاح، رغم احتجاجاتنا ومعارضتنا ومقاومتنا . ثم هي ايضا وبالتعاون مع الوكالة اليهودية التي انشـــأت الوطن القومي في وسطنا . والجنرال وينغيت هو الذي نظم الهاغاناه ودربها . كما ان حكومة الانتداب البريطانيه هي التي جردت العرب من السلاح ومنعتهم مـــن الدفاع عن وطنهم ، واباحته لقمة سهلة للغرباء .

بالاختصار ان السياسة البريطانية الاستعمارية هي التي بذرت بذور القلاقـــل والمتاعب جميعها في هذا الجزء من العالم ، وهي السبب الرئيسي لمأساة فلسطـــين وللنـــزاع الحـــالي .

فان يكن هذا كله هو معنى التحيز لبريطانيا يا سيد براون، فاسمح لي ان اصارحك بأن السياسة البريطانية الاستعمارية هي عدونا الاول . لانها في الحقيقة هي مقترفة الجريمة التي أدت الى ضياع وطننا وتشريدنا واخراجنا منه ، وتهديدنا بالفنـــاء . كما أنها هي التي حولت هذا الوطن المسالم الى بركان ثائر .

ولكن وبالرغم من كل هذا ، فالعرب ليسوا حقودين ، وانـنـي أود أن اعتقـــد أن الشعب البريطاني لا يدري ولا يؤيد هذه السياسة الاثمة . وانما هو مسوق بالخداع والتضليل الى التغاضي عنها وعدم معارضتها . واميل الى الاعتقاد بأن الكثيرين من البريطانيين يعانون من وخز الضمير وعذابه ومن الشعور بالذنب . كما واميل الـــى الاعتقاد بأن العريقين من الاستعماريين ايضا يدركون هول وفظاعة ما إقترف ضدنا نحن عرب فلسطين ، كما يدركون الكارثة التي قد يؤدي اليها استمرار هذه السياسة، ان لم يوضع لها حد قبل فوات الاوان ، ولم نحقق مطالب العرب المشروعة .

ذلك لانه اذا استمرت اسرائيل في احتلالها للاراضي العربية ورفضهـــا لتنفيـــذ قرارات هيئة الامم بصدد اللاجئين والسماح بعودتهم . فان التوتـــر والمصادمـــات

المسلحة ستستمر وتتزايد ، والحرب العربية الاسرائيلية تتصاعد ، الامر الذي قد يؤدي الى اندلاع حرب عالمية ثالثة . وهذا لن يؤدي الى عذاب وشقاء العرب واليهود فحسب ، بل الى عذاب وشقاء الانسانية بأسرها ، بما في ذلك الشعب البريطاني .
وقد نقل عنك أيضا قولك ، ان الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل ولا لصالح العرب. وانما يعمل لصالح السوفيات هذا صحيح ، ولكن لماذا يعمل الزمن لصالح السوفيات؟ انني ارى انه يعمل لصالحنا نحن أيضا كما عمل من قبل لصالح شعوب كثيرة في عدن والجزائر وقبرص والسودان والهند ومصر بل ولصالح جميع الشعوب التي كانت مستعبدة ، وشعوب جميع المستعمرات والممتلكات البريطانية السابقة ، في جميع انحاء العالم ، بما فيها الولايات المتحدة الاميركية نفسها .

ان الزمن يعمل لصالحنا لاننا نكافح من أجل قضية عادلة حقة ، ومن أجل السلام القائم على العدالة والحرية ، لان كل سلام اخر سيكون سلاما زائفا وزائلا .

واعود الى السؤال السابق . لماذا يعمل الزمن في صالح السوفيات كما تقول ؟؟ اجل ، بالضبط ، او على وجه التدقيق لان السوفيات في هذه المرة يقفون في اعتقادنا الى جانب الحق ، ويؤيدونه ويدعمون قضية عادلة . ويبذلون جميع الوسائل والجهود لاعادة وطن وضيع وحقوق مغتصبة لاصحابها ، فاذا كنت يا سيد براون تود أن يعمل الزمن لصالحكم ،وان تكسبوا السباق الى قلوب الشعب العربي ، فهذا عائد اليكم . نحن لا نطلب منكم الاقتداء بالسوفيات او مجاراتهم بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع اسرائيل ، الى أن تنفذ الاخيرة قرار مجلس الامن الذي قلت انك انت نفسك الذي صنعته وتبنته حكومتك . ولكننا نكتفي منكم بالكف عن تأييد اسرائيل ودعمها في المجالات الدولية ، وامدادها بالعدد والسلاح ، الامر الذي يمكنها من الاستمرار في تحدي قرارات الامم المتحدة .

وأود أن أؤكد لك يا سيد براون بأننا لا ندعي او نطالب بشيء هو من حق الغير . فكل ما نطلبه هو رد حقنا الينا . انني أؤكد لك بأننا شعب محب للسلام ، واننا لا ننشد اكثر من الحق المعترف به لكل شعب في تقرير مصيره بنفسه والعيش في أمن وطمأنينة وفي حرية كاملة في وطنه .

ولتحقيق هذا ، فاننا نطالب ونتمسك بالجلاء الكامل غير المشروط عن جميع الاراضي العربية ، وتنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة فيما يتعلق باللاجئين وعودتهم الى بيوتهم . وأؤكد لك بأن العمل لبلوغ هذه الغايات ومن أجل الوصول الى هذه الحقوق ، مهما تكن الصعوبات ومهما يكن طويلا وشاقا ، سيستمر ، ذلك لان اعتقادنا أن الزمن يعمل لصالحنا . ونحن على يقين من أن حقنا في النهاية سينتصر . »

واعقبه في زيارة القدس اللورد كارادون الذي كان يمثل بريطانيا في مجلس الامن سنة ١٩٦٧ والسنوات التي تلتها في عهد حكومة ويلسون . وقد أتيح لي ايضا

الاجتماع به ، وقد كان يشغل في عهد الانتداب منصب حاكم اللواء الشمالي في نابلس . وفي عهده وقع اضراب سنة ١٩٣٦ واعمال القمع والارهاب والبطش والهدم والتدمير والعقوبات الجماعية التي اقترفتها حكومة الانتداب في جميع انحاء فلسطين، وجاء يحث العرب عامة والفلسطينيين خاصة على القبول بما يعرض عليهم من تسويات قبل فوات الاوان (أن يلحقوا حالهم) فالزمن يعمل ضدهم . وعلى اثر هذا الاجتماع وجهت اليه ايضا على صفحات جريدة القدس في ١٣-٢-١٩٧٣ الكتاب المفتوح الاتي :-

كتاب مفتوح الى اللورد كارادون ...

نشرت الانباء خبر قدومك الى الشرق العربي في جولة استطلاعية للوقوف عن كثب على ما يريده سكان المنطقة وللاستماع الى مختلف اراء ابناء الضفة الغربية المحتلة من الاردن وعلى الإصح - اذا أردنا أن نسمي الاشياء بأسمائها - القسم الشرقي من فلسطين العربية المحتلة ، وحث الفلسطينيين على الاسراع في التحرك والدخول في مفاوضات بين جهات متكافئة ، وتحت اشراف دولي بغية تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢

ولقد سعدت بالالتقاء بك ، ولكنا حيث لم نتمكن من استيفاء الحديث ، ولانك على ما يبدو حريص على الاطلاع على مختلف الاراء وبخاصة اراء سواد الشعب وجماهيره ، ارجو أن تسمح بابداء هذه الملاحظات من غير قصد الى احراج او تجريح لشخصك والامل أن تحمل على محمل الصراحة وحسن النية التي بدونها لا يمكن التوصل الى أي حل صحيح :

تقول يا حضرة اللورد انك امضيت في هذه الربوع اي في فلسطين نحوا من اثنتي عشرة سنة واذن قد شهدت الكفاح المرير الطويل الذي خاضه الشعب العربي الفلسطيني ضد وعد بلفور خاصة ، وضد الانتداب عامة ، وكنت احد المنفذين للسياسة الغاشمة التي فرضتها حكومة الانتداب البريطانية بالحديد والنار والتي أدت الى اقامة دولة اسرائيل وتشريد الشعب العربي الفلسطيني عن أرضه تحت ضغط الهجرة اليهودية الجارفة وبنود الانتداب التي نصت على وضع البلاد في حالة اقتصادية وسياسية تمكن من اقامة الوطن القومي اليهودي الذي أدى ، وحتما كان سيؤدي الى اقامة الدولة الاسرائيلية بالرغم عن تنصل الحكومة البريطانية من ذلك . .

نعم ، الا تذكر يا حضرة اللورد رفض الشعب الفلسطيني العربي وعد بلفور ، ونضاله من أجل الغائه ، واستنكاره الانتداب .. بل وثوراته العديدة المتعاقبة ، والضحايا والوف الشهداء الذين قدمهم في سبيل انهائه والظفر بحريته واستقلاله ؟
أنسيت يا حضرة اللورد سياسة القمع الوحشية والابادة الجماعية التي كنت احد منفذيها للقضاء على مقاومة الشعب الفلسطيني للهجرة اليهودية والانتداب الذي كان

يمهد لها عن قصد وسابق عمد وأصرار ؟

نعم ايها اللورد ، اليست الحكومة البريطانية الفاشمة هي التي خلقت هــذا النزاع وصنعت هذا الصراع واشعلت هذه البؤرة باغتصابها بلدا لا تملكه وانتزاعه من اهله وتسليمه لشعب غريب عن هذه المنطقة واحلاله على انقاض شعبه الاصيل؟
الم تكن السياسة البريطانية الأستعمارية الغاشمة يا حضرة اللورد هي اصل البلاء ومصدر الداء ؟ اليست هي المسؤول الاول والاخير عن هذه المأساة التي حلت بفلسطين العربية ؟

تقول يا حضرة اللورد انك جئت للتعرف على رغبات هذا الشعب الذبيح لتنقلها الى العالم عامة والشعب البريطاني والاميركي خاصــة . الا تذكر الاحتجاجات والمظاهرات والوفود المتعددة التي شهدتها من غير شك اثناء ممارستك ، وظيفتك في حكومة الانتداب ؟ الم تدرك انئذ انها كانت ضد وعد بلفور .. ضد الهجرة اليهودية .. ضد الانتداب .. ومن اجل اقامة الحكم الوطني الديمقراطي .. من اجل الحرية والاستقلال ؟ الم تعرف هذا ، ام هو تجاهل العارف ؟ الم تكن معنيا بالوقوف على اراء اهل البلاد انذاك .ولم تنقله الى حكومتك وشعبك .ولم تحاول الحيلولة دون هذه المأساة واقناع حكومتك بالعدول عن تلك السياسة الغاشمة .. سياسة القضاء على شعب باسره وتشريده واحلال شعب اخر محله ؟ وبذر بذور شر لا حد له ، وبؤرة حريق لا أطفاء له ؟ لعل لك عذرا في ذلك ولكني لست ادري ولعله يكون هنالك ما اقترفت سياسة حكومتك من جريمة بحق هذه البلاد وهــذا الشعب فدفعك تانيب الضمير وتقريعه للبحث عن حل ، والمساعدة علــى اطفاء الحريق قبل ان يلتهم العالم باسره ومنه بريطانيا واميركا .

على كل ، ومهما يكن الدافع ، فليس احب الى هذا الشعب العربــي من ان يوضع حد لهذا الصراع الدامي ويوجد حل لهذا النزاع المدمر . ولكن اهم ما اود ان الفت اليه نظرك ، هو ان هذه الفاجعة والمأساة مــن صنعكم وعليكم تبعة وضع حد لها ، وها انا اسرد لك كيف .. ان الشعب العربي الفلسطيني لم يعتد على احد ، ولا يطمع في بلد او اراضي اي شعب اخر .. وكل ما يطلبه هو العيش بسلام وحرية في ارضه ووطنه . ولذا فهو يطالب باسترجاع حقه في بلاده وتحرير وطنه المحتل وتجميــع شتات لاجئيه ومشرديه فــي وطنهم الاصلــي فلسطين ، وبفلسطين اعني المملكة الاردنية الحالية « الضفة الشرقية » من الاردن والضفة الغربية منه » التي تمتد حتى البحر اي فلسطين بحدودها الطبيعية قبل الحــرب العالمية الاولى ..

قد تقول ويقول معك اخرون .. كيف السبيل وقد قامت منذ ذلك الحين اي منذ الحرب العالمية دولة جديدة في الشرق العربي وتجمع على جزء من هذه المنطقة شعب بأكمله ؟

وأجيب بهذا الرد البسيط — يا حضرة اللورد — ان ما تم كان دون موافقة اهل هذه المنطقة او رضاهم .. بالقوة ، بالاكراه والتسلط ، بالخداع والتضليل . وعلى من عمل هذا او اقترفه ان يجد له حلا .. وعلى من عقد العقدة ان يحلها .. ولكن على الرغم من اننا الضحايا ، فاننا على استعداد للاسهام في حله كرما منا .. نحن لا نعتزم ولا نضمر ابادة هذا الشعب ولا مجازاته ، بمثل ما فعل بنا .. فمن اراد ان يذهب الى البلد الذي قدم منه او الى غيره فليذهب ، ومن كان يفضل البقاء فنحن على استعداد لضمان حياته وحقوقه وممتلكاته بل واكثر من ذلك فنحن على استعداد لمنحه حكما ذاتيا في المناطق التي يؤلف فيها اكثرية ساحقة ، او كلا متكاملا ، على شرط ان يندمج في هذا الشرق العربي ويكف عن تكوين وحدة او دولة منفصلة او عنصر غريب والسبيل الى ذلك اقامة اتحاد شرق اوسطي عربي يضم البلاد العربية التي كانت تشكل جزءا من الامبراطورية العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى اي سوريا بحدودها الطبيعية والتي تضم فلسطين وشرقي الاردن وسوريا والعراق ومصر وليبيا كخطوة اولى ، ويبقى مفتوحا لانضمام باقي البلدان العربية اليه ودمج منطقة الحكم الذاتي التي يكون اليهود اكثرية فيها في هذا الاتحاد .. هذا اذا كنت يا حضرة اللورد تنشد سلما دائما مقيما وحلا عادلا .. واما الابقاء على الدولة الدخيلة وعلى تجزئة الشرق العربي فلن يؤدي هذا الا الى استمرار الصرع لدامي ومضاعفة لماسي والكوارث وابقاء جذوة الحروب مشتعلة والتهديد لسلام والامن العالميين قائما وتأبيد النزاع ..

قد يعترض البعض ، وقد تعترض انت بأن هذا هراء ، بل ضرب من الخيال وتجاهل للواقع . لا ياحضرة اللورد ، اليس الخيال هو ابو الواقع ؟ اهناك شيء ابدي سرمدي لا يتغير ؟ هل حدود اوروبا اليوم او دولها كما كانت قبل مائة او قبل خمسين سنة ؟ هل افريقيا اليوم ودولها كما كانت قبل نهاية الحرب العالمية الثانية؟ هل لا تزال الامبراطورية البريطانية قائمة ؟ هل الولايات المتحدة لا تزال مستعمرة بريطانية ؟ هل القارة الاسيوية على ما كانت عليه قبل خمسين سنة ؟

كلا يا حضرة اللورد ، ان عصر ابادة الشعوب وافناؤها ولى ولن يعود ، وان دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة .

ربما تساءل بعض الناس او حتى بعض ضعاف النفوس من العرب انفسهم .. وكيف الوصول الى هذا اذا سلمنا به جدلا ؟

هناك طريقان : طريق بالنسبة لنا نحن العرب ، وطريق بالنسبة لبقية العالم او هما بالاحرى طريق واحد ذو شعبتين : اما طريقنا نحن العرب فقد انارته امامنا الجزائر وعدن وفيتنام وجميع الحركات التحررية في جميع انحاء العالم ومنها وليس اخرها الولايات المتحدة نفسها ايام كانت ترزح تحت الاستعمار البريطاني وايرلندا .

فأما طريق بقية العالم ومنها مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة وبريطانيا والولايات المتحدة والدول الاخرى فهو التخلي عن سياسة القوة والعدوان والاستعمار والتسلط والسيطرة على الغير ، واتباع سياسة تأييد الحق ومساندته والاعتراف لجميع الشعوب صغيرها وكبيرها بحقوقها في العيش بسلام وحرية في اوطانها دون تدخل في شؤونها او تهديدها . وما نطلبه منك بالذات يا حضرة اللورد أن تقنع حكومتك والحكومة الاميركية وشعبيهما بالكف عن مساندة الاسرائيليين ودعمهم والتخلي عن الباطل وانت اعلم منا بتفاصيل ذلك ولا نطمع منكم — اي حكومتكم — في عون او مساعدة بل نكتفي منكم بكف الاذى عنا واذا كان ضميركم يؤنبكم والشعور بالذنب يدفعكم لعمل شيء ما للتكفير عما جنيتم واقترفتم بحقنا فعليكم يتوقف ارجاع الحقوق لاصحابها والرضوخ لصوت الحق والعدل .

وكما قطعتم وعد بلفور دون اخذ رأي اصحاب البلاد وفرضتم عليهم سياستكم الغاشمة دون ان تابهوا لهم او لاحتجاجاتهم وصراخهم فيما يمنعكم ان تستعملوا الان الاساليب ذاتها للجم الاخرين وارجاعهم الى صوابهم وارغامهم على تنفيذ قرار مجلس الامن الذي وضعتموه اللهم الا ان تكونوا تبطنون غير ما تظهرون ؟ .

واما نحن عرب فلسطين فلا تطلبوا منا بعد اكثر من خمسين عاما من النضال والكفاح الطويل المرير المليء بالبطولات والتضحيات والدموع والدمار ان نقر تحت ستار التسوية ما رفضناه وقاومناه طيلة هذه الاعوام الخمسين ، فان فعلتم ذلك كنتم كمن يضيف الاهانة الى الاذى .

في تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ خطوة في سبيل وضع حد لهذه المأساة ولكنه ليس الحل العادل الكامل والشامل .. وكما كنتم تنفذون سياستكم دون ان تأبهوا لنا فامضوا في تنفيذه ان كنتم صادقين ..

واما نحن فسنظل سائرين على طريقنا .

الدكتور خليل البديري
القدس

زيارة الدكتور كورت فالدهايم الى القدس :

بعد زيارة اللورد كارادون بستة شهور قدم الى القدس الدكتور كورت فالدهايم السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة ، في رحلة لتقصي الحقائق ودراسة الوضع على الطبيعة وفي موضع الحوادث بالذات ، كأن القضية ، قضية النزاع العربي الاسرائيلي ، لم تقتل بحثا ودراسة وتحليلا . فنشرت في جريدة القدس كتابا مفتوحا اليه بتاريخ ٣٠ — ٨ — ٧٣ ، اورده فيما يلي :—

ان كنت لا تدري فتلك مصيبة   وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

منذ مدة والانباء تتحدث عن قدومك الى الشرق العربي لدراسة النزاع في الشرق الاوسط عن كثب وعلى الطبيعة وللتعرف على مواقف الاطراف المعنية شخصيا ومباشرة ، واظنك انه ليس هناك من هو معني اكثر من الشعب العربي الفلسطيني وبخاصة الجزء المرابط منه في فلسطين المحتلة .

ومع انني اعتقد ان في ملفات مكتبك او يجب ان يكون فيه ، ما يغني عن هذه الزيارة الخاطفة وان القضية قد اشبعت ، او قتلت دراسة وتحليلا لانها ليست وليدة الساعة ولا هي حديثه عهد وانها ترجع في نشأتها الى ما قبل سنة ١٩١٧ او الحرب العالمية الاولى ، وقد تتالى وتناوب دراستها وفود ولجان وجرى بحثها في دورات متعددة في هيئة الامم وجلسات مجلس الامن ، لقد وضح — فيما يبدو — انه لا فائدة ترجى من هيئة الامم المتحدة او مجلس الامن لان دورهما لم يتجاوز اقرار الواقع الذي يفرض نفسه ، او تسجيله . واكبر شاهد على هذا ان الصين الشعبية التي يناهز عدد سكانها ٨٠٠ مليون نسمة لم تظفر بعضوية هيئة الامم ومقعد في مجلس الامن الا حينما ارتضت الولايات المتحدة ذلك وهذا لم يات الا حين ارغمت الصين الشعبية الولايات المتحدة على الاعتراف بها وفرضت نفسها عليها ، حروب قمع وابادة وتدمير وتقتيل في الهند الصينية تستمر منذ اكثر من ثمانية وعشرين عاما تحت سمع وبصر هيئة الامم المتحدة وهي لا تبدي حراكا . بل اكثر من هذا ان اسرائيل وقد اوجدتها هيئة الامم نفسها مناقضة بذلك ميثاقها الاساسي تتنكر للهيئة نفسها وتنتهك وتخرق قراراتها وتتحداها ، وتمعن في ذلك وتقف الهيئة موقف المتفرج في اغلب الاحيان وتلقى باللوم والتقريع فيما ندر ولا تحاول ابدا فرض قراراتها او تنفيذها وامثلة اخرى كثيرة على ذلك مما يجري في روديسيا وفي مناطق اخرى من افريقيا والمستعمرات البرتغالية .. الخ ..

ومهما يكن فما دمت ترغب في التعرف على حقيقة الوضع ، وبما انه قد يكون في الاعادة افادة ، وبما ان الذكرى او التذكير قد ينفع الذين يودون ان يتذكروا ويلقون السمع وهم شهداء . فانني سأحاول ان ابسط لك بايجاز جوهر القضية وكنهها دونما مواربة او مداجاه . ومن اجل هذا لا بد لنا من استعراض سريع لتاريخ المنطقة منذ ما قبل الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٨ .

تبدأ القضية في اواخر القرن التاسع عشر عندما بدات الشعوب العربية التي كانت تشكل جزءا من الامبراطورية العثمانية تحقيق ذاتها وتشييد دولة عصرية ونهضة قومية شاملة واستعادة حريتها وامجادها في اطار اتحاد دولة متعددة القوميات بالتعاون مع اخوانهم الاتراك ، ولما ابى ذلك القابضون على زمام الامور والمتربعون على دست الحكم في الامبراطورية العثمانية وامعنوا في اضطهاد العرب وامتهانهم ومحاولة تتريكهم ، لم تجد الشعوب العربية في هذا الشرق العربي بدا من الانتفاض على الحكم العثماني والنضال من اجل التخلص من نيره والانفصال عن الامبراطورية العثمانية انفصالا تاما .

وقد تتوج هذا الكفاح بالثورة العربية التي اعلنها الملك حسين الجد ابان الحرب العالمية الاولى .. شريف مكة انذاك .

وقد كان من الطبيعي في تلك الايام ان يتوقع العرب المساعدة ممن كانوا خصوم الاتراك في تلك الحرب ، وفعلا تقدم الحلفاء وخصوصا بريطانيا بعرض المساعدات والمؤازرة والاعتراف بحق الشعوب العربية الواقعة ضمن الامبراطورية العثمانية . اي الشرق العربي باكمله الممتد من ساحل البحر الابيض المتوسط غربا الى الخليج العربي شرقا ومن جبال طوروس شمالا الى بحر العرب جنوبي شبه الجزيرة العربية جنوبا اي سورية بحدودها الطبيعيةالتي تحتوي سورية بشقيها الشمالي والجنوبي — فلسطين ولبنان — ، والعراق والحجاز وشبه الجزيرة العربية ، في الاستقلال التام واقامة دولة عربية موحدة او متحدة . ولكن سرعان ما اكتشف العرب ابان الحرب نفسها انه بينما كانت بريطانيا تقطع لهم المواثيق والعهود ، كانت تتفاوض سرا مع حلفائها لاقتسام البلاد العربية وتجزئتها فيما بينهم الى مستعمرات ومناطق نفوذ ، ولما كانت كلمة مستعمرات ممجوجة وغير مقبولة من الرأي العام العالمي فقد اسموها مناطق تحت الانتداب بعد الدعاية العارمة عن تحرير الشعوب ابان الحرب وقد نتج عن ذلك الاتفاقية المسماة باتفاقية سايكس بيكو وبالاضافة الى هذا فقد اصدرت بريطانيا في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وعد بلفور ، الذي ينص على اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين لتضمن تاييد اليهودية العالميــة وخصوصا الاميركية لها في الحصول على الانتداب على فلسطين والمساعدة اثناء الحرب ..

وبموجب هذه الاتفاقيات المتناقضة والغادرة حصلت انكلترا على الانتداب على فلسطين والعراق وفرنسا على الانتداب على سوريا ولبنان . وضمــنت تعهدها لليهود باقامة وطن قومي لهم في فلسطين في صك الانتداب الذي ابتزته من عصبة الامم انذاك . وقد حرصت بريطانيا على ادخال عنصر غريب في الشرق الاوسط العربي في فلسطين بالذات (وهي بمكانة القلب من البلاد العربية) لتحول دون توحيدها ، ولضمان سيطرتها عليها وعلى ضفتي قناة السويس الشرقية والغربية. وهكذا بعد ان كانت البلاد العربية موحدة تحت الحكم العثماني اصبحت مجزاة مقطعة الاوصال وطعمت وغرس في قلبها عنصر غريب لمنع توحيدهــا واتحادها وتحررها .

ورغم احتجاج العرب اجمع ، والعرب في فلسطين بشكل خاص ورفضهــم واستنكارهم للانتداب ووعد بلفور ، فقد مضى الاستعمار الانجلو — فرنسي يؤيده الاميركي في تنفيذ خططهم حتى ادى ذلك الى اقامة الدولة الدخيلة في فلسطين ، واقتــلاع اهلهــا العرب منهــا وتشريدهــــم في شتــى انحــــاء البــــلاد ، واشغــال العــرب عــن مقاومــة الاستعمــار الاساســي بنــزاع او صراع

مـــع حصـــان طـــروادة الـــذي دســـوه في عقـــر دارهم . ومنـــذ ذلـــك التاريخ اي منـــذ صـــدور وعـــد بلفور المشؤوم بـــذرت جذور النزاع والاحتراب المستمر في الشرق الاوسط . بعد ان كان جميع سكان هذه المنطقة يعيشون في سلام ووئام وحتى يبرأوا انفسهم من جريمة الاستيلاء على فلسطين العربية وتشريد اهلها ، والتآمر بين الاستعمار والصهيونية الذي ولد الدولة الغربية عمدوا الى عرض النزاع على هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ وكأنه نزاع بين مالكين اوصاحبين شرعيين لفلسطين . او شعبين اصليين مقيمين في البلاد حتى ضمنوا منح الوصاية لهم عليها من جديد ، او اقرار التقسيم واقامة الدولة الصهيونية على قسم منها ، ولو انهم تنكروا لذلك باللسان لخداع العرب وتضليلهم ، وللابقاء على مصالحهم ونفوذهمفى البلاد العربية ، مع انه في الحقيقة لم يكن الا نزاعا بين شعـــب معتدي عيه ، ومخلب قط للاستعمار ودخيـــل معتد ، بين شعـــب يحاول التخلص والتحرر من الاستعمار والاحتلال والحكم الاجنبي واستعادة حقه في تقريـــر مصيره بنفسه ، والدخيل الذي فرضه عليه الاستعمار البريطاني بالحديد والنار .

وقد استنكر العرب منذ اللحظة الاولى قرار التقسيم ، ورفضوه لانه يتناقض مع حق الشعب العربي الفلسطيني الطبيعي وغير القابل الانتزاع في الحياة ، والبقاء والاحتفاظ بالوطن والدفاع عن ذاته وعن سلامته الاقليمية وحقوقه وتقرير مصيره بنفسه والحرية والاستقلال والسيادة داخل حدود هذا الوطن ، ولذا فهو باطل من اساسه ولا اخلاقي وغير شرعي او مشروع ، لانه يتنافى مع الحقوق الطبيعيـــة السابقة لعرب فلسطين ويتناقض مع ميثاق هيئة الامم نفسها الذي ينص على حق كل الشعوب والامم صغيرها وكبيرها في الحياة والحفاظ عليها والبقاء وحق تقرير المصير والحرية والاستقلال والدفاع عن النفس ، ولا يقوم على الحق والعدل ، اذ ليس لاية دولة او مجموعة من الدول مجتمعة او منفردة حق التصرف بحقوق اوطان شعوب او دول اخرى واحلال شعب محل شعب اخر وفي وطن ذلك الشعب نفسه وعلى انقاضه . وليس هذا الا عدوانا صارخا وافتئاتا على حقوق الغير .

وهكذا كرس المسيطرون على هيئة الامم الكبار منهم ومن يدور في فلكهم من الصغار في غفلة من الزمن انتزاع فلسطين من اصحابها الشرعيين العرب وحرمانهم من حقوقهم الطبيعية المشروعة ونموا بذور الشقاق والنزاع فـــي منطقة الشرق الاوسط ، واكاد اقول ايدوها

فالمشكلة في حقيقتها لا تعدو صراع العرب اجمع ، منذ اواخر القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا من اجل التخلص من الاحتلال والحكم الاجنبي ولممارسة حقهم فـــي الحياة الحرة الكريمة والاستقلال والسيادة والوحدة وتقرير مصيرهم بانفسهم ، والعيش بأمن وطمأنينة داخل اوطانهم وحدودهم الاقليمية ولن يستقيم الامر ويستتب

الامن الا على اسس عادلة وهي اعادة البلاد الى اصحابها الشرعيين او تمكينهم من استردادها ، وارغام المغتصبين على التخلي عن غيهم وعنادهم والادعاء والاحتفاظ بما ليس لهم بل لغيرهم . وتصحيح الاوضاع التي نشأت عن المؤامرات الاستعمارية

ولذا فان كنت حقا ترغب في وضع حد لهذا النزاع ، ومشفقا مما قد يؤدي اليه استمرار سفك الدماء واراقتها والتخريب والتدمير وما قد ينجم عنه من كارثة تشمل العالم اجمع ، فعليك التوجه الى القابضين على زمام الامور في اسرائيل المغروسة في قلب البلاد العربية واقناعهم بالتخلي عن موقفهم وعنادهم والتوجه الى اصحاب البلاد الشرعيين .. العرب ، بقلوب مفتوحة وحسن نوايا . ولا اشك في انهم سيجدون لديهم ليس فقط الاستعداد لتامينهم على حياتهم وحقوقهم وممتلكاتهم ومؤسساتهم الثقافية كافراد ومواطنين بل وحتى كوحدة قومية والاعتراف لهم بالحكم الذاتي في المنطقة التي يؤلفون فيها اكثرية ساحقة او كلا متكاملا ، شرط ان تندمج هذه المنطقة في الشرق العربي ، وتكف عن تكوين وحدة او دولة منفصلة او عنصر غريب . والسبيل الى ذلك اقامة اتحاد شرق اوسطي عربي يضم سوريا بحدودها الطبيعية التى تشمل ، الاردن وفلسطين وسورية ولبنان والعراق ومصر وليبيا كخطوة اولى ويبقى مفتوحا لانضمام باقي البلدان العربية اليه حتى تتم الوحدة ، ودمج منطقة الحكم الذاتي التى يقطنها الشعب اليهودي في هذا الاتحاد ... هذا اذا كنت تنشد سلاما دائما مقيما ، وحلا جذريا عادلا وتحرص على ذلك .

اما الوصول الى تسوية على اساس الابقاء على اسرائيل كما هي الان وعلى تجزئة الشرق العربي ، فلن يؤدي الا الى استمرار الصراع الدامي ومضاعفة المآسي والكوارث ، وابقاء جذوة الحروب مشتعلة والتهديد للسلام والامن العالميين قائما وتأبيد النزاع .

وبعد رجوعك يمم وجهك شطر اعضاء هيئتك بالذات عموما ، والاعضاء الدائمين خصوصا الولايات المتحدة ،

وحاول اقناع الاستعماريين منهم بالتخلي عن سياسة السيطرة والتحكم والتدخل في شؤون الغير والكف عن مساندة العدوان ومؤازرته والانصراف بدل هذا الى احقاق الحقوق وتأييد العدل والحلول الصحيحة القائمة على الاعتراف لجميع الشعوب الصغيرة منها قبل الكبيرة بحقها في الحياة وتقرير المصير والاستقلال والسيادة ، والمساواة في المجتمع الدولي .

اما نحن العرب فقد علمنا التاريخ وتجاربنا وتجارب الامم الاخرى بان الحقوق تؤخذ ولا تعطى وتنتزع ولا تستجدى . وان مفتاح حل الازمة ليس في ايدي الولايات المتحدة او غيرها من الدول منفردين او مجتمعين بل في ايدينا نحن انفسنا عرب فلسطين اولا وثانيا ، وايدي اشقائنا العرب في جميع البلاد العربية ثالثا ، وايدي النظم

والحركات المناوئة للاستعمار والاستغلال والمكافحة ضدهما ، والمناضلة من اجل التحرر والتقدم والسلم الدائم القائم على الحق والعدل واحترام حقوق جميع الشعوب الصغيرة والكبيرة ؛ في الحياة الحرة الكريمة والسيادة والامن والطمأنينة في اوطانها والمساواة في المجتمع الدولي في جميع ارجاء العالم .

زلزال اكتوبر سنة ١٩٧٣ :

في اكتوبر سنة ١٩٧٣ حدثت المعجزة التى زلزلت اسرائيل وكادت تؤدي الى انهيارها . ففي هذا الشهر اثبت الجيشان المصري والسوري ، العربيين ، تفوقهما على الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ؛ واستيعابهما للتكنولوجيا التي كان يدعى العدو احتكارها ، واسترد المقاتل العربي كرامته . وعبر الجيش المصري القناة واجتاح خط بارليف ، واكد نجاعة السلاح السوفياتي وتفوقه على السلاح الامريكى كذلك فعل الجيش السوري واقتحم مرتفعات الجولان واشرف على طبريا والسهل الساحلي ، وتجلت جدوى الاعداد والتدريب في السنوات الست التي اعقبت حرب حزيران سنة ١٩٦٧ . وفقدت غولدةمائير وديان صوابهما لولا أن تداركتهما الولايات المتحدة . ولسبب لا يزال غامضا حتى الان توقف الجيش المصري عن مواصلة التقدم ومطاردة العدو ؛ بعد ان ولى الادبار وانهارت جبهته الشمالية ايضا . وفى اعقاب هذا الزلزال بدأ كيسنجر مكائده ومؤامراته لشق الصف العربي وتجزئة القضية العربية وتبديد النصر العسكري ومنع العرب من قطف ثماره وتجييره للامبريالية الامريكية .

منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني :

في اواخر سنة ١٩٧٣ . بعد حرب رمضان مباشرة ؛ انعقد مؤتمر القمةالعربى في الجزائر واتخذ بالاجماع قرارا بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني . وقد اقترحت على الشخصيات الوطنية هنا فى الضفة الغربية اثر ذلك اصدار البيان الاتي فلم الق استجابة منهم ، وحاولت نشره في جريدة الشعب ولكن الرقابة منعته .

البيان والعهد

انطلاقا من ايماننا بحقنا الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة وممارسة لهذا الحق واستنادا الىمقررات مؤتمر القمة الذي عقدمؤخرافي الجزائر والتيتنصعلى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني والتي يعلن الموقعون ادناه تأييدهم المطلق لها ، وتمسكهم الشديد بها ومن موقع الحرص على استعادة الشعب العربي الفلسطيني حقوقه كاملة غير منقوصة في وطنه فلسطين وحقه في تقرير مصيره وحكمه نفسه بنفسه .

نعتقد ان واجبنا نحو شعبنا ووطننا وحقهما علينا يقتضينا ان نتوجه الى منظمة التحرير الفلسطينية مطالبين اياها بتمثيل الشعب العربي الفلسطيني في اية مفاوضات تستهدف تحرير الارض الفلسطينية المغتصبة والمحتلة وهكذا وبذلك ينتزع من ويفرض على العالم شرعية الوجود والوطن الفلسطيني بعد ان حاولت اسرائيل والاستعمار والسائرون معهم او في ركابهم طيلة اكثر من نصف قرن طمسه ودثر معالمه والاعفاء عليه. وشتان بين حق الشعب العربي في وطنه فلسطين ووجودهما وبين الكلام عن حقوق اللاجئين في العودة او التعويض كما يريد ان يكتفي البعض .

كما وان نجهر بأن حق تقرير الشعب العربي الفلسطيني ومصيره يتحقق على اكمل وجه باقامة دولة عربية فلسطينية ذات سيادة كاملة غير منقوصة ومستقلة استقلالا تاما في ما يحرر من الوطن الفلسطيني في هذه المرحلة كخطوة نحو تحرير الوطن بأكمله وان نطالب منظمة التحرير باتخاذ الخطوات والاجراءات اللازمة لاقامة هذه الحكومة على هذه الاسس وان نناشد الدول والشعوب العربية اجمع تأييدها ودعمها والاعتراف بها واعتمادها .

وندعو الشعب العربي الفلسطيني في الضفة والقطاع وحيثما وجد للالتفاف حولها وتأييدها ودفعا لاي التباس ومنعا للبلبلة نحرص على التاكيد بان تكون الدولة ذات سيادة تامة تتمتع بجميع المقومات والامكانيات والحقوق التي تتمتع بها جميع الدول المستقلة ذات السيادة واولها حق وامكانيات الدفاع عن الشعب والارض والوطن . وقاعده ووسيلة ومنطلقا لتحرير بقية الارض المغتصبة وان لا تكون لها اية علاقات او حدود مفتوحة مع اسرائيل الصهيونية وان لا تكون جسرا بين اسرائيل والدول العربية وان تحافظ وتحرص على تمكين وتوثيق وتعزيز روابط وعرى الاخوة والوحدة مع الشعب الاردني الشقيق ، كما تعمل وتسعى جاهدة فور نشوئها للدخول في اتحاد فدرالي مع الدول العربية المجاورة بادئة بالاردن وسوريا ومصر والعراق ومستهدفة الوحدة العربية الكاملة الشاملة من الخليج الى المحيط .

وحالما تتخلى اسرائيل عن غطرستها وكبريائها وغيها وعنادها وتتجرد من صهيونيتها وعنصريتها وتفردها وتدرك ان مصلحتها الحقيقية والاصيلة والبعيدة المدى تكمن في اندماجها في المحيط الشرق اوسطي العربي وربط مصيرها بمصيره ومصير شعبها بمصير حركات الشعوب العربية التحررية لا بقوى خارجة عن هذا الشرق العربي ولا بالصهيونية العالمية وتعترف وتقر وتسلم بحق الشعب العربي الفلسطيني في الجزء الذي تقوم عليه من الوطن الفلسطيني ، فان الدولة العربية الفلسطينية ستكون على استعداد لفتح حدودها معها واحتوائها وقبولها كعضو في

الاتحاد الفدرالي العربي الشرق اوسطي .
فلنتقدم ولا نتردد ففي الاقدام الفوز والظفر وفي التردد الفشل .

د. خليل البديري — تشرين ١٩٧٣

وعدت فكتبت في ١٣—١١—١٩٧٣ من العام نفسه المقال الاتي حول موضوع الاشتراك في مؤتمر السلام المزمع عقده في جنيف :—

دورنا بازاء التطورات الاخيرة

« الان وقد بدأ الجليد بالذوبان يتساءل الكثيرون عن الموقف الذي يجب او يجدر بالشعب العربي الفلسطيني أن يتخذه تجاه ما يدور من مناقشات حول مؤتمر السلام المزمع او المرتقب عقده . وهل انفع واجدى لقضيتهم ان يشتركوا فيه او ان يمتنعوا عن ذلك .

وللاجابة على هذه التساؤلات او قبلها لا بد لنا من تحديد نظرتنا او مفهومنا للقضية العربية ككل . ونبدأ أول ما نبدأ بأن نقرر بأن القضية العربية كل لا يتجزأ . وان طريق الخلاص الوحيد هو في الوحدة العربية التامة الشاملة التي قد تبدأ من اتحاد عربي وان مصيراي قطر عربي من المحيط الى الخليج مرتبط ارتباطا وثيقا مصيريا بمصير بقية الاقطار العربية ، وانه لا يجوز ولا يصح لاي قطر ان ينفرد بتقرير مصيره بمعزل او بدون اخذ مصير الاقطار العربية الاخرى بعين الاعتبار . وان فلسطين تخص العرب اجمعين لا الفلسطينيين وحدهم فقط ، اي انها تخص جميع الاقطار العربية كما ان بقية الاقطار العربية لا تخص اهلها فحسب بل تخص الشعب العربي الفلسطيني بقدر ما تخصهم .

وانطلاقا من هذا المفهوم لا يصح لاي قطر عربي ايا كان ان ينفرد بتقرير مصيره بنفسه او مصير اي قطر عربي اخر دون تداول وتشاور واتفاق وتنسيق مع بقية الاقطار العربية الاخرى . فجوهرنا او حقيقتنا هي اننا جسم واحد .. اذا تداعى منه جزء تداعى بقية الجسم . واننا اما ان نقدم ونثبت معا او نسقط او نكبو معا . فان خلاصنا يتمثل في الشعار القائل : الكل لواحد والواحد للكل . او بكلمة مختصرة او اصح نحن شعب وقطر واحد وكل واحد لا يتجزأ .

واتباعا لهذا الاساس او المبدا فعلى العرب جميعا في كل اقطارهم ، دولا وشعوبا ، ان يتدارسوا الامر فيما بينهم بصراحة وصدق واخلاص وامانة وحرية تامة وثقة متبادلة ، ومن ثم ان يقرروا اولا الحد الادنى من المطالب العربية التي لا يمكن التنازل عنها في اي حال من الاحوال . وثانيا الالتزام بالوقوف صفا واحدا وجبهة موحدة وراءها عندما يذهبون الى مؤتمر السلام . وثالثا تقرير اذا ما كان من الاجدى اشتراك عرب فلسطين في مفاوضات مؤتمر السلام منذ بدئها ، او الا بعد تحقيق الجلاء وتحرير الاراضي التي احتلت بعد ٤ حزيران والاتفاق على

والاقرار مبدئيا بحق الشعب العربي الفلسطيني والشعوب العربية اجمع في فلسطين .

واما عرب فلسطين خاصة فعليهم اولا ان يتدارسوا القضية فيما بينهم منظمات واتجاهات وشخصيات وافرادا ليتخذوا موقفا موحدا ومحددا ، ومن ثم يتدارسوه مع الدول العربية منفردة ومجتمعة ، بادئين بجمهورية مصر العربية وسوريا والعراق وليبيا والجزائر وبقية الدول العربية ، وينسقوا مع مصر وسوريا والعراق وليبيا والجزائر والاردن والسعودية فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلي والموقف الدولي وتحقيق الجلاء والانسحاب الكامل غير المشروط وحقوق العرب في فلسطين . ويجب ان يحرصوا كل الحرص على ان لا يجهروا بموقف يتعارض مع مواقف مصر وسوريا وبقية الدول العربية فيما يتعلق بالجلاء وتحرير الارض العربية : بل يعلنوا صراحة انهم لن يعارضوا او يعملوا على احباط اي موقف او حل تقره مصر وسوريا على انه خطوة على طريق التحرير الكامل .

غير ان هذا يجب ان لا يحول دون ان يبدي عرب فلسطين رايهم ويعملوا في مرحلة ما بعد الجلاء والانسحاب لما يعتقدون انه الحل الامثل لاحلال سلام عادل ودائم في هذا الشرق العربي . وكما يبدو لي فهذا يكمن في اقامة اتحاد شرق اوسطي عربي يضم سوريا بحدودها الطبيعية التي تشمل الاردن بضفتيه وسوريا ولبنان وما يسترد في هذه المرحلة من بقية فلسطين والعراق ومصر وليبيا كخطوة اولى نحو الوحدة الشاملة الكاملة التي تضم كافة البلدان العربية من المحيط الى الخليج ، تندمج وتنصهر فيه ، في هذا الاتحاد ، اسرائيل والى ان يتم هذا الاتحاد الشامل ، فلا مانع اذا ما اقتضت الظروف الراهنة ، ان يبدأ هذا باقامة دولة اتحادية تضم الدولة الفلسطينية المقترحة والاردن وسوريا كخطوة اولى نحو تحقيق الاتحاد الشرق الاوسطي العربي الذي سلف ذكره والذي يمكن اسرائيل من الاندماج في الشرق الاوسط العربي ، وهكذا تنضوي في الاتجاه العربي ، اللهم الا ان تصر هي على الانفصال فتعزل بذلك نفسها عن هذا الشرق الاوسط ، وتثبت انها هى التي تصر على عدم الاندماج وعلى الانفصال وان تبقى خارجة ومعزولة عنه فتكون بذلك قاعدة اجنبية ومركزا اماميا للاستعمار في وسط هذه المنطقة. وحينئذ يكون التعامل معها بما يفرضه هذا الموقف من جانبها .. »

وقد تأكد الاعتراف ثانية بمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب العربى الفلسطيني في مؤتمر الدول الاسلامية الذي عقد في لاهور ، كما تأكد للمرة الثالثة في مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في اواخر سنة ١٩٧٤ في الرباط في المغرب الذي اقر بالاجماع ايضا حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الفلسطيني الذي يتم تحريره ، كذلك انتزعت المنظمة بنضالها وتضحياتها اعترافا دوليا بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير

مصيره بنفسه والعودة الى وطنه وبحقه في اقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني، فلسطين . وذلك بالقرار الذي اتخذته الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في أواخر عام ١٩٧٤ بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الثابتة ، وبحقه في استعادة حقوقه بجميع الوسائل ، وبضم ممثله الشرعي الوحيد ، منظمة التحرير الفلسطينية ، الى عضويتها كعضو مراقب ، وبحقها في الاشتراك في جميع مؤسساتها ومؤتمراتها الدولية . والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة عارضت هذين القرارين ، وان الدول الغربية بريطانيا وفرنسا والمانيا الاتحادية وايطاليا عارضت الضم ، بينما امتنعت بريطانيا وفرنسا وايطاليا عن التصويت على القرار بالاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني . وفي أواخر سنة ١٩٧٥ شكلت هيئة الامم المتحدة « لجنة العشرين » ، لجنة ممارسة الشعب العربي الفلسطيني حقوقه غير القابلة للانتزاع، وقد قدمت هذه اللجنة في منتصف سنة ١٩٧٦ توصياتها الى الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ، ونصت هذه التوصيات على الانسحاب الكامل غير المشروط من جميع الاراضي التي احتلت في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، وعلى أن يتم هذا الانسحاب في مدة لا تتعدى الاول من حزيران سنة ١٩٧٧ ، وعلى نقل السلطة الى الشعب العربي الفلسطيني ممثلا بممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية . وقد اقرت الجمعية هذه التوصيات بالاغلبية الساحقة وبمعارضة الولايات المتحدة واسرائيل طبعا وامتناع دول السوق الاوروبية المشتركة عن التصويت .

زيـــارة نيكســـون للقدس :

في حزيران سنة ١٩٧٤ قدم الى القدس في زيرة لتقصى الحقائق ودراسة القضية الفلسطينية النزاع العربي — الاسرائيلي الرئيس الاميركي نيكسون فوجهت لـــه على صفحات جريدة القدس بتاريخ ١٦—٦—١٩٧٤ الكتاب المفتوح التالي : —

الا ان خـــير الـــود ود تطوعـــت ٭ لـــه النفس لا ود أتى وهـــو متعب

لا شك انك قبل أن تبدأ جولتك الحالية في الشرق العربي أتتبعت النزاع العربي — الاسرائيلي والقضية الفلسطينية درسا وتحليلا ، وانك في دراستك هذه انطلقت من مفاهيم واعتبارات معينة محدودة ، ولذا أرى لزاما علي بل من واجبي كعربي ينشد السلام والاستقرار في هذه المنطقة من العالم أن الفت نظرك ، واشد انتباهك الى المفاهيم والمبادىء الاساسية التي على اساسها فقط يمكن التوصل الى حـــل عادل وشريف وسلام دائم في منطقة الشرق الاوسط العربي .

أول هذه المبادىء الاساسية التي يجب أن يتركز عليها اي حل ، هو أن هـــذه المنطقة وشعوبها واعني الشعوب العربية ، صاحبتها الشرعية ومالكتها ، لم تعد ترضى ، ولن ترضى أن تكون منطقة نفوذ لاحد غيرها ، أو أن تكون مطية لملك أو أمير أو رئيس ايا كان ان الملوك والرؤساء يأتون ويذهبون ولكن الشعوب خالـــدة

باقية وهي ـــ الشعوب ـــ صاحبة الحل والربط في اخر الامر وهي وقد وعت نفسها وقوتها تصر على أن تكون سيدة نفسها ، وأن تحكم نفسها بنفسها . وأنها ترفض أن تكون هي واوطانها بيلعة تتبادلها أو دمى تلعب بها قوات ، مهما عظمت ، أو أن تكون مجالا لاستثمار الغير وسوقا للاستثمارات الدولية أو حتى مزرعة يستغلها ملك أو رئيس أو أمير أو متمول .

انها تصر على ان تكون سيدة نفسها بكل ما في الكلمة من معنى . وأن تقوم العلاقات بينها وبين بقية الدول والشعوب على أساس الاحترام التام لاستقلالها الكامل وسيادتها غير المنقوصة وسلامتها الاقليمية ، واعني من الخليج العربي في الشرق الى المحيط الاطلسي في الغرب ... ان الوطن العربي واحد ، والشعوب العربية أمة واحدة ، ووطنها وحدة لا تتجزأ بالرغم مما يعاني منه الان من تجزئة وتمزيق وانقسام ، كما تصر أن تقوم العلاقات الاقتصادية بينها وبين بقية الدول على اساس المنفعة المتبادلة والانصاف والتعاون لا الاستغلال وانها لترفض المساومة والتعاون لا الاستغلال وانها لترفض المساومة والمشاركة على حساب كرامتها والمس باستقلالها وسيادتها . وان خيراتها وثرواتها وبترولها ملك خاص لها لا يشاركها فيها احد . وتصر أيضا على أن تكون حرة مطلقة التصرف فيها .

فأما المبدأ الثاني ان هذه المنطقة الممتدة من المحيط الاطلسي غربا الى الخليج العربي شرقا عربية ، عربية خالصة ، وأنه يجب التعامل معها على هذا الاساس . فاذا ما رغب شعب اخر في العيش في وسطها وبين ظهرانيها فيجب أن يندمج فيها ، ولا اقول أن يذوب فيها ، وان يعترف بالتالي بهذه الحقيقة . فلا يعمد أو يصر على التفرد أو العزلة أو يحاول اقامة جسر اجنبي غريب فيها ، او ... فانه يدفعها الى لفظه والتخلص منه .

وبعد التأكيد على هذين المبدأين اراني مضطرا لتذكيرك يافخامة الرئيس بالماضي القريب لا البعيد ، لان ذلك يطول . أنه لا بد لي من استعراض الماضي واخطائه لئلا تكرر أو نعاود الوقوع فيها مرة ثانية . وهكذا نفشل في الوصول الى الحل المنشود والسلام المفقود .

تقول يا فخامة الرئيس ان الولايات المتحدة تتبع سياسة متوازية . فهل لي أن أسألك :

هل معاملة المعتدي والمعتدى عليه على مستوى واحد انصافا وتوازنا ؟؟

هل دعم العدوان منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية ومده بجميع اسباب البقاء والاستمرار والقوة ـــ انصاف ، ويتفق مع ما تتشدق به من تمسك بالسلام والحق والحرية والدفاع عنها ؟

من الذي حال طيلة هذه السنوات السبع دون تنفيذ قرارات هيئة الامم ومجلس الامن او شجع على تجاهلها وعدم تنفيذها والتقيد بها ؟

من الذي يمد المحتلين لاراضي واوطان الغير بالمال والعناد وأسباب القوة والمضي في الاغارة على الشعب الفلسطيني والاصرار على تشريده ؟

من الذي أقام جسرا جويا لتمكين اسرائيل من العبور الى الضفة الغربية من القنال وعدم التسليم بحقوق الغير وارجاع الاراضي الى اصحابها وامر بالتعبئة العامة والتأهب وبتعبئة القوى الضاربة النووية بدلا من التعاون على كبح جماح المعتدين وارغامهم على تنفيذ قرارات مجلس الامن وخاصة القرار رقم ٣٣٨ ؟

ومن الذي اقر تقديم ٢٫٢٠٠ مليون دولار كمساعدة اضافية والدخول في مباحثات لتقديم مساعدات عسكرية واقتصادية طويلة الامد ؟

اهذا هو الانصاف ؟؟ أوتظن يا حضرة الرئيس انك بمنحك جمهورية مصر العربية وسوريا بضع مئات ملايين الدولارات ، أو على الاصح « ثلاثين قطعة من الفضة » تستطيع أن تقايض أو تساوم على الشعوب والاوطان العربية أو تحولها الى مجالات للاستثمارات الاميركية ، كما تقول . لا يا فخامة الرئيس ، ان الشعوب العربية غير مستعدة ولن ترضى بالمساومة على أوطانها وحقها في الحياة الحرة الكريمة وانها تأبى اراقة دماء وجهها والتخلي عن كرامتها مقابل « ثلاثين قطعة من الفضة » وحتى لو حولتم صحاريها إلى جنات وارفة الظلال واطلالها وخرائبها الى عمار .

الشعوب العربية ، كما تعرف جيدا ليست بحاجة لاموالكم ، بل انتم الذين فى حاجة لاموالها المجمدة في بنوككم . وهي لا تطلب منكم أكثر من أن تدعوها تتصرف بحرية في مواردها وثرواتها لمنفعتها ومنفعة العالم أجمع .

ومهما يكن من أمر الماضي ، فالاهم منه الحاضر والمستقبل ، والشعوب العربية أو الامة العربية امة متسامحة وكريمة لا تحمل الحقد ، وهي على إستعداد للعفو عن مقدرة ، لا عن ضعف ، اذا ما رجع المسيء عن اساءته وكف عن ايذائها ، والتنكر لها وحبك المؤامرات والدسائس ضدها .. وهكذا ...... ، فاذا ما اعترفت يا فخامة الرئيس بالمبادىء الاساسية التي سلف ذكرها ، وانطلقت منها فانك مدعو لان تعلن على رؤوس الاشهاد وبكل صراحة ومسؤولية ، انك تفهم ان الحل المنشود يقوم على الاسس التالية :

اولا — ان هذه البلاد ، فلسطين ، عربية ، وانها جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير الذي يمتد من المحيط الى الخليج . وان صاحبها الشرعي والطرف الرئيسي في القضية هو الشعب العربي الفلسطيني والاعتراف لهذا الشعب

بحقه في تقرير مصيره في وطنه وفوق أرضه ، واقامة دولته المستقلة ذات السيـــادة التامـــة .

ثانيا — ان على اسرائيل أن تنسحب ليس فقط من جميع المناطق التي احتلتها فى حرب حزيران سنة ١٩٦٧ بل ومن جميع الاراضي التي احتلتها قبل ذلــك في سنوات ١٩٤٨ — ١٩٤٩ و ١٩٥٦ زيادة عن المنطقة التي خصصت لها في قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ والتي تدعي أنها تقوم على اساسه ، مـــع العلم بأن هذا القرار نفسه باطل ولاغ ، لانه يتناقض مع ميثاق هيئة الامم نفسها وحق الشعوب في تقرير مصائرها وحكم نفسها ، ولا يجيز لاي كان التصرف بحقـــوق الغير أو مصيره .

ثالثا — على اسرائيل أن تمكن أو تؤمن عودة اللاجئين العـــرب الفلسطينيين الى أماكن سكناهم الاصلية داخل الارض المغتصبة والمخصصة في التقسيم للدولة الاسرائيليـــــــة .

رابعا — أن يعلن المسؤولون في اسرائيل عن تخليهم بصدق عن الفكرة الصهيونية العرقية التوسعية وتهجير جميع اليهود أو أكبر عدد منهم الى فلسطين . وانهم انما يتوقون الى العيش بسلام مع اصحابها الشرعيين وفي وسطهم . وانطلاقا من هذه الرغبة أن يسعوا للدخول في مفاوضات مع الشعب العربى الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية لوضع الترتيبات والاجراءات التي تكفل عودة اللاجئين الفلسطينيين الى أماكن سكنهم الاصلية ، وضمان حقوق اليهود المقيمين أو الموجودين الان في فلسطين اما كأفراد ومواطنين أو كأقليـــــة .

خامسا — وفي مقابل ما تقدم يعلن العرب من جانبهم على لسان الشعب العـــربي الفلسطيني بواسطة منظمة التحرير الفلسطينية ، رغبة منهـــم في تحقيـــق سلام عادل ودائم في فلسطين ومساهمة منهم في حل المشكلة اليهوديـــة ووضع حد للصراع الدائم وحقنا للدماء — عن موافقتهم على منح الشعب اليهودي المتواجد الان في فلسطين حكما ذاتيا واستقلالا ثقافيا ، اذا رغـــب في ذلك ، ضمن اطار الدولة الفلسطينية المستقلة وذات السيادة ، والتي بدورها ستسعى الى الدخول في اتحاد فدرالي مع الدول العربية المجاورة كخطوة نحو الاتحاد العربي الكامل أو الوحدة العربية الشاملة .

هذه هي يا فخامة الرئيس الاسس التي يجب أن يقوم عليها الحـــل المنشـــود اذا كنت حقا ترغب صادقا في حل عادل شريف دائم . واما ما دون ذلك فليس الا ذرا للرماد في العيون وخداعا وتضليلا ، ومضيعة للوقت وتبديدا للجهد ، وتأييدا للنزاع وتعريض المنطقة ليس فقط لمزيد من النزاع وسفك الدماء ، ولتعميق الكراهية

والحقد بين العرب واليهود بل وتعريض العالم أجمع للخراب والدمار والمجابهة التي تقول انك تسعى وتعمل جاهدا لتفاديها .

اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ومباحثات جنيف :

على اثر مؤتمر الرباط بحق الفلسطينيين في اقامة دولتهم المستقلة ، ثار نقاش في الأوساط الفلسطينية حول افضلية اثارة مسألة اقامة الدولة الفلسطينية فى هذه الفترة وفي مؤتمر جنيف ، او ارجائها الى ما بعد تحقيق جلاء اسرائيل والاكتفاء الان بالمطالبة بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقد ابديت رايي في هذه المسألة في المقال التالي الذي نشرته في جريدة القدس بتاريخ ١٣–١٠–١٩٧٤ تحت عنوان:

نحـن الان اقـوى فلنحذر ضياع قضيتنا

لقد كنت ممن أسعدهم الحظ بالاستمتاع بمحاضرة الاستاذ أنور نسيبة عـن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في نادي الفد ، يوم الاربعاء الماضي . ومع اعجابي براعة عرضه ومعالجته للموضوع ، ارى لزاما علي ومن حـق الشعب والوطن أن أبدي بعض الملاحظات والتعليقات على الافكار والاراء التي وردت فى تلك المحاضرة ، راجيا من وراء هذا ، الوصول الى وضوح الرؤية وتوحيد الـراي والموقف الذي ننشده جميعا .

استهل الاستاذ المحاضر محاضرته بقوله انه يستغرب تقييد الحقوق المشروعة، وأنا على اتفاق تام معه في هذا ، فالحق اما ان يكون حقا ولا مجال حينئذ للتساؤل عن مشروعيته أو شرعيته ، وإن كان باطلا فلا يصح حينئذ اطلاق اسم الحق عليه او الباسه لباس المشروعية أو اضفاء صبغة الشرعية مهما تفنن او تحذلق في ذلك المنظرون أو المتلاعبون بالالفاظ أفرادا كانوا أو دولة أو هيئة منفردين او مجتمعين . واما اذا قصد أو عنى واضعو التقييد أو التعريف الحقوق كما اتفقت أو تعارفـت عليها بعض الدول أو الهيئات فهذه لا تعدو ، في عرفي او مفهومي ، كونها حقوقـا منقوصة وانا أرفضها منذ البدء ولا اقرها . غير أن هذا لا يمنعني من ان انبه الاذهان او أشير الى ان هذه الحقوق أو التعاريف المتفق عليها لا تلزم الا واضعيها ومن ينضم اليها ويقرها ، كما وأن الاتفاقات والمواثيق الدولية ايضا لا تلـزم الا الاطـراف المتعاقدة او الدول التي تنضم الى تلك الاتفاقات فيما بعـد .

ومن هذا المنطلق ، فان وعد بلفور — حسب مفهومي — والانتداب الذي اقرتـه عصبة الامم عقب الحرب العالمية الاولى وضمنته وعد بلفور باطلان وغير مشروعين من الاساس ولا قيمة لهما شرعا ، لانهما اتخذا دون موافقتنـا ودون أن نكـون — نحن الشعب العربي الفلسطيني — طرفا فيهما ، بل هي على العكس اتخـذا بالرغم من استنكارنا ورفضنا لهما وابلاغ العالم ذلك في حينه ، وبالـرغم مـن مقاومتنا لهما بشتى الوسائل لانهما يتناقضـان مع حقنا الطبيعي ، وهـو الحـق المشروع الوحيد ، في تقرير مصيرنا بأنفسنا .

ان قرار التقسيم لسنة ١٩٤٧ ايضا باطل ولاغ وغير مشروع لانــه اتخذ دون استشارتنا أو اقرارنا وموافقتنا ، بل بالرغم من استنكارنا ومعارضتنا له ولم نكن طرفا فيه ، ولانه يتنافى مع حق الشعوب في تقرير مصيائرها بنفسها ويتناقض مع ميثاق هيئة الامم نفسه الذي ينص على حق الشعوب في تقرير مصائرها بنفسهـــا ويعترف لها بحق الدفاع عن وجودها والذود عن بقائها وسلامة أوطانها وأراضيها، والعيش بحرية وامن وطمأنينة في بلادها وهو كسابقيه ـــ وعد بلفور والانتداب ـــ وكأي احتلال أو عدوان صارخ على الشعوب وحقوقها وانتهاك فظ لميثـــاق هيئة الامـــــم نفســـــه .

وهذا التعليق نفسه ينطبق على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، فنحـــن لسنــا ملزمين به لاننا لم نكن طرفا في صياغته أو وضعه ولم نقره ، واعلنا رفضنا لـــه ، واستنكاره منذ اللحظة الاولى ، واقول نحن ، وانا اعني الشعب العربي الفلسطيني اذ انه لا يحقق لنا مطالبنا ولا يرد لنا حقوقنا ، فقضيتنا ليست قضيـــة لاجئين أو مشردين ، بل قضية وطن وحق في تقرير المصير وممارسة هذا الحق ، ولا يغـــير من هذا بعض الدول العربية اقرته او قبلت به ، فهذا يلزمها هي فقط ، اضف الى هذا أنها هي نفسها لم تدع أو تزعم بأنها تنطق باسمنا ، وان كان يسمع صـــوت نشاز في السنوات الاخيرة يدعى زورا وبهتانا بأنه يمثلنا أو ينوب عنا . فمؤتمـــر القمة العربي الذي عقد في الجزائر في أواخر السنة الماضية والمؤتمـــر الاسلامي الذي تلاه ودول كثيرة اخرى اقرت بأن لا احد غيرنا يمثلنا ، وهـــذه هيئـــة الامم نفسها على وشك اتخاذ قرار مماثل ، فلنحذر ـــ عن جهل أو غير قصد ـــ ان نحول دون ذلك أو ان نلحق بأنفسنا اذى يضيف نكسة جديدة الى نكساتنا السابقة ويعيق مسيرتنا نحو التحرر واستعادة الحقوق المشروعة .

وقد ورد في المحاضرة ما معناه انه قد يكون من الافضل ان لا يثار الحل النهائي للقضية الفلسطينية الان وفي هذا الوقت بالذات ، اذ اننا لا نزال في موقع ضعف وقد يكون من الاسهل لو اكتفينا بالمطالبة بتصفية اثـــار عـــدوان ١٩٦٧ ، وهنا ، استميح الاستاذ المحاضر في ان اخالفه في تقييم الوضع الراهن وموازين القـــوى السائدة الان . انني اوافقه ، كل الموافقة ، على اننا عشية حرب حزيران سنـــة ١٩٦٧ وغداتها كنا في حالة ضعف مزر .

ولكن التطورات التي اعقبت ذلك متمثلة في النشاط الفلسطيني والعربي حولت الشعوب المغلوبة على امرها بحيث اصبحت في موقع قوة لا ضعف مما جعـــل الفرصة مؤاتية لاثارة القضية الفلسطينية على نطاق واسع .

ان العالم الاستعماري يتخبط في ازمات اقتصادية ونقدية واجتماعية ، وازمة الطاقة اخذة بخناقه وبدأ التحالف الاستعماري بين الولايـــات المتحـــدة والدول الاوروبية الغربية بالتفسخ ، ورياح التغيير هبت حتى على البرتغال اكثر معاقـــل

الاستعمار رجعية ، والشعوب الافريقية في غينيا بيساو وموزمبيق وانغـولا في طريق التحرر ، وكفة قوى التقدم والتحرر في العالم بدأت بالرجحان ، ونفوذ الدول العربية وشعوبها ومكانتها زاد اضعافا مضاعفة في الميزان الدولي ، فلنتق اللـه في انفسنا ولنحسن التصرف في طاقاتنا وامكاناتنا والقوى المتوفرة لدينا والاستفادة من الظروف الموضوعية المؤاتية لنا ، ولا نضيعن الفرصة ، فرصة اثارة قضيتنا ، القضية الفلسطينية ، برمتها من جديد ، فلم نكن في يوم من الايام اقوى مما نحن عليه الان ، ولم يكن اعداؤنا أو خصومنا اضعف او اكثر عزلة مما هم عليه الان .

لنذهب الى هيئة الامم وحتى الى جنيف وغيرهـا مـن النـدوات لا لنستجدي ونستعطف ونسترحم ، بل لنعلن هذه الحقوق ونبسطها ونبرزها ونثبتها ونطالـب بها ونعمل على تحقيقها واخراجها الى حيز الوجود وممارستها ونفرض على العالم اجمع وننتزع منه الاعتراف بشرعية وجودنا كشعب وكوطـن فلسطيني ونحبـط محاولات اسرائيل والاستعمار والسائرين معهم أو في ركابهم لتصفيـة قضيتنا او تصفيتنا كشعب وطمس شخصيتنا ودثر معالمنا والاغفاء علينا وتقليصنا الى قضيـة لاجئين ومشردين يستوجبون أو يستحقون الشفقة والعطف والرحمة والعمل على استيعابهم وتأهيلهم أو توطينهم كأفراد في اسرائيل أو الاقطار العربية أو شتى أنحاء العالم ، وننذره بأن لا سلام ولا استقرار في هذه المنطقة من العالم او في العالم أجمع الا باعادة الحق الى نصابه .

ان الظروف الموضوعية والفرصة الان مهيأة ومؤاتية اكثر من اي وقـت مضى لاثارة القضية الفلسطينية برمتها من جديد واعادة النظر ، لا في قرار مجلـس الامن رقم ٢٤٢ فحسب ، بل وفي قرار التقسيم نفسه وفي كل ما تم منذ ذلـك الحيـن .

فلنضرب الحديد وهو حام ... نعم ، ان الطريق شاق ووعر وقد يكون طويلا ولكنه الطريق الوحيد الكفيل بوصولنا الى حقوقنا كاملة غير منقوصة .

مكائد كيسنجر ومؤامراته :

في اعقاب مؤتمر جنيف ، قام وزير خارجية الولايات المتحـدة انذاك بجولاتـه المكوكية في الشرق العربي ، في محاولة لتجزئة القضية العربية والنزاع العربي الاسرائيلي ، وحله على خطوات بحيث تستعيد امريكا مواقعها ونفوذها في العالم العربي وتنقذ اسرائيل من ورطتها ، وتتيح لها الفرصة لالتقاط انفاسها واعادة تسليح نفسها واسترداد ثقتها بنفسها ، ولتمكينها من الاستمرار في تجاهل حقوق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه وتنكرها له ، ومواصلة احتلالها لاراضيه ، وطمس القضية الفلسطينية ، جوهر الصراع في الشرق العربي . فانبريت لفضح مؤامراته وكشف ابعادها وفي عرض رايي في كيفية مقاومتها واحباطها في المقال التالي الذى نشرته في جريدة القدس بتاريخ ٢٥ ــ ٣ ــ ١٩٧٥ :

بعد فشل كسينجر .. ثم ماذا ؟؟

والان وقد تعطلت . ولو مؤقتا . مساعي الدكتور كيسنجر لتفتيت القضية العربية وتجزئتها . وابعاد او ارجاء حل القضية الاساسية والرئيسية فيها . اي قضية حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه وعلى ارضه ، والاعتراف بحقه المطلق في وطنه وبممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية الانسحاب منها اولا باول . لا من جزء او اجزاء من الاراضي العربية المغتصبة سيناء والجولان والضفة الغربية باكملها وخصوصا القدس العربية وقطاع غزة، وبحقه الطبيعي في اقامة دولته المستقلة في الاراضي الفلسطينية التي يتم الانسحاب منها اولا باول . لا من جزء او اجزاء من الاراضي العربية المغتصبة وشق الصف العربي الموحد ونسف تضامن الدول والشعوب العربية جمعاء المتين واثارة الخلافات والانقسامات بينها عن طريق الانفراد بكل واحدة منها على حدة وبالتالي اضعافها جميعا وتشتيت شملها وتقليل وزنها والفوز بمكاسب لاسرائيل والامبريالية الامريكية ، والغاء المكاسب التي حققتها حركة التحرر الفلسطينية فى الساحة الدولية وعلى صعيد الامم المتحدة . لاصطدامه بالواقع العربى الذي يرفض التجزئة وهدر مكاسب حرب رمضان ، ويعي ابعد المؤامرات التي تحاك ضده ، يجب ان نبقى على اتم اليقظة والحذر من استمرار هذه المحاولات في الخفاء من وراء الكواليس ، وان لا نستهين بسعة حيلة ومكر الامبرياليين .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بعد هذا كله هو الى اين نحن سائرون ،وكيف الخروج من هذه الحلقة المفرغة والدوامة المظلمة ، وكيف الوصول الى حقوقنا والظفر بها واستخلاصها وما هي السبل والوسائل التي تؤمن لنا استعادةحقوقنا وتكريس هويتنا الفلسطينية الخاصة واستعادة وطننا وحمل اسرائيل علىالجلاء عن الاراضي العربية المحتلة منذ حرب الايام الستة والتسليم بحقوقنا في الارض الفلسطينية واقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة السيادة المطلقة التي تكفل قيام الدولة الفلسطينية الديمقراطية على الترا بالفلسطيني ضمن اطار الوحدة العربية الكاملة او الاتحاد العربي الشامل ؟

لقد تردد الحديث فور انقطاع او توقف مهمة الدكتور كيسنجر عن الدعوة لعقد مؤتمر جنيف وضرورة ذلك في الحال . ولكن هل مجرد الذهاب الى جنيف كاف لاحقاق الحق واقرار السلام ؟ ، يقينا لا . فقد ينتهي مؤتمر جنيف بالفشل كما فشلت مؤتمرات عدة قبله ، وكما فشلت محاولات كيسنجر . فما الذي يضمن لنا تحقيق مطالبنا والاستجابة لها في هذا المؤتمر ؟

ان الجواب على هذا يعتمد في الدرجة الاولى علينا نحن انفسنا ، وعلى الدول العربية المشتركة فيه ، لا على اسرائيل او امريكا او الاتحاد السوفياتي فمفتاح

الحل في ايدينا ، لا كما يروج او يتوهم البعض انه في يد امريكا . فان لم نتخـذ لهذا الامر عدته ونحتط ونخطط لجميع الاحتمالات والامكانيات فسنعود حتما الى الجمود الذي نعاني منه الان والذي لا نطيق عليه صبرا ولا نحتمل له استمرارا اذ معناه استمرار الاحتلال وفقدان الحقوق التي نناضل لاسترجاعها .

اذ ليس من الصعب التكهن او تصور ما قد يكون عليه الحال في جنيف اذا مـا استؤنف مؤتمرها . فالاطراف التي ستشترك فيه معروفة سلفا ، فهي عدا دول المواجهة العربية : مصر وسوريا والاردن والطرف الاساسي والرئيسي في القضية الشعب العربي الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية « اذ لا يصح ولا يجوز قطعا عقد مؤتمر جنيف بدون اشتراكها فيـه » ولربما لبنان ، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واسرائيل ، وموقف كل من هذه الاطراف محدد ومعروف مقدما.

ولكن اول ما يعنيني في هذا البحث هو موقفنا نحن الفلسطينيين اي منظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية ومن ورائهم شعوبهم من المحيط الى الخليج فعلينا قبل الذهاب الى جنيف ان نتدارس الامر من جميع نواحيه ونقلبه علىكافة وجوهه ، وان نعد لكل احتمال خطة ولكل مفاجاة او حركة جوابا ، ونقر موقفا موحدا نلتزم به جميعنا وتضامن معنا حوله جميع الدول والشعوب العربية غـير المشتركة في المؤتمر ، ولا يحيد اي منا عنه قيد شعره ولا نفرط فيه مقدار ذرة .

وهذا الموقف في رايي يجب ان يتضمن المبادىء الاساسية التالية :

اولا ــ الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه في وطنه وعلى ارضه .

ثانيا ــ الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في اقامة دولته المستقلـة ذات السيادة الكاملة المطلقة على الارض الفلسطينية التي يتم الانسحاب منها اولا باولفي هذه المرحلة حتى تتوفر امكانيات اقامة الديمقراطية على التراب الفلسطيني باكملـه .

ثالثا ــ الانسحاب الفعلي الفوري من جميع الاراضي العربية التي احتلت في حرب حزيران : الضفة الغربية باكملها وعلى الاخص القدس العربية وقطاع غزة وهضبة الجولان وسيناء .

رابعا ــ تمكين الشعب العربي الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره بنفسه وذلك باقامة دولته المستقلة ذات السيادة الكاملة والمطلقة ، على جميع الارض الفلسطينية التي يتم الجلاء عنها حال بدء الانسحاب اولا باول

هذا باختصار ما يجب ان يكون عليه موقفنا الموحدالذي لا يجوز المساومة عليه ولا التنازل عن مقدار ذرة منه .

ويبقى السؤال : ولكن كيف السبيل الى تحقيق ذلك ؟ للاجابة على هذا يتوجب علينا استعراض مواقف الاطراف الاخرى المشتركة في المؤتمر . ولنبدأ باسرائيل وموقفها واضح ومعروف فهي ستحاول التمسك بجميع ما تحتله من اراض عربية بالاضافة الى انتزاع شرعية وجودها باعترافنا واعتراف الدول العربية المجاورة لها ، وفي احسن الحالات الانسحاب من اجزاء من سيناء مقابل انهاء حالة الحرب مع مصر واخراجها من حلبة الصراع ولهذا فلا سبيل او فائدة من الحوار معها .

أما الاتحاد السوفياتي فهو ايضا لا يخفي ولا يناور ولا يخادع . فقد اعلن ويعلن باستمرار وعلى رؤوس الاشهاد بانه يؤيد مطالبنا ويعتبرها مشروعة وعادلة ، وقد اثبت هذا فعلا لا قولا ، وان الطريق بحقوقنا والجلاء عن جميع الأراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ ،وتمكيننا من اقامة دولتنا المستقلة وتأمين عودة اللاجئين الى اماكن سكناهم الاصلية .

واما الموقف المخادع الغامض الماكر ، وكم بودنا ان لا يكون كذلك ، فهو موقف الولايات المتحدة ، ففي الوقت الذي تزعم فيه انها تتبع سياسة متزنة ومنصفة وتحاول التوصل الى حل عادل ودائم واقرار السلام في هذه المنطقة ، نراها تواصل دعم اسرائيل بالسلاح والعتاد والمال والتأييد السياسي مشجعة اياها بذلك على التمادي في العناد والغطرسة وتجاهل حقوق الشعب العربي الفلسطيني وانتهاكها ، والاستمرار في احتلال الاراضي العربية الاخرى، الضرب بجميع القرارات الدولية عرض الحائط والاستهانة بها .

وقد توهم البعض منا بان التمسح باذيال الولايات المتحدة والتودد اليهاوالانفتاح عليها ومجافاة من لا يطيب لها او يروق في عينيها سيحملها على تغيير موقفها منا ومن اسرائيل وممارسة الضغط على الاخيرة والتسليم ولو بجزء من حقوقنا وتعديل سياستها ومحاولة ارضائنا .

وعلى هذا الامل الكاذب والسراب الخادع ارتمى في احضانها واولى كيسنجر ثقته المطلقة وراهن عليه لاستعادة بعض حقوقهم ، وكادوا بهذا يشقون الصف العربي وينسفون تضامنه ، ويقترفون اثما ليس فقط اتجاه الشعب العربي الفلسطيني وسوريا بل وحتى اتجاه انفسهم ، ولكن الله سلم .

اتضح اذن لكل من له عينان ويريد ان يبصر ان هذا الطريق ، طريق مهادنة الولايات المتحدة الاميركية والتودد اليها واستعطافها واستجدائها لا تؤدي الى ما نصبو اليه ..

سيقول البعض وما العمل اذن ؟ ها قد عدنا الى حالة اللاسلم واللاحرب .. غير اني اقول لا .. ان هذا يتوقف علينا فما يزال في ايدينا اوراق كثيرة ووسائل ناجعة للضغط بها على الولايات المتحدة ولارغامها على تغيير موقفها وممارسة الضغط على اسرائيل للتسليم بحقوقنا لقد جربنا حتى الان وسيلة واحدة وهى الاسترضاء والاستعطاف والانفتاح على الامبريالية الاميركية وقد باءت هذه الوسيلة بالفشل وثبت عقمها بتوقف مساعي كيسنجر .

اما الوسائل الاخرى فلم نلجأ اليها ويقيننا انها هي الانجع وهذه الوسائل تكمن في وضع الخيار بين الاستمرار في دعم وتأييد اسرائيل وفقدان جميع مصالحها في العالم العربي من المحيط الى الخليج ، او ردع اسرائيل ومحاولة ابقاء علاقات لها مع العالم العربي على اساس التكافؤ والمنفعة المتبادلة وعدم التدخل في شئوننا الداخلية واحترام سيادتنا المطلقة في بلادنا ، واستقلالنا التام الناجز السياسي والاقتصادي وحرية التصرف في مواردنا وثرواتنا الطبيعية .

ومن اجل اقناع الولايات المتحدة باننا جادون لا هازلون هذه المرة واننا نعنى ما نقول يجب ان يدرك الاميركيون تمام الادراك باننا من المحيط الى الخليج صف واحد ، متضامنون قولا وفعلا واننا عازمون على ضرب المصالح الاميركية اذا استمرت في دعم اسرائيل واننا سنرقب موقفها في جنيف بدقة ، واذا لم تلق بثقلها في سبيل احقاق الحق وتحقيق الحلول العادلة الدائمة ، ونحن موقنون بانها قادرة على ارغام اسرائيل على اتباع سياسة عقلانية اذا ما ارادت ، وبهذا المعنى فمفتاح الحل بيدها .

ولو فرضنا جدلا بان اسرائيل ركبت راسها ورفضت الانصياع لنصائح أمريكا ، او الخضوع لتوجيهاتها ، فاننا لا نطلب منها ان تجرد حملة عسكرية على اسرائيل وتجليها بالقوة عن الاراضي العربية ، لا ، كل ما نطلبه هو ان توقف تزويدها بالسلاح والعتاد والخبراء والتدريب ، وان تمنع عنها كل المساعدات والقروض المالية والاقتصادية ، وان تكف عن تأييدها في المجالات الدولية والسياسية ، وان تقطع علاقاتها الدبلوماسية والثقافية والتجارية معها .

لا نطالب بهذه الامور كلها دفعة واحدة ولكن واحدة واحدة حتى تجد اسرائيل ان لا مناص من الرضوخ .

ان اهمية مؤتمر جنيف تكمن في انه المكان الذي يمكن فيه حشر الولايات المتحدة وارغامها تحت ضغط جميع الدول العربية وشعوبها على الافصاح عن حقيقة نواياها وتعريتها امام الراي العام وارغامها على اتخاذ موقف صريح واضح تجاه النزاع العربي الاسرائيلي .

اما الوسائل التي يقتضي استعمالها لحمل الاميركيين على الادراك باننا جادون ومتضامنون فهي :

١ ــ قطع البترول عنها ، وهذا يسير على الدول العربية المصدرة للنفط اذ في استطاعتها تقليص الانتاج وعدم تصريف الناتج لتوفر الاموال الفائضة لديها والمتمثلة بعشرات المليارات من الدولارات .

٢ ــ عدم استثمار او توظيف الاموال العربية الفائضة في الولايات المتحدة واستثمارها بدل ذلك في البلاد العربية او في التصنيع .

٣ ــ مقاطعة البضائع والتجارة الاميركية واغلاق الاسواق العربية في وجهها

٤ ــ اغلاق وتصفية جميع المؤسسات والمشاريع الاميركية في جميع البلاد العربية وتعويض البلاد العربية التي تتضرر من ذلك من الاموال العربية الفائضة

٥ ــ مقاطعة المعاهد الثقافية والعلمية ، فهناك البديل الكثير عنها .

٦ ــ قطع العلاقات الدبلوماسية مع اميركا الى ان تلبي مطالبنا .

هذه في رايي اوراق قوية على الولايات المتحدة ، لا تقوى على تحملها خصوصا في هذه المرحلة التي تعاني منها من ضائقة مالية وازمة اقتصادية خانقة وبطالة متفشية وغلاء مطرد ، ورفض للتورط في فيتنام اخرى .

قد يقول بعض « العقلاء » نخشى ان يؤدي هذا الى استفزاز اميركا ضدنا فتمعن في دعم عدونا ، وجرها الى الاشتراك المباشر في الحرب ضدنا ، واحتلال منابع البترول في بلادنا ونحن لا طاقة لنا باميركا ولسنا ندا لها فتزيد الطين بلة ونفقد حتى المكاسب التي حققناها حتى الان وتزداد خسراننا على خسران .

لا ، اطمئنوا ايها السادة العقلاء ، فزمن تجريد الحملات العسكرية التأديبية قد ولى الى غير رجعة فلن يجرؤ الا المجانين والفاقدون عقولهم على مغامرة مثل هذه فالعالم غير خال لهم وحدهم ومصادر قوتهم ، منابع البترول في ايدينا وبين ظهرانينا وليس اسهل من تدميرها ان لم نتمكن من حمايتها ورقعتنا العربية الواسعة من المحيط الى الخليج اقدر على ابتلاعهم من ان يبتلعوها هم ، وموازين القوى الدولية لا تسمح لهم بذلك التيه . وما هذا التهديد باحتلال منابع البترول العربية او الاقطار العربية كلها ، الا تهديد اجوف يخيف الرعديد ، الجبان او من تقتضيه انانيته او مصلحته الضيقة وتحمل له الخوف مسلكا ، لان من امن بالله وبحقه ، ووضع المصلحة القومية العليا فوق كل اعتبار لا يخاف .

« اللهم اكتبنا مع المؤمنين »

مصرع الملك فيصل :

ومن الاحداث الجسام التي وقعت في اواخر اذار من هذا العام وروعت العالم العربي وفاجأته مقتل الملك فيصل ، ملك السعودية . ولا يسع المتتبع للحوادث الا

ان يلاحظ تزامن هذا الاغتيال مع ما ابداه الملك المغدور من تصلب وعناد في معارضته السياسية الامريكية تجاه النزاع العربي الاسرائيلي والقضية الفلسطينية والحلول الجزئية والمنفردة مع كل دولة عربية على حده .

وفورا راجت اثره اشاعات قوية ، مصدرها الجرائد والمجلات الامريكية نفسها على ان وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية وراء هذا الاغتيال ولو ان المنفذ كان سعوديا . وليس هذا بمستبعد او مستغرب فالغدر من شيم اجهزة الاستعمار والامبريالية امريكية كانت او انكليزية او فرنسية .

مقابلة مع مجلة « اسرائيل — فلسطين »

وفي حزيران سنة ١٩٧٥ زارني لويس مارتون صاحب مجلة « اسرائيل — فلسطين » التي تصدر في باريس باللغة الانكليزية واجرى معي حديثا لاستطلاع رايي في النزاع العربي الاسرائيلي وامكانية وطرق حله ، وفيما يلي ترجمة هذا الحديث كما نشر في العدد ٣٩ — ٤٠ لشهر حزيران سنة ١٩٧٥ من المجلة المذكورة :

لويس مارتون : كيف ترى أمكانية حل للنزاع العربي الاسرائيلي ؟

الدكتور خليل البديري : لقد بدأ هذا النزاع عندما حاولت الصهيونية ان تفرض علينا حلمها وتخيلها للدولة اليهودية بقوة الحراب البريطانية اذ لم يكن هناك اي نزاع بين العرب واليهود قبل ١٩١٤ وصدور وعد بلفور .

لويس مارتون : قد يكون ذلك لانه لم يكن في فلسطين هذا العدد الكبير من اليهود في ذلك الحين .

الدكتور خليل البديري : بالضبط . فقد قدموا الى هنا رغما عنا وبدون موافقتنا رافضين الاندماج في وطننا الفلسطيني العربي ، وبهدف اقامة دولتهم العنصرية على انقاضنا .

لويس مارتون : ان بعض اصدقائي يعتبرون الحركة الصهيونية حركة تحرير للشعب اليهودي ، او هكذا كانوا يظنونها على الاقل في الماضي الذي تتحدث عنه .

الدكتور خليل البديري : ليس بوسع احد ان يحرر شعبا على ارض شعب اخر واراض مأهولة ومسكونة بشعوب اخرى . وحقيقة الحركة الصهيونية هي انها حركة عدوانية استعمارية واغتصاب لوطن وحق شعب اخر هو نحن الشعب العربي الفلسطيني ووطننا فلسطين . لقد حلم مؤسس الحركة الصهيونية هرتسل باقامة دولة يهودية Judenstaat ونحن الذين ثرنا ضد الحكم العثماني والاستعمار كنا نناضل ونكافح من اجل الدولة العربية على ارضنا وفي وطننا لا على اراضي الغير. وحقوقنا اكثر ثبوتا وأولوية لاننا موجودون هنا دائما منذ قرون ولم نبرح هذه الأرض ابدا .

لويس مارتون : انك تتحدث عن الدولة اليهودية وكانها وهم او خيال ، فهل الحديث عن مستقبل سلمي لهذه البلاد ايضا جري وراء الخيال والاوهام ايضا ؟

الدكتور خليل البديري : اذا كنت تتحدث عن زوال الدول وانقراضها ، بما فيها اسرائيل ، فهذا على الاغلب ضرب من الخيال . ان هذا لن يحدث الا حين تندمج البشرية كلها في دولة واحدة . وحتى ذلك الحين او حتى يتم هذا يجب على الاسرائيليين ان يندمجوا في المحيط او المنطقة التي يتواجدون فيها ، ومعنى هذا فيما يتعلق بالشرق العربي عليهم ان يندمجوا في هذا الشرق المكون من فلسطين وسوريا والاردن ولبنان ومصر والعراق في المرحلة الحاضرة الى أن يتم قيام الاتحاد العربي العام فيندمجون تلقائيا فيه .

لويس مارتون : وكيف تتصور تحقيق هذا ؟

الدكتور خليل البديري : قبل كل شيء بتخلي اسرائيل واليهود عن عنصريتهم وعرقيتهم بكل اشكالها والوانها وابعادها ونبذ كل ما هو عالق بالشعب اليهودي او الاسرائيلي من رواسب الافكار الدينية والعنصرية والتفوق على بقية الشعوب والعقيدة الصهيونية ، اي تطهير اسرائيل من الصهيونية Dezionization كما حدث في المانيا بتطهيرها من النازية Denazification ولا اعني بهذا انه يجب على الاسرائيليين ان ينهوا وجودهم كشعب له خصائصه بل الاندماج في مجتمع الشعوب والدول مع الاحتفاظ بهويتهم كشعب من مجموع الشعوب ولكن ليس على اساس عنصري وعرقي او على حساب غيرهم من الشعوب .

لويس مارتون : هل يمكن ان يكون للاسرائيليين دولة خاصة بهم . نعم او لا ؟

الدكتور خليل البديري : دولة خاصة بهم نعم . ولكن ليس الدولة الراهنة يجب على هذه الدولة الاندماج والتكامل معنا في دولتنا الفلسطينية على اساس فدرالي في نطاق اتحاد اوسع يشمل فلسطين باكملها والشرق العربي .

لويس مارتون : قد تحتاج للانتظار زمنا طويلا حتى تقنع الاسرائيليين بأن هذا هو مستقبلهم .

الدكتور خليل البديري : لسنا في عجلة . ولكن هذا هو الحل الوحيد الممكن والنهاية المحتومة التي لا بد ان يصل الكل اليها ان عاجلا او اجلا .

لويس مارتون : كيف تتصور الوصول الى هذا ؟

الدكتور خليل البديري : اتصوره على ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى :

أ : انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلت في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، اي الى حدود ما قبل ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ .

ب : اقامة اتحاد فدرالي يضم فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غـزة) والاردن وسوريـــــا .

ج : انهاء حالة الحرب بين هذه الدول واسرائيل .

المرحلـــــة الثانيـــة :

أ : انسحاب اسرائيل الى حدود تقسيم ١٩٤٧ او ما يقرب من ذلك واعترافهـــا بالشعب الفلسطيني ودولته وحق اللاجئين والمشردين بالعودة .

ب : اقامة اتحاد فيدرالي يضم سوريا وفلسطين والاردن ولبنان والعراق ومصر وليبيـــا والجزائــــر .

ج : اعتراف باسرائيل مع اقامة ادنى حد من العلاقات الدبلوماسية لا تبادل تجاري ولا علاقات اقتصادية ولا تطبيع للعلاقات .

المرحلـــــة الثالثـــة :

عند ثبوت تخلي اسرائيل عن صهيونيتها وعنصريتها وفك ارتباطاتها بأي قـــوى خارجة عن منطقة الشرق العربي وباليهودية العالمية وربط مصيرهـــا بمصير هـــذا الشرق العربي ، يصير دمجها في الاتحاد الشرق اوسطي العربي كعضو متساو فى الحقوق والواجبات مع بقية اعضاء هذا الاتحـــاد .

لويس مارتون : هل تقوم بعرض ارائك هذه وشرحها للقـــادة السياسيـــين الاسرائيليـــين

الدكتور خليل البديري : ليس لدي ما اشرحه لهم . وبالمناسبة فارائى هذه معروفة جيدا في شقي القدس . واما اذا كانوا يريدون الاستماع الى الرأي الفلسطيني فيجب عليهم ان يتوجهوا الى منظمة التحرير الفلسطينية

لويس مارتون : هل تعتبر منظمة التحرير الناطق والممثل الوحيد للفلسطينيين ؟

الدكتور خليل البديري : لا يحتاجون لاعتباري . فقد اعتبرها الشعب الفلسطيني كله في الضفة والقطاع وفي جميع اماكن تواجده في الاقطار العربية والشتات الممثل الشرعي الوحيد له وانا جزء من افراد هذا الشعب . ولم يقتصر هذا على الشعـــب الفلسطيني وحده فقد اعترف بهذا واقره العالم كله . فقد اقرت هذا الاعتراف جميع الدول العربية والاسلامية ومن بعدها هيئة الامم المتحدة باغلبيتهـــا الساحقـــة او بالاجماع تقريبا . ولن يجد الاسرائيليون غيرها من الفلسطينيين للتحدث معه .

لويس مارتون : هل تقبل بما قد تتمخض عنه اية مفاوضات في حالة حدوث مثل هذه المفاوضات بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية .

الدكتور خليل البديري : بكل تأكيــد .

لويس مارتون : الا تظن بأنه في امكان الفلسطينيين هنا ان يوضحــوا لمنظمــة التحرير الفلسطينية أن أحداثا كاحداث معلوت وكريات شمونة ليست افضل الوسائل للتوصل الى مفاوضات ؟

الدكتور خليل البديري : انا طبيب ولذا فأنا لا أنظر الى الاعــراض والظواهــر فقط . بل أتحرى عن الاسباب والمسببات وجذور الداء . فليس باستطاعتك النظر الى هذه الاحداث بمعزل عن مجمل او بقية الاحداث التي كان ضحيتها عرب لا يهود . وانك عندما تستأصل الداء وجذوره لن تقع بعد ذلك أحداث مثل احداث معلوت .

وفاة فؤاد نصار :

وفي أواخر عام ١٩٧٦ توفي المناضل الكبير فؤاد نصار فكتبت الكلمة التالية في تابينـــــــه :

« لن أكرر على مسامعكم مناقب وصفات فقيدنا الغالي ، فحبه العميــق لوطنــه فلسطين وشعبها العربي الفلسطيني وتفانيه وتكريس حياته كلها للنضال والكفاح من اجل تحقيق الحياة الحرة الكريمة لهذا الشعب في وطنه وعلى ارضه معروف . وانما اود أن استعرض الحقوق التي وهب نفسه ونذر حياته كلها لتحقيقها .

ففي مقدمة هذه الحقوق وعلى راسها الحفاظ على الارض ، الوطن ، والتمسك بها والتحرر والانعتاق من الاحتلال والحكم الاجنبي وحقه في تقرير مصيره بنفسه فمنذ حداثة سنه وفي سن الخامسة عشرة انخرط فــي الكفاح ضــد الاستعمار والاحتلال البريطاني المقنع بالانتداب ، والغزوه الصهيونية المتمثلة بوعد بلفــور الذي وضع حجر الاساس لاغتصاب الوطن الفلسطيني من اصحابه الشرعيين العرب واقتلاعهم منه وتشريدهم وتشتيتهم ، وطمس شخصيتهم وهويتهم ، والاعفاء عليهم وتغيير معالم هذا البلد العربي باقامة راس جسر وحصن ومخلب قط للاستعمار في قلب البلاد العربية يحول دون اتحادها وممارستها حقها في تقرير مصيرهــا بمفردها وحكم نفسها بنفسها .

غير ان فهمه للحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني لم يقتصر على تحريره من ربقة الاحتلال والحكم ألاجنبي والتبعية السياسية والاقتصادية والثقافية ، بــل تجاوزه ليشمل تحرير الانسان العربي داخــل الوطن العربي وفي مجتمـــعه من الاستغلال والاستبداد والتسلط والفساد والفقر والجهل والمرض . ولذلك ناضل من اجل تطبيق الاشتراكية العلمية في الوسط والوطن العربي اذ راى فيها اقصـــر الطرق واسرع السبل وانجعها للحاق بالعالــم المتقدم وتحقيق الوفــرة والرخاء والرقي والتقدم ، ورفع مستوى الجماهيــر وتفجير الطاقات الشعبيــة الهائلة والمواهب الفردية الكامنة ، وتفتح الشخصية الفردية والقومية ونموها وازدهارها

وتكاملها وتأمين العيش الكريم لشعب حر والطمانينـــة والاستقـــرار . اذ اعتبـــر معنى الوطنيـــة الصحيحة وهدفها هو تحقيق السعادة والطمانينة لمجموع افـــراد الشعب والامة التى ينتسب الفرد اليها . وهذه السعادة لا تكون الا بتامين مستوى معيشة مادية مطرد الرقي والارتفاع ، وتوفير جميع اسباب التقدم العلمي والادبي وان يكفل لكل فرد من افراد الامة حرية نمو شخصيته وتفتحها وابراز مواهبها واطلاق طاقاتها الكامنة . والشق الاول اي التقدم والرقي المطرد لمستوى المعيشة لا يتيسر الا اذا ضمن لمجموع الامة العمل المنتج وزيادة مطردة في الدخل والاجور والثاني اي الرقي العلمي والادبي لا يتحقق الا اذا مكن كل فرد من افراد الامـــة من الحصول على اوفر قسط من التعليم والتهذيب تمكينا حقيقيا ، اي ان تؤمن له جميع الاسباب والوسائل اللازمة لذلك من مؤسسات ومعاهد علمية وادبية وفنية ، وتامين اسباب المعيشة ليتمكن من التفرغ للدرس والتثقف . اي ان هذا متوقف على تحقيق الشرط الاول . والشق الثالث اي حرية التفتح ونمو وتطور شخصية كل فرد من افراد الامة لا يتأتى الا بتحقيق الشرطين الاولين وضمانة حرية الراي والفكر والكـــلام والاجتماع والتنظيم . ولا يكفي ان تحقق هذه الاهداف لمدة ما بل يجب ان يضمن بقاءها واستمرارها وذلك باقرار الامن والاستقرار في الداخل والخارج لتتمكن كل الامة من التفرغ للبناء والعمران وتحقيق السعادة والرخاء .

ومن اجل هذا فانه كان يناضل من اجل الديمقراطية الشاملة باوسع معانيها، اذ انه كان يرى ان الحكم داخل الوطن العربي يجب ان يرتكز على الديمقراطية باوسع معانيها . اي ان تتاح للشعب المشاركة الفعالة فيه ، وان لا يكون وقفا على فرد او افراد او اشخاص محدودين او فئة او طبقة معينة دون اخرى . وان يكون الحكم مسؤولية وتضحية وخدمة وانكارا للذات وتفانيا في سبيل الجماعـــة ومن اجلها ، لا استعلاء وسيطرة وتسلط وتحكما واستغلالا ومغنما ووسيلة للاثراء على حساب الشعب . وان يتكون المجتمع العربي من مجتمع احرار متساوييـــن لا مجتمع سادات وعبيد او مستغلين امرهم شورى بينهم ورائدهم المصلحة العامـــة والمنفعة المشتركة المتبادلة ، سعادة كل فرد منهم تتوفر وتؤمن بسعادة الكل لا على حساب سعادة الاخرين ، شعارهم التضامن والتكافل ، كل فرد منهم للجماعة كلها والجماعة كلها لكل فـــرد .

وقد كان يعتقد ان الاتحاد او الوحدة العربية الشاملة هي السبيـــل للخلاصـــ والتحرر واستكمال الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي وتطوره والحفاظ على الوطن العربي وشعوبه والضمانة الوحيدة الاكيدة لبقاء هذا الاستقلال ودوامه ولذا فقد كان يناضل ايضا من اجل هذا الاتحاد الشامل على ان يتم هذا الاتحـــاد على اساس الاختيار الطبيعي لا القسر والاكراه ، حتى لا يكون عرضة للانقســـام والتفكـــك .

وقد قاده كل هذا ، اعني حبه العميق لوطنه وشعبه وحرصه على استقلال هـذا الشعب ووحدته والحفاظ على بقاء هذا الاستقلال ودوامه واستمراره الى الاممية فلا تناقض في نظره بين القومية والاممية الصحيحتين . بل انه على العكس راى في الاممية الضمانة الاكيدة للحفاظ على قوميته ووطنه . اذ ان الاممية لا تعني العدمية القومية أو الكوزموبولينية اللا وطنية ، بل على العكس تعني الاعتـراف المتبـادل بحقوق الشعوب القومية بعضها للبعض والتزام حدودها وعدم التطلع الى التوسع على حساب الغير واحترام السلامة الاقليمية والسيادة التامة لكل شعب على ارضه وفي وطنه ، والانصراف الى التنمية الداخلية والتطوير والبناء والعمران . واقامة العلاقات بين الامم على اساس احترام استقلال وسيادة كل منها والمنفعة المتبادلـة والتعـاون وحسن الجوار . وهكذا يوفر المناخ والاستقرار والامن اللازمين كي تتفرغ كل امة وتكرس جهودها للانماء والعمران والتطور والازدهار ، وتعم السـعـادة والطمأنينة الانسانية جمعاء .

وفي رايي ان افضل وسيلة لتكريم ذكرى الفقيد العزيز مواصلة النضال من اجل استردادا حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية ، وممارسة هذه الحقوق فـي وطنه وعلى ارضه . والى ان يتم هذا الحفاظ على الارض والتمسك بها والصمود والبقاء والثبات في اوطانها وعـدم النزوح عنها مهمـا كانت الضغوط والاسباب والدوافع ، فهذه الارض وهذا الوطن ليسا ملكا لاجيالنا فقط بل هـو ملك للعرب اجمعين على مر الاجيال والعصور . فقد انتقلت الينا من ابائنـا واجدادنا واجداد اجدادنا واسلافنا ، وهي امانة في عنقنا ، وعلينا ان نحفظها ونحافظ عليها ونسلمهـا سليمة كاملة غير منقوصة الى ابنائنا واحفادنا . فنحن لا نملك حق التخلي عنهـا أو نقلها للغير فهي في تدرفنا فقط واما رقبة الارض كرقبة ارضـ الوطن العربـي كله من المحيط الى الخليج فهي ملك الاجيال العربيـة منذ ان ظهـرت على مسرح التاريخ ، وفي الاحتفاظ بشخصيتنا العربية ، وهويتنا الفلسطينية وتاكيدهمـا . وهكذا نسهم في احلال السلام والامن وتحقيق العدل والرخاء في هذه المنطقة وفي العالم اجمع ، ونكرم ذكراه احسن تكريم .

المبادىء الاساسية لحل القضية الفلسطينية :

وعدت مرة اخرى في ٤ ــ ٢ ــ ١٩٧٧ ابسـط رايي فـي الصحيفة نفسها (القدس) حول المبادىء الاساسية التي يجب ان نركز عليها في معالجة القضية الفلسطينية في المرحلة الحاضرة ، اي في مستهل عام ١٩٧٧ .

« كثر الكلام في الاسابيع الاخيرة عن حملة السلام العربية والمطالبـة بعقـد مؤتمر جنيف في ربيع او صيف هذه السنة ، وعن كيفية الذهاب اليه ، بوفد عربـي موحد يشمل جميع الدول العربية التي اشتركت فـي المؤتمر الاول ومنظمـة

التحريـــر الفلسطينية ، الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب العربـــي الفلسطينى حيثما تواجد ، او بوفود مستقلة لكل من دول المواجهة ومنظمة التحرير الفلسطينية الطرف الاساسي والرئيسي في النزاع

كذلك كثر اللغط حول توسيع المجلس الوطني الفلسطيني وزيادة عدد اعضائه كما تحدث البعض عن تبديل قيادة المنظمة او ادخال تعديلات عليها ، وكل هذا في اعتقادي امور ثانوية تأتي في الدرجات الاخيرة من سلم الاهمية ، او تحصيل حاصل ومضيعة للوقت وتبديد للجهد . فمسالة تمثيل الشعب العربي الفلسطينى قد بت فيها واجمع عليها في مؤتمرات الرباط والرياض والقاهرة والجمعية العموميـــة للامم المتحدة . ولا مجال للبحث في من يمثل الشعب العربي الفلسطيني ، كما وانه لا يمكن بحث اي حل او تسوية للقضية الفلسطينية دون اشتراك الشعب العربى الفلسطيني ممثلا بمنظمته ، منظمة التحرير الفلسطينية بوفـــد مستقل وعلى قدم المساواة مع جميع الوفود المشاركة في المؤتمر . كذلـــك لا لزوم ولا داعي البتة لاجراء تغييرات او تبديلات في قيادة المنظمة و توسيع المجلس الوطني واضافـــــة اعضاء جدد لهم ، فالمنظمة كما هي ، والمجلس الوطني، هما رمز المقاومةالفلسطينية والتعبير الصادق عن اماني الشعب العربي الفلسطيني فـــي الحرية والاستقلال واستعادة حقه في تقرير مصيره بنفسه وعلى ارضه وفي وطنه . ولا اهميةبعد هذا ان كان المجلس مؤلفا من ١٠٠ او ٣٠٠ عضو ، او ان كانت القيادة تتكون من فـــلان او علان ، طالما انها تعبر باخلاص وامانة عن اماني الشعب العربي الفلسطيني وتعمل وتكافح من اجل تحقيق هذه الاماني .

الاهم من هذا كله هو بحث واقرار المبادىء الاساسية والخطوط العريضة التى يجب اتباعها في هذه المرحلة من مراحل تطور القضية الفلسطينية . واول هـــــذه المبادىء ، تحديد الحد الادنى من المطالب التي لا يجـــوز لاي كان التنازل عنها او المساومة عليها في اية حال من الاحوال ، وهذا ما يجب ان يبحثه ويقره المجلس الوطني الفلسطيني ، بصفته الممثل للشعب العربي الفلسطيني ، مصدر السلطات ، المزمع عقده خلال هذا الشهر . وفي رايي يجب أن تتضمن هذه المطالب :

١ ـــ الانسحاب الكامل والجلاء غير المشروط عن جميع الاراضي العربية التى احتلت في حرب حزيران عام ١٩٦٧ .

٢ ـــ الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه فـــي وطنه فلسطين وعلى ارضه ، واقامة دولته الديمقراطية المستقلة استقلالا ناجزا تاما وذات السيادة الكاملة غير المنقوصة ، تتمتـــع بجميع المقومات والامكانيات والحقوق التي تتمتع بها جميع الدول المستقلة ذات السيادة وفي مقدمتهـــا حـــق الدفاع عن الشعب والارض والوطن وحمايتهم ، ولا تقنع او تكتفي باي ضمانات دولية ، بل تكون هذه متممات ومكملات للقدرة الدفاعية الذاتية لا بديلا عنها .

٣ ـ تمكين الشعب العربي الفلسطيني من ممارسة هذه الحقوق وتجسيدها عن طريق نقل السلطة الى منظمة التحرير بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني .

٤ ـ الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى ديارهم ومواطنهم الاصلية وضمان تامين هذه الحقوق باتخاذ الاجراءات والخطوات اللازمة لتمكينهم من العودة .

٥ ـ الاحتفاظ بحق المطالبة بحقوق الشعب العربي الفلسطيني في بقية الوطن الفلسطيني ما بين النهر والبحر والعمل والسعي لاستردادها بالوسائل الدبلوماسية والسلمية

هذا في ما يخص المبادىء الاساسية التي يجب ان ترتكز عليها اية تسوية ، واما في ما يتعلق بالوسائل فارى ان تؤكد منظمة التحرير على :

١ ـ حقها ورغبتها في الاشتراك في اية مباحثات تستهدف الوصول الى تسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي بهدف تحقيق هذه المطالب كلها كاملة دون حذف او تغيير .

٢ ـ وجوب تمثيلها بوفد مستقل لابراز وتاكيد الشخصية والهوية الفلسطينية التي حاول ويحاول الكثيرون طمسها ودثرها والاعفاء عليها ، وانها هي الفيصل والمقرر في ما يتعلق بحقوق الشعب العربي الفلسطيني .

٣ ـ ان تقوم بالاتصال والتنسيق مع جميع الدول العربية الشقيقة ، وخاصة دول المواجهة مصر وسوريا والاردن ، المشتركة في مؤتمر جنيف لاعتماد خطة مجابهة مشتركة تتقيد وتلتزم بالمبادىء التي سبق ذكرها ، ورفض اية تسوية منفردة او جزئية .

٤ ـ تعبئة طاقات جميع الدول والشعوب العربية لدعم هذه الجبهة وتأييدها ومساندتها

٥ ـ القيام بحملة مكثفة لكسب تاييد جميع القوى المحبة للحرية والسلام في العالم اجمع .

ولا يغربن عن البال ان مؤتمر جنيف ليس غاية في حد ذاته بل وسيلة لتحقيق مطالبنا القومية العادلة بالتي هي احسن وبالوسائل السلمية ان امكن ، ولذا فيجب علينا ان نبقى على اهبة الاستعداد لمواصلة النضال والكفاح وسلوك الطريق الوعر ان لم يتحقق عقد مؤتمر جنيف في وقت قريب ومحدد ، او لم يحقق في امد محدود ما نرجوه منه او نعلقه عليه من امال ، والا ندعه يتحول الى ملهاة ومضيعة

للوقت والجهد ، واداة للمماطلـــة واستمرار الاحتلال والاستيطان والتغييرات الجغرافية والبشرية .

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا   فما حيلة المضطر الا ركوبها

حول زيارة السادات للقدس سنة ١٩٧٧ :

وكتبت معلقا على زيارة السادات للقدس فـــي ١٩ — ١١ — ١٩٧٧ المقالة التالية ، التي حالت الرقابة دون نشرها ، تحت عنوان :

« مبادرة سلام ام بادرة استسلام » ؟

لا اريد ان استبق الحوادث ولا ان اسيء الظن ، ولكن على الرغم من هذا كله لا استطيع ان اكتم ما يساور الشعب من القلق ويخامره من المخاوف من الا تـــؤدي التطورات الاخيرة والاحداث المتسارعة على الساحة العربية الاسرائيلية ، ليـــس فقط الى عدم استخلاص الحقوق المغتصبة وتحقيق الاماني القومية للشعوب العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة ، وارساء السلام العادل في هذه المنطقة من العالم ، بل الى الرضوخ لمزيد من الابتزازات وتكريس العدوان كله او جله وتبديد واهـــدار التضحيات والجهود التي بذلها والمكاسب التي حققها نضال الشعوب العربية عامـــة والفلسطيني خاصة ، والاستســـلام .

ففي الساعة التي اعلن فيها الرئيس السادات عن قراره وعزمه على المجيء الى القدس في ظل الاحتلال الاسرائيلي وتحت حراسة حرابه ، اعلن بيغن رئيس وزراء اسرائيـــل عن رفضه مقدما الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وانه يعتبرها مناطق اسرائيلية محررة وجزءا لا يمكن التنازل عنه من ارض اسرائيـــل . كما وانـــه اعلن ايضا بصفاقة وتحد رفضه الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقريـــر مصيره بنفسه وفي وطنه فلسطين ، واقامة دولته المستقلة ذات السيادة الكاملـــــة ، والاستجابة الى أية مطالب من هذا القبيل قد يتقدم بها الرئيس السادات الذي صرح مرارا وتكرارا بانـــه يتمسك بهذه المطالـــب .

فلست ادرك وافهم وايم الحق كيف يظل الرئيس السادات متمسكا بقراره هـــذا ويقدم على تنفيذه بعد هذا كلـــه . اللهم الا أن يكون على ثقة بان الاسرائيليين يبطلون ما لا يظهرون ويخفون ما لا يعلنون ، وانه قادر على اقناعهم بالحجة والمنطق علـــى التسليم والرضوخ للحق او ان يكون هو ، وهذا ما لا اريد ان أصدقه او حتى اتصوره، على استعداد لبعض التنازلات او التفريط بحقوقنا المشروعة لا سمح الله .

ولكي لا يساورنا او يساور الشعوب العربية ادنى شك في هذه الامكانية ، فانني اعيد على مسامع سيادة الرئيس واكرر الحد الادنى من المطالب التي لا يجوز بـــأي حال من الاحوال التنازل عنها او المساومة عليها . وهذه المطالب تتلخص فيما يلي :

١ — الانسحاب الكامل والجلاء غير المشروط عن جميع الاراضي العربية التـــي احتلت في حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، الضفة الغربية بما فيها القدس العربيـــــة ،

وقطاع غزة وسيناء ، والجولان .

٢ــ الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه في وطنه فلسطين وعلى ارضه ، واقامة دولته الديموقراطية المستقلة استقلالا تاما ناجزا وذات السيادة الكاملة غير المنقوصة ، تتمتع بجميع المقومات والامكانيات والحقوق التي تتمتع بها جميع الدول المستقلة ذات السيادة الكاملة ، وفي مقدمتها حق الدفاع عن الشعب والارض والوطن .
ولا تقنع او تكتفي باية ضمانات دولية ، بل تكون هذه الضمانات متممات ومكملات للقدرة الدفاعية الذاتية لا بديلا عنها .

٣ــ تمكين الشعب العربي الفلسطيني من ممارسة هذه الحقوق وتجسيدها عن طريق نقل السلطة الى منظمة التحرير بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربى الفلسطيني .

٤ــ الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى ديارهم ومواطنهم الاصلية، وضمان تأمين هذه الحقوق باتخاذ الاجراءات والخطوات اللازمة لتمكينهم من العودة .

٥ــ دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في اية مباحثات تستهدف الوصول الى تسوية النزاع العربي الاسرائيلي بهدف تحقيق هذه المطالب كلها دون نقص او تغيير ، والتأكيد على انها هي الفيصل والمقرر فيما يتعلق بحقوق الشعب العربي الفلسطيني .

٦ــ رفض ، وعدم الموافقة على اية تسوية منفردة او جزئية .
وكلي امل ولعلي يقين بان سيادة الرئيس لن يتهاون بها او يفرط فيها ، وانه سيجعل منها « أما والا فلا » .

ومسؤولية ما قد يتبع ذلك تقع على راس من يرفضها ، ولقد اعذر من انذر .

مرة اخرى اكرر ان هذه المطالب هي الحد الادنى للتسوية المرحلية ولتحقيق سلام شبه عادل في الظروف الراهنة .

وكل ما هو دون هذا هو استسلام وليس سلاما .
وعلقت على خطابه في الكنيست في المقالة التالية :

وهكذا فالتطورات الاخيرة .

« وهكذا فالتطورات الاخيرة وخطاب الرئيس السادات وخطاب بيغن بدل ان يبددا المخاوف ويزيلانها اكداها وزاداها . هذا بالاضافة الى ان مجيء الرئيس بحد ذاته هو تنازل وخروج على الاجماع العربي والتقاليد الدولية المتعارف عليها ومفاهيم حركة التحرر العالمية . لانه تم قبل ان يعلن الطرف الاخر في النزاع صراحة عن استعداده مبدئيا للانسحاب والاعتراف بالشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره بنفسه في وطنه فلسطين واقامة دولته المستقلة مقابل السلام . فخطاب السيد الرئيس جاء مخيبا لامال الشعوب العربية لخلوه واغفاله المبادىء الاساسية التالية :

١ــ التأكيد على وجوب واشتراط اعتراف اسرائيل مبدئيا بالشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره ، وهو كما ذكر في خطابه ، من البديهيات ، في الوقت الذي لا تزال اسرائيل تردد مرارا وتكرارا انها لا تعترف بمجرد وجود شعب عربي فلسطيني ، هذا فضلا عن حقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة والاعلان الصريح عن قبولها مبدأ الانسحاب الكامل مقابل السلام ، قبل ان يعترف هو بها ويدخل في اية مباحثات او مفاوضات معها .

٢ ــ عدم تحديد الممثل الشرعي للشعب العربي الفلسطيني اي منظمة التحرير الفلسطينية التي يجب ان تكون الطرف الرئيسي في اية مفاوضات او مباحثات، ما دامت القضية الفلسطينية هي جوهر النزاع . وهذا التفاف حول مقررات مؤتمر الرباط وما اعقبه من مؤتمرات ، ان لم يكن نقضا او تراجعا تاما عنها .

٣ ــ عدم التأكيد على حقوق اللاجئين في العودة الى اوطانهم الاصلية والتى اقرتها حتى هيئة الامم ومجلس الامن .

٤ ــ اكتفاؤه بالتحدث عن عدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير بالقوة ، دون التاكيد على رفض الاستيلاء على اية اراض بالقوة او غير القوة .... وهذا يترك الباب مفتوحا امام امكانية الاستيلاء على اراض بالمقاوضات والاتفاق ، اى التنازلات مثلما حدث بشأن المثلث . وهذا ما تسعى وتحاول اسرائيل تحقيقه عن طريق المفاوضات الثنائية وغيرها .

٥ ــ تناقض الخطاب مع واقع تصرفات الرئيس فلو كان جادا بانه لن يعقد صلحا منفردا او تسوية جزئية ، فلماذا لم ينسق او يتشاور مع دول المواجهة وعلى الاخص سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية قبل اتخاذه قراره والحضور الى اسرائيل فعلا ، والاكتفاء بالقول بأن اي اتفاق منفرد او جزئي لن يكون حلا دائما ، اذ ان هذا يترك امكانية اتفاق جزئي قائمة ، على اعتبار انه خطوة نحو الحل .

٦ ــ والاخطر من هذا كله اعتماده محادثات او مفاوضات اسرائيلية امريكية مصرية فقط لاقرار الحل او الحلول وبعد ذلك طرحها على مؤتمر جنيف لاضفاء اللمسات الاخيرة عليها واعطائها الصبغة الدولية واقرارها ، ي محاولة فرضها على من قد يعترض عليها كمنظمة التحرير والشعوب العربية . »

وبعد مضي شهر على زيارة السادات للقدس :

وبعد مضي شهر على زيارته للقدس وخطابه في الكنيست عالجت الموضوع في مقالة نشرت في جريدة القدس بتاريخ ١٤ ــ ١٢ ــ ١٩٧٧ عنوانها :

والان مــاذا ؟؟

« لقد مضى ما يقارب الشهر على مفاجأة الرئيس انور الساداتوزيارته للقدس،

ولا يبدو في الافق ما يبشر باستجابة اسرائيل للمطالب التي طرحها أمـــام الكنيســـت ولا تزال الحكومة الاسرائيلية ماضية في تنكرها للشعب العربي الفلسطيني ، ورفضها الاعتراف بحقه في تقرير مصيره أو التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ولا يزال قادتها يرددون عدم استعدادهم للانسحاب من الاراضي المحتلة ، بـل واكثر مـن ذلك فهم لا يزالون يقيمون المستوطنات حتى بعد الزيارة ، ويفسرون السلام علـى انه الحفاظ على الوضع الراهن والتسليم بالاحتلال واقتطاع اجزاء من الوطن العربي في سيناء ، والجولان وابقاء الضفة الغربية تحت سيطرتهم واحتلالهم . وفي أقصى حالات التساهل وأحسنها استعدادهم لاقتسامها وظائفيا مـع الاردن ، شريطـة تحويلها الى جسر مفتوح بين اسرائيل وجميع أرجاء العالم العربي ، أو منحها حكما ذاتيا تحت السيادة الاسرائيلية .

كذلك لم تسفر الزيارة عن اي تغيير في السياسة الاميركية فلا تـزال الحكومـة الاميركية تصوت ضد كل مشروع قرار في صالح الشعب العربي الفلسطيني في الامم المتحدة والمنظمات التابعة لها والمنبثقة عنها وتعارض كل القرارات التي تدعو الـى الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، والى انسحاب اسرائيل الى حدود ٤ حزيران ، أو شجب تصرفاتها واجراءاتها في الاراضي المحتلة حتى بعد زيارة الرئيس السادات للقدس ومبادرته السلميـة .

هذه على وجه الاجمال حصيلة الاعتماد على اميركا ووضع مقاليد الحل في يدها . لكن يبقى السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح وبشدة : ماذا يمكن أن نفعل ؟

في رايي يجب عدم الاستسلام والعمل على توطيد أواصر الوحدة الوطنيـة علـى الصعيدين المحلي في المناطق المحتلة وفي العالم العربي اجمع وتمتين التضامن بينها ، وتعزيز أواصر الصداقة والتعاون والتنسيق مع جميع قوى التحرر والسلام القائـم على العدل في العـالم .

وهذه السياسة قد اثبتت جدواها ونجاعتها في عدم الاستسلام والصمود ودحـر العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وعدم الاستسلام عقب حرب حزيران ١٩٦٧ والصمود ، وتعاظم العمل الفلسطيني منذ تلك الحرب وبعث هوية الشعب العربي الفلسطينـي من جديد ، وبناء القوة العربية في مصر وسوريا والعراق والجزائر وليبيا . وهـذه السياسة قد تكللت بالعبور في حرب تشرين عام ١٩٧٣ وتحطيم خرافـة التفـوق الاسرائيلي على الصعيد العسكري . كما وادت الى عزل اسرائيل واميركا في المحافل الدولية والراي العام العالمي والامم المتحدة ، والى اعتراف الاخيرة بالشعب العربي الفلسطيني وبحقه في تقرير مصيره بنفسه في وطنه فلسطين وبمنظمة التحرير وبحقـه في اقامة دولتـه المستقلة ، واقرار مشروع لجنة العشرين الذي يقضي بالانسحاب التام من جميع الاراضي العربية واقامة الدولة الفلسطينية المستقلـة ، والى اعتـراف

جميع الهيئات والمنظمات المنبثقة عن الامم المتحدة بمنظمة التحرير بشكل او باخـر .
واضطرت الولايات المتحدة الى التفكير في اعادة تقييم سياستها تجاه العـرب وتغيير تكتيكها ومحاولة استرضائهم بعد ان كانت تضرب بهم عرض الحائط ولا تعـيرهم اي اهتمام ، والتحدث عن الشعب العربي الفلسطيني وقضيته وعـن وجوب انسحـاب من المناطق المحتلة بعد صمت وتجاهل استمر عشر سنوات .

هذه هي حصيلة العمل العربي منذ سنة ١٩٦٧ حتى الان . ومـن اجل استكمـال هذه المكاسب والانتصارات وتحويلها الى واقع فعلي يتجسد بالانسحاب الكامـل واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة يجب المضي والاستمرار في الصمود حتـى تتحقق مطالبنا العادلة وحقوقنا المشروعـة .

ومن اجل الوصول الى هذا الهدف المقدس والمشروع يتحتم :

اولا ــ اعادة بناء وحدة الصف والهدف العربيين ورأب التصدع في التضامـن العربي على الصعيدين الحكومي والشعبي واقرار موقف موحد تلتزم بـه جميـع الشعوب والدول العربية تجاه التطورات الاخيرة .

ثانيا ــ الطلب من الدول العربية المنتجة للنفط تحمل مسئولياتها كاملة والارتفـاع الى مستوى تلك المسئوليات :

أ ــ بقطع النفط عن الدول التي لا تؤيد العرب وتتنكر للشعب العربي الفلسطينـي وحقوقه وتشجع اسرائيل على الاستمرار في تصلبها ومواصلة احتلال الاراضـي العربيـة .

ب ــ بسحب ارصدتها المالية من البنوك الاميركية والغربية الممالئة لاسرائيـل .

جـ ــ استثمار هذه الاموال وتوظيفها في الدول العربية لتطويرها ومساعدتها علـى بناء قواتهـا .

د ــ تعزيز اواصر الصداقة والتعاون والتنسيق مع الدول والقوى المؤيدة للحـق العربـي .

هذا هو البديل الوحيد الذي يكفل لنا استرداد حقوقنا وتحقيق مطالبنا واستعـادة كرامتنـا . »

وعلى اثر لهج البعض بأننا نتسرع في رفض كلما يعرض علينا ، واننـا مصابـون بداء السلبية ، وايحائهم من طرف خفي ، ان لم يكن بقبول ما يعرضـ ، فالتريـث والدخول حوار حوله مع من يعنيهم الامر ، اوضحت في مقال نشرته في جريدة القدس بتاريـخ ١١ــ١٠ــ١٩٧٨ رايي في هذا الصدد تحت عنوان :

الرفضـ وحقوقنـا

« يتهم البعض الحركة الفلسطينية بالتعنت والتصلب وما يسمونه بسلبيتها وجمودها وتمسكها بكلمة « لا » ورفضها لكل ما يعرض من حلول للقضية الفلسطينية ، بادئيـن

بوعد بلفور والانتداب وما كانت تعرضه بريطانيا بين الحين والاخر من مجالس تشريعية واستشارية وكتب بيضاء وتصاريح ، منتهين الى اتفاقيات كامب ديفيد الاخيرة بين السادات وكارتر وبيغن ، ويشجبون المسارعين الى رفضها ويحذروننا من سوء المصير واستمرار الاحتلال اذا ما رفضنا الاتفاقيات الاخيرة ، وواصلنا قول كلمة « لا » .

وهذه الاقوال ليست جديدة فقد ترددت منذ فجر الحركة الوطنية في فلسطين عقب الحرب العالمية الاولى واحتلال الانكليز لهذه البلاد ، فكان هناك من قول بالاخذ بسياسة « خذ وطالب » والتدرج نحو الاستقلال والتحرر ، وينادي بقبول الانتداب والسعي مع الدولة المنتدبة الى تعديله او تحويره بحيث ينسجم مع مطالبنا القومية تماما كما يدعي البعض اليوم الى التريث والدخول في حوار مع الولايات المتحدة واسرائيل في اطار اتفاقيات كامب ديفيد بقصد تعديلها لما فيه مصلحة أمتنا .

واليوم كما في الماضي ، تغفل هذه الجهات او تتجاهل نصوص اتفاقيات كامب ديفيد ومضامينها كما تجاهل غيرهم في الماضي نص صك الانتداب ومضمونه وكون وعد بلفور في صلب هذا الصك وجزءا لا يتجزأ منه ، وان الانتداب على فلسطين بني على اساسه ، وان جميع المجالس التشريعية او الاستشارية التي عرضت في حينها لم تشمل صلاحياتها المسائل الاساسية والحيوية « وعد بلفور والانتداب نفسه والهجرة وبيوع الاراضي » وانها لم تكن تملك اي سلطات تنفيذية وان كل قراراتها ومشاوراتها خاضعة للمندوب السامي الذي يتمتع بحق الفيتو والنقض والابرام ، وان السلطة الفعلية تبقى منحصرة فيه ، وانه هو نفسه مقيد بنص وروح صك الانتداب المتضمن وعدا باقامة الوطن القومي اليهودي ، والذي كانت الحكومة البريطانية تتستر وراءه كلما طالب العرب بالغاء وعد بلفور وانهاء الانتداب واقامة حكم وطني زاعمة ان هذه التزامات منها او الغاءها بمفردها او من طرف واحد .

كما وانه من غير الصحيح ان العرب كانوا يرفضون كل اقتراح يعرض عليهم ، فالحقيقة انه كلما كانوا يقبلون باقتراح ويحاولون تعديله لمصلحتهم كانوا يصطدمون بمسالة الهجرة اليهودية وبرفض الحكومة البريطانية تخويل اي المجالس صلاحية الاشراف عليها والبت فيها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر دخل بعض الزعماء العرب سنة ١٩٢٦ في حوار مع المستر ملز ، السكرتير العام لحكومة فلسطين انذاك وقطعوا شوطا كبيرا في التفاوض معه حول انشاء حكم وطني او حكومة ذاتية في البلاد واكتفوا بان يتضمن الدستور المقترح لا الغاء تعهدات بريطانيا الدولية كوعد بلفور واقامة الوطن القومي اليهودي وانما تحفظا يقول ، ان اهالي فلسطين لم يستشاروا في ما اتخذته حكومة بريطانيا من تعهدات دولية بشأن بلادهم ، وحتى هذا لم تقبل به بريطانيا والصهيونية طبعا .

كذلك رفضت الحكومة البريطانية الموافقة على الاتفاق الذي توصلت اليه

المباحثات غير الرسمية بين جون فلبي والزعماء العرب في سوريا وفلسطين عـام ١٩٢٩ . كذلك كانت الحكومة البريطانية تتراجع عن كل كتاب ابيض يحوي ايـة اجراءات في صالح العرب من حيث تحديد الهجرة او اقامة حكومة وطنية .

واما نظام الكانتونات فلم يكن الا بداية للتقسيم ولقد كانت الحركة الوطنية على حق في رفضه لانه كان يقضي بتشريد قسم من السكان العرب عن مواطنهم الاصلية والتنازل عن اجزاء من التراث القومي وتأييد الاحتلال البريطاني والانتداب وخلـق النواة للدولة الاسرائيلية .

فهذه « الفرص المضاعة » التي يتحدث عنها البعض لم تكن في الحقيقة الا وسائل لحمل العرب على القبول بحرمانهم من حقهم في تقرير مصيرهم والتنازل بأنفسهم عن حقوقهم القومية الطبيعية في الحرية والاستقلال واضفاء الصبغة الشرعية على الانتداب بحيث انها تمت بموافقة السكان انفسهم ، وهذا ما تحاول اتفاقيات كامب ديفيد تحقيقه الان، وليس من الصحيح ابدا الزعم أن الحكومة الاميركية واتفاقيات كامب ديفيد نصـت على الاعتراف بحقوق الفلسطينيين المشروعة بما فيها حقهم في تقرير مصيرهم واقامة دولتهم المستقلة ذات السيادة . ولو كانت الحكومة الاميركية تعترف حقا بحقـوق الشعب العربي الفلسطيني القومية المشروعة لما صوتت في الامـم المتحـدة ضـد الاعتراف بهذه الحقوق ورفضت مقررات لجنة العشرين التي تنص على انسحاب القوات المحتلة من جميع المناطق المحتلة « الضفة بما فيها القدس العربية وقطـاع غزة » والاقرار بحق الفلسطينيين حيثما تواجدوا في تقرير مصيرهم واتاحة الفرصة لعودة اللاجئين الى مواطنهم الاصلية ، واقامة دولتهم المستقلة ذات السيادة .

ان القول بأن الحكومة الاميركية تعترف بالحقوق القومية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني زعم ينقضه السجل الحافل لموقف الولايات المتحدة من القضية الفلسطينية في الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن وتصرفاتها ودعمهـا المتواصـل لاسرائيـل .

وكذلك التقسيم الجديد فانه يفرض التنازل عن القسم الاكبر من وطننا الاصلـي ووضع ما يقارب نصف الشعب العربي الفلسطيني تحـت حكـم وسيادة الدولـة الاسرائيلية . وللانصاف يجب أن نذكر ان التقسيم الجديد ليس تقسيم الامم المتحدة لعام ١٩٤٧ ، بل قسمة انطوت على حرمان الشعب العربي الفلسطيني من اقامـة دولته المستقلة ذات السيادة وممارسة حقه في تقرير مصيره .

وهكذا يتضح ان الادعاء بأن سياسة الرفض هذه هي التي اوصلتنا الى ما نحـن عليه غير صحيح وغير مطابق للواقع لكن الحقيقة هو أن ما نعاني منه الان هو حصيلة تآلب قوى الاستعمار والاخطاء التي وقعت فيها الحركة الوطنية والتقصير الذي رافق مسيرتها . ولكن يكفيها انها رفضت الاستسلام والتوقيع على صك التنازل عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية في الحرية والاستقلال والسيادة الكاملة وتقريـر

مصيره بنفسه ووحدة أراضيه .

لقد اتيح لنا انتزاع الاعتراف الدولي ممثلا بالجمعية العامة للامم المتحدة ، بحقنا في تقرير مصيرنا واقامة دولتنا المستقلة ذات السيادة وهذه السياسة قد قاربت أن تأتي اكلها وتمكننا من اقتطاف ثمرة صمود هذا الشعب فلنحذر من التفريط في حقوقنا واضاعة فرصة تحقيق اكبر قسط منها والله مع المؤمنين بحقوقهم والصابرين .

اتفاقيات كامب ديفيد :

وبعد ان عقدت اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وامريكا واسرائيل أوضحت رايي في هذه الاتفاقيات وناقشتها وحللتها في محاضرة القيتها في نادي الخريجين العرب في القدس ١٩-١٠-١٩٧٨ فيما يلي نصها :

« قراءة فلسطينية لاتفاقيتي كامب ديفيد »

يسعدني جدا أن التقي واياكم لاستعراض وتدارس أوضاعنا ومشاكلنا على ضوء التطورات الاخيرة واتفاقيات كامب ديفيد . وأشكر نادي الخريجين على اتاحته لنا هذه الفرصة .

وقبل أن اتطرق الى التحدث عن هذه التطورات والاتفاقيات ، أود أن اعرض لكم مفهومي لحقوقنا ، حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية . ومنذ البدء أقول واقرر بأن الحقوق تعني بالبداهة انها مشروعة ، والا لما كانت حقوقا بل ادعاءات ومزاعم تحتمل أن تكون مشروعة أو باطلة .

فمطالبنا وادعاءاتنا طبيعية ومشروعة ولهذا فهي حقوق . وعلى النقيض فادعاءات الخصوم والغير ليست حقوقا بل مزاعم باطلة وافتراءات على الواقع وتجن عليه . من هذه المزاعم ادعاء الصهيونية بان هذه البلاد هي ارض اسرائيل ، وزعم الامبريالية الغربية من أمريكية وبريطانية وفرنسية وغيرها ان لهم فيها مصالح خاصة وممتازة علاوة أو زيادة على المصالح المتبادلة التي تنشأ بين شعوب وسكان كوكب واحد .

وبهذا الصدد أقرر بأن الحقوق الطبيعية تولد وتنشأ مع الانسان ، وليست منحة او عطاء من ملك أو أمير او دولة أخرى ، او مجموعة من الدول منفردة او مجتمعة . اذ ليس لاحد ان يقرر شخصية فرد او شعب الا ذلك الشخص او الشعب نفسه ،

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) ولاتحددهاالقوانين فالقوانين من صنع الانسان نفسه وليست منزلة . ولا حق لدولة او مجموعة من الدول ان تبت في مصير شعب اخر او تقرر مصيره وان تسن قوانين وتفرضها عليه . كما انه لا يحق لاية دولة أو سلطة ان تجرد شعبا أو فردا من جنسيته وهويته . والقوانين لا تكون مشروعة أو شرعية الا اذا سنها الشعب والمجتمع نفسه بعد التشاور والدراسة الدقيقة والاتفاق . فالشعب وحده هو مصدر السلطات والقوانين . وامرهم شورى بينهم . وكل قانون غير صادر عن الشعب بمجموعه وبمحض ارادته وكامل حريته

واختياره دون قصر أو اكراه باطل ولاغ . ولذا فالانتداب وما نجم عنه باطل وغير مشروع . وكذلك وعد بلفور وما تمخض عنه .

ولا يغير من هذا قرارات عصبة الامم ومؤتمر كامب ديفيد .

وهذه الحقوق الطبيعية ، حقوق اي شعب مطلقة لا يحدها الا حقوق الشعوب المجاورة في أوطانها واراضيها والتي تبادله الاعتراف بحقوقه والاحترام وتلتزم حدودها، ولا تطلع الى توسيعها على حساب جيرانها أو الغير ، وتحترم السلامة الاقليمية وسيادة كل شعب على أرضه ووطنه .

هذا هو مفهومي للحقوق الطبيعية للشعوب عامة . وعلى هذا الاساس فحقوقنا ، حقوق الشعب العربي الفلسطيني تتلخص فيما يلي :

١) حقه غير المنازع في البقاء والعيش في وطنه في حرية وامن وكرامة . وفي الحفاظ على هويته وشخصيته التي اكتسبها بمجرد ولادته ونشأته في هذا الوطن وبين ظهرانيه . ولا يحق لاحد تجريده من هذا الحق او اجلاؤه عن وطنه او تشريده منه .

٢) حقه في الحرية والاستقلال التام والسيادة المطلقة على ارضه ووطنه . على ان لا يتعدى على حريات واوطان الشعوب الاخرى . وهذا الحق ايضا لا يجوز انتزاعه منه او سلبه . ومن يفعل فقد اعتدى عليه . ويجب على الشعب المعتدى عليه رد العدوان والتصدي له ومقاومته ومحو اثاره . وهذا الواجب فرض عين لا فرض كفاية .

وانا لقوم ابت اخلاقنا شرفا ان نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا

٣) حقه في حكم نفسه بنفسه ، والتصرف بثرواته وموارده الظاهرة والدفينة ، وتنظيم شؤونه على الوجه الذي يرتئيه ويرتضيه ويجمع عليه . وهذا الحق لا يقتصر على التحرر من السيطرة الاجنبية فقط بل يعني ايضا التحرر من اية سيطرة داخلية لا يقرها هو نفسه بملء ارادته ومحض إختياره دونما قصر او اكراه . اي سيطرة فرد او طبقة او فئة ايا كانت . كما وانه يعني التحرر من الاستغلال . فلا تستغل فئة او طبقة فئات او طبقات اخرى او فرد افرادا آخرين . فالناس في الحقوق والواجبات سواسية كاسنان المشط افضلهم انفعهم للمجتمع واحبهم الى الله انفعهم لعباده .

كما ويجب ان يرتكز الحكم على الديمقراطية باوسع معانيها . اي ان يتاح ويأمن للشعب المشاركة الفعالة فيه ، والا يكون وقفا على فرد او افراد او اشخاص معدودين او فئة او طبقة معينة دون اخرى . وان يكون الحكم مسؤولية وتضحية

وانكارا للذات وتفانيا في سبيل المجموع ومن اجله . لا استعلاء او سيطرة وتسلطـا وتحكما واستغلالا ومغنما ووسيلة للاثراء على حساب الشعب . هذه هي الارضية او الخلفية ، حسب مفهومي وفي رايي التي يجب ان ننطلق منها لنعرف ونحدد حقوقنا ، وعلى هذا فحقوقنا حقوق الشعب العربي الفلسطيني هي :

١) الشعب العربي الفلسطيني جزء لا يتجزأ من الامة العربية الكبيرة ، ولا يمكن فصله عن بقية الشعوب العربية ، فهو جزء من كل . ولا قيام او بقاء له الا بالوحدة العربية الكاملة الشاملة .

٢) فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير الذي يمتد من المحيطالاطلسى غربا الى الخليج العربي شرقا .

٣) حقوق الشعب العربي الفلسطيني تعني حقه الغير منازع في كامل التراب والوطن الفلسطيني الممتد من البحر غربا الى الصحراء العربية شرقا . وهو ما تعارف عليـه العـرب والمسلمون طيـلة اربعة عشر قرنا كجـنـد فلسطين ، وقد استوطنها هذه الحقبة من التاريـخ بلا انقطاع . فهـي وطنه بحكم اقامته فيها واستمرار بقائه طيلة هذه القرون وبعدم تنازله او تخليه عنها حتى في احلك الظروف .

وتجدر الاشارة بهذه المناسبة الى ما ياخذه البعض منا على الحركة الوطنيـة الفلسطينية من تصلـب وعناد ورفضه كل المشاريع التـي عرضت في السابق والمعروضة الان . فان ما يسمونه بالسلبية هو الايجاب بعينه . اذ هو الذي حفظ لنا حقوقنا فلولا هذا الرفض للتنازل ولولا التمسك بحقوقنا كاملة غير منقوصة لما ظلت دعوانا قائمة ، ولماكنا الانفي الوضع الذي يمكننا من انتزاع حقوقنا واستردادها اذا ما واصلنا العمل الجاد من اجل ذلك ورفضنا التنازل عنها . اذ ان كل ما عرض في الماضي وما يعرض اليوم لم يكن الهدف منه الا خداعنا والتغرير بنا للحصول على تنازل منا والتخلي عن هذه الحقوق كلها او بعضها . فمن البديهيات انه حينما يعتدى احد عليك او على ملكك او حقوقك ان لا ترضى بهذا الاعتداء او تقره ، وان تستنكره وتشهد الناس عليه ، وتعلن تمسكك بحقوقك وتقيم الدعوى على المعتدى او المغتصب وتلاحقها وتستمر في هذه الملاحقة حتى تستخلص حقك وتزيل العدوان. هذا بالرغم عما قد تستغرقه الدعوى والقضاء على العدوان ومحو اثاره من زمن او تستلزمه من جهود واعداد ، مع العلم بانه لا يكفي ان تكون محقا في دعواك حتى تتمكن من كسبها . بل لابد لذلك من المساعي والبراهين والمستندات والاعداد المحكـم . فالحـق تعوزه قنـا وبنـود .

على انه فيرأيي وحسب مفهومي لحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، فان هذه الحقوق لا تقتصر على حقه في وطنه الذي ولد وتواجد فيه ، بل يتعدى هذه الرقعة الضيقة فلسطين ليشمل حقه في الوطن العربي الكبير ، الذي ليست هذه البقعة ،

فلسطين ، الا جزءا لا يتجزأ منه والذي يمتد من الخليج الى المحيط ، كما وان الشعوب العربية الاخرى القاطنة في اجزاء هذا الوطن الكبير صاحبة حق ايضا في فلسطين . وشركاء معنا فيها ، كما اننا نحن الفلسطينيين شركاء في بقية البلاد العربيـــة

فالوطن العربي الكبير شراكة لا تنفصل . ووحدة واحدة لا تتجزأ . كل جزء منها متمم للاخر ، ولا بقاء لاي جزء الا ببقاء الكـل .

بل انني لاذهب الى ابعد من هذا فاقرر ان الوطن العربي كله عامة وفلسطين خاصة ليست ملكا لاجيالنا فقط . بل هي ملك للعرب اجمعين على مر الايام والعصور . فقد انتقلت الينا من اجداد اجدادنا واجدادنا وابائنا واسلافنا ، وهي امانة في عنقنا وعلينا ان نحفظها ونحافظ عليها ونسلمها سليمة كاملة غير منقوصة الى ابنائنا واحفادنا وذرارينا الى ابد الابدين . فنحن لا نملك حق التخلي عنها او نقلها للغير . فهي في تصرفنا فقط . واما رقبتها ، رقبة ارض الوطن الوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط فهي ملك الاجيال العربية منذ أن ظهرت على مسرح الحياة والتاريخ الى أن تختفي الحياة من على وجه هذه الارض .

هذه هي حقوق الشعب فيما يتعلق بالوطن والارض واما فيما يتعلق بالمجتمع ، فحقوقه حسب مفهومي تتمثل في مجتمع يتألف من مجتمع احرار متساويين في الحقوق والواجبات ، لا يظلم بعضهم بعضا ، ولا يبغي واحد منهم على الاخر ، ولا يستغل بعضهم البعض . لا مجتمع سادات وعبيد ، ولا مستغلين ، ولا اثرياء وفقراء . امرهم شورى بينهم . وفي اموالهم حق للسائل والمحروم . رائدهم المصلحة العامة والمنفعة المشتركة المتبادلة . سعادة كل فرد منهم تتوفر وتؤمن بسعادة وهناء المجموع كله لا على حساب بقية افراده . شعارهم التضامن والتكافل . كل فرد منهم للكل والكل لكل فرد منهم .

والان وقد فرغنا من تحديد وتعريف حقوقنا انتقل الى التحدث عما يسميه البعض بالفرص المضاعة ، بادئين بما كانت تعرضه بريطانيا بين الحين والاخر من مجالس تشريعية واستشارية وكتب بيض وتصاريح منتهيين باتفاقيات كامب ديفيد الاخيرة وتصريحات اثرتون سوندرز وكارتر ، والى الذين ينعون على الحركة الوطنية الفلسطينية عنادها وتصلبها وما يسمونه سلبيتها وجمودها وتمسكها بكلمة « لا » ورفضها لكل ما يعرض من حلول او تسويات . ويلقون اللوم عليها فيما وصلنا اليه اليوم من ضياع وتشرد وتشتت ويحذرون من مصير اسوأ اذا ما رفضنا الاتفاقيات الاخيرة وواصلنا سياسة الرفض هذه .

وهذه النغمة ليست جديدة . فقد برزت منذ فجر الحركة الوطنية في فلسطين عقب الحرب العالمية واحتلال الانجليز لهذه البلاد . فكان هناك من يقول بالاخذ بسياسة « خذ وطالب » او التدرج نحو الاستقلال والتحرر ، وينادي بقبول

الانتداب والسعي مع الدولة المنتدبة الى تعديله او تحويره بحيث ينسجم مع مطالبنا القومية ، تماما كما يدعو البعض اليوم الى التريث والدخول في حوار مع الولايات المتحدة واسرائيل في اطار اتفاقيات كامب ديفيد بقصد تعديلها لما فيه مصلحة امتنا .

واليوم كما في الماضي ، تغفل هذه الجهات او تتجاهل عن قصد نصوص اتفاقيات كامب ديفيد ومضامينها . كما تجاهل اسلافهم في الماضي نص صك الانتداب ومضمونه وكون وعد بلفور في صلب الصك وجزأ لا يتجزأ منه ، وان الانتداب على فلسطين بني على اساسه ، وان جميع المجالس التشريعية الاستشارية التي عرضت في حينها لم تشمل صلاحيتها المسائل الاساسية والحيوية (وعد بلفور والانتداب نفسه والهجرة وبيوع الاراضي) ، وانها لم تكن تملك اي سلطات تنفيذية وان كل قراراتها ومشاوراتها خاضعة للمندوب السامي الذي يتمتع بحق الفيتو والنقض والابرام ، وان السلطة الفعلية تبقى منحصرة فيه . وانه هو نفسه مقيد بنص وروح صك الانتداب المتضمن وعدا باقامة الوطن القومي اليهودي ، والذي كانت الحكومة البريطانية تتستر وراءه كلما طالب العرب بالغاء وعد بلفور وانهاء الانتداب واقامة حكم وطني زاعمة ان هذه التزامات دولية لا تستطيع بريطانيا التخلص منها او الغاءها بمفردها او من طرف واحد .

كما وانه من غير الصحيح ان العرب كانوا يرفضون كل اقتراح يعرض عليهم . فالحقيقة انه كلما كانوا يقبلون باقتراح ويحاولون تعديله لمصلحتهم كانوا يصطدمون بمسالة الهجرة وبرفض الحكومة البريطانية تخويل اي المجالس صلاحية الاشراف عليها والبت فيها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر دخل بعض الزعماء العرب سنة ١٩٢٦ في حوار مع المستر ملز ، السكرتير العام لحكومة فلسطين انذاك وقطعوا شوطا كبيرا في التفاوض معه حول انشاء حكم وطني او حكومة ذاتية في البلاد واكتفوا بأن يتضمن الدستور المقترح ، لا الغاء تعهدات بريطانيا الدولية كوعد بلفور واقامة الوطن القومي اليهودي ، بل تحفظا يقول « ان اهالي فلسطين لم يستشاروا فيما اتخذته حكومة بريطانيا من تعهدات دولية بشأن بلادهم » وحتى هذا لم تقبل به بريطانيا والصهيونية طبعا . كذلك رفضت الحكومة البريطانية الموافقة على الاتفاق الذي توصلت اليه المباحثات غير الرسمية بين جون فلبي والزعماء العرب في سوريا وفلسطين عام ١٩٢٩ . كذلك كانت الحكومة البريطانية تتراجع عن كل كتاب ابيض يحوي اي اجراءات في صالح العرب من حيث تحديد الهجرة او اقامة حكومة وطنية .

واما نظام الكانتونات فلم يكن الا بداية للتقسيم . ولقد كانت الحركة الوطنية على حق في رفضه لانه كان يقضي بتشريد قسم من السكان العرب عن مواطنهم الاصلية والتنازل عن اجزاء من التراث القومي وتأبيد الاحتلال البريطاني والانتداب

وخلق النواة للدولة الاسرئيلية الصهيونية .

وكذلك التقسيم فلقد كانت الحركة الوطنية على حق من حيث المبدأ في رفضه لانه يجردنا من القسم الاكبر من وطننا ويضع ما يقارب نصف الشعب الفلسطيني تحت الحكم والسيادة الاسرائيلية ولكنها لم تحسن التصرف في مقاومته ولم تتخذ الاهبة والعدة للحيلولة دون تنفيذه ، بل تنفيذ ما هو اسوأ منه . فلقد اخطأت بادىء ذي بدء بترك المبادرة لعرض القضية الفلسطينية على الهيئة العامة للامم المتحدة لبريطانيا ، التي عرضتها وكأنها نزاع بين شعبين وصراع بين قوميتين ، بدل ان نعرضها هي بنفسها كصراع بين شعب يريد التحرر ويطالب بحقه في تقرير مصيره بنفسه وفق حق تقرير المصير وبين الاستعمار البريطاني صحيح ان الصهيونية العالمية كانت ستحاول الحيلولة دون تحقيق الاستقلال لان اليهود انذاك لم يكونوا الا اقلية ، ولان اي حكم او نظام ديمقراطي يقام في البلاد على اساس الاستقلال سيكون بالطبع عربيا ويحافظ على عروبتها .

ولكن قادة الحركة الوطنية في ذلك الحين انجروا وراء العاطفة وانطلقوا من مبدأ الحق المطلق ، ولم يقدروا الظروف حق قدرها ، ولم يأخذوا بعين الاعتبار توازن القوى في العالم وفي المنطقة فاكتفوا برفضه دون ان يوضحوا للعالم انهم يطالبون باقامة حكومة ديمقراطية فلسطينية مستقلة تضمن حقوق جميع المواطنين بما فيهم اليهود الذين كانوا يقيمون في البلاد انذاك ويؤمنون لهم كاقلية لا يستهان بها (فقد كان مجموعهم سنة ١٩٤٧ حوالي ٦٠٠ الف بينما كان يبلغ عدد العرب ضعفي هذا العدد مليونا ومئتي الفا) حكما ذاتيا واستقلالا ثقافيا .

واغلب ظني ان الامم المتحدة والرأي العام العالمي ما كانت لتقر مشروع التقسيم لو احسنا التصرف آنذاك وشرحنا موقفنا للمعسكرين العالميين ولم ندر ظهرنا لاحدهم ولم نصر على اننا لا نعترف الا باليهود الذين كانوا يقطنون بين ظهرانينا قبل الحرب العالمية الاولى .

ولكن تبين لنا فيما بعد اننا خدعنا وغرر بنا من قبل الانجليز الذين بعد ان انشأوا الوطن القومي اليهودي واقاموه ووطدوه برؤوس الحراب وزودوه بكل اسباب القوة والمنعة والبقاء وضمنوا له التفوق العسكري وجردونا من كل امكانيات ووسائل الدفاع عن انفسنا والمقاومة ، نفضوا ايديهم من فلسطين وامتنعو عن التصويت في الامم المتحدة وغادروا البلاد في غفلة ، ويظهر ان الحكام العرب الخاضعين لهم والسائرين في ركابهم ، وقادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، انخدعوا بهذا الامتناع بأن الإنكليز سيساعدونهم على منع التقسيم . ولكنه تبين فيما بعد ان تدخل هؤلاء الحكام بتشجيع من الانكليز ادى الى اقتطاع الصهيونية جزءا اكبر مما خصصه التقسيم للدولة اليهودية . وان النتيجة الفعلية كانت الحيلولة دون ومنع

اقامة الدولة العربية الفلسطينية . وهكـذا وقعوا مرة ثانية فريسة غـدر ومكر الاستعمار البريطاني . والمرة الاولى كانت عندما غدروا بنـا في اتفاقية سايكس بيكو وباصدار وعد بلفور . غير ان الامانة التاريخية والصدق يقتضي ان اسجل انه فئة منا (عصبة التحرر الوطني) فطنت لهذه المكيدة فنادت بقبول التقسيم واقامة الدولة العربية الفلسطينية . ولكنها تعرضت للقمع والملاحقة والاضطهاد من قبل الحكام العرب انذاك .

والان فلنأت الى اتفاقيات كامب ديفيد ونتفحصها ونرى ان كان فيها ما يمكن ان يستجيب لمطلبنا ويحققهااو يفتح بابا يمكننا من تحقيقه . ولذا احدد الحد الادنى لمطالبنا وهـي :

اولا : الاعتراف الصريح بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه في وطنه فلسطين وعلى ارضه واقامة دولته المستقلة الديمقراطية استقلالا ناجزا تاما وذات السيادة الكاملة غير المنقوصة ، تتمتـع بجميع المقومات والامكانيات والحقوق التي تتمتع بها جميع الدول المستقلة ذات السيادة وفي مقدمتها حق الدفاع عن الشعب والارض والوطن وحمايتـه ، ولا تقنع او تكتفي بأي ضمانات دولية بل تكون هذه متممات ومكملات للقدرة الدفاعيـة الذاتية لا بديلا عنها .

ثانيا : الاعتراف بممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية .

ثالثا : الانسحاب الفوري الشامل والكامل والجلاء غير المشروط عن جميع الاراضي التي احتلت في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ . أي من الضفة الغربية بأكملها بما فيها القدس العربية وقطاع غزة وهضبة الجولان وسيناء .

رابعا : تمكين الشعب العربي الفلسطيني من ممارسة هذه الحقوق وتجسيدها عن طريق نقل السلطة الى منظمة التحرير بصفتها الممثل الشرعي الوحيد له .

خامسا : الاعتراف بحق اللاجئين في العودة الى مواطنهم الاصلية وضمان تأمين هذه الحقوق باتخاذ الاجراءات والخطوات اللازمة لتمكينهم من العودة .

سادسا : الاحتفاظ في بقية الوطن الفلسطيني ما بين البحر والنهر والعمل والسعي لاسترداده بالوسائل الدبلوماسية والسلمية .

هذا في رأيي هو الحد الادنى للتسوية المرحلية الذي لا يجوز المساومة عليه او التنازل عن ذرة منه . وكل ما دون هذا تصفية واستسلام . فلنستعرض اتفاقيات كامب ديفيد خاصة الاتفاقية الاولى التي سميت (اطار للسلام في الشرق الاوسط) والتي تتعلق بالقضية الفلسطينية جوهر النزاع في هذه المنطقة . فهي بدلا من ان تعترف بالشعب العربي الفلسطيني كله كوحدة لا تتجزأ تحاول شق صفوفه واشاعة

الفرقة بين المقيمين منهم في المناطق المحتلة والمشردين والمشتتين في ارجاء العالـم العربي وبعض البلدان الاجنبية ودق اسفين بينهم . فهي تتحدث عن الفلسطينيين القاطنين في المناطق المحتلة مستثنية اكثر من ثلثي الشعب الفلسطيني المشردين خارج هذه المنطقة متجاهلة او مكرسة تجاهل حقيقة ان الشعب العربي الفلسطيني في الداخل والخارج وحدة واحدة لا تتجزأ .

وثانيا بدل ان تعترف له بحقه المطلق بتقرير مصيره بنفسه تفرض عليه الحرمان من هذا الحق، وتقتصره على الادارة الذاتية او الحكم الذاتي في ظل الاحتلال لفترة ٥ سنوات وتقتصره على الادارة الذاتية او الحكم الذاتي في ظل الاحتلال لفترة خمس سنوات يجري في غضونها اشراك ممثلين عن القاطنين في الضفة والقطاع المحتلين فقط في البحث وتقرير المصير النهائي مع اسرائيل ومصر والاردن ، اذا ما انضمت الاخيرة الى الاتفاقية . وبهذا تتنكر وتكرس عدم الاعتراف بالممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني حيثما تواجد ، وتحاول خلق وايجاد قيادة بديلة .

وثالثا بـدل ان تنص على الانسحاب الفوري الكامل غير المشروط تكرس الاحتلال خمس سنوات اخرى على الاقل وتضفي عليه صفة الشرعية والى الابد اذا لـم يتوصل الى اتفاق على اعادة السيادة لاصحابها الشرعيين والـى الجلاء الكامل ولتأكيد هذا تستثني الاتفاقية من قرار مجلس الامن ٢٤٢ العبارة التي تنص على رفض او منع حيازة اراضي او مناطق بالقوة ، نتيجة اصرار بيغن على حذفها وشطبها

رابعا : تغفل الاتفاقية عن عمد موضوع السيادة على الضفة والقطاع وتعلقه على موافقة اسرائيل والاطراف الاخرى مصر والاردن وممثلين عـن الفلسطينيين القاطنيـــــن .

خامسا : تستبعد ذكرى موضوع القدس العربية وارجئت البحث فيه الى ما بعـد نتيجة رفض بيغن الرسالة الاميركية التي تقول بانها تعتبر القدس العربية محتلة وليست جزءا من اسرائيل . وهي كذلك تترك مسالة اقامة المستوطنات في الضفة والقطاع بدون بت بينما يصـرح بيغن ويؤكد امام الكونغرس الاميركـي وعقب اجتماع كامب ديفيد مباشرة بأنه لم يقبل بوقفها وتجميدها الا لمدة ثلاثة اشهر فقط ريثما يتم عقد اتفاقية سلام مع مصر . الامر الذي يطلق يـد اسرائيل في متابعـة التغييرات الجغرافية والسكانية في الضفة والقطاع . ولا يغير من هذا قول مصر واميركا بانهما فهما انها ستوقف لمدة خمس سنوات حتى يتوصل الى اتفاق بشان السيادة على الضفة والقطاع .

هذا هو الاطار الذي يدعوننا نحن الفلسطينيين القاطنين في الضفة والقطاع الى الاشتراك في المباحثات ضمنه ، وهو كما اتضح بما نص عليه او اغفله لايترك مجالا لتحقيق ادنى حد من مطالبنا او حقوقنا اذ يعني صراحة انه

اولا : لن يكون هناك اعتراف بالفلسطينيين كشعب له حقوقه القومية حيثمـــا تواجد ويفرقون بين افراد العائلة الواحدة والقاطن والمشرد والمشتت .

ثانيا : لا اعتراف بحقهم ككل لا يتجزأ في تقرير مصيرهم والحرية والاستقلال .

ثالثا : لا اعتراف بممثلنا الشرعي الوحيد منظمة التحرير .

رابعا : لا اعتراف او اقرار باقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة .

خامسا : لن توقـف عمليات التهويد والاستيطان وتغيير المعالـم الجغرافية والسكانية بالضفة والقطاع والقدس العربية .

سادسا : لن يكون هناك جلاء او انسحاب من المناطق المحتلة الا اذا وافقت اسرائيل على ذلك . وقد اكد بيغن مرارا وتكرارا بأن الجيش الاسرائيلي باق بشكل او باخر ، وكل ما في الامر انه قد يعاد توزيعه ، وانه بعد فترة انتقال لا تزيد على ثلاث سنوات ينهى الحكم العسكري والاداري الاسرائيلي في الضفة والقطاع ويحل محله حكم ذاتي في ظل الاحتلال ويستمر الاحتلال الى ان يتوصل الى اتفاق على السيادة بعد خمس سنوات .

هذه هي حقيقة اتفاقية اطار السلام في الشرق الاوسط فهي مخطط لا ينص فقط حرماننا من حقنا الطبيعي في تقرير مصيرنا واستقلالنـــا وحريتنا واقامة دولتنا الديمقراطية المستقلة وراء ستار الحكم الذاتي وبقاء القضية الفلسطينية دون حل ، بل هو مخطط لوضعنا في سجـن الاحتلال الدائم بموافقة بعضـن الحكام العرب ولموافقتنا نحـن انفسنا اذا مـا شاركنا فـي هـذه الاتفاقيات ووافقنـا عليها وقبلناها . ولتصفية القضية الفلسطينية واضفاء صيغة الشرعية على الاحتـــلال والضم ومواصلة تهويد البلاد وتغيير معالمها الجغرافية والسكانية .

اما الاتفاقية الثانية المسماة معاهدة سلام بين مصر واسرائيل فهي ايضا لاتحقق لمصر الشقيقة مطالبها اذ تسمح :

اولا : باستمرار الاحتلال لبعض اجزائها ثلاث سنين اخرى تبدأ بعد اقرار معاهدة السـلام .

ثانيا : تنتقص من سيادتها اذ تفرض عليها ليس فقط الاعتراف باسرائيل بـل اقامـة علاقات طبيعية معهـا وفتح البـاب على مصراعيـه لتغلغـل الاقتصاد الاسرائيلـي .

ثالثا : تنتقص من هذه السيادة اذ تقضي بنزع السلاح من اجزاء كبيرة من سيناء ، واقامة مناطق امنية فيها وتحرم استخدام مطاراتها الواقعة في سيناء كما تشـاء وتقصرها على الاغراض المدنية الامر الذي يحرم الجزء الاكبر مـن سيناء بما بهـا من مواطنين وثروات من وسائـل الحمايـة والدفـاع ويبقيها مهددة ومفتوحـة امام اي عدوان .

رابعا : تعزل مصر عن بقية العالم العربي وتمزق وحدة الصف العربي وتنسف

تضامنه . وتجزيء القضية الامر الذي يتوافق بل ويتطابق مع خطة اسرائيل والاستعمار الامريكي الذي يهدف الى التعامل مع كل طرف عربي على حدة حتى يسهل عليهم ممارسة الضغط على كل طرف للاستسلام والقبول بالشروط التي يملونها ويفرضونها على كل جانب بمفرده .

خامسا : تحرج الامة العربية كلها وتضعف دول المواجهة وتسهل وتساهم فى تصفية القضية الفلسطينية وتلحق اذى واضرارا بالغة بحركات التحرر في البلاد العربية والعالم كله مما يؤدي الى سقوط بقية الدول العربية فريسة للضغوط الاسرائيلية — الاميركية باخراجها المفاجيء لمصر من الساحة العربية .

سادسا : تضعف مصر نفسها في مواجهة القوة الاسرائيلية المدعمة بلا حدود من الولايات المتحدة .

سابعا : كذلك بعزلها مصر عن بقية العالم العربي تحرمها من مقومات التكامل البشرية والجغرافية والمصيرية التي تتوافر في العالم العربي ككل .

ثامنا : هذا فضلا عن انها بفرضها عقد صلح منفرد مع اسرائيل تشكل طعنة من الخلف في قلب القضية الفلسطينية والقضايا العربية .

هذه هي الاطر التي تم الاتفاق عليها . ومهما حاول البعض الترويج لها بالادعاء بانه يمكن تحويرها وتعديلها لصالحنا ومهما كرر اثرتون وصرح سوندرز بان الولايات المتحدة تختلف مع اسرائيل حول وضع القدس الشرقية التي تعتبرها محتلة كالضفة الغربية وحول مستقبل الاستيطان فما هذه التصريحات الا ذر للرماد في العيون ومحاولة لحمل العرب والفلسطينيين على القبول بالاتفاقيات ، فكل تباحث وتفاوض ضمن هذه الاطر بما نصت عليه او اغفلت ذكره لا يمكن ان يتخطى ما حددته وهو عدم الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني بتقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ، وعدم الاعتراف بممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير ، واستمرار الاحتلال وربط انهائه وعودة السيادة العربية على المناطق المحتلة بما فيها القدس بموافقة اسرائيل بينما تعلن وتؤكد هذه سلفا بانها لن تقره . كذلك ادعاء الولايات المتحدة بأنها تختلف في هذا مع اسرائيل تناقضه اعمالها وتصرفاتها فهي ما تزال تغدق المساعدات عليها وتمدها بالسلاح والعتاد مشجعة اياها بهذا على الاستمرار في تعنتها وعنادها ، وتعارض كل قرار او مشروع قرار في الهيئة العامة للامم المتحدة او مجلس الامن يقضي الاعتراف بحقوقنا وبممثلنا الشرعي الوحيد منظمة التحرير وخاصة توصيات لجنة العشرين التي تقضي بالانسحاب الفوري الكامل من جميع المناطق المحتلة واقامة الدولة العربية الفلسطينية وعودة اللاجئين الى مواطنهم وتضع جدولا زمنيا للانسحاب فلماذا اذا كانت صادقة في ادعاءاتها لاتعترف بحقوقنا وممثلنا ولماذا لا يتجه اثرتون وسوندرز وغيره من الساسة الاميركيين الى منظمة التحرير للتباحث معها حول افضل الطرق لتحقيق مطالبنا وتلبيتها . ان القول

بان الحكومة الاميركية تعترف بحقوقنا القومية زعم ينقضه السجل الحافل لموقفها منا ومن قضيتنا في الجمعية العمومية لهيأة الامم المتحـدة ومجلس الامن وتصرفاتها ودعمها المتواصل لاسرائيل . هذه هي حقيقة اتفاقيات كامب ديميد . فبدلا من أن تفتح لنا الباب لوصول الى حقوقنا تغلقها وتسدها وتفرض علينا الدوران داخلها .

وهكذا يتضح ان الادعاء بأن سياسة الرفض هذه هي التي اوصلتنا الى ما نحـن عليه غير صحيح وغير مطابق للواقع . لكن الحقيقة هو أن ما نعاني منه الان هو حصيلة تالب قوى الاستعمار والحكام العرب الخاضعين له والمتواطئيـن معـه والصهيونية ، والاخطاء التي وقعت فيها الحركة الوطنية والتقصير الذي اعترى مسيرتها . ولكن يكفيها فخرا انها رفضت الاستسلام والتوقيع على صك التنازل عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية في الحرية والاستقلال والسيادة الكاملة وتقرير مصيره بنفسه ووحدة أراضيه . بل على النقيض أن سياسة الرفض هـذه هي التي اتاحت لنا انتزاع الاعتراف الدولي ممثلة بالهيئة العامة للامم المتحدة بحقنا في تقرير مصيرنا واقامة دولتنا المستقلة ذات السيادة وارغمت حتى الصهيونيـة اسرائيل وامريكا على التحدث عن قضية فلسطينية أو شعب عـربي فلسطيني ، وهذه السياسة قد قاربت ان تأتي اكلها وتمكننا من اختطاف ثمرة جهاد هذا الشعب المرير الطويل ، فلنحذر من التفريط في حقوقنا واضاعة فرصة تحقيق اكبر قسط منها الـى أن تتحقـق كاملـة .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح وبشدة : ما هو البديل لهذه السياسة ؟. البديل في رأيي واضح وجلي لا يحتاج الى كبير عناء او مشقة لاكتشافه . فهو خبرة وتجارب السنوات الثلاثة والعشرين الاخيرة منذ سنة ١٩٥٥ ويتلخص باستمـرار الصمود والتصدي وعدم الاستسلام ومواصلة الكفاح والنضال بجميع الاشكـال والوسائل ضد الاحتلال والاستعمار والسيطرة والتبعية الاجنبية . وسبل هـذا الكفاح تكمن في تطويد أواصر الوحدة الوطنية على الصعيدين المحلي في المناطـق المحتلة وفي العالم العربي اجمع وتمتين التضامن بينهما ، والالتفاف حول جبهـة دول الصمود والتصدي وتعزيز اواصر الصداقة والتعاون مع جميع قوى التحـرر والسلام القائم على العدل في العالم والمنظومة الاشتراكية وعلى راسها الاتحـاد السوفيـاتي .

وقـد اثبتـت هـذه السياسة جدواهـا ونجاعتها في عـدم الاستسـلام والصمود ودحر العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وعدم الاستسلام عقب حرب حزيران ١٩٦٧ والصمود ، وتعاظم قوة المقاومة الفلسطينية منذ تلك الحرب ، وبعث هوية الشعب العربي الفلسطيني من جديد وبناء القوة القتالية العربية في مصر وسوريا والعراق والجزائر وليبيا . وهذه السياسة قد تكللت بالعبور في حرب تشريـن المقدسة عام ١٩٧٣ وتحطيم خرافة التفوق الاسرائيلي على الصعيد العسكـري

بمساعدة العالم الاشتراكي .. كما وادت الى عزل اسرائيل وامريكا في الرأي العام العالمي وفي هيئة الامم المتحدة ، والى اعتراف الاخيرة بالشعب العربي الفلسطيني وبحقه في تقرير مصيره بنفسه في وطنه فلسطين ، وبممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير وبحقه في اقامة دولته المستقلة ، واقرار مشروع لجنة العشرين الذي يقضي بالانسحاب التام غير المشروط من جميع الاراضي العربية واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة . والى اعتراف جميع الهيئات والمنظمات المنبثقة عن هيئة الامم بمنظمة التحرير بشكل أو باخر . واضطرت الولايات المتحدة نفسها الى التفكير في اعادة تقييم سياستها تجاه العرب وتغيير تكتيكها ومحاولة استرضائها بعد أن كانت تضرب بهم عرض الحائط ولا تعيرهم اي اهتمام ، والى التحدث عن الشعب العربي الفلسطيني وقضيته وعن وجوب انسحاب من المناطق المحتلة بعد صمت وتجاهل استمر عشر سنوات .

هذه حصيلة النهج الكفاحي منذ سنة ١٩٦٧ حتى الان . ومن اجل استكمال هذه المكاسب والانتصارات وتحويلها الى واقعي فعلي يتجسد بالانسحاب الكامل غير المشروط واقامة الدولة العربية الفلسطينية المستقلة يجب المضي والاستمرار فى الصمود ومواصلة الكفاح بجميع اشكاله ضد الاحتلال والسياسة الاميركية المؤيدة لاسرائيل ولعزل اسرائيل واميركا في المجال الدولي وتضييق الخناق عليهما حتى ترضخ وتستجيب لمطالبنا العادلة وتسلم بحقوقنا المشروعة ..

ومن أجل الوصول الى هذا الهدف المقدس والمشروع يتحتم

اولا : اعادة بناء وحدة الصف والهدف العربيين ورأب التصدع في التضامن العربي على الصعيدين الحكومي والشعبي على أساس كفاحي ومناضل ضد الامبريالية والصهيونية واقرار موقف موحد تلتزم به جميع الشعوب والدول العربية تجاه التطورات الاخيرة .

ثانيا : الطلب من الدول العربية المنتجة للنفط تحمل مسؤولياتها كاملة والارتفاع الى مستوى تلك المسؤوليات : —

ا — بقطع النفط عن الدول المؤيدة لاسرائيل والتي تشجعها على الاستمرار في تعنتها واحتلال الاراضي العربية والتنكر للشعب العربي الفلسطيني وحقوقه .

ب — بسحب أرصدتها المالية من البنوك الامريكية والغربية الممالئة لاسرائيل .

ج — استثمار هذه الاموال وتوظيفها في الدول العربية المكافحة لتطويرها ومساعدتها على بناء قواتها التحريرية والقتالية . ودعم منظمة التحرير .

د — تعزيز أواصر الصداقة والتعاون والتنسيق مع الدول والقوى المؤيدة للحق العربي وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي

هذا هو البديل الوحيد الذي يكفل لنا استرداد حقوقنا كاملة وتحقيق مطالبنا

واستعادة كرامتنا ولا بديل غيره .

فالى المزيد من رفض الاستسلام والصمود والعمل الجاد لاسترداد حقوقنا . والله مع المؤمنين بحقوقهم والصابرين العاملين .

بعد ابرام المعاهدة العربية الاسرائيلية :

وبعد ابرام المعاهدة المصرية — الاسرائيلية في مستهل عام ١٩٧٩ علقت عليها في جريدة القدس بتاريخ ١—٤—١٩٧٩ بالمقال التالي تحت عنوان :

لا عــذر بعــد اليــوم .....

وهكذا وقع المحذور وتم عقد المعاهدة — المؤامرة وسددت الطعنة الغادرة الــى قلب الامة العربية ، ولم تنفع التحذيرات ولم تجد الانذارات ، ولا الدعوات الــى التعقل والتبصر والتشاور والرجوع الى التضامن مع الدول العربية ، والحفاظ على وحدة الصف والالتزام بالاجماع العربي ، وصيانة حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية ، وعدم هدر مكاسب حرب رمضان المقدسة وخيانة أرواح شهدائنا الابرار الذين بقوا في ميادين النضال على مدى نصف قرن أو اكثر . وهكذا لدغنا المرة بعــد المرة .. برغم معرفتنا بأنه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ..

غير أن هذا لا يعني أبدا أن الامر قد افلت من أيدينا ، أو أننا غير قادرين علــى رده والتغلب عليه بل وعلى تجاوزه وتحديه ، وتحويله من نكسة الى نصر وفــوز ، ومن ضعف الى قوة . ومن أجل هذا يجب أن نمعن النظر في اسباب هذه النكبــة ولنستخلص العبر من مجرياتها وتطوراتها .

وأول ما يتضح لنا من دراسة هذه التطورات أن السبب الاساسي والرئيســي ربما ابتلينا به هو عدم ادراكنا لقوتنا ، قوة العالم العربي الكبير ككل من المحيط الى الخليج ، وضعف ثقتنا بأنفسنا ، وعدم تبيننا العدو الاساسي ، عدونا رقم واحد ، والقاء مقاليدنا وتفويض مصيرنا الى هذا العدو بالذات وجعله الحكم في حين هــو الخصم اللدود ، والتوهم بأن خمسا وتسعين من اوراق حل قضيتنا في يديه

الكل في العالم العربي ، حكومات وشعوبا مجمع على أن هذه المعاهدة مؤامــرة على القضية الفلسطينية وضربة لها وللامة العربية اجمع . وبحق ينصب السخــط وتعلو وتشتد النقمة على الحكم العربي المشارك فيها ، لا الشعب المصري فهــذا براء منها ومغلوب على أمره الى حين ....

كما أن مما يجب تعينه وتحديده والتشهير به ومعرفته على حقيقته لنتمكن مــن التصدي له واحباط مؤامراته ورد كيده الى نحره ، مدبر ومهندس وواضــع هــذه المؤامرة . فمن هو مدبرها ومخططها ؟؟

ان هذه المؤامرة ليست من صنع حكام مصر او اسرائيل ، بالرغم من كونهـــما

طرفين صغيرين وثانويين فيها ، انها من صنع وابتداع العدو الاساسي الولايات المتحدة الامبريالية . ان واضعها هو رئيس هذه الامبريالية كارتر . ولا اظنني اذيع سرا أو اكتشف خفيا غامضا اذا قررت هذا واكدته ولا شك في انه ظاهر ماثل للعيان، لكل من لم يحرمه الله نعمة البصر ولم يغمض عينيه ثم هو لا يرفض ان يبصر

لا جدال في أنه يتوجب على كل أمة ان تعزل وتقاطع كل من يخرج على اجماعها ويشق وحدتها ويخون مصالحها ويفرط في حقوقها . ولذا فتنفيذ قرارات مؤتمر قمة بغداد أصبح واجبا قوميا ملحا ومستعجلا ، لمنع تصدع الصف العربي وسد الثغرة التي نشأت من جراء اشتراك حكام يحسبون علينا وليسوا منا ، وللحيلولة دون انزلاق من لم يتبينوا انها اساس البلاء ومصدر الداء ومنعهم من ذلك ، ولكن هذا وحده ليس كافيا ولا وافيا . ولن يرد لنا حقا ويحقق لنا مطلبا . ولن يضير اعداءنا بشيء ، بل انهم يبتهجون له ويتمنونه ويهدفون اليه .

ولكن الاهم من هذا كله هو نزع الثقة ممن خاننا وغدر بنا المرة بعد المرة والتخلي عن الاوهام الكاذبة والسراب الخادع بامكانية تحييد الولايات المتحدة خاصة والعرب عموما او كسبها الى جانبنا ، جانب الحق والسلام العادل عن طريق الاستخداء والاستجداء والارتماء في احضانها والانشغال في الظل بدل الاصل . ان الطريق الوحيد الكفيل بايصالنا الى حقوقنا واستخلاصها هو التصدي والتحدي لمن هم وراء هذه المعاهدة المؤامرة سواء كانوا من المنسوبين الينا او من غيرنا .

قد يقول قائل هذا صحيح ولكن ان لنا بتحدي هؤلاء وهم الاقوياء ونحن الضعفاء ولا طاقة لنا بهم . لا . . . اطمئنوا أيها السادة المتشككون . ان الامر على عكس ما تظنون ، فنحن الاقوياء وهم الضعفاء . ونظرة خاطفة كافية لاثبات هذا وللتدليل عليه . فنحن أقوى منهم :

أولا — لاننا على حق ولانهم على باطل .

ثانيا — لاننا نحن الذين نملك الطاقة والاموال التي تمدهم بأسباب الحياة والقوة . والتي بدونها تتحول اساطيلهم الجوية والبحرية والبرية الى كتل من الحديد البارد لا تجدي ولا تنفع . وتتوقف مصانعهم عن العمل .

ثالثا — نحن اقوى لان بلادنا واسعة تمتد من الخليج العربي شرقا الى المحيط الاطلسي غربا . وانها اقدر على ابتلاع من تسول له نفسه احتلالها والاعتداء عليها من أن يبتلعوها هم . وما مثل فيتنام وهي اصغر رقعة بكثير من بلادنا . وكما كانت هي مقبرة للغزاة العادين فكذلك ستكون بلادنا مقبرة اعمق لهم . وما التهديدات التي يطلقونها بين الحين والاخر باحتلال منابع البترول او البلاد العربية قاطبة الا تهديدات جوفاء ، لا تخيف الا من كان من طبعه الخوف أو كانت مصلحته الضيقة وانانيته تقتضيه . لا من يؤمن بالله وبحقه وبنفسه ويضع المصلحة القومية العليا فوق

كل اعتبار ولان منابع البترول في ايدينا وبين ظهرانينا وليس اسهل من تدميرها ان لم نستطيع حمايتها .

رابعا ــ نحن اقوى لانهم يزدادون عزلة توشك ان تكون خانقة ، ونحن نحقق المزيد من الاعتراف الدولي بنا وبقيضيتنا وتأييد الشعوب وكسب ودها على نطاق عالمي .

وفوق هذا وذاك كله نحن أقوياء لاننا لسنا وحدنا في المعركة بل ان جميع المعسكر المعادي للامبريالية وحركات التحرير وقوى السلام والعدل في العالم اجمع تؤيدنا وتشد أزرنا ، وموازين القوى الدولية لا تسمح لهم بذلك ، ولن يجرؤ الا الحمقى او المجانين على التورط في حرب قد يعرفون أولها ولكنهم لن يقرروا مصيرها او تطورها ونهايتها . والذي منعهم من التورط في افغانستان وايران وانغولا وموزامبيق والحبشة سيمنعهم لا محالة من التورط في حرب في القارة العربية .

ان الواجب يقتضينا الان اذا ما أردنا دفع هذه المعاهدة البلاء وابطال مفعولها والمضي قدما لاسترداد حقوقنا واستخلاص وطننا ان نرص صفوفنا ونمكن وحدتنا ونجزم امرنا على الصعيدين المحلي والعربي ونلتف حول ممثلنا الشرعي الوحيد ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ونطالب الدول العربية بالارتفاع الى مستوى المسؤولية وايقاع العقوبات ليس فقط على الحكام الخارجين على الاجماع العربي بل على واضعي ومدبري هذه المؤامرة لنزغمهم على الاذعان للحق وسلوك سبيل العدل والسلام . وهذا يعني :

١) قطع البترول عن الولايات المتحدة والدول التي تؤيد المعاهدة المؤامرة . وليس هذا بعسير على الدول العربية المنتجة للنفط فلديها من الاموال الفائضة المتوفرة ما يكفي لسد حاجاتها ونفقاتها بالاضافة الى انها لن تعدم مشترين اخرين . فجميع دول العالم متعطشة وملتهفة لشرائه وبأسعار اعلى ومن مصلحتها أيضا ان تقلص انتاجه للاحتفاظ باحتياطي اكبر للمستقبل . ومثل ايران شاخص للعيان .
٢) سحب اموالها من البنوك الاميركية وبنوك الدول المؤيدة للمعاهدة .
٣) عدم استثمار او توظيف الاموال العربية الفائضة في الولايات المتحدة والدول المؤيدة للمعاهدة واستثمارها بدل ذلك في البلاد العربية والتصنيع .
٤) مقاطعة البضائع الاميركية واغلاق الاسواق العربية في واجهها .
٥) اغلاق وتصفية جميع المؤسسات والمشاريع الاميركية في جميع البلاد العربية . وتعويض البلاد التي قد تضرر من ذلك من الاموال العربية الفائضة .
٦) مقاطعة المعاهد الثقافية والعلمية الاميركية فهناك البديل الكثير عنها .
٧) قطع العلاقات الديبلوماسية مع امريكا الى ان تلبي مطالبنا .

هذه في رايي أوراق قوية على الولايات المتحدة ، لا تقوى على تحملها خصوصا في

هذه المرحلة التي تعاني منها من ضائقة مالية وازمة اقتصادية خانقة وبطالة متفشية وتضخم مالي . وعزوف عن التورط في فيتنام اخرى .

هذا هو بالتحديد ما تقتضيه المصلحة القومية العليا الان بعد أن اتضح موقف الولايات المتحدة على حقيقتها وتكشفت نتائج سياسة الرهان على الولايات المتحدة والانفتاح عليها وتفويض اسورنا اليها والارتماء في احضانها . فكفانا خداعاً لانفسنا والتقلل والتمني والامال والوعود الكاذبة . لقد انجلى الموقف ووضح الطريق فلا نلومن الا انفسنا ان لم نسلكه . ولا عذر للمترددين والداعين الى التريث والانتظار بعد اليوم . فالله لا ينصر الا من ينصر نفسه . وفي التردد الفشل وفي الاقدام الظفر .

رسالة الطب والاطباء في ظل الاحتلال :

وصادف ان تم في عام ١٩٧٩ انقضاء خمسين عاما على تخرجي وتخرج بعض اطباء القدس ؛ فاقامت لجنة فرع نقابة الاطباء في القدس حفلة تكريمية بهذه المناسبة للدكتور صليبا سعيد ولي ؛ القيت فيها الكلمة التالية باسطا رايي في دور الطب والاطباء في المجتمع عامة وفي ظل الاحتلال خاصة : —

« اشكر اللجنة الفرعية لأطباء القدس واخواني الزملاء الكرام على مشاعرهم الكريمة نحونا وعلى تفضلهم باقامة هذا الحفل الذي اعتبره تكريما لا لاشخاصنا بل لرسالة الطب النبيلة السامية ، وارجو ان اكون قد وفقت لاداء جزء ضئيل منها طيلة ممارستنا اياها في الخمسين سنة الماضية

واود بهذه المناسبة ان اعرض على مسامعكم مفهومي للطب ورسالته . واني واثق بأنكم تشاركونني هذا المفهوم . فالطب في نظري لا يقتصر على تشخيص الامراض ومعالجة المرضى وليس مهنة او حرفة او تجارة بل هو رسالة وخدمة للمجتمع والشعب والوطن الذي ينتمي اليه الطبيب ، وللانسانية اجمع . وهو في جوهره العناية بالحياة التي وهبنا الله اياها والمحافظة عليها منذ نشوءها حتى اختفائها

ومن هنا يتحتم البدء بهذه العناية والرعاية من قبل ولادة الانسان اي بالبيئة والمجتمع والام قبل الحمل وبعده . ولذا فمن اولى واجبات الطبيب الاهتمام بتامين الوطن والمسكن والمأوى للناس الذين يعالجهم ، اذ كيف بنا في معالجة انسان لم يتوفر له المأوى ، وعليه فالتمسك بالارض وبمعنى اخر الوطن والحرص عليه والبقاء فيه وعدم النزوح عنه من رسالة الطب وواجبات الاطباء وكما قال شوقي

وللاوطان في دم كل حر ... يد سلفت ودين مستحق

كذلك اهتمام الطبيب بتامين الحرية والاستقلال لشعبه من اسس الطب اذ لا يمكن توفير حياة كريمة تؤمن للانسان الصحة والسعادة والطمأنينة والنمو والتطور والازدهار الا في ظل الحرية والاستقلال والسيادة القومية . ومن هنا فالعمل والنضال

لتحرير الوطن واقامة مجتمع عادل يسوده الاخاء والتضامن والتكافل ويؤمن للمواطن الحد الادنى من مستوى معيشة يليق بالانسان اي يؤمن له المسكن والغذاء والكساء والتعلم والعمل والراحة وتفتح الشخصية ونموها وازدهارها من مستلزمات الطب واركانـــــــــــه .

اذا لم يعش حرا بوطنه الفتى فسم الفتى ميتا ووطنه قبرا

وفي رأيي يجب ان تقدم الخدمات والرعاية الطبية مجانا لجميع افراد الشعب .

وبالمقابل يجب على المجتمع ان يؤمن للطبيب مستوى عاليا مـــن العيش الكريـــم الرفيع ، يعصمه من الانحدار الى الاتجار بالطب ويمكنه من التفرغ وتكريس جهوده كلها لخدمة ابناء شعبه ووطنه والانسانية جمعاء

هذه بعض تصوراتي للطب ورسالته وواجبات الاطباء ورسالتهم التي أرجو ان تنـــال قبولكم وموافقتكم . واكرر شكري لكـــم . . »

الارض .... الارض :

في منتصف سنة ١٩٧٩ عقد مؤتمر للتنمية في القدس وقد وجهت اليه على صفحـــات جريدة القدس بتاريخ ٢١ــ٧ــ١٩٧٩ الكلمة التالية تحت عنوان :

الارض .... الارض :

« لا جدال في ان المشكلة الاساسية التي نواجهها هي البقاء او عدمه ، ووجودنا على هذه الارض او عدمه .. باختصار ان نكون أو لا نكون ، ولا يتأكد هـــذا الوجـــود الا بالتجسد في وطن ، وطننا فلسطين ، وهذا يعني في الاساس الارض ، فلا وطن بدون أرض ، ومن لا ارض له لا وطن له . ومن هنا تكالب الصهيونية على انتزاع الارض منا، واقامة المستوطنات والاستيطان . .

فالمهمة الاولى التي يجب أن نكرس لها جهودنا هي المحافظة على الارض والتشبث بها والحفاظ عليها . وهذا لا يتحقق فعلا الا بالاقامة عليها واشغالها والتصاق بها ، اي بالتوطن فيها واعمارها واستثمارها ، والحيلولة دون انتزاعها منا أو اجلائنـــا عنها ومصادرتها ، او جعلها مناطق امنية مغلقة ، وبالتالي سلبها منا وتجريدنا مـــن وطننا . فلذا يجب القيام بحملة مكثفة واسعة للعودة الى الارض ، اي لمنع الفلاحين والقرويين من النزوح عنها والهجرة الى المدن ، وهذا لا يتأتى بالوعظ والارشاد وحده، ولا بمناشدة الشعور الوطني فقط ، بل لا بد من توفير العمل المجدي والمربح فـــي القرى ، ورفع مستوى المعيشة فيها . وهذا لا يتم الا بانشاء واقامـــة المشاريـــع الزراعية والصناعية المرتبطة بالزراعة ومنتجاتها في القرى والريف ودعمها ماليا . فالمقصود ليس الربح وانما الاحتفاظ بالوطن تماما كما ان الصهيونية تقيممستوطنات غير سليمة اقتصاديا ، ولكن بالدعم الوفير لانشاء الوطن الصهيوني وسلب الارض منا؟

اجل ، يجب دعم هذه المشاريع دعما قويا لحمل الجيل الناشىء مـــن الفلاحـــين والقرويين والطلبة من أصل قروي على البقاء في الريف والعودة اليه والتوطن فيـــه ومقاومة انتزاعه ومصادرته وسلبه منـــا .

هذه هي المهمة الاساسية التي تجابهنا ، وامل ان لا تغيب هذه الحقيقة عن المشتركين في مؤتمر التنمية والمؤتمر الاجتماعي . فلن نتمكن من حل مشاكلنا الاجتماعية في الفراغ اعتباريا ونظريا .

وانما يتطلب هذا تأمين الواقع الذي تتيسر فيه معالجة هذه المشاكل ، وهذا يقتضي تأمين الارض والوطن . اذ هذه هي الارضية التي لا غنى عنها لمعالجة اية مشكلة ، كمحو الامية والتعليم والطلبة والهجرة والمعوقين والمتخلفين . اما الانصراف الى الاهتمام بهذه المشاكل قبل او دون تأمين الارضية اللازمة والاسس ، اي الحفاظ على الارض الام والوطن والبقاء فيه مهما كانت الظروف ، وعدم النزوح عنه والجري وراء المكاسب الذاتية ، او الاغراءات المادية ، فهذا لا يتناقض مع مخططات الحكم الاداري الذاتي ، بل قد ينسجم (عن قصد او غير قصد) او وعي او غير وعي معها ويصرف الانظار ويحرفها عن المهمة الاساسية وهي العمل لتحرير الوطن وتحقيق الجلاء واقامة الدولة الفلسطينية العربية المستقلة استقلالا تاما وذات السيادة القومية الكاملة غير المنقوصة واولها حق الدفاع عنها وحماية حدودها وامنها في هذا الوطن المحتل اذ يجب ان لا يغرب عن بالنا — لحظة واحدة — ان تنفيذ هذه المشاريع وتحقيقها رهن بموافقة سلطات الاحتلال وعرضة للاحباط من قبلها في اية لحظة ، ما لم نحقق حقنا في تقرير مصيرنا بأنفسنا ونؤمن استقلالنا وسيادتنا المطلقة الكاملة .

ولئلا يسيء احد فهم ما اسلفت ، اود ان اوضح انني لا اقصد بهذا التقليل من اهمية هذه المؤتمرات او الاستهانة بابحاثها ودراساتها ، وانما اهدف الى شد الانتباه الى ضرورة التركيز على مسألة الارض واعطائها الاولوية في هذه المداولات والى ان الاستقلال السياسي هو الاساس الذي لا غنى عنه لاي تخطيط او عمل اجتماعي وتنموي ، متمنيا للمشتركين كل توفيق ونجاح .

والله من وراء القصد

القدس ٢١—٧—١٩٧٩

الدكتور خليل البديري

حول اجتماع الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة لبحث قضية فلسطين وتوصيات لجنة العشرين :

ونشرت في اوائل سنة ١٩٨٠ بمناسبة بحث الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة قضية فلسطين وتوصيات لجنة العشرين المنبثقة عنها كلمة اذكر فيها المشتغلين بالقضية والشعوب والدول العربية بهذه التوصيات داعيا اياهم للمطالبة بها والاصرار على تنفيذها .

فذكر ان نفعت الذكرى :

لا شك ان الجهود والمحاولات والاجراءات التي تستهدف تغيير معالم وطننا وخلق وقائع جديدة وتهويده التي بدات قبل ثلاثة وستين عاما ، اي منذ ابتلينا بالاحتلال

البريطاني في اواخر الحرب العالمية الاولى واستمرت حتى يومنا هذا أخذت منذ اتفاقيات كامب ديفيد تتزايد وتتضاعف .

فالهجمات الاستيطانية ومصادرة الاراضي وانتزاعها من اصحابها باعلانها مناطق امنية مغلقة واقامة المستوطنات وحملات التشريد والاعتقالات وسياسة القمع ومصادرة الحد الادنى من الحريات وفرض الاقامات الجبرية والاعتقالات الادارية ومنع التجول وفرض الحصار على المخيمات وانزال العقوبات الجماعية تتوالى وتستمر ، ومنها وليس آخرها محاولة الاستيلاء على شركة كهرباء القدس العربية .

جرى كل هذا ايام الانتداب البريطاني البغيض ، ويستمر اليوم لاننا لم نتخلص من الاحتلال ، ولم نكرس جهودنا لتصفيته ولانهائه ، ونتسلم مقدراتنا بايدينا ونحقق استقلالنا التام ونقيم الدولة العربية الفلسطينية ذات السيادة .

اجل لقد شغلنا الاهتمام بالفروع بدل الاصل ، والاعراض بدل الجوهر ، عن التصدي لاساس البلاء ومصدر الداء الا وهو الاحتلال . فما نكاد نقضي على ظاهرة من ظواهره او نقتلع فرعا من فروعه حتى يفاجئنا بفرع آخر او ظاهرة جديدة ، فما نكاد نرغمه على اطلاق سراح احد المعتقلين ، أو الغاء ابعاد القادة الوطنيين ، أو التراجع عن مصادرة ارض في منطقة معينة حتى يباغتنا بمصادرة اراض في منطقة او مناطق اخرى ، واخيرا وليس آخرا بقرار الاستيلاء على شركة كهرباء القدس العربية .

ولذا فللقضاء على هذه الاعتداءات ومنعها نهائيا ، يجب اجتثاث الجذور التي تنبت عليها هذه الممارسات ومنع اسبابها ، الا وهو الاحتلال .

وكما كان الاحتلال البريطاني هو الذي ارسى اسس الوطن القومي اليهودي والدولة الصهيونية ، فالممارسات وعمليات القمع والتشريد والابادة التي نتعرض لها ونعاني ونشكو منها الان ، لا يمكن وضع حد لها الا بانهاء الاحتلال وتصفيته واستعادة حقنا الطبيعي في تقرير مصيرنا وحكم انفسنا بانفسنا تحت راية ممثلنا الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية . ولذا فبالاضافة الى جانب التعرض لهذه الاجراءات التعسفية الجزئية ، ومقاومتها والعمل على احباطها ، يجب التصدي للاحتلال نفسه اذ هو الذي تنبع منه هذه الممارسات .

قد يقول قائل : وماذا عسانا نفعل ؟ بالاضافة الى النضال الذي نخوضه ضدها . اجل يجب الاعلان مرارا وتكرارا باننا نرفض الاحتلال جملة وتفصيلا ، ونصر على حقنا في تقرير مصيرنا بانفسنا واقامة دولتنا المستقلة استقلالا تاما ذات السيادة في وطننا فلسطين ، ولا نقبل ولن نقبل المفاوضة او المساومة على هذه الحقوق ، ولن نشترك الا في مباحثات تنفيذ الانسحاب والجلاء الكامل غير المشروط ونقل السلطة الى ممثلنا الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية ، وان هذه هي

الناطق الرسمي الوحيد باسمنا .

واستكمالا لنضالنا وتتويجا له ارى ان تتوجه منظمتنا بالتنسيق مع الدول العربية الشقيقة الى الجمعية العمومية لهيئة الامم ومجلس الامن ، وتثير تقرير لجنة العشرين الذي اقرته الجمعية والذي يقضي بالجلاء التام الكامل والانسحاب غير المشروط من جميع الاراضي الفلسطينية التي احتلت سنة ١٩٦٧ وعودة اللاجئين ، لاجئي سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ الى مواطنهم الاصلية ، ونقل السلطة والسيادة الى منظمة التحرير ، الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، واقامة الدولة الفلسطينية في موعد كان اقصاه اول حزيران سنة ١٩٧٧ اي قبل اكثر من سنتين ونصف ، نثيره من جديد وتلاحقه ، هذا طبعا مع اتخاذ جميع الوسائل والاجراءات التي تكفل ذلك ، وتتابعه الى ان يوضع موضع التنفيذ ، فلا امن ولا استقرار ولا سلام مع الاحتلال .

ايهما الافضل فتح الجسور ام اغلاقها ؟

وفي صيف سنة ١٩٨٠ اثير في مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي عقد في عمان تمهيدا لمؤتمر القمة الذي عقد فيها فيما بعد موضوع فتح الجسور او اغلاقها. وقد ابديت رايي في هذا الموضوع في الكلمة التالية التي لم يتيسر لها الظهور على صفحات الجرائد :

« وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم »

« يطرح مجددا موضوع فتح الجسور او اغلاقها ، وبعبارة اخرى فتح الحدود بين الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة من جهة والاردن وبقية البلاد العربية عن طريق الاردن من جهة ثانية ، على بساط البحث والدراسة ، وقد سارع البعض الى التاكيد على افضلية ابقاءها مفتوحة وضرورة ذلك بحجة انها قضية مسلمة ومفروغ منها اذ انها كانت قد اثيرت في الماضي واستقر الراي على ان حسنات ابقائها مفتوحة ترجح بكثير على اغلاقها .

ولكنني من جهتي قبل ان اجزم برايي اود ان استعرض الموضوع ، (موضوع فتح الجسور او اغلاقها) موضوعيا (دون تشنج او تسرع وانسياق وراء العاطفة والميول والمنافع الشخصية والفردية ...) استعراضا يأخذ بالاعتبار المصلحة القومية العليا ومقتضيات النضال والكفاح ضد الاحتلال ومقاومته وتحقيق التحرير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة استقلالا تاما وذات السيادة الكاملة على ترابنا الوطني الفلسطيني في اسرع مدى او اقصر زمن ممكن . وابسطها لاخواني وابناء شعبي ليروا رايهم فيها او يقطعوا برايهم في ابقائها مفتوحة او بوجوب اغلاقها .

لا جدال باننا كلنا ــ المقيمين المرابطين هنا في القسم المحتل ــ نحرص ونرغب في الابقاء على الاتصال باهلنا وذوينا في شرقي الضفة وبقية الاقطار العربية .ولا شك ان كثيرين منا يتلقون الدعم والمساندة من اقرباء واخوان لهم عبر النهر .

كذلك كثير من مؤسساتنا وبلدياتنا ومشاريعنا العمرانية تعتمد بل وحتى تتوقف على ما يصلها عبر الحدود . وكل هذا سيتوقف وينقطع اذا اغلقت الجسور والحدود . هذا ولا يجب ان يغرب عن بالنا ولو للحظة واحده انه حتى في حالة ابقاء الجسور مفتوحة فان استلام هذه المعونات والمساعدات واستمرار وصولها رهن بمشيئة سلطات الاحتلال وموافقتها ، وانها حتما ستحول دون وصولها وتمنع استلامها اذا ما رأت أن هذا يتعارض مع سياستها واستراتيجيتها ، وأن ابقاء الجسور مفتوحة لا يكفل استمرار وصولها .

ولكن ... هل بقاء الجسور مفتوحة يساعد حقا على صمودنا وبقائنا والاحتفاظ بما تبقى لنا من الارض ومن اقتصاد وطني ويمنع من تفريغها من اصحابها الشرعيين ويحول دون هجرة الكثيرين منها الى الخارج ؟ ..

لنرجع الى الحقائق والوقائع ولا نجري وراء الاوهام والرغبات الذاتية والامانى ونعتبرها قضايا مسلمه ؟؟ فلننظر اولا أن كنا نريد الحياة أن تكون مستساغه هنية أو رضية في ظل الاحتلال . أو اننا نهدف الى تعميق الوعي والاحساس بثقل الاحتلال ووطأته والى زيادة النقمة والسخط عليه وتصعيد المقاومة والنضال والكفاح ضده.

لا شك ان ابقاء الجسور ... الحدود مفتوحه يشكل صمام امن للاحتلال فالذى لايستطيع احتماله او العيش في ظله وتحت وطأته يبادر الى الفرار منه والخروج الى البلاد العربية ... والذي يعاني من ضنكه او ضيق في الحياة وسبل العيش ويسمع بما يمكن ان يجنيه أو ما يمكن أن يتاح له من بحبوحه ورخاء وامكانية لتحقيق الثراء في البلاد العربية الغنية المنتجة للنفط يسارع الى الهجرة الى تلك البلاد اذاما تيسر له ذلك. ولا اسوق هذا القول اعتباطا ، لان الكل يعرف ان عددا يتراوح بين عشرين الفا وثلاثين الفا يهاجرون كل سنة الى خارج البلاد ، وقبلهم المئات من المتعلمين والمثقفين واصحاب الكفاءات كالمدرسين والمحامين واطباء والمهندسين والحرفيين غادروها ولا يزالون يغادرونها اذا ما بقيت الجسور مفتوحة فالسبيل الوحيد للحيلولة دون الهجرة الجماعية ومنعها هو اغلاق الجسور اغلاقا محكما . اذ لا يمكننا الاحتفاظ بالسكان هنا على أساس المنافسه الاقتصادية مع البلدان العربية الغنية والبلدان الاخرى ككندا واستراليا وغيرها حيث تتوفر الاغرائات . كذلك لا شك أن اغلاق الجسور سيزيد من النقمة على الاحتلال والتذمر منه ويؤدي الى تصعيد المقاومة ضده .

اما بقائها مفتوحة فهو يكرس تعايش مع الاحتلال ويعني عمليا تطبيع العلاقات مع العدو المغتصب .

بل اكثر من هذا انه بما يوفره من المداخيل عبر هذه الجسور يزيد من قوة الاقتصاد الاسرائيلي وينعشه ويقويه وبالتالي يجعل من الاحتلال نعمة لا نقمة على

المحتلين، ويؤدي الى اطالة أمده واستمراره . فمن مراجعة ميزان التبادل التجاري بيننا ، اي الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين واسرائيل ، يتبين ان فائض ما نستورده منها ونستهلكه من منتجاتها سنويا يزيد بما يقارب ٧٠ ــ ٨٠ مليونامن الدنانير على ما نصدره اليها .

وهكذا فان القسم الاكبر من أموال الدعم التي تصلنا يتسرب الى خزينة الدولة المحتلة ويجعل منا قوة شرائية كبيرة لتصريف منتجاتها ، أي انها تزيد وتوسع سوقها وتدير دواليب المصانع والمعامل فيها .
صحيح أنه اذا ما أغلقت الحدود فسنعاني من الضنك والضيق وشظف العيش ونقص في المداخيل ومزيد من الالام والمعاناة من جـراء انقطاع الروابط الانسانية والعائليـة .
كما وانه سيلحق بنا بعض الضرورة ويرغمنا على شد الاحزمة على البطون وانتهاج حياة التقشف ويؤدي الى تدني الاسعار عموما في اسواقنا المحلية العربية.
غير ان هذا وان كان قد يؤدي الى الاضرار ببعض المزارعين الكبار والمثقفين والتجار الا انه بما سيسببه من ازدياد في الركود والتراجع الاقتصادي في اسرائيل وتقليص فرص العمل فيها سيضطرنا وعمالنا وفلاحينا الذين يعملون هناك الى العودة الى الارض التي اطعمتنا وأطعمتهم من جوع فيما سبق من الازمان والالتصاق بها واعمارها واستثمارها والاحتفاظ والتمسك فيها مدركين ان ليس لنا من مصدر رزق مضمون غيرها وهذا بدوره يحقق البقاء والصمود خصوصا اذا ما اقترن باقامة التعاونيات الزراعية وانشاء المشاريع الزراعية والصناعيـة المرتبطة بالزراعـة ومنتجاتها في القرى والريف لتثبيت أهلها فيها والحيلولة دون نزوحهم الى المدن ويسهل تحقيق الاكتفاء الذاتي ومقاطعة الاقتصاد الاسرائيلي مقاطعة تامة أضف الى هذا انه بما سيلحقه من اضرار بالغة بالاقتصاد الاسرائيلي يضعف الدولـة الاسرائيلية نفسها ويشل دواليب العمل والمصانع فيها ويشدد من ضائقتها المالية ويزيد من تفشي البطالة وانتشارها ويزيد من تفسخها وتمزقها ويجعلها تدرك بـل توقن بان استمرارها في تعنتها وتنكرها حقوقنا ومواصلة احتلالها بلادنا يجلب لها الخسارة والدمار لا الرخاء والازدهار والاستقرار والامن والسلام ، بـل يعرضهـا للكارثة والاندثار ، وأنه نقمة ولعنة عليها لا مبركة ونعمة .

بينما ابقاؤها مفتوحة واتاحة الفرصة لتصدير المنتجات العربية الى الضفـة الغربية وبقية البلاد عبرها ؛ وتشجيع هذا التصدير يفرغ السوق العربية المحلية مـن المنتجات العربية ويفسح المجال للمنتجات والمصنوعات الاسرائيليـة لغـزو أسواقنا المحلية ويحميها من مزاحمة منتجاتها ؛ ويرغمنا على شراء منتجاته وسد كل حاجاتنا منـه .

باختصار ان ابقاء الجسور مفتوحة يؤدي ويساعد :ــ

اولا : على تكريس التعايش مع الاحتلال يجعل الحياة هنية رضية مستساغه فيظله.

ثانيا : على انعاش الاقتصاد الاسرائيلي وتقويته وتمتينه ، وبالتالي يقوى الاحتلال والالة العسكرية المعادية .

ثالثا : يخفف من النقمة عليه ويمتصها ، اذ يشكل صمام أمن له ننفس به عن أنفسنا.

رابعا : يضعف المقاومة والتصدي والتحدي له والكفاح والنضال ضده .

خامسا : ليس صحيحا أن اغلاقها يؤدي الى الارتماء في أحضان اسرائيل واتخاذ سيناء طريقا للعبور بدلا عنها ، فقد أدان شعبنا اتفاقيات كامب ديفيد ورفضها رفضا باتا ونبذ كل ما ينجم عنها ، وأثبت شعبنا العربي أنه على درجة عالية من الوعي تحصنه ضد هذا الخيار والاستسلام والاستكانة وتجعله يمتنع من نفسه على سلوك هذا البديل . وهنا بالضبط يأتي دور الهيئات والمؤسسات الوطنية والتوجيهية في رفع مستوى الوعي وتعميمه واذكاء الروح الوطنية بين جماهير شعبنا لمنعه والحيلولة دون انزلاقه الى حضيض الاستسلام والرضوخ .

كما وانه ليس صحيحا بأن اغلاقها يؤدي الى هدم الصمود بل على العكس يعززه ويدعمه ويفرضه اذ يرغمنا على البقاء والصمود أن حبا أو كرها فالحدود مغلقة وليس لنا الا الصمود والبقاء (العدو امامكم والبحر وراءكم فليس لكم والله الا الصبر والقتال) . والدفاع عن أنفسنا والكفاح من اجل بقائنا وتحررنا وضم بقية شعبنا المشرد المشتت الينا والانضمام جميعا الى الامة العربية الكبيرة بل أن ، اغلاقها سيؤدي حتما الى عدم استمرار الاحتلال وتحمله والصبر عليه ، والى المزيد من السخط عليه ومقاومته والتصدي له والتصميم على تصعيد الكفاح ضده للتخلص منه نهائيا والى الابد .

واسطع دليل حي على هذا مسيرة الجزء العربي من شعبنا في القسم المغتصب من وطننا منذ سنة ١٩٤٨ الذي ازداد عدده من ١٣٠ الف نسمة الى ما يقارب ٥٥٠ الفا ، ونما وعيه القومي وازداد تمسكه بهويته وقوميته العربية وبأرضه ووطنه (وما يوم الارض عنا ببعيد) واشتد كفاحه ضد الاحتلال والاغتصاب ، وتعاظم اندفاعه نحو الوحدة والاتحاد فالشعوب لاتقهر والعاقبة للمكافحين المناضلين والنصر ابدا للحق والشعوب .

١٢ — ٧ — ١٩٨٠

الدكتور خليل البديري

حول قصف المفاعل النووي في العراق :

في حزيران سنة ١٩٨١ قامت اسرائيل بقصف المفاعل النووي في العراق ، ومع ذلك فلا تزال الدول العربية سادرة في سباتها ، ودافنة رأسها في الرمال ومتجاهله الخطر المصيري الذي يتهددها جميعا قريبها وبعيدها . فنشرت على اثر ذلك كلمة في جريدة القدس بتاريخ ١٠ — ٦ — ١٩٨١ تحت عنوان :

رب ضارة نافعة

وللمرة الرابعة يؤخذ العرب علـى غرة ويصعقون لهـول الصدمة ويصابون بالذهول على اثر الضربة الغادرة واللطمة الماكرة التي توجه اليهم في حادث :دمير المفاعل الذري في العراق ويتساءلون ما العمل ؟!

فالمرة الاولى كانت في حرب قناة السويس ١٩٥٦ والثانية في حرب حزيران عام ١٩٦٧ والثالثة في اواخر حرب رمضان سنة ١٩٧٣ حين عبروا الى الضفة الغربية من القنـاة في الدفرسوار وحولوا ذلك النصر الـى هزيمة انتهت باتفاقيات كامب ديفيد المشؤومة التي شقت الصف العربي واوقعت الفرقة والانقسام بينهم وفجرت الوضع في لبنان والهت الدول العربية بصراعات جانبية ونزاعات هامشية كان آخرها واخطرها الحرب بين العراق وايران متناسين الخطر الداهم المشترك الذي يتهدد مصيرهم جميعهم على السواء والذي يتربص بهم السوء . هذا ناهيك عن العدوان الاساسي الذي اغتصب منهم وطنهم وشردهم منه في سنوات ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ولكن رب ضارة نافعة . فلعل اللطمة الاخيرة تفتح عيون من يريد ان يبصر على ما يبيت لهم من مكائد ويحاك ضدهم من مؤامرات لسلب المزيد من اوطانهم ومنع اتحادهم وتطورهم وبناء القوة والقدرة لاسترداد حقوقهم واسترجاع كرامتهـم المهدوره . فاللطمة الاخيرة تفضح بوضوح ما بعده وضوح مدى أطماع الامبريالية والصهيونية من الوطن العربي الكبير من المحيط الى الخليج وتقنع من لم يدرك حتى الان ان هذه المعركة التي نرغم على خوضها هي معركة مصير وبقاء للامة العربية كلها ، لا مصير الشعب العربي الفلسطيني فقط . فما فلسطين الا الخط الامامي ؛ نعم يتساءل الناس من جهة ما العمل ؟! والجواب في رايي بين واضح . فأول ما يجب عمله طي الخلافات الجانبية وان تضع الدول العربية على اختلاف انظمتها حـدا للصراعات المحتدمة بينها ونبذ الاحقاد وتطهير النفوس وضـم الصفوف وتوحيدها وتمتـين التضامن والتحالف بينها وبلورة رؤية واضحة تحدد الهدف وتقرر الوسائل والسبل لبلوغة والاتفاق على ان الارض العربية من الخليج الى المحيط وحدة واحدة لا تتجزأ وان واجب الرد على العدوان والتصدي له يجب ان لا يقتصر على البلد الذي يتعرض له هذا الجزء او ذاك بل على الدول والشعوب كلها اذ اننا كلنا مستهدفون به ، وكما قيل فاذا اكل واحد منا اكل الجميع « اكلت يوم اكل الثور الابيض » ولذا فأول مـا يتوجب عمله هو وضع حد للحرب العراقية الايرانية التي لا يستفيد منها غير الاعداء وبذل كل الجهود لتنقية الجو العربي وتوحيد صفوف الدول العربية وشعوبها .

لعل الضربة الاخيرة توقظ الغافل منا على ما يبيت له اذا مـا استفردت بنـا اسرائيل على حدة ... والشق الثاني وهو الدبلوماسي والسياسـي فيجب ان تطلب جميع الدول العربية اجتماع لمجلس الامن الدولي فورا ، وعقد دورة استثنائية للجمعية العمومية للامم المتحدة اذا فشل مجلس الامن ، وتطالب بطـرد المعتدي

وفرض عقوبات صارمة عليه اذا ما رفض الرضوخ والانصياع لمقررات الامم المتحدة.
فحيا على الاتحاد ، وحيا على الفلاح ، وحيا على العمل .

خاتمـــة وتعقيـــب

لقد مرت الحركة القومية العربية بعدة مراحل منذ انبثقت اليقظة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر . فقـد بدأت كحركة قوميـة شاملة تستهدف تحريــر البلاد والشعوب العربيـة كلها من المحيط الى الخليج ، او على الاصـح جميع الجزيرة العربية بما فيها العراق وسوريا الطبيعيـة : سوريا وفلسطين ولبنان . وكانت قضية تحرير هذا الوطن العربي تعتبر كلا واحدا لا يتجزأ ، ولا يتحقق استقلال اي جزء منه الا باستقلال الكل ، وان مصير كل قطر من اقطاره مرتبط ارتباطـا وثيقا بمصير الاقطار الاخرى . وهـذا كان في الواقع مطلب الثورة العربية التى نشبت في مستهل الحرب العالمية الاولى بقيادة الشريف حسين . غير ان احتلال الحلفاء : انكلترا وفرنسا وايطاليا ، لهذه البلاد وتجزئتها واقتسامها بينهم ، وطمع بعض الزعماء آنذاك في خلق عروش لهم ، ادى الى تفتيت القضية . وتوهم البعض انه قد يكون من الاسهل والايسر تحقيق اهدافهم في كل قطر بالتخلي عـن العمل القومي المشترك ، وحصر جهودهم في القطر الذي يعنيهم مباشرة اي فـي القطر الذي يقطنونه ، خصوصا وان البلاد العربية كانت مجزأة وترزح تحت احتلالين اثنين لا احتلال واحد ، اي انكليزي وفرنسي ، وانه من الممكن استغلال الواحد ضـد الاخر ، والاستفادة من التنافس بينهما ، ناسين ان الكفر ملة واحدة ، وان اللصوص والمستعمرين ولو اختلفوا احيانا تجمعهم وتوحدهم اللصوصية والاستعمار ولا يلبثون ان يتفقوا ويتحدوا في وجه اي حركة تحريرية ، اذ يرون في نجاحها خطرا مشتركا على استعمارهم . وهذا ما حصل بالفعل في سوريا ولبنان عـند انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة ، اذ اتفقوا علـى مـد امد الاحتلال بالرغم من الاعتراف باستقلال القطرين السوري واللبناني ، وتعليق الجـلاء عنهما علـى المفاوضات المباشرة بـين كل من سوريا ولبنان وفرنسا التي كانـت تحاول التمسك بنفوذها وهيمنتها على الاثنين ، هذا على الرغم من تطلع انكلترا الى الحلول محلها فيهما. كذلك تجلى ذلك في تخلي المانيا النازية اثناء الحرب عن دعم انقلاب رشيد عالي في العراق ، وخذلان المانيا القيصرية في الحرب العالمية الاولى للثورة الايرلندية سنة ١٩١٦ في عيد الفصح (ايستررايسنغ) ثـورة عيد الفصح ، وفي سيرتهما فى افريقيا في اواخر القرن التاسع عشر . فبعد اقتتالهما على المستعمرات ، اتفقا بعد حادثة فاشودة على اقتسامها ، وتحديد مناطق نفوذ لكل منهما فيها ، واطلاق يد كل واحدة في المنطقة التي خصصت لها ، وقد شاهدنا هذا في فلسطين ايضا ، فبعد ان كانت فرنسا تنافس بريطانيا في الحصول على الانتداب عليها اثناء الحـرب العالمية الاولى ، عادت بعد انتهائها واقرت الانتداب لانكلترا عليها وعلى العراق ، مقابل موافقة الاخيرة على اطلاق يدها في سوريا ولبنان والاطاحة بالحكومة العربية

في دمشق وطرد الملك فيصل منها بعد ان كانت تظهر له التأييد وتعده بالحماية .

هذا هو الخطأ الاول الذي وقعت فيه الحركة القومية ، اذ قبلت بحل كل مشكلة على حدة دون ربطها بحل مشاكل الاقطار العربية الاخرى . فركز السوريون نضالهم وجهودهم على تحرير سورية التجزئة ، ولم يربطوه وينسقوه مع نضال بقية الاقطار العربية ، كما ان العراق انصرف الى معالجة مشاكله الخاصة وتحقيق استقلاله ، والتوصل الى اتفاقات منفردة مع بريطانيا دون تعليقها او ربطها بالقضية الفلسطينية والغاء وعد بلفور والتخلي عن سياسة اقامة الوطن القومي اليهودي ، الدولة الصهيونية . كذلك فعلت الدول العربية الاخرى الاردن والسعودية ولبنان ومصر. ولايغير من هذا تضامنهم اللفظي مع الحركة الوطنية الفلسطينية وتقديم الاحتجاجات احيانا ، واعلان الاضرابات والتظاهرات تأييدا لها . ويذكرني هذا بمساعي كيسنجر في السنوات الاخيرة لتجزئة القضية الفلسطينية والنزاع العربي — الاسرائيلي ، وحله بعقد اتفاقات وتسويات مع كل بلد عربي على انفراد وعلى مراحل ، ليصدع الجبهة العربية ويهدر مكاسب حرب رمضان ويمنع العرب من اقتطاف ثمار نضالهم الطويل المرير ، ويكرس الانقسام العربي ويديم التجزئة ويحول دون اتحادهم ووحدتهم فما اشبه الليلة بالبارحة .

والخطأ الثاني هو ثقتهم العمياء ببريطانيا على الرغم مما اقترفته ضدهم ، وعدم ادراكهم انها هي العدو الاساسي والنقيض الاول لتطلعاتهم للحرية والاستقلال والوحدة . فانشغلوا عنها بالظل والفرع والاداة التي توارت خلفها وهو وعد بلفور والهجرة اليهودية ، ناسين ان الفرع يسقط بسقوط الاصل والجذع واقتلاع الجذور ، وليس العكس . فما دامت الجذور راسخة والجذوع قائمة فلا تلبث ان تنبت عليها فروع اخرى . والاصل ، هو الاحتلال والانتداب . وقطع الفروع لايؤدي الى موت الجذور وانقراضها . واكثر من ذلك فقد راحوا يعتبرونها حكما وهي الخصم ويحاولون تحييدها ، تماما كما يفعل الان اكثر الزعماء العرب مع امريكا ، ويظنون انها فريسة خدعة اليهود والصهيونية ، وان كل ما تحتاجه لاستخلاص حقوقنا واسترداد وطننا هو مزيد من الدعاية والشرح ، كأنها لا تعرف القضية وابعادها اكثر مما نعرفها نحن انفسنا ، ويجرون وراء سراب تحييدها ، غافلين او متجاهلين اننا نحن انفسنا مطمعها وهدفها : بلادنا بموقعها الاستراتيجي وبترولها ، وثرواتنا الطبيعية واسواقنا ، وما اسرائيل الا السوط الذي تلوح لنا به وتستعمله احيانا لضربنا وابقائنا في حوزتها ومنطقة نفوذها واحتكارها ، ومنعنا من التصدي لها والتحرر من تبعيتها ، وتحقيق استقلالنا السياسي والاقتصادي التامين ، والوحدة العربية الشاملة ، واختيار طريق التطور الذي نرتأيه ونرتضيه .

ولا بد لي هنا من التطرق الى تملق الحكام والقادة العرب اثناء الحرب العالمية

الاولى وما بين الحربين ببريطانيا ، واعتمادهم عليها في تحقيق اهدافهم في الحرية والاستقلال والبعث العربي . ويرجع هذا في نظري الى اعتقادهم وقناعتهم بـان هذا هو السبيل الوحيد والايسر لتحقيق اهداف الامة العربية في التحرر والاستقلال والوحدة والتطور والتقدم ، وليس من عمالة او خيانة ، وان كان المتتبع للامور والمدقق فيها لا يستطيع نفي الانتهازية او التسلقية عند البعض ، اذا ما احسنا الظن . ولكن هذا لا يغير من واقع الامر شيئا وان النتيجة ، نتيجة هذه السياسة ، كانت عكس ما كانوا يتوخونه منها . فقد ادت في الواقع المزير الى تجزئة البلاد العربية ، واغتصاب واقتطاع جزء اساسي منها ، فلسطين قلبها ، وتشريد جزء اصيل من الشعب العربي وحرمانه من حقه في وطنه وحريته ، وفتح ثغرة كبيرة خطيرة في الكيان العربي كله ، والى ابقائه في حالة التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، والضعف ، وتعريضه كله للخطر . فحسن النية لا يكفي وقديما قيل « الطريق الى جهنم معبدة باحسن النوايا » .

فالطريق القويم هو مقاومة الاستعمار وهيمنته في كل اشكاله ، امريكيا كان او فرنسيا او ايطاليا ، الاستعمار عموما واسرائيل اداته في ان واحد معا ، فالاثنان الاستعمار الامريكي والانكليزي واسرائيل وجهان لعدو واحد . وكل منهمـا متمم ومكمل للاخر . وان كان ثمة شك في هذا او عدم وضوحه لدى البعض من الحكام والزعماء العرب السذج في السياسة ، والذين لا يبصرون الشيء او يدركونه الا بعد وقوعه ، فلعل الغشاوة التي تجلل عيونهم تزول الان بعـد الاتفـاق الاستراتيجي الامريكي ـ الاسرائيلي الاخير . اللهم الا ان يكونوا ممن ينطبق عليهم قول المسيح « ليس اكثر عمى من الذين يرفضون ان يبصروا » ، « ولا اصم من الذين يأبون ان يسمعوا » ، او الذين يقعون ضمن من قال عنهم جل وعلا في كتابه العزيز « ختم الله على قلوبهم وسمعهم وعلى ابصارهم غشاوة »

والخطأ الاساسي هو عدم ادراك أكثر زعمائنا وحكامنا والمشتغلين منا بالحركة القومية وقضاياها والصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وعدم وعيهم للتغييرات التي طرأت على العالم منذ اواخر الحرب العالمية الاولى وما بين الحربين العالميتين ، وخاصة في اعقاب الحرب العالمية الثانية . فاكثرنا لا يزال يعيش في اجواء علم ما قبل الحرب العالمية الاولى ، حين كان العالم كله حكرا عـلى الدول الرسمالية والاستعمارية تتصرف فيه كيـف تشاء وتتقاسمه كما تشـاء . وحين كانت تسود العالم ايديولوجية واحدة ونظام اقتصادي واحد ، النظام الراسمالي وايديولوجية الفردية والانانية . ولذا فانهم يتحركون في اطار هيمنة وسيطرة الدول الاستعمارية الكبرى : امريكا وبريطانيا ودول السوق الاوروبيـة المشتركة ، ولا يرون مخرجا وطريقا للتخلص مما يعانون منه ، الا باستجداء هذه الدولة او تلك او مجموعـة من الدول واستعطافها وربط مصيرهم بمصيرها .

بنيما عالم اليوم يختلف اختلافا جوهريا عن عالم ما قبل الحرب العالمية الثانية .

فقد برز الى الوجود نظام يناقض النظام الاقتصادي الذي كان سائدا في جميع انحاء العالم ، نظام يقوم على التعاون والتضامن والتكافل والتعايش ، لا على المنافسة والتناحر والاستغلال ، النظام الاشتراكي . وانتشرت فكرة العدالة الاجتماعية والاقتصادية والمساواة والاخوة البشرية ، والجماعية بدل الفردية والانانية . وان لا حياة او امن او استقرار لشعب او امة الا بحياة وامن واستقرار الشعوب والدول الاخرى لا على حسابها . ولم تعد الدول الراسمالية الكبرى الاستعمارية المقررة والحاسمة ، فقد حققت معظم او كل شعوب العالم استقلالها السياسي ، وهي في طريق الاستقلال الاقتصادي . وفي الصراع الدائر الان بين العالمين الاشتراكي والراسمالي وايدويولوجيتهما بدأت ترجح كفة العالم الاشتراكي وايديولوجيته بشكل او بآخر في البلدان النامية التي استقلت حديثا . وحتى في البلدان الراسمالية نفسها . فما الاصلاحات والخدمات والضمانات الاجتماعية والصحية الا انعكاس لهذه الايديولوجية ، وخطوات ولو تدريجية وبطيئة على طريق الاشتراكية . واصبحت جميع دول وشعوب العالم تدرك في ظل تطور الاسلحة النووية الحرارية ، رادع الخوف ، ان لا بديل لها من التعايش احبت ام كرهت . فالحرب الذرية تهدد الجميع بالفناء ، الغالب والمغلوب على حد سواء .

كما وان حكامنا ورؤسائنا وزعمائنا لا يزالون يخلطون ولا يميزون بين الاعتداءات الاستعمارية ، والتدخل بهدف التسلط والتحكم في ثروات واسواق البلاد التي يتدخلون فيها او يحتلونها لاحكام قبضتهم عليها ، وابقائها في نطاق التبعية الاقتصادية ودمجها في نظامهم الراسمالي ، والحيلولة دون تحررها الاقتصادي وتطورها المستقل كما تختار وتشاء وتقرر مصيرها بنفسها ، وبين النجدة الاممية و تدخل الدول الاشتراكية حين تبادر الى مساعدة ودعم حركات التحرر والتقدم والتطور كما فعل جمال عبد الناصر حين سارع لنجدة الثورة في اليمن ، وكما يحدث حاليا في افغانستان وانغولا ناميبيا وبقية الدول التي تناضل من اجل استكمال استقلالها السياسي والاقتصادي ، كالبلاد والشعوب العربية والشعب العربي الفلسطيني . فهي حين تمد يد المساعدة وتستجيب لطلب النجدة انما تفعل هذا لا للسيطرة على موارد الثروة فيها وعلى اقتصادياتها واسواقها ، بل لنصرة الايدولوجية الناشئة . ودعم تغلب القوى التقدمية الثورية ، وترسيخ اسس العادلة الاجتماعية والاقتصادية والتطور اللاراسمالي . اي انها تتدخل لنصرة فكرة الحق والعدل والمساواة ضد التسلط والتمييز والاستغلال

هذا على النطاق العربي العام . اما على النطاق الفلسطيني الخاص فقد كان الخطأ الاساسي الذي وقعت فيه الحركة الفلسطينية وقيادتها ، انها على الرغم من انها اعلنت رفضها الصريح للانتداب والاحتلال ووعد بلفور والوطن القومي اليهودي والهجرة الجارفة ركزت مقاومتها على الصهيونية وهادنت بشكل او بآخر الاحتلال والانتداب البريطاني ، اصل الداء واساس البلاء ، ولم توجه مقاومتها ضده في

نفس الوقت الذي تصدت فيه للهجرة والصهيونية . ومع انها امتنعت عن تكريس الانتداب بقبول المشاركة في الحكم عن طريق المجالس التشريعية او الاستشارية ، الا انها لم تدع الشعب وتعده لعدم التعاون مع الحكومة المحتلة علـى مستويات الحياة اليومية ، واحباط سياستها بالامتناع عن الانخراط في الوظائف الحكومية ، ودفع الضرائب ، ومقاطعة جميع المؤسسات الحكومية (العصيات المدني) فـي وقت مبكر عقب الاحتلال ، حين كان هذا في اشد الحاجة الى مـن يتعاونون معه وينفذون سياسته ومخططاته . الامـر الذي قد كان من الممكن ان يحبـط جميع مخططاته ويشل الادارة ويعطلها تعطيلا تاما . ولم يرفعوا شعار الثورة والكفاح المسلح ، الطريق الاساسي للخلاص ، ولم يعدوا له . وهو الطريق الذي سلكه عفويا وعمليا الشيخ عز الدين القسام ورفاقه عام ١٩٣٥ .

وهذا بالضبط ما ادركته القوى الوطنية الواعية وارغمت القيادة على تبنيه في الاضراب التاريخي الكبير عام ١٩٣٦ ، حين دعت الى الامتناع عن دفع الضرائب والى مقاطعة الحكومة . ولم يعوز هذا التحدي الجريء والفعال لكي يكون كاملا وفعالا الى اقصى الحدود ، الا مشاركة الموظفين في الاضراب . ومرد ذلك ان بعض القادة كانوا انفسهم موظفين او شبه موظفين ، ولذلك احجموا عن دعوة الموظفين الـى الاضـراب .

والحديث عن هذه الفترة يقودني الى مقارنتها بالوضع الذي نعانيه الان . فقد كان يجب علينا منذ اللحظة الاولى التي دخلت فيها القوات الاسرائيليـة بلادنا ان نمتنع عن التعامل معها ، وعن ممارسة اي وظائف في ظلها ، ومقاطعتها مقاطعة تامة ، وبذلك نشل قدراتها عـلى ادارة البلاد والسيطرة عليها ، وعـدم الاكتفاء بمقاطعتها على المستويات العليا كمجالس الادارة ، ورفض اي حكم ذاتي مهما كان شكله في ظل الاحتلال . كما وكان يجب علينا مقاطعة المحتلين مقاطعة تامة ، واغلاق اسواقنا في وجه مصنوعاتهم ومنتوجاتهم . فلا نشتري منهم ولا نبيع لهم ، ونتبنى سياسة التقشف وشد الاحزمة على البطون . ولا يتحول تجارنا الى عملاء لتصريف منتوجاتهم وترويجها وفتح اسواق مربحة لها ، ولا يتهافت الموسرون والميسورون منا على شراء منتجاتهم وبضائعهم . وكان يجب علينا الاكتفاء بالضروري الضروري لتأمين تموينا وابقائنا على قيد الحياة ، كما وانه كان يجب على عمالنا الامتناع عن العمل في مصانعهم وورشهم وبناء المستوطنات والمعاقل للطرق الاستراتيجية لهم . انني ادرك ان هذا الامر صعب جدا ويقتضينا تحمل الكثير من المشاق والصعاب . ولكنه اقل ما يجب على شعب يريد التحرر والخلاص من الاحتلال والتحكم الاجنبي ان يبذل في هذا السبيل . نعم كان يجب علينا من اليوم الاول للاحتلال ان نثبت له بالفعل ان استمراره يجلب له الغرم لا الغنم ، وانه عبء لا مكسب .

غير ان الذي حصل هو العكس تماما فقد انصعنا من اول يوم لاوامره وتقيدنا

بأحكامه ، ومسارعنا الى تسجيل انفسنا لدى دوائره الامنية للحصول على الهويات، بينما كان يجب علينا الامتناع عن ذلك ليصعب عليه حصرنا وتعدادنا . وقد ادى غياب المنظمات والقيادات الوطنية وتقصير لجان التوجيه في توعية جماهير الشعب ودعوتها لمقاطعة سلطات الاحتلال وعدم التعامل معها على مستويات الحياة اليومية وفي توفير العمل وتأمين حد ادنى من العيش الكريم لفلاحينا وعمالنا ، وحثهم على البقاء في الارض والاكتفاء بما تدره عليهم ، أن هجر فلاحونا الارض واستهوى عمالنا وفلاحينا العمل الذليل المريح من الوجهة المادية مضحين بالكرامة لقاء العيش الرغيد والرخاء العابر ، فاندفعوا يعملون في مصانعهم ومنشآتهم ويبنون لهم المستوطنات والحصون والطرق الاستراتيجية ويعوضونهم عن عمالهم المجندين والموزعين على جبهات القتال والمعبئين دوما لقمع اية بادرة مقاومة او عصيان . كما سارع تجارنا ففتحوا لهم أسواقنا واسعة ليس في الارض المحتلة فقط ، بل وحتى لتسريب بعض منتجاتهم للبلاد العربية المجاورة . ولكن ما فاتنا عمله في زمن مضى يجب ان لا يقعدنا عن محاولته الان . فأن نعمل ولو متاخرين افضل من ان لا نعمل ابدا . ولا انكر ان هذا العصيان المدني والمقاطعة الشاملة تقتضي دراسة عميقة واعدادا محكما . فلنبادر ولو بعد تأخير .

أما العلة الاساسية المتأصلة في كل حكامنا ورؤسائنا ، والتي يتعرض لها كل واحد منا ، فهي ما تسوله له نفسه ويقتنع به عن وعي او غير وعي ان مصالحة الشخصية ، تتطابق بالضرورة مع المصلحة العامة ، وان الاثنتين واحدة وخاصة اذا ما استولى على السلطة او تربع على كرسي الحكم ، فيصبح شغله الشاغل وهمه الاكبر حينئذ البقاء في الحكم والاحتفاظ به وتوطيد سلطانه ، مقنعا نفسه ومحاولا اقناع الاخرين انه انما يفعل هذا لانه اضمن وسيلة لتحقيق المصلحة القومية العليا وانه لصالحهم قبل ان يكون لصالحه الخاص ، وهكذا ينقلب ما كان يزعمه وسيلة لتحقيق اهداف الاستقلال والنهوض بالامة نهضة شاملة الى الهدف الاساسي ويتراجع الاستقلال وتتوارى النهضة .

يبقى السؤال ما هو المخرج وما العمل . واظنني قد حاولت الاجابة على هذا بوضوح في المقالات التي ادرجتها في الصفحات السابقة . وقد تجلى هذا عمليا في حرب الاستنزاف في سنوات السبعين ، عندما اضطرت امريكا الى البحث عن حلول وتقدمت بمشروع روجرز ، ثم في حرب رمضان سنة ١٩٧٣ حين وضع حد لخرافة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ، وتفوق الاسلحة الغربية عموما والاسلحة الامريكية على وجه الخصوص ، وحين دب الذعر والرعب والهلع في اسرائيل والدول الاوروبية وامريكا ، وسارعوا لتغيير تكتيكهم ان لم يكن استراتيجيتهم ليتقوا الهزيمة الكاملة ويدرأوا خطر فقدانهم كل مواقعهم في الشرق العربي ، فأخذوا يتحدثون عن حل للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، وعن حقوق ولو منقوصة للشعب

العربي الفلسطيني ، ويقومون بمبادرات مشبوهة بعد ان كانوا يظنون ان القضية الفلسطينية قد انتهت واسدل عليها الستار ، ولا يعيرون العرب الفلسطينيين اى اهتمام . واخيرا في ازمة الصواريخ السورية في حزيران ــ تموز سنة ١٩٨١ حين صمدت سوريـــا البطلة ولم تكترث بالتهديـــدات الاسرائيلية ، وقامـــت المنظمات الفلسطينية بالرد الحاسم على الغارات الجوية الوحشية الاسرائيلية على جنوب لبنان وبيروت ولقنت اسرائيل درسا قاسيا وارغمتها على لحس تهديداتها ووقف اعتداءاتها الغادرة على مخيمات اللاجئين، وعلى الاعتراف الواقعي بمنظمة التحرير الفلسطينية، واكرهت الامريكيين على وقف مؤامراتهم لتصفية القضية الفلسطينية ولو مؤقتا او على التوسط لعقد هدنة بين اسرائيل والشعب العربي الفلسطيني ممثلا بمنظمته .

والجواب يبقـــى التأكيد علـــى أن الطريق الصحيح يقع عبـــر المزيد من الصمود والتصدي بجميع الوسائل ، وان المطالب لا تحقق بالتمني او الاستجداء ، وان مـــا انتزع بالقوة لا يسترد بغير القوة ، وان الحق يعوزه قنا وبنود وكفاح بهما وبغيرهما .

واذا لـــم يكن غير الاسنة مركبا فما حيلة المضطر الا ركوبهـــا

★ ★ ★

الفهرس

تصحيح الخطاء

الخطأ	الصواب	ص	موقع الخطأ
ويجبونا	ويجيبون	٤	سطر ٥ من اعلى
وعقاله	عقاله	٣٧	سطر ١٢ من اسفل
يحاوة	يحاول	٤٠	سطر ١٠ من اسفل
ترسل	نرسل	٤٥	سطر ٤ من اسفل
الاحتجاجات ايضا . ومن الجرائد : على	الاحتجاجات على	٤٥	سطر ٤ من اسفل
بلالنيا	البانيا	٥١	سطر ١٤ من اسفل
القبعية	التبعية	٥٣	سطر ٥ من اسفل
يحاربون كدين	يحاربون اليهود كدين	٥٥	سطر ٣ من اسفل
متشنغان	متشيغان	٦٢	سطر ٧ من اسفل
ناهـا	انهـا	٦٧	سطر ١٠ من اسفل
لو الوسائل	والوسائل	٧٢	سطر ١٠ من اعلى
طاميه	داميه	٧٩	سطر ٣ من اسفل
فهيا	فيما	٨٠	سطر ١ من اعلى
رودهيد	**وودهيد**	٩١	عنوان في وسط الصفحه
٤٠٠ الفا	٤٠ الفا	١٠٣	سطر ٤ من اسفل
تسلك	نسلك	١٢٤	سطر ١٤ من اعلى
موافقهم	مواقفهم	١٢٨	سطر ١ مـن اعلى
حقوقنا	حقوقا	١٣٠	سطر ٧ من اعلى
فوزي المقلي	**فوزي الملقي**	١٤٦	سطر ٤ من اعلى
اوقعهـا	اوقعتها	١٦٢	سطر ٨ من اسفل
ونعون	وتعاون	١٦٣	سطر ٤ من اسفل
ولماسة	ولممارسة	١٧٥	سطر ٣ من اسفل
جـزء	فـرد	١٩٥	سطر ٦ من اسفل
ي	اي	٢٠٣	سطر ٧ مـن اسفل
تطويـد	توطيد	٢١٨	سطر ١١ من اسفل
العربية الاسرائيلية ،	**المصرية الاسرائيلية**	٢٢٠	سطر ٤ من اعلى
لنزغمهم	لنرغمهم	٢٢٣	سطر ١٦ من اعلى
والتصاق	والالتصاق	٢٢٤	سطر ١٣ من اسفل

وحري بالذكر بهذه المناسبة أن فريقا من الثوار اعتصموا في داخل البلدة القديمة في القدس وسدوا أبوابها ومنعوا قوات الاحتلال الانجليزية من دخولها مدة تزيد على العشرة ايام ، فضربت عليهم حكومة الانتداب وقواتها الحصار الشديد بقصد تجويعهم وتعطيشهم وارغامهم على التسليم . غير أن هذا الحصار لم يفلح في كسر مقاومة المعتصمين ، مما اضطر الحكومة الى حشد قوات كبيرة واقتحام المدينة على جثث وأشلاء الاطفال والنساء والرجال العزل ، اذ لم يكن عدد المسلحين بأسلحة قديمة بالية داخل المدينة يزيد على عشرين شخصا ، وكان الجند حين دخلوا المدينة يطلقون النار دون تمييز على كل شيء تقع اعينهم عليه أو يتحرك ، مما ادى الى مصرع اكثر من خمسين الى ستين معظمهم من الاولاد والاطفال الذين لم تتجاوز اعمارهم السابعة او الثلاثة عشر عاما ، والنساء الذين كانوا يتولون توزيع الخبز والماء على المحاصرين . وهكذا تغلبت الكثرة على الشجاعة ، والسلاح المتطور الوفير على السلاح البدائي النادر . وقد كانت المقاومة داخل المدينة اذ ذاك تحت قيادة خطاط من نابلس يدعى شكيب القطب .

